

تاريخ الفلاسفة والحكماء قديماً وحديثاً 3

تاريخ الحكماء

قبل ظهور الإسلام وبعده

"نزهة الأرواح وروحة الأفراح"

تأليف : شمس الدين الشهرزوري (ت 511 هـ)

تمقيق : د. عبدالكريم أبو شويرب



دار البيروني
باريس

تاريخ الحكماء
قبل ظهور الإسلام وبعده

عناوين سلسلة تاريخ الفلاسفة والحكماء قديماً وحديثاً

- 1-صوان الحكمة وهو تاريخ للحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده. ويليه ثلاث رسائل في الأجرام والمحرك الأول والكمال. ألفه أبو سليمان المنطقي السجستاني (ت 392 هـ). حققه وقدم له د. عبدالرحمن بدوي.
- 2-تتمة صوان الحكمة أو تاريخ حكماء الإسلام. وضعه ظهير الدين البيهقي (ت 522 هـ). حققه وقدم له محمد كرد علي.
- 3-تاريخ للحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده "نزهة الأرواح وروضة الأفراح" لـ شمس الدين الشهرزوري (ت 511 هـ). تحقيق د. عبدالكريم أبو شويرب.
- 4-طبقات الأطباء والحكماء. تأليف ابن جُلجل (ت 377 هـ). حققه وقدم له وقابله بكتب الطبقات الأخرى فواد سيد.
- 5-إخبار العلماء بأخبار الحكماء. تأليف جمال الدين القفطي (ت 646 هـ).
- 6-طبقات الحكماء والأطباء من سلك الأئمة لابن فضل الله العمري (ت 749 هـ).
- 7-دروس في تاريخ الفلسفة: فلاسفة اليونان والإسلام وأوروبا الوسيطة والحديثة. تأليف إبراهيم مذكور ويوسف كرم.
- 8-فلسفة الهند وأبرز حكمائها في سيرة يوغى. تأليف الحكيم برمهنا يوغانندا.
- 9-عظماء الفلاسفة في الشرق والغرب منذ القدم إلى اليوم. وضعه هنري توماس مؤلف عظماء قادة الأديان.
- 10-عظماء قادة الأديان: سير مؤسسي الديانات ومجديها منذ القدم إلى اليوم. تأليف هنري ودانلي توماس.

سلسلة تاريخ الفلاسفة والحكماء قديماً وحديثاً 3

تاريخ الحكماء قبل ظهور الإسلام وبعده ”نزهة الأرواح وروضة الأفراح“

تأليف: شمس الدين الشهرزوري (ت 511 هـ)
شبكة كتب الشيعة
تحقيق: د. عبدالكريم أبو شويوب

دار بيبليون

باريس

shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

2007 - جميع الحقوق محفوظة

دار بيبليون - باريس



Dar BYBLION

30, R.de Passy, Paris 16^e

byblion3@yahoo.com

سلسلة تاريخ الفلسفة والحكماء قديماً وحديثاً

عديدة هي كتب طبقات الفلاسفة والحكماء في التراث العربي. وكثُرَ هم مؤلفوها. إلا أن كلاً منهم اختط لنفسه نهجاً علمياً وتاريخياً خاصاً. وكانت لكل طريقة في ترتيب أصحاب التراجم وتقديم جوانب من سيرهم ومآثرهم تختلف عما قدّمه الآخر. لذا فهذه الموسوعات الفلسفية التراثية هي اليوم، رغم تعددها، متكاملة ومتممة الواحدة للأخرى. وقد انفردت بحفظ أخبار وأقوال وكتابات لحكماء الفراعنة واليونان واليهود والسريان والإسلام، وأنقذتها من الضياع. وهذا ما يجعل منها مرجعاً لا غنى عنه لكل باحث، أو مهتم، بالفلسفة والحضارات والأديان وتاريخ كل منها. هذه السلسلة تقدّم المصادر النفيسة هذه في طبعات محققة مقرونة بدراسات وشروحات.

ولكنها لا تقتصر فقط على كتب التراث. بل تعمل على تغطية تاريخ الفلسفة والفكر الديني والصوفي من زاوية سير من برزوا في هذه المجالات وتعاليمهم ومؤلفاتهم. وهي ترفع شعار الانفتاح على كل العصور والحضارات والأديان. فلا تستثني أحداً ممن كان له شأن في الفكر وتطوره.

تمهيد

تميزت عصور النهضة الإسلامية بظهور العديد من المبكرات الفريدة التي أثرت جميع مجالات الانتاج الفكري في تلك العصور. ورغم مرور قرون زمنية عديدة على ذلك الانتاج الا أننا حتى اليوم بل وغداً ايضاً سنظل نستعملها ونستفيد منها كمراجع أساسية لكثير من العلوم والابحاث الحديثة وحتى من الناحية المنهجية العلمية والطرق والنظريات التي ابتدعوها أو اكتشفوها.

ان هؤلاء العباقرة لم يتوقفوا عند حدود النقل والاقتباس أو الترجمة بل تميز انتاجهم بالتجديد وتحكيم المنطق والاضافات الابداعية في كل الميادين التي طرّقوها أو ألفوا فيها.

ودفعت عجلة البحث العلمي الحكماء والعلماء في ذلك الوقت الى بذل الجهد للتأليف والترجمة في مجالات العلوم والمعارف فكان الطبيب يعالج المرضى ويخصص قسماً من يومه للقراءة والتأليف وكتابة الرسائل أو الكتب الطبية، وكان الصيدلاني يختار الاعشاب والنباتات الطبية ويحضر خلطات الادوية وخلال خلوته يصنف كتباً عن الادوية المفردة أو المركبة أو الرسائل عن ترياق ضد السموم، وكذا كان الفلكي والرياضي والاديب وغيرهم.

موضوع تراجم سير الاعلام هو من المواضيع التي تناولها العباقرة العرب والمسلمون في مختلف العصور، حيث قدموا لنا موسوعات عديدة للمؤلفين

والمؤلفات ومن مختلف التخصصات العلمية أو التاريخية أو الأدبية . ولا تزال كثير من المكتبات الكبيرة في دول العالم تضم داخل رفوفها العديد من المخطوطات العربية والتي لم تر النور الى الآن والتي تنتظر من ينقب عنها ويقدمها للقراءة ، وفي كل سنة ، نسمع عن اكتشاف بعض نواذر المخطوطات العربية وقد حققت أو نشرت ، ونجد دائماً فيها الجديد والطريف والإبداع العلمي الجيد .

ونشير الى أن كتب التراجم تمثل جانباً غنياً في الحياة العلمية الاسلامية وهي منظمة تنظيمياً دقيقاً ، فللأطباء تراجمهم الخاصة ، وللأدباء المفكرين معاجمهم ، وللشعراء والعلماء والفقهاء طبقاتهم وسيرهم ، وهناك بجانب هذا التوزيع العلمي ، كالتوزيع الزمني أو الأبجدي أو الجغرافي وغيره ، وكمثال نذكر :

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة .

الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع .

الكواكب السائرة في تراجم علماء المائة العاشرة .

خلاصة الأثر في تراجم علماء القرن الحادي عشر للمحبي .

سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر .

وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .

وفي مجال تراجم سير الحكماء الأطباء لدينا أيضاً العديد من المصنفات مما حقق ونشر في السابق ، وربما كان العمل الذي قام به الطبيب اسحق بن حنين هو من أوائل هذه الأعمال المتمثل في كتابه «تاريخ الأطباء والحكماء» وتلى ذلك كتاب الفهرست لابن النديم المتوفي سنة 385 هـ / 995 م .

وكتاب طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل المتوفي سنة 987/377 م . ،

وبعد ذلك كتاب تاريخ حكماء الاسلام لليهقي المتوفي سنة 595 هـ / 1170 م . ، ثم كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي المتوفي سنة 646 هـ / 1245 م . ، ثم كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة المتوفي سنة 668 هـ / 1269 م . ثم كتاب نزهة الأرواح وروضة الافراح في تاريخ الحكماء للشهرزوري المتوفى في أواخر القرن السابع الهجري .

ونلاحظ أن كلاً من هؤلاء المصنفين نهج نهجاً علمياً خاصاً من حيث بداية التراجم وترتيب اصحاب الترجمة كما قدم كل منهم جوانب ومآثر لصاحب الترجمة تختلف عما قدمه الآخر حتى صارت هذه الموسوعات رغم تعددها متممة لبعضها ولا تغني واحدة منها عن الاخرى، مع وجود التكرار والاقتراس والنقل من واحدة لاخرى لبعض المقاطع أو الجمل أو حتى ترجمة كاملة لبعض مشاهير الحكماء المعروف بهم.

كما ان هؤلاء المصنفين قد تجاوزوا الحدود الاقليمية والزمنية الضيقة في كل الحالات، لذا شملت أعمالهم الحكماء بداية من أول الخليقة إلى عصرهم ومن مختلف الأمصار والاصقاع ومن يونان وهنود وفرس وسريان وغيرهم من الملل والنحل.

وتحمل كتب سير وتراجم الاعلام أهمية كبيرة للباحثين الآن حيث انها فضلاً عن تقديم السيرة الذاتية للعلّم أي مولده ونشأته ودراسه وأعماله نجد ايضاً تصنيفاً لاهم مؤلفاته ورسائله وكلامه المأثور من حكم ومواعظ نثرية أو شعرية، كما نجد القصص والطرائف أو المآسي التي مرّ بها صاحب الترجمة وكذا الاشارات له ولمؤلفاته في الكتب الاخرى.

ويحتل مخطوط تاريخ الحكماء للشهرزوري موقعاً خاصاً ومهماً بين سلسلة من سبقه من المصنفات لأنه نحا منحىً جديداً من حيث طريقة تقديم الاعلام وبإيجاز ودون اطناب ومدح مُبِلٍّ مع تجنب تكرار القصص المعروفة التي اعتاد نقلها غيره عمن سبقه حتى اصبحت هذه القصص شائعة ساذجة، كما انه يشير الى الكتب التي استقى منها معلوماته فيقول في كثير من المواضع كتاب ابن النديم أو كتاب أبي معشر أو يشير إلى اسم المؤلف كابن سينا أو ابن الهيثم أو غيرهما.

ولهذه المزايا وغيرها مما سيلاحظه القارئ فاني رأيت تحقيق هذا المخطوط وتقديمه للقارئ العربي ليحتل مكانه في عالم النور بعد كل هذه السنوات في الظلمات واقية الاضابير والمخطوطات الى أرفف المكتبة العربية المضئية المشرقة. ولا بد من تقديم الشكر أولاً للأخوة المشرفين على مكتبي السليمانية وأحمد الثالث باستانبول حيث سمحوا لي بالاطلاع وتصوير

النسختين للمخطوط، كما أتوجه بالشكر للاستاذ الدكتور محمد أحمد الشريف امين عام جمعية الدعوة الاسلامية العالمية لما بذله من مساعٍ ودعم في سبيل تحقيق هذا العمل واشكر ايضاً الاستاذ الدكتور محمد الجراي مدير عام مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي لمساعداته العديدة وتسهيل الاتصال بالمكتبات وتصوير المخطوطتين، واني مدين بالشكر للإخوة المشرفين على مكتبة مركز دراسات جهاد الليبيين وتسهيل الوصول للمراجع اللازمة للكتاب، ولم يكن من اليسير لهذا العمل ان يرى النور لولا مساعدة الاستاذ الدكتور عماد غانم الذي بذل اكبر جهد في سبيل حل المشاكل التي واجهتني خلال التحقيق والمقارنة واستقراء الكلمات الغامضة في المخطوطتين. كما أتوجه بالشكر للاستاذ عبد الكريم قبلان لملاحظاته وتصويباته القيمة ومراجعة المتن والهوامش وصُنع الفهارس، وبذل قصارى الجهد لإظهار هذا العمل على أحسن وجه ممكن.

وقفنا الله جميعاً لما فيه الخير.

د. عبد الكريم أبو شويب

وصف المخطوط الأول

اسم المكتبة: احمد الثالث: رقم 4516
الحالة العامة للورق: جيدة لا توجد آثار نسوس

مقاس الصفحة: 14,5×19,5 سم

مقاس الكتابة: 8×14,5 سم

عدد الأوراق (اللوحات): 267 لوحة

عدد الأسطر في الصفحة: 15 سطراً

الغلاف الخارجي: مقوى جيد

الصفحة الأولى بعد الغلاف: فهرس للمخطوط

الخط: نسخ جيد متنق رفيع منتظم الأسطر

الترقيم: اعداد هندية (ربما تكون حديثة)

تاريخ النسخ: مجهول

اسم الناسخ: مجهول

التملكات: عديدة على الغلاف

الهوامش: استدراك كلمات سقطت من النسخ

أوله: الحمد لله القويم الأزلي الدائم السرمدي...

آخره: حواء كل دجى حظى وأدمه كأنما خلقت من حظي الظلم

الفهرس: به فهرس بأرقام الصفحات

ملاحظات: يضم هذا المخطوط ترجمة ٧ أعلام زيادة عن النسخ الأخرى للمخطوط، يضم

12٨ ترجمة وسبب اختيار هذه النسخة للتحقيق لأنها النسخة التي ضمت أكثر

عدد من الترجمات كما انها اطول في تقديم الاعلام وذكر حكمهم ومآثرهم

بالمقارنة إلى النسخة المتوافرة لدي.

وصف المخطوط الثاني

اسم المكتبة : السليمانية / بنى جامع رقم : 908

الحالة العامة للورق : متوسط

قياس الصفحة : 15×21 سم

قياس الكتابة : 8×14 سم

عدد الأوراق (اللوحات) : 241 لوحة

عدد الأسطر في الصفحة : 15 سطراً

الغلاف الخارجي : جيد

الصفحة الأولى بعد الغلاف : تملكات وأختام

الخط : نسخ جيد منسق متظم يغفل النقط والحركات

الترقيم : اعداد عربية (ربما تكون حديثاً)

تاريخ النسخ : مجهول

اسم الناسخ : مجهول

التملكات : ختم في الصفحة الأخيرة : وقف السلطان احمد خان غازي

الهوامش : خال من أي هوامش أو استدراك

أوله : الحمد لله القويم الأزلي الدائم السرمدي . . .

آخره : «كتاب الله مشهود يراه الغافلون ويقرأه العاملون، شكر الرب افضل من الصبر ولا

ارضاه كالرضى، تم بنعمة الله وحسن توفيقه

الفهرس : لا يوجد

ملاحظات : عدد الرجال الذين ضمهم هذا المخطوط يساوي العدد نفسه (١٨١ ترجمة) في

النسخ الأخرى المعروفة عدا نسخة السليمانية .

نسخ أخرى للمخطوط في مكتبات العالم

مكتبة راغب : رقم 960	تركيا :
مكتبة الحميدية : رقم 1447	
مكتبة احمد الثالث رقم : 1447	
مكتبة اسعد باشا رقم : 3804	
مكتبة محمد الفاتح رقم : 4515	
المتحف البريطاني / لندن ، رقم : 601 ، ورقم 688	
المتحف العراقي رقم : 2246	
مكتبة برلين رقم : 10055 ، ورقم 10056	
مكتبة ليون رقم : 10488	
مكتبة لي رقم : 40	
المكتب الهندي / لندن رقم : 4613	
المتحف البريطاني / كمبودج ، رقم : 100 مختصر بالفارسية	

أسماء الحكماء المعروف بهم

الحكماء قبل الإسلام:

ص	ص	ص
180	21 - ارسطيس	56 1 - آدم عليه السلام
180	22 - فوطرخس	56 2 - ثيث عليه السلام
180	23 - سفيداس	60 3 - هرمس الأول
181	24 - ثامسطيوس	61 4 - هرمس الثاني
181	25 - الاسكندر الافروديسي	61 5 - هرمس الثالث
183	26 - الشيخ اليوناني	62 6 - غادهمون
184	27 - زرادشت	79 7 - طاطوبن ادريس
186	28 - ديجانس الحكيم	80 8 - اسقليبيوس
196	29 - ابقرات الحكيم	83 9 - انبلذقلس
202	30 - أوميروس الشاعر	87 10 - فيثاغورس
209	31 - سولون	107 11 - سقراط
213	32 - زينون الاكبر	145 12 - افلاطون
217	33 - الاسكندر ذو القرنين	160 13 - ارسطو
252	34 - بطليموس	172 14 - انكساغورس الملطي
256	35 - مهادر جيس	174 15 - ثاوفرسطس
258	36 - غريغوريوس	175 16 - أواديموس
259	37 - باسيليوس	176 17 - اسخيليوس
260	38 - اقليدس الصوري	177 18 - ديمقراطس
261	39 - لقمان الحكيم	178 19 - قابس السقراطي
274	40 - جالينوس	178 20 - أبرقلس

الحكماء بعد ظهور الإسلام:

ص	ص
318	41 - حنين بن اسحق
318	42 - اسحق بن حنين
319	43 - حُثَيْش الطيب
319	44 - ثابت بن قرة الحراني
320	45 - أبو عثمان الدمشقي
320	46 - محمد بن زكريا الرازي
	47 - علي بن زين الطبري
320	48 - أبو الخير الحسن بن هنام
322	49 - مق بن يونس
322	50 - محمد بن جابر الحراني البتاني
323	51 - محمد بن محمد الفارابي
324	52 - أبو سليمان بن مسهر البستي
326	53 - أبو عبد الله الناتلي
327	54 - يحيى النحوي الديلمي
327	55 - يعقوب بن اسحق الكندي
328	56 - أبو زيد البلخي
	57 - أبو الفرج بن الطبيب الجاثليق
328	58 - أبو القاسم الكرماني
329	59 - أبو حامد الاسفرازي
329	60 - أبو الوفا البوزجاني
	61 - أبو علي بن الهيثم
329	62 - أبو سهل الكوهي
330	63 - ابن الأعلم البغدادي
331	64 - أبو الفرج بن الحسين بن هندو
	65 - أبو سهل المسيحي
334	66 - أبو زكريا يحيى بن عدي
334	67 - جهم بن المرزباني
336	68 - أبو منصور بن زيلة
340	69 - أبو عبيد عبد الواحد الجوزجاني
340	70 - أبو عبد الله المعصومي
	71 - أبو الحسن الانباري
	72 - اسماعيل الهروي
	73 - ميمون بن النجيب الواسطي
	74 - أبو الفتح كوشك
	75 - سهل النيلي النيسابوري
	76 - أبو القاسم الحسن بن الفضل
	77 - أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق
	78 - المختص أبو الحسن علي النسوي
	79 - عضد الدنيا والدين ملك يزد
	80 - أحمد بن الطيب السرخسي
	81 - عمر الخيام
	82 - أبو المعالي عبد الله الميانجي
	83 - أبو حاتم المظفر الاسفرازي
	84 - أبو العباس اللوكري
	85 - محمد الايلاني
	86 - زين الدين عمر بن سهلان الساري
	87 - أبو الصلت
	88 - أسعد الميهني
	89 - تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
	90 - ابن التلميذ أبو الحسن البغدادي
	91 - ابن الشبل البغدادي
	92 - الحسن بن اسحق بن محارب الفقي
	93 - أبو الفضل بن العميد القمي
	94 - أبو جعفر بن بابويه
	95 - أبو بكر الحسن القومسي
	96 - أبو علي أحمد بن مسكويه

ص

- 361 - غلام زحل
360 - أبو تمام النيسابوري
361 - النوشجاني
362 - أبو القاسم الانطاكي
362 - أبو اسحق الصابي
362 - أبو الخطيب الصابي
364 - أبو الفتح البستي
364 - زين الدين اسماعيل الجرجاني
123 - أبو الحسن محمد بن يوسف
366 - العامري
124 - شرف الملك أبو علي بن سينا
125 - أبو الفتح يحيى السهروردي
392 - فخر الدين الخطيب الرازي
127 - أفضل الدين بن محمد
397 - المسرفي القاشي
128 - أفضل الدين الباماني
397 - تاج الدين الارموني
397 - كمال الدين بن يونس
398 - نصير الدين محمد الطوسي
132 - كمال الدين عبد الخالق بن
398 - الداعي

ص

- 97 - أبو النفيس
98 - ابراهيم بن عدي صنويحي
99 - أبو الحسن علي بن أحمد الجوشني
100 - صاحب أبو محمد البخاري
101 - أبو البركات البغدادي
102 - بهاء الدين أبو محمد الحرقى
103 - محمد الحارثاني السرخسي
104 - محمود السرخسي الخوارزمي
105 - أبو الفتح عبد الرحمن الخازن
106 - محمد بن المعموري البيهقي
107 - ظهير الدين عبد الجليل بن
عبد الجبار
108 - علي بن شاهك القصاري
109 - أبو ريحان محمد البيروني
110 - أبو علي عيسى بن زرعة
111 - أبو الحسن بن هرون الحراني
112 - ابن سيار الطيب
113 - أبو سليمان بن طاهر
الجبستاني
114 - عيسى بن علي بن عيسى بن
الجراح
341
342
343
343
343
344
345
346
346
346
347
347
348
352
355
355
355
355
360

تعريف بالمؤلف

شهرزور مدينة غلب عليها اسم كركوك بالعراق، وقال ياقوت «هي كورة واسعة في الجبال بين اربل وهمدان . . .» وقد خرج من هذه الناحية من الأجلة والكبراء والأئمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء، ما يفوت الحصر عده، ويعجز عن احصائه وحسبك بالقضاة بني الشهرزوري جلالة قدر وعظم بيت، وفخامة فعل، وذكر ما علمت أن في الإسلام كله من وُلِّي من القضاة أكثر من عدتهم من بينهم».

وعندما يذكر الشهرزوري فيذكر أولاً اسبقهم واشهرهم وهو أبو احمد القاسم بن الظفر كان قاضياً بمدينة اربل وتوفي بالموصل سنة 479 هـ وولده قاضي الخافقين ابو بكر ولي القضاء بعد والده وتوفي ببغداد سنة 538، وقد قيل له قاضي الخافقين لكثرة البلاد التي ولي فيها القضاء. وأما ولده الآخر وهو أبو منصور المظفر فقد تولى القضاء بمنطقة سنجار، وولده الآخر أبو محمد عداؤه المعروف بالمرتضى فقد كان مشهوراً بالفضل والدين حسن الوعظ تولى القضاء بالموصل ثم ببغداد وتوفي سنة 511 هـ بالموصل.

وحفيد عميد هذه الاسرة هو القاضي كمال الدين ابو الفضل محمد فكان من أشهر القضاة تفقه على اسعد الميهني ببغداد وتولى القضاء بالموصل وبها بنى مدرسة الشافعية توفي سنة 572 هـ ومن مشاهير هذه الاسرة ايضاً ابو الكرم المبارك بن حسن الشهرزوري من مدينة بغداد. يقول عنه السمعاني (في

كتاب الانساب) فقيه مقرأ فاضل وصنف كتاب المصباح وتوفي سنة 550 هـ
محمد بن محمود الشهرزوري، الاشراقي (شمس الدين)
كان حياً سنة 687 هـ/1288 م.

رغم استناد الكثير من الباحثين على مؤلفات الشهرزوري وحتى المخطوطة.
منها والاشارة له ولهذه المؤلفات خصوصاً كتب تراجم الاعلام والحكماء، الا
أن ترجمة حياته لا تزال مجهولة ولا يعرف إلا القليل عن مولده ووفاته وتنقلاته
وتقليباته وهذا ما دعى الاشارة الى انه كان حياً سنة 687 هـ وهي سنة تأليف
هذا المخطوط وذكر ذلك بروكلمان وكحاله.

ويرجح ان يكون من نسل عميد الاسرة محمد بن عبدالله بن القاسم
الشهرزوري التي نزحت من الموصل الى بغداد ودمشق، وقد تقلد القضاء
واشتغل بالفقه والحديث فضلاً عن اهتمامه بالادب والشعر والتراث والتأليف
في هذه المواضيع.

ومن أهم المراجع التي اشارت للمؤلف وكتبه:

- البغدادي : هدية العارفين 136:2
 - اسعد طلس : مكتبة المجلس النيابي طهران 13
 - سركيس عواد : المخطوطات التاريخية 79
 - فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المصورة 166:2، 170:3، 315
 - بروكلمان : المجلد الأول ص: 469-468
 - الواردت : فهرس المخطوطات العربية بمكتبة برلين جزء 9 ص:
- 460-459

- الزركلي : الاعلام 87:7
- كحالة : معجم المؤلفين جزء 12 ص 32
- حمارة/ د. سامي خلف : فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية
(الطب والصيدلة) 1969 م.
- ومن أهم مصنفاته :
- الشجرة الالهية
- التنقيحات في شرح التلويحات في الحكمة

- الرموز والامثال اللاهوتية

ومن الباحثين الذين استفادوا من مخطوطة تاريخ الحكماء للشهرزوري
الطبيب العلامة المصري أحمد عيسى وذلك في كتابه معجم الأطباء (الطبعة
الثانية 1982) في الصفحات التالية ص 4, 46, 370 وأيضاً في كتابه المأثور من
كلام الأطباء .

منهج المؤلف

يبدأ المؤلف كتابه كما جرت العادة في عصره بحمد الله والثناء على رسوله عليه السلام وذكر الأسباب التي دفعته لتأليف هذا الكتاب والهدف منه وهو «تقديم التواريخ المفصلة ومقدمة وكلاماً في حقيقة الحكمة والفلسفة وأحوال الحكمة»، ثم يورد كلام بعض الحكماء في معنى الحكمة من أقوال سقراط وافلاطون وغيرهما. وبعد هذه المقدمة يورد فصلاً في ابتداء أحوال الفلسفة وزمن ظهورها واولئ من تكلم بالحكمة، وفي الفصول التي تليه يقدم الحكماء واحداً واحداً بترتيب زمني بدءاً بأدم عليه السلام وبعض الانبياء ثم الحكماء الاغريق واليونانيين ثم من تكلم بالحكمة بعد ظهور الإسلام إلى عصر المؤلف.

ولكل علم يورد كلامه المأثور والحكم المنقولة عنه والاقوال والمواعظ المنسوبة له تحت باب «آداب ومواعظ...». ويقدم بعض نوادر أو قصص المعروف بهم والتي تستحق الذكر.

وإذا ما تناولنا بعض الاعلام وتراجهم نجد انه يورد الاسم الكامل ويشمل اسم ابيه وشهرته وكنيته ونسبته ويذكر نوع تخصصه في مجال العلوم أو الآداب كما يعرفنا بأسماء شيوخه أو تلاميذه ممن أخذ عنهم وتلمذ عليهم ويشير الى تصانيفه أو المشهور منها ويثبت اسماء المصادر التي استقى منها هذه المعلومات.

ونلاحظ انه لا يتبع خطأ معيناً مع كل علم فيما ذكر وربما كان ذلك لعدم
توافر المعلومات الكاملة عنه مثل تواريخ المولد والوفاة وتصانيفه بالشكل
الذي نجده في فهرست ابن النديم .

وما ندركه بعد قراءة الكتاب ان المؤلف قد وضع في ذهنه جمع الكلام
المأثور لمشاهير الحكماء في هذا الموضوع .

مصادر المؤلف

اعتمد المؤلف على العديد من المصنفات التي توافرت لديه ممن سبقه من المؤرخين او المترجمين للحكماء والمشاهير، كما اعتمد من جهة أخرى عما سمعه من الرواة والنقلة مما لم يدون بل جرى مجرى النقل عبر الأجيال وهو أمر معروف. وفي مواقع كثيرة نجد المؤلف يشير الى اسم المؤلف الذي اقتبس منه المقطع و أحيانا يشير الى الكتاب فقط و أخرى الى الاثنين معاً ولكنه في حالات كثيرة يهمل هذه الاشارات وتأكدنا من اقتباسها لورودها لدى مؤلف آخر قد تقدمه زمنياً أو سبق من حيث التأليف.

والامر الذي لم أتمكن من أن أجزم فيه هو امكانية اتقان المؤلف للغة اليونانية حيث لم نجد ما يشير بأنه قد درسها أو ترجم عنها، ولكن غزارة المادة وعمقها وتعدد التراجم حول الحكماء اليونان ودقة التعابير والحكم الواردة عنهم لا تتأتى الا من رجل اتقن لغتهم وتعمق فيها وأدرك المعاني وما وراءها من مغاير وأحاج.

وقد اشار المؤلف الى اسماء العديد من المؤلفات اليونانية المشهورة حول الحكمة والحكماء وبعضها ترجم الى العربية منذ اوائل العصر الاسلامي .

وهذه قائمة بالكتب الوارد ذكرها في المخطوط والتي رجع لها المؤلف:

ص. 45: ب : وذكر محمد بن يوسف العامري في كتابه المسمى بكتاب: الأمد على الأبد . . .

ص 47 ب	: فهذا هو كلام العامري (يعني في كتابه الأنف الذكر : الأمد على الأبد).
ص 48	: وذكر فرفوروس . . .
ص 89	: وذكر فرفوروس في تاريخه
ص 49	: وذكر ابراهيم النديم في تاريخه (ويعني الفهرست)
ص 52	: قال أبو معشر في اختلاف الزيجات . . .
ص 61-60	: وحكم أبو معشر . . .
ص 301	: قال أبو النصر الفارابي . . .
ص 172	: قال أبو سليمان السجري . . .
ص 301	: قال أبو سليمان السجري
ص 309-308	: يقول الشيخ أبو علي ابن سينا . . .
ص 297	: وقال ابن سينا في بعض كتبه
ص 318	: قال أبو علي (ابن سينا)
ص 318	: وقال الظهير البيهقي
ص 295	: وقال القاضي بن صاعد (طبقات الأمم !)
ص 297	: وقد حكم له أبو ريحان (البيروني)
ص 304	: الغزالي في كتاب التهافت
ص 308	: البلخي كتاب الأمد الأقصى وكتاب الابانة عن علل الديانة
ص 314	: وذكر في كتاب المفتاح لابن هندو . . .
ص 315	: وكتاب المفتاح (لابن هندو) نافع جداً . . .
ص 355-336	: سليمان بن طاهر السجستاني وكتابه : صوان الحكمة ^(١)
ص 303	: رسائل اخوان الصفا : اخوان الصفا
ص 305	: الكندي : المناظر

(١) ونسب أيضاً لأبي جعفر بن بابويه ص : 336 الحاشية.

منهج المحقق

منذ القراءة الاولى للمخطوط ادركت الصعوبات التي ستواجهني من حيث مقارنة النسختين وضبط الاختلاف بينهما وتثبيت ما تجاوزه وتناساه الناسخ وكذلك من حيث مقارنة ما جاء في هذا المخطوط مع ما ورد في كتب تراجم الحكماء الأخرى واستخراج الجمل أو المقاطع التي اقتبسها المؤلف من هذه الكتب الأخرى.

وكان بود المحقق ان يعثر على النسخة الأم للمخطوط اي تلك التي نسخها أو املاها أو اجازها المؤلف أو على الأقل كتبت في عصره ولكن لصعوبة الاطلاع على كل النسخ رأى المحقق أن يعتمد على نسخة مكتبة أحمد الثالث (النسخة أ) لأنها كاملة من حيث الترقيم والصفحات وشاملة لكل الاعلام واخترت نسخة مكتبة بني جامع (النسخة ب) للمقارنة والمراجعة وهي تنقص بعض التراجم وتختصر كثيراً من الصفحات.

وتحتوي النسخة أ على العديد من الهوامش وتعليقات الناسخ وهذا ما أثبتته في اسفل كل صفحة بينما وضعت تعليقات وهوامش المحقق في آخر الكتاب وقبل الفهارس وتحتوي النسخة أ على ترجمة أربعين علماً قبل الإسلام وستة وثمانين بعد ظهور الاسلام وقد اضاف الناسخ (مجهول الاسم) سبعة اعلام عاش آخرهم في القرن السابع ولعل ذلك يدلنا ان الناسخ قد عاش أو عاصر هذه الفترة.

بعد مقارنة النسختين من المخطوط وثبتت الفروق والاسهات
بينهما قارنت كل مراجع الاعلام الواردة في الكتاب مع تلك الواردة في كتب
تراجم الحكماء الأخرى بدءاً بالفهرست ثم ابن جلدل ثم البيهقي ثم
القفطي ثم ابن أبي أصيبعة وثبتت الجملة أو المقاطع المقتبسة منهم، وقد
كان المؤلف معاصراً لابن أبي أصيبعة ولكن لم يطلع أي منهما على مؤلف
الأخر كما لم يطلع ابن جلدل الأندلسي على فهرست ابن النديم وهو معاصر
له وربما لو أطلع كل منهم على مصنف معاصره لكان عمله أعظم وأشمل .
وقد الحق بآخر الكتاب تراجم حياة لبعض الحكماء الذين وردت أسماءهم
دون تفاصيل حول حياتهم ومصنفاتهم كما أرفقت معجماً للكلمات العلمية
وآخر للاعلام اليونانيين وقوبلت أسماءهم بما يوافق أو يقارب من أسماء
لاتينية لهؤلاء الحكماء .

ولا شك أن أكبر صعوبة هي تحقيق الاسماء اليونانية وارجاعها الى اصلها
حيث ان تعريب الكلمة قد أجري عليها الكثير من التحريف والزيادات
والنقص كما انها تتجاوز المائة عدا وبعضها لم اتمكن من قراءته ونقله .

أما بالنسبة للاعلام العرب والمسلمين فالمشكلة التي واجهتني هي العثور
على تراجم لبعضهم ممن أهملهم وتجاوزهم حتى أشهر كتب تراجم الاعلام
المعروفة لذا لم يكن في الامكان التعريف بكل اسماء الاعلام المعروف بهم
أو تلك التي تمر عرضاً . وقد اوردت ترجمة ملخصة لبعض الاعلام وبعض
اللمحات حول صاحب الترجمة مما لم يذكره المؤلف .

مصادر المحقق ومراجعته

- ابن النديم : الفهرست تحقيق رضا جواد، طهران، 1971.
- ابن جلجل داود بن سليمان الأندلسي، طبقات الاطباء والحكماء، تحقيق فؤاد سيد، القاهرة 1955.
- القفطمي جمال الدين، اخبار العلماء باخبار الحكماء، مصر 1909
- البيهقي، علي بن يزيد، تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق محمد كرد علي، دمشق 1946.
- ابن ابي اصيبعة عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق د. نزار رضا بيروت 1965.
- فائق، أبو الوفاء المبشر، مختار الحكم ومحاسن الكلم، تحقيق عبد الرحمن بدوي، مدريد 1958.
- البغدادي، اسماعيل، هدية العارفين، اسطنبول 1951.
- الزركلي، خير الدين، الاعلام، بيروت 1980.
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، بيروت.
- عواد، سر كيس، المخطوطات التاريخية.
- سيد، فؤاد، فهرس المخطوطات المصورة 1963.
- عيسى، أحمد، معجم الأطباء. ط 2، 1982.
- عيسى، أحمد المأثور من كلام الاطباء
- الزوزني، محمد بن علي مختصر الزوزني (تاريخ الحكماء)، لبيزغ 1903.
- الحموي، ياقوت، معجم البلدان تحقيق أحمد الشنقيطي، القاهرة 1955.
- د. عبد الحليم متصرتاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ط 3، 1969 القاهرة.
- حكمت نجيب دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، 1977، جامعة الموصل العراق

- ابن خلدون المقدمة دار الكشاف، بيروت.
- محمد فريد وجدي دائرة معارف القرن العشرين: 1971.
- السمعتي كتاب الانساب حققه محمد عرومه.
- طوقان/ قنري حافظ: تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك 1963
- Bruckelmann, C., Geselichte des Arabischen Literatur, Leyden Brill 1937-49
- Sezgin Fuat: Geschichte des Arabischen Schrifttums, leyden E.J.Brill 1970-79
- Ahl wardt, W.: Verzeichnis der arabischen Hand schriften



五

كثير من هذه الارواح ورفضه الا ان لم يجد
في نار عرج حكاما ، القديسين والمؤمنين باليد
التسبيح القديم واليوسف فلكم من الملح والخبز
من هذا الله ان اكر قلبه .

9.7

[illegible]

والأهماء، مخترع بديله، وعبد المصلح الجليل، وتولد
الانتخاب، وصل أشعة على أدام العاكرين على ألبانها
والضراء، ويعتد فان تزداد الحكام الاقدارين
والفلاسة الشافية من الذين ياتين والمصرحة بالبحر
على المستبحر تحصيله، وعلى الحكيم تعلمه وتعليمه، وإلا ذكر
مرقة ظاهم الحكمة، ونوادع الوعظية، وسرهم
بليله المريعة، فان الحالب السعادة الدينية والروح
على لنا، اذا كان الغرض الاقتداء بهم، والتسبيه
بانفسهم، واقولهم وحركاتهم وسكناتهم، ولولك
السبل الى الله عز وجل على انا ندم فقه عظمه، وعظمه
جزيلا، ويجوز ان قالنا في سر الأرواح، وانتقل
الى صاينه انوار الملكوت، لا ينبغي ان يقتدى بغرار الله
الواسطى ولا سدى الا بافا والمكاف، والقاضين
والانباء، والمريدين، ولا يقول على صدى انا والشياطين
الذين سئل فيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون

بشيء الله الآخر الخبير
لشيء
للمهنة للقدم الادري، اليوم الربوي، تعالى على الالهية
على ما نال الملوك، المستر بكم، عديته على الدنيا، والغير
المستغزاة، لان اولام، المسلوب عزة، والقدسية
النزاهة صفات اجسام، الباقي مع الدهور، ولا يعلم
الامر بالامر، والامر بالامر، القندس الظاهر، الذي يخرج
عزاد، والحق حقيقة عقول العقلاء، فلا شئ
عند ارادة مرقة، ذلة آيات الحكام، وان دعا الى العلماء
وشهدان، لا ذلة الا الله، شأنه انتفع بها، بهم، للفرح
الاجبر، ولخرج عريضتي، لادب ان الفضاء، المحشر
وصل على بابا، ذلة الخلق، ونبأ اراء القادة، قيرت
هملت، تنفهم عند الله سبحانه، وتعالى، المرتبة الدنيا
وتقرهم الى الانوار الالهية، والنفيا، خفي، صايلي
المبوء، من جميع العرب، العرباء، المنقذ، من الغلال



يقترن فان ذلكن لا تسلط على الاله الا بالحق
اذكرى لها المدونة العاطلة بذك اسوانك النعام
وخصاح والحكم والمقيم ما الهانك ما مدعى كرك
انه اسوانك وسعادتها وسخطها ونزولها وسفورها
عند بلوغ زوايا زيات المهرام الشيع وكبرى كبرى
بوم جندو الشطان ونور عبقرة الطغوت وزعد
حيثما تلتفوس وركن الاسلح الحق للهدور والشيخ
وتعقبة كتابه السطور بالبيان : : : : :
الطلمن سعتن العطن وسواهد الامان اذ نواهي
لما ذواتها اذ انزل اذ ارضى صليها نية العليا
حزيرت الوشاء ونال امره ما رصد اذ اوطس
في الهوى على الهوى كفت كذا نية شرب
براه العاطلون وسواه العاطلون ما شكر اذ نية نعل
منها الصبر وانه اذ جاءه كارهى : : : : :
موسى وصديق صديق بسند محو والشمس : : : : :
موسى وصديق صديق بسند محو والشمس : : : : :

الصفحة الأخيرة من المخطوط الثاني (ب)

تدرا ونبه انبساطا وانك المشاغل من ساطع
نوى النسم فانما لا تفرغنى انى الوجوه فله المرحم
وتعقوب الجيب فابن الواعد من بركة الفير
والهم في ملاعبة النفس لمعون اناس مغرور
لا مع حيلة الصفت بالوسط من الخادم فانك لا مولى
السف لما على ان موزا لا المارة السعدون المفسد
في المرات ان تفتت جندك وطواف من الفير الى
فلانوها وكذا وعاءها عفتت سطو لمعوب دبح
نخرج ان عينة الجبل والفرج في الدارين لمعوب الناصح
او بادم وادم الى سوء البرائح السخون بالفتاب
وذلك العقل فزاده ولا سمى الى الفرض الموزون
مفوضون وداثة الاغرة فزاده الفرض الموزون
اسه ومزاة اهد لا سبها نراه الاجسام اذ الاجل
المفك دبح الواحد الى الوحيد : : : : :
الى الازاد والحرف لدره : : : : :
الى الازاد والحرف لدره : : : : :

الرموز المستعملة في الكتاب

(أ)	النسخة الأولى للمخطوط
(ب)	النسخة الثانية للمخطوط
(...)	كلمة غير مقروءة
()	فراغ في الأصل
(وقد)	إضافة من المحقق لتناسق الجملة
ح. ن	حاشية الناسخ
ح. م	حاشية المحقق
(7). أ: الرب	نص الكلمة في النسخة الأولى من المخطوط
(8). ب: العرب	نص الكلمة في النسخة الثانية من المخطوط
الفهرست	كتاب «الفهرست» لابن النديم
اليهني	«تاريخ حكماء الاسلام» لليهني
القفطي	«أخبار العلماء بأخبار الحكماء» لجمال الدين القفطي (مختصر الزوذي)
أصيعة	«عيون الانبياء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيعة
ابن جلجل	«طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل
بروكلمان	تاريخ التراث العربي
الاعلام	الاعلام للزركلي ط 1984
طوقان	تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك 1963
دائرة المعارف	محمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين 1971.
GAL	موسوعة بروكلمان
GAS	موسوعة سزجين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله القديم الأزلي الدائم السرمدي المتعالي بجلال أحديته عن
أحداق النواظر، المنفرد بكمال صمديته عن الأشياء والنظائر، المنزه عن
إدراك الأوهام، المسلوب عن ذاته المقدسة النورانية صفات الأجسام، الباقي
الأبدى مع الدهور والأعوام، فهو الدهر الداهر، والعلو القادر، القدوس
الطاهر، الذي عجزت عن إدراك كنه حقيقته عقول العقلاء، وتلاشت عند
إرادة معرفة ذاته ألباب الحكماء وأذهان العلماء، وأشهد أن لا إله إلا الله
شهادة أنتفع بها يوم الفرع الأكبر، وتخرجني عن مضيق الأبدان إلى فضاء
المحشر، وأصلي على عباد الله المخلصين وأنبيائه الصادقين صلاة تزيلهم
عند الله سبحانه وتعالى بالمرتبة العليا، وتقربهم إلى الأنوار الإلهية والضياء،
خصوصاً على المبعوث من صميم العرب العرباء، المنقذ من الضلال
والاهواء، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب آخر الأنبياء وأفضل الأتقياء،
صلى الله عليه وعلى آله الصابرين على البأساء والضراء.

أما بعد فإن تواريخ الحكماء الأقدمين، والفلاسفة المتألهين من اليونانيين
والمصريين، مما يجب على المتبصر تحصيله وعلى الحكيم تعلمه وتعليمه،
وكذلك معرفة كلماتهم الحكيمية، ونواذرهم الوعظية، وسيرتهم الجميلة
المرضية، فإن لطالب السعادة الأبدية في الوقوف على ذلك إذا كان الغرض

الافتداء بهم والتشبه بأفعالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، وسلوك السبيل إلى الله عز وجل على آثارهم نعمة عظيمة وعظيمة جزيلة وعبراً كثيرة، فإن الناظر في أسرار اللاهوت، والمشتاق إلى معاينة أنوار الملكوت، لا ينبغي أن يقتدي بغير أولئك الأساطين، ولا يهتدي إلا بأنوار الحكماء الفاضلين والأنبياء المرسلين، ولا يُعَوَّل على أحد من أبناء الشياطين، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فالزَّمان قد خلا عن أمثال هؤلاء الفضلاء وصار الخلق كلهم إلا مَنْ شاء الله تعالى مغمورين بجهالة الجهلاء، فإن كُنْتَ مِنَ الطَّالِبِينَ الْمُجِدِّين، وأهل العقل المُهْتَدِينَ، فعليك باتباع أثرهم، والفحص عن حقيقة خبرهم، فمِثْلُهُمْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، ولتكن أفعالك وأقوالك صادرة على ذلك المنوال، وواردة على ذلك المثال، لعلك بهذا الاجتهاد تتخرط في سلوكهم، وتنظم في عقيدتهم، وتقف على الأسرار العظيمة التي قد طُوِّيت بعدهم، ولا تطمع في الوقوف على ذلك كله بغير سلوك خالص وتجرّد بالغ، وانسلاخ عن الدنيا يُشَبِّه انسلاخ الحية عن جلدها، وتقدم على التواريخ المفصلة مُقدِّمة وكلاماً في حقيقة الحكمة والفلسفة وأحوال الحكماء اليونانيين ووصف بلادهم وغير ذلك على سبيل الجملة⁽¹⁾.

أما الكلام النبوي الدال على تفخيم الحكمة وتعظيمها ما وَرَدَ عنه ﷺ أنه قال: ما أنفق مُنْفِقٌ ولا تصدَّق متصدِّقٌ بأفضل من كلام الحكمة إذا تكلم به الحكيم والعالم فلكل مُستمع منهم منفعة.

وقال ﷺ: نِعَمُ الْهَدْيَةِ وَنِعْمَةُ الْعَطِيَّةِ الْكَلِمَةُ مِنْ كَلَامِ الْحَكْمَةِ يَسْمَعُهَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ ثُمَّ يَنْطَوِي عَلَيْهَا حَتَّى يَهْدِيَهَا لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ.

وقال ﷺ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا مَنْ حَيْثُ وَجَدَهَا وَلَا يَبَالِي مِنْ أَيِّ وِعَاءٍ خَرَجَتْ.

(1) ح. م. : نلاحظ أن المؤلف بعد مقدمته لم يورد اسم الكتاب واسم المؤلف كما جرت عليه عادة التأليف في عصره.

وقال رحمه الله: العلم كثير فخذوا من كل شيء أحسنه .
ويروى عنه رحمه الله أنه كان إذا كمل واحد من أهله قال له : يا أرسطاطاليس
هذه الأمة ؛ وذلك وصف له بالحكمة والمعرفة .

وقال : تفكر ساعة خير عند الله تعالى من عبادة سبعين⁽¹⁾ سنة . والمراد
بالفكر هو ترتيب المقدمات ونصب الأدلة لإدراك المعقولات .

وقال رحمه الله لحذيفة : خالط الحكماء⁽²⁾ وسائل العلماء وجالس الكبراء .

وقال رحمه الله : من زهد في الدنيا أسكن الله تعالى الحكمة⁽³⁾ قلبه وأنطق بها
لسانه .

وقال رحمه الله عن جبريل عليه السلام عن الله تعالى : ما زهد عبد في الدنيا إلا
أمطرت به مطراً وأثبت به نباتاً أثبت الحكمة في قلبه وأنطقت بها لسانه .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رُوحوا هذه القلوب واطلبوا لها
طرائف الحكمة فإنها تمل كما تمل الأبدان . وقيل : من اتخذ الحكمة لجاماً
اتخذها الناس إماماً .

[وقال⁽⁴⁾ الكندي : من لم يكن حكيماً لم يزل سقيماً .

[وقال⁽⁵⁾ الجزري : أعظم الحقوق عند الله تعالى حق الحكمة ، فمن جمل
الحكمة في غير أهلها طالب الله تعالى بحقوقها ، ومن طالبه بحقوقها خصمه .

[وقال⁽⁶⁾ الدينوري : الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والفكر ، فانطلقت
السننهم بما ليس بينهم وبينهم غيره .

(1) أ. ح. ن. : ستين .

(2) أ. ح. ن. : عاشر الحكماء .

(3) أ. ح. ن. : في .

(4) ح . م . : وقال .

(5) ح . م . : وقال .

(6) ح . م . : وقال .

[وقال⁽¹⁾] ذا النون المصري⁽²⁾: الزهد يورث الحكمة، والحكمة تورث الصُّحة⁽³⁾.

وآدم وشيث وإدريس ونوح وشعيب وداود وسليمان كلهم حكماء فضلاء أنبياء الله تعالى، وبعضهم له مصنفات في الحكمة، وإذا كانت الحكمة عبارة عن معرفة أعيان الموجودات على ما هي عليها لا غير، فالأسماء تختلف بحسب اختلاف طُرُقِ التعليم، فإن أدركها بعضهم بزمانٍ يسيرٍ من غير تعلُّمٍ بشريٍّ، وكان مأموراً من الملأ الأعلى بإصلاح النوع الإنساني سُمِّيت نبوةً، وإن كان بالتعلُّم والدراسة سُمِّيت فلسفةً، ودرجة الحكمة عظيمةً، ومترتلتها مفخمةً، ولا مرتبة في المعاد عند الله سبحانه وتعالى للجاهل بها.

والقرآن والحديث وكلام أساطين المعرفة⁽⁴⁾ وأهل الولاية مشحونٌ بمذح الحكمة ووصفها. والله تعالى وصف نفسه بالحكمة.

وفي الحقيقة، الحكيم المطلق: هو الله تعالى، وكلُّ مَنْ أدرك مَنْ المعقولات نصيباً سَمِيَ على سبيل التجوُّز والاستعارة حكيماً، لدنوه من الله تعالى، وتشبهه به، وقربه منه بالإدراك والعلم الذي هو صفة الله تعالى، لأنه إذا لم يكن القُربَ زمانياً⁽⁵⁾ فهو قُربٌ معنويٌّ، ودنوٌ إدراكيٌّ، فإذا كانت السعادة الأبدية هي القُرب من الله تعالى ومشاهدة جلاله، ومعاينة كبريائه، وذلك لا يحصل، ولا يتيسَّر إلا بالحكمة فلا شيء أعظم منها، ولا أنتم فائدة منها.

وقد قال الحكيم الفاضل سُقراط: إنَّ كُلَّ مَنْ يحضُرنا يزعمُ أنه حكيم، وإنَّما الحكيم أيُّها الرجال هو الله سبحانه وتعالى، وقد وصف بعضُ العارفين الحكمة فقال: النور جوهرها، والحق مقصدها، والإلهام سائقها، والقلب

(1) ح. م. : وقال.

(2) ذا النون المصري: توفي 2045 هـ / 859 م. زاهد متعبّد من مر له فصاحة وحكمة وشعر،

اتهمه المتوكل الخليفة العباسي بالزندقة فاستحضره اليه وسمح كلامه ثم أطلقه فعاد إلى مصر وتوفي بالجزيرة.

(3) أ. ح. ن. : النظر الصحيح.

(4) أ. ح. ن. : الحكمة.

(5) أ. ح. ن. : مكانياً.

مَسْكَنُهَا، وَالْعَقْلُ فَائِدُهَا، وَاللُّسَانُ مُظْهِرُهَا.
وَيُرَوَّى أَيْضاً فِي بَعْضِ الْوَافِدَاتِ أَنَّ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ قَدِيمَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَهُ عَنْ مَا رَأَى فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ، فَقَالَ: يَارَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ أَقْوَاماً يَتَطَيَّلُونَ وَيَجْتَمِعُونَ جُلُوعاً، وَيَذْكُرُونَ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ أَرْسَطَاطَالِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: يَا عَمْرُو، إِنَّ أَرْسَطَاطَالِيسَ كَانَ نَبِيًّا فَجْهَلَهُ قَوْمُهُ؛ هَكَذَا سَمِعْنَا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.

وبالجملة وصفُ فضيلةِ الحكمة والحكماء وجلالتهما يحتاجُ في استيفائهما إلى جُلْدٍ ضخم، فلنقتصر على هذا القدر.

واعلم أن هؤلاء الحكماء الذين نريد أن نذكرهم، زعم بعضهم أنهم يونانيون، وبعضهم روميون، والأظهر أن غالبهم يونانيون، والبعض روميون، والمعتبرون من الفلاسفة يونانيون، لكن لما كان بلداهما متلاصقين⁽¹⁾ أوجب ذلك الالتباس في نسبتها. وكان اليونانيون في قديم الزمان أمة عظيمة القدر في الأمم، طائفة الذكر في الآفاق، فجنة الملوك عند جميع أهل الأقاليم، كالاسكندر ذي القرنين، والبطالسة، وغيرهم، ولم يزل ملكهم متصلاً إلى أن غلبهم عليه الروم، فصارت مملكة واحدة رومية، كما فعلت الفرس بمملكة البابليين حين استولت عليها، وصيرت المملكتين مملكة واحدة فارسية. وكانت بلاد اليونانيين في الربع المغربي الشمالي من الأرض، ويحدها من جهة الجنوب البحر الرومي والثغور الشامية والثغور الجزيرية؛ ومن جهة الشمال بلاد اللان وما حاذها من ممالك الشمال⁽²⁾؛ ومن جهة المغرب تخوم بلاد أمانيا التي قاعدتها مدينة رومية؛ ومن جهة المشرق تخوم بلاد أرمينية وباب الأبواب والخليج المعترض ما بين بحر الروم وبحر تبسط الشمالي يتوسط بلاد اليونانيين فيصير القسم الأعظم منها في حيز المشرق، والقسم الأصغر في حيز المغرب.

(1) أ. ح. ن. : متصافين.

(2) أ. ح. ن. : الشام.

ولُغَةُ اليونانيين تُسمى الإغريقية، وهي من أوسع اللغات وأجلها، وكانت عامة اليونانيين صابئةً مُعظمةً للكواكب دابئةً بعبادة الأصنام؛ وعلمائهم يُسمون فلاسفة، ومنعاه مُجِبُّ الحكمة، وهم من أرفع الناس طبقةً وأجل أهل العلم منزلةً⁽¹⁾ لما ظهر منهم من الإعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم المنطقية والطبيعية والرياضية والإلهية والسياسية. وأعظم هؤلاء الفلاسفة طبقةً وقدرًا عند اليونانيين خمسة: أنبأذقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطن وأرسطاطاليس؛ وأنبأذقليس على ما قيل أقدمهم زماناً ثم على الترتيب المذكور، وستأتي الأحوال والتواريخ مفصلة؛ وأما بلاد الروم فإنها مجاورةً لبلاد اليونانيين، ولغتهم مخالفةٌ لِلغَتِهم وتُسمى اللاتينية.

وخذ بلاد الروم من جهة الجنوب البحر الرومي الممتد ما بين طنجة إلى الشام، وحدّها من جهة الشمال بعض ممالك الأمم الشمالية من الروس والبرغر وغيرهما مع طائفة من البحر المغربي الأعظم المحيط المعروف بأقيانس، وحدّها من جهة المشرق تخوم بلاد اليونانيين، وحدّها من جهة المغرب أقصى الأندلس إلى البحر المغربي المحيط المعروف بأقيانس. وكانت هذه المملكة ثلاثة قطع، فإن أولها من جهة المشرق مما يتاخم بلاد اليونانيين⁽²⁾ بلاد أمانية، ثم أوسطها بلاد إفرنسة، ثم آخرها بلاد الأندلس في أقصى المغرب وطرف المعمور.

وكانت قاعدة هذه المملكة كُلّها مدينة رومية العظمى من البلاد اللاتينية⁽³⁾، وكان بانيها رومس، وإليه نسبت، وكان بنيان رومية قبل المسيح بسبعمائة سنة وأربع وخمسين سنة، ولم يزل ملكهم على حاله حتى غلبهم عليه أغسطس أول ملوك القيصرية، وأضاف مملكة اليونانيين إلى مملكته، فجعلها مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن، طولها من المشرق إلى المغرب نحو مائة مرحلة

(1) أ. ح. ن. : معرفة و..

(2) إلى.

(3) أ. ح. ن. : اللاتينية.

من تخوم بلاد أرمينية، أعني قريباً من سيواس إلى أقصى بلاد الأندلس في المغرب، وصارت رومية قاعدةً هاتين المملكتين إلى أن قام قسطنطينُ وبنى مدينته على الخليج، وصارت عوضها قسطنطينية مبنية في بلاد اليونانيين، وكان الروم صابيةً إلى أن ظهر قسطنطينُ بدين المسيح فتنصروا عن آخرهم وسرى بعد ذلك في سائر الأمم.

وقد قيل إن من إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس سنين، ومن إبراهيم إلى المسيح ألفان وخمس وستون سنة.

ومن إبراهيم إلى سنة تسع ومائتين الهجرية ألفان وتسعمائة وثلاثون سنة.

ومن موسى إلى المسيح ألف وخمسمائة وستون سنة.

ومن موسى إلى سنة تسعين ومائتين الهجرية ألفان وأربع مائة وأربع وثلاثون سنة.

ومن المسيح إلى سنة سبعين⁽¹⁾ ومائتين للهجرة ثمان مائة وأربع وسبعون سنة⁽²⁾.

ومن اسقليسوس الأول إلى إبراهيم ثلاثة آلاف سنة وثلاث مائة وثمان وسبعون سنة.

ومن المسيح إلى جالينوس سبع وخمسون سنة.

(1) ب: تسعين.

(2) يلفت انتباهنا هنا أن المؤلف يوصل تسلسل الحكماء إلى سنة 290 هـ. وهذا يدلنا على أنه استقى هذه المعلومات من كتاب طبقات الأطباء الحكماء لاسحق بن حنين المتوفى سنة 290 هـ أو قد أخذها من الفهرست أو غيره ممن كان قد استفاد من اسحق بن حنين وثبت التواريخ نفسها.

فصل في ابتداء أحوال الفلسفة

واعلم إن الحكمة تُطلبُ إما للعمل بها، وتُسمى حكمةً عمليةً، أو لتُعلمَ فقط، وتسمى علميةً، فمن الحكماء من قَدِمَ العملي على العلمي، ومنهم من أخره. فالقسم العمليُّ هو عملُ الخير، أعني تهذيبُ الأخلاق، والعلمي هو عِلْمُ الحقِّ أعني معرفةُ أعيان الموجودات.

والقسمان يُمكنُ الوصولُ إليهما بالعقل الكامل، إلّا أنَّ الاستعانةَ في القسم العملي بغيره أكثر؛ والأنبياءُ أيدوا بأمَدادٍ روحانيةٍ لتُقرَّنَ القسمَ العمليَّ وطرفاً ما من القسم العمليّ؛ والحكماء تعرضوا لأمَدادٍ عقليةٍ تُقرِّرُ القسمَ العلمي وطرفاً ما من القسم العملي.

فغايةُ الحكيم أن يتجلَّى لعقله كل الكون ويتشبهُ بالآله الحقِّ سبحانه وتعالى بغايةِ الإمكان؛ وغايةُ النبيِّ عليه السلام أن يتجلَّى لعقله نظامُ الكون، فيقدِّرُ بذلك على مصالحِ العامة حتى يبقى نظامُ العالم، وتنتظمُ مصالحُ العبد، وذلك لا يتأتَّى إلّا بتربُّعٍ وترهيبٍ وتخيلٍ، فكل ما وردت به أصحابُ الشرائع مقررٌ عند الحكماء على ما ذكرنا إلّا من أخذ حكمته من مشكاة النبوة فإنه يعتقد كمال درجتهم.

فمن الحكماء حكماء الهند من البراهمة المنكرين للنبوات؛ ومنهم حكماء

المغرب، وهم شُرْعةٌ قليلةٌ، لأنَّ أكثرَ حكمتهم طيِّبات الطبع، وخطرات الفكر، ورُبما قالوا بالنبوأت؛ ومنهم حكماء اليونانيين والروم، وينقسمون إلى قدماء هم أساطين الحكمة، وإلى متأخرين منهم المشاؤون وأصحاب الرواق، وإلى متأخرين وهم حكماء الإسلام⁽¹⁾.

وذكروا أنَّ أول من ظهر منه الفلسفة وعُرف بالحكمة على اختلاف بينهم في ذلك ثاليس المَلْطِيُّ من حكماء ملطية، فهو أول من تفلسف بمصر، وصار بعد ذلك إلى ملطية. وهو شيخ، وبه سُميت فرقة من اليونانيين فلاسفة، فقد كان للفلسفة انتقال كثير.

وقال ثاليس: إنَّ أوَّل ما خلق الله تعالى الماء، وبنجاب⁽²⁾ جميع الكائنات إليه، وتوهم أن جميع الأشياء من الرطوبة، واستدلَّ على ذلك ببعض كلام أوميرُس الشاعر مراده بقوله: المبدع الأول الماء أي هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الأول في الموجودات العلوية، لكنه لما اعتقد أنَّ العنصر الأول قابل كل صورة أي منبع الصور، فأنبت في العالم الجسماني له مثلاً يوازيه في قبول الصور كلها، ولم يجد على هذه الصفة غير الماء، فجعله المبدع الأول في المركبات وأنشأ منه الأجسام السماوية والأرضية، وهذا موافق لما في التورية أنَّ مبدأ الخلق جوهر خلقه الله تعالى، ثم نظر إليه نظر الهيبة فذابت أجزاؤه وصارت ماء، ثم بان منه بُخارٌ مثل الدخان خلق منه السماوات، وظهر على وجه الماء رُبْدٌ كزَبْد البحر فخلق منه الأرض، ثم أرساها بالجبال وبعض المنابع، وهو تلقى الحكمة من مشكاة النبوة، والذي أثبت في العنصر الأول الهوى هو منبع الصور شديد الشبه بالروح المحفوظ، والماء على القول الثاني شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش وكان عرشه على الماء.

وقال إن للعالم مبدعاً لا تترك العقول صفته من جهة هويته، وإنما يدرك

(1) [. . . .] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

(2) أ. ح. ن. ن. وينحل.

من جهة آثاره، وهو الذي لا يُعرَف اسمه فضلاً عن هويته إلا من نحو أفاعيله وإبداعه وتكوينه للأشياء، فلا يدرك له اسماً من نحو ذاته بل من نحو ذاتنا، وأبدع ما أبدع، ولا صورة له في الذوات لأنه قبل الإبداع إنما هو فقط، فليس هناك جهة ليكون هو ذا صورة، والوحدة الخالصة تُنافي هذين الوجهين.

وقال إن فوق السماء عوالم لا يقدر المنطق أن يصف تلك الأنوار المبدعة أو يقف على حسننها والمنطق والنفس والطبيعة. وكان بعده أنكسامندوس الملطي، وكان رأيُه أن أول الموجودات المخلوقة للباري تعالى الذي لا نهاية له، ومنه كان الكون، وإليه ينتهي الكل. وكان بعد انقسامانس ثانس الملطي، وكان يرى أن أول الموجودات المخلوقة للباري تعالى الهواء، ومنه كان الكل وإليه ينحل، مثل النفس الذي فينا، فإنَّ الهواء هو الذي يحفظه فينا، والروح والهواء يسكان العالم، والروح والهوى يُقالان على معنى واحدٍ قولاً متواطئاً.

ثم كان بعده أنكساغورس وفلازمابوس، وكانا يريان أن مبدأ الموجودات التي خلقها الباري سبحانه هو التشابه الأجزاء.

ثم كان بعدهما أرسلارس بن أبولودس من أهل أثينة، وكان يرى أن مبدأ ما خلق الله تعالى هو مالا نهاية⁽¹⁾، ويُفرض فيه التكاثر والتخلخل، فمنه ما يصير ناراً ومنه ما يصير ماءً، وهؤلاء الفلاسفة بعضهم كان تالياً لبعض، وبهم استُكملت فلسفة اليونانيين، فهذا هو المبدأ الأول للفلسفة الناشئة بمِلْطِيَّة.

وأقول إن الأظهر أن هذا الكلام المنقول عن هؤلاء وغيرهم من القدماء كان رمزاً عن أمورٍ وأحوالٍ وأسرارٍ لهم، ولَا فتُنتقل عنهم أشياء لا يقولها مَنْ له أدنى تمييز فضلاً عن الحكماء والفاضلين.

وقيل إنَّ للفلسفة مبدأ آخر هو مِنْ فيثاغورس بن فيسارخس من أهل سَامِيَا،

(1) أ. ح. ن. : له.

وهو أول من سُمي الفيلسفة بهذا الاسم، وكان يقولُ إِنَّ المبادي التي خَلَقَهَا الله أولاً هي الأعدادُ والمعادلاتُ التي فيها، وكان يسميها تآليفاتٍ وَيُسَمِّي المركَّب من جملة ذلك اسطُفقات، ويسمِّيها أيضاً هندسياتٍ.

وأقول ليس مُرادُه أَنَّ المبادي عددٌ وَأَنَّ العدد جوهرٌ قائم بذاته، وهو مبدأ الموجودات بل مُرادُه أَنَّ في عالم العقل ذواتٍ مجردةٌ هي إنيات محضة قائمة لا في أين، وهي عدديّات أي معدودات لأنّه يَصْلُقُ على البارِي تعالى أنّه أولُ وثانيه العقلُ الأولُ وهكذا إلى آخر المراتب.

ثم ابن اقليطسُ وأتاليِس الذي ينسُبُ إلى ماطانيطس، وكانا يريان أَنَّ مبدأ الاشياء كُلِّها النار وانتهازها إلى النار، وإذا انطفتِ النارُ تشكَّلَ بها العالمُ.

ثم ايفُورس بن ناونيس من أهل أشيسه⁽¹⁾ الذي تفلسف في إسامه ديمقراطيس، وكان يرى أَنَّ مبادي الموجودات أجسامٌ مُدرَكةٌ عقلاً لا خلاء فيها ولا كَوْنٌ لها وَأَنَّ الله خلقها سَرْمَدِيَّةً غيرَ فاسدةٍ لا تحتلُّ أن تنكسرَ ولا تَنْهَشِمَ، ولا يَغْرُضُ لها في شيء من أجزائها اختلافٌ ولا استحالة، ولا هي مدرَكةٌ عقلاً، فهي تتحرَّكُ في الخلاء والملاء إلى أن يشاء الله تعالى، وهذا الخلاء لانهايةَ له عنده، وكذلك الأجسامُ لا نهايةَ لها، والأجسامُ لها التشكُّلُ والعِظَمُ والثقلُ.

ثم انبادقليس بن هاذين من أهل أفراغيا، وكان يرى أَنَّ الاسطُفقات التي خلقها الله تعالى أربعة مشهورة، والمبادي اثنتان: المحبَّة والغلبة، أحدهما تفعل الإيجاد والآخرى التفرقة.

وأقول هذا رمزٌ أيضاً، وليس مُرادُه ما فهمه الحكماء الظاهريون. ثم سُقراط من أهل أشيسه⁽²⁾.

(1) أ: ح. ن.: اثينة.

(2) أ: ح. ن.: اثينة.

ثم افلاطن فإن رأيتهما في جميع الأشياء واحد وهما يريان أن المبادي ثلاثة، وهي الله تعالى ثم خلق العنصر والصورة.

ثم أرسطاطاليس من أهل أساخيرا، ورأيه أن المبادي هي الصورة والعنصر والعدم والأسطقسات الأربعة وجسم خامس هو الأثير غير مستحيل.

ثم زينون بن باوساديس من أهل قسطنطين^(١)، وكان يرى أن الأول المخلوق هو العنصر والأسطقسات أربعة وفرقهم سميت لفطالني^(٢) لأن فيثاغورس كان مقيماً بانطاكيا، لأنه انتقل من ساميس التي كانت موطنه بسبب تغلب المتغلب، ولم نورد مقالاتهم الشنيعة لأنها مذكورة في الكتب.

وذكر محمد بن يوسف العامري، وكان ممن شاخ في الفلسفة في كتابه المسمى بكتاب الأمد^(٣) على الأبد^(٤): إن أول الحكماء لقمان تلميذ داود عليه السلام، وكان أنباذقليس تلميذه.

إلا أنه لما عاد إلى بلاد يونان تكلم في خليفة العالم بأشياء، فوجدت ظواهره قاذحة في أمر المعاد، فهجروه بعضهم على ما هو دأب العوام مع الفضلاء، وكان اليونانيون يصفونه بالحكمة.

ثم وُصف بعده بالحكمة فيثاغورس^(٥)، وقد اختلف بمصر إلى أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام حين جلوا عن الشام، وكان تعلم الهندسة قبلهم من المصريين، وتعلم العلوم الطبيعية والإلهية أيضاً من أصحاب سليمان، ونقل العلوم الثلاثة أعني العلم الرياضي والطبيعي والإلهي إلى بلاد

(١) أ. ح. ن. : ماساوس قسطنطين.

(٢) أ. ح. ن. : الغناليطي.

(٣) أ. الأمدى (تصحيفاً، والصواب ما أثبتته). انظر كشف الظنون ١ : ١٦٨.

(٤) أ. الأبدان. (والصواب ما أثبتته، وقد أجزت لنفسي حصر اسم الكتاب بين مزدوجين

... وفضله عن كلمة (إن) بوضع نقطتين (:) .

(٥) أ. ح. ن. : لمصاحبة لقمان بل هو أول من وُصف بالحكمة.

يونان، ثم استخرجَ بذكائه عِلْمَ الالْحان وأوقعها تحت النِّسَبِ العددية، وأدعى أنه استفاد ذلك من مشكاة النبوة.

ثم سقراط أخذ عن فيثاغورس، واقتصر من أصنافها على المعالم الإلهية، وأعرض عن ملاذ الدنيا، وأظهر الخلاف على اليونانيين في الدين، وقابل رؤساء ذوي الشُّرك بالجهج والأدلة فتورَّ العامة عليه، ولجأ ملكهم إلى قتله على ما يأتي ذكره مفصلاً.

ثم أفلاطن، ولم يقتصر على المعالم الدينية بل جَمَعَ إليها العلوم الطبيعية والإلهية والرياضية. وفي الأخير فوَّض التعليم والمدرسة إلى البارعيين من تلاميذه، وتخلَّى عن الناس لعبادة ربِّه تعالى. وفي زمانه ظهر الوباء فأمرهم بعضُ أنبياء بني إسرائيل بإذن الله تعالى بإضعاف مذبح كان لهم على شكل المكعب ومرتفع الوباء، فابتنوا آخر مثله وأضافوه إليه فازداد؛ فعادوا إليه فأوحى الله تعالى إليه بأنهم ما أضعفوه بل قرَّنوا إليه آخر مثله، وليس هذا بتضعيف المكعب، فاستعانوا حينئذٍ بأفلاطن، فقال لهم: إنكم تأخرون عن الحكمة، وتنفرون عن الهندسة بأفلاطن فابتلاكُم الله تعالى بالوباء عقوبة لكم، فإن للعلوم الحكيمية عند الله تعالى مقداراً، ثم ألقي على أصحابه بأنه متى أمكنكم استخراج خططين بين خططين على نسبة متوالية توصلتم إلى تضعيف ذلك المذبح، فلا حيلة غيره، فعملوا على استخراجِه، وتَّمموا العمل بتضعيفه، فارتفع الوباء فامسكوا عن نلب الهندسة وغيرها من المعالم العقلية.

ثم أرسطو، وكان يسمَّى في حديثه الروحاني لفرط ذكائه، وكان أفلاطن يسمِّيه العقل. وفي أيامه استتبَّ الملُكُ لذي القرنين، وانقمع به الشُّرك في بلاد يونان، فهؤلاء الخمسة كانوا يوصفون بالحكمة، وليس بعد هؤلاء حكيم يسمَّى بها كلُّ واحدٍ ينسبُ إلى صناعةٍ مثل أبقرات الطيب، وأوميرس الشاعر، وأرشميدس المهندس، ودیوجانس الكلب، وديمقراطيس الطبيعي.

قال وقد تعرَّض جالينوس لما كثرت مصنفاته في الحكمة أن ينتقل عن

لَقِبَ الطَّبُّ إِلَى لَقَبِ الفَلَسَفَةِ والحَكِيمِ، فَهَزَّؤُوا بِهِ وَقَالُوا لَهُ عَلَيْكَ بِالمَرَامِ
وَالْمُسْهِلَاتِ وعِلَاجِ القُرُوحِ وَالْعُمَيَاتِ، فَإِنَّ مَنْ شَهِدَ عَلَى نَفْسِهِ بَأَنَّهُ شَاكٌ فِي
العَالَمِ أَقْدِيمٌ هُوَ أَمْ مُخَذَّتٌ، وَفِي المَعَادِ أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ، وَفِي النَّفْسِ
أَجْوَدُ هِيَ أَمْ غَرَضٌ لِمُنْخَفِضِ الذَّرَجَةِ عَنْ أَنْ يُسَمَّى حَكِيمًا، فَهَذَا هُوَ كَلَامُ
العَابِرِيَّ.

ثُمَّ ذَكَرَ عِلْمَاءُ السِّيَرِ أَنَّهُ نَشَأَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ جَمَاعَةٌ سَلِمُوا الْأَصُولَ الصَّحِيحَةَ
لَمَنْ تَقَدَّمَهُمْ، ثُمَّ اشْتَغَلُوا بِتَصْفُحِ الجَزَائِيَّاتِ لِتَصِبِحَ لَهُمْ صِنَاعَةٌ مَا، فَاقْتَصَرُوا
مِنَ النَّظَرِ عَلَى تِلْكَ الْأَرَاءِ المَحْسُوسَةِ، وَأَخَذُوا أَكْثَرَ بَرَاهِينِهِمْ عَنِ الْأَوَائِلِ،
فَهُمْ وَإِنْ كَانُوا فَاضِلِينَ لَيْسَ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى تَحْقِيقِ أَصُولِ صِنَاعَتِهِمْ أَيْ مَبَادِيهَا
مِثْلَ جَالِينُوسٍ وَبَطْلِيمُوسٍ وَأَمثالِهِمْ، فَكُلُّ وَاحِدٍ اشْتَغَلَ بِالتَّجَرِبَةِ وَحِكَايَةِ
أَصْحَابِ التَّجَارِبِ، وَاسْتَعْمَلَ الْقِيَاسَ بِتَسْلِيمِ الْأَصُولِ وَالْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي بَنَى
عَلَيْهَا، وَجَالِينُوسٌ أَتَغَبَّ نَفْسَهُ حَتَّى صَنَّفَ كِتَابًا قِيمًا يَمْتَقِدُهُ، وَاعْتَرَفَ بِالْجَهْلِ
وَالْتَقْصِيرِ وَالْخَيْرَةِ فِيمَا أَتَغَبَّ الْحُكَمَاءُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ، حَتَّى قَالَ الْإِسْكَانْدَرُ
الْأَفْرُودِيسِيَّ فِي حَقِّهِ: إِنَّ جَالِينُوسَ غَرَمَ ثَمَانِينَ سَنَةً مِنْ عَمَلِهِ حَتَّى حَصَلَ
عَلَى الْإِقْرَارِ بِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ.

وَأَمَّا فِي الْفُرُوعِ الطَّبِّيَّةِ فَلَا كَلَامَ فِي تَبْرِيزِهِ فِيهَا، وَلَمْ يَبْلُغِ الدَّرَجَةَ الْعَالِيَةَ
مِنَ الْحِكْمَةِ. وَأَمَّا أَفْلَاطُونُ وَسُقْرَاتُ وَفِيثَاغُورَسُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَوَائِلِ فَإِنَّ كُتُبَهُمْ
وَكَلَامَهُمْ مَمْلُوءٌ بِالرُّمُوزِ وَاللِّغَازِ.

وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِثَلَاثَةِ أَسْبَابٍ:

- أَحَدُهَا الْكِرَامَةُ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ عَلَى أَسْرَارِ الْحِكْمَةِ أَحَدُ مَثْنٍ لَيْسَ لَهَا بِأَهْلٍ
فَتَصِيرُ عُذَّةٌ لَهُ عَلَى اكْتِسَابِ ضَرْبٍ مِنَ الْقِرَازَةِ.

- وَالثَّانِي أَنْ لَا يَتَوَانَى الْعَاشِقُ لَهَا فِي بَذْلِ الْعَنَابَةِ لِاقْتِسَانِهَا وَإِنْ لَحَقَتْهُ
الْمَشَقَّةُ فِي تَحْصِيلِهَا، وَيَسْتَصْعِبُهَا الْكُثْلَانُ⁽¹⁾ لَغَمُوزِهَا فَيَزْدَرِيهَا.

(1) أ. ح. ن. : الإنسان.

- والثالث تشجيع الطَّبَاعِ باستلذاذ الفكر لئلا يحتاج المتعلِّم إلى طيب الدِّعَةِ وَرُوحِ النَّفْسِ، ويقبل بجهدِهِ على تفهيم ما يَنْفَرُ عَنْهُ.

وَذَكَرَ قَرْفُوزْيُوسُ أَنَّ ثَالِيَسَ الْمَلَطِيَّ ظَهَرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَعَشْرِينَ وَمِائَةً مِنْ مُلْكِ بُخْتَنْصَرٍ، وَغَلَبَ خُسْرُوبِينَ دَارَا عَلَى مَدِينَةِ أَشْيِسَةِ⁽¹⁾ وَالرُّومِ، وَفِي زَمَانِهِ كَانَ مَا قُتِلَ بُخْتَنْصَرٍ أَمِيرًا مِنْ أَمْرَاءِ بَهْرَاسَبَ وَمَانِي، كَانَ فِي عَهْدِ شَابُورِ بْنِ أَرْدَشِيرِ صَلَّى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي فِلَسْطِينَ، وَنَجَّمَ فِي زَمَانِهِ دِيْمَقْرَاطِيْسُ وَأَنْكَسَاغُورِسُ فِي يُونَانَ بِالْفِلَسْفَةِ. وَفِي مُلْكِ بَهْمَنِ الْفَاضِلِ ظَهَرَ دِيْمَقْرَاطِيْسُ وَأَبِقْرَاطُ وَشَهْرُ أَبِقْرَاطُ بِالطُّبِّ. وَفِي مُلْكِ دَارَا بْنِ أَرْدَشِيرِ عَرَفَ الْيُونَانِيُّونَ كِتَابَتَهُمُ الَّتِي هِيَ عَلَى أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ حَرْفًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ قَبْلَ ذَلِكَ إِلَّا سِتَّةٌ عَشَرَ حَرْفًا اسْتُخْرِجَتْ عَلَى التَّدْرِيجِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ اسْتُخْرِجَ أَرْبَعَةٌ أَوْ أَكْثَرُ. وَفِي ذَلِكَ الزَّمَانِ وَلِدَ أَفْلَاطُونُ، وَفِي سَنَةِ⁽²⁾ عَشَرَ مِنْ مُلْكِ أَرْدَشِيرِ بْنِ دَارَا كَانَ أَفْلَاطُنُ حَدَثًا مَتَعْلَمًا يَتَلَمَّذُ لِسُقْرَاطِ.

وَمَاتَ سُقْرَاطُ بَعْدَ أَنْ مَهَرَ أَفْلَاطُونُ فِي الْفِلَسْفَةِ، فَقَامَ مَقَامَهُ، وَأَظْهَرَ فِلَسْفَتَهُ وَتَعَالَيْمَهُ وَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَفِي أَوَّلِ سَنَةٍ مِنْ مُلْكِهِ وَلِدَ أَرْسِطَاطَالِيْسُ، فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ سَبْعُ عَشْرَةٍ⁽³⁾ سَنَةً سَلَّمَ أَبُوهُ إِلَى أَفْلَاطُنَ، فَمَكَثَ يَعْلَمُهُ نِيْفًا وَعَشْرِينَ سَنَةً. وَفِي زَمَنِ أَرْدَشِيرِ الثَّانِي مَلِكٍ عَلَى بِلَادِ مَقْدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْيُونَانِيِّينَ فِيلِيْسُ أَبُو الْإِسْكَندَرِ. وَفِي سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ مِنْ مُلْكِ أَرْدَشِيرِ هَذَا وَلِدَ الْإِسْكَندَرُ، وَلَسْتَيْنِ⁽⁴⁾ بَقِيَّتَا مِنْ مُلْكِ أَرْسَخُو مَاتَ أَفْلَاطُونُ. وَفِي زَمَانِهِ أُخْصِرَ فِي مَدِينَةِ رُومِيَّةٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَكَثُوا فِي الْإِحْصَارِ ثَلَاثَ سَنِينَ، ثُمَّ كُلُّوا وَأَغْيَاهُمْ الْحَسَابُ الْعَدُّ، فَامْسَكُوا.

وَفِي زَمَانِ دَارَا آخِرِ مُلُوكِ فَارَسَ تَمَلَّكَ قِيلِيْسُ وَالِدِ الْإِسْكَندَرِ عَلَى بِلَادِ

(1) أ: ح. ن. : اثنية.

(2) أ: ح. ن. : ست.

(3) أ: سبعة عشر. (والصواب ما أثبتناه).

(4) أ: ح. ن. : وعشرين.

اليونانيين، وصالح دارا على خراج يؤديه، وهلك بعد هذا في السنة الخامسة من ملك دارا.

وذكر ابراهيم النديم في تاريخه ما يدل على أن جالينوس كان بعد زمان عيسى عليه السلام، وهو ما ذكرناه سالفاً.

ثم قال أيضاً إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا شيئاً من ذي الأقاويل البرهانية، ولذلك صاروا يحتاجون إلى رموز يتفهمون بها، يعني رموز الأنبياء عليهم السلام، فهم يتفهمون بها منفعة ليست باليسيرة من التصديق بأشياء بغير بُرهان، وإلا فما كان يفهم البدوي الجلف، والعبراني الكثيف الصُرف، حقائق الأشياء عند التصريح بها بل كان يجحد. ونجم فيثاغورس في زمان دارا الثاني.

قال وقد افتتح ملوك فارس كور اليونانيين والروم، وغلبوا عليها وعلى مُدُن كانت معادية لكتبهم المشتملة على الحكمة كالجزيرة والشام ومصر وغيرها، فأخذوا ما كان فيها من كتب الحكمة والنجوم والهندسة والموسيقى والجِبل. وأهدى من الكتب ملك الروم لشابور ذي الأكشاف، فلذلك نهياً في الفُرس من أبدع آلة العود العجيبة النائلة جميع آلات الموسيقى، والذي استخرجه لم يذكر اسمه مخافة أن ينسبوه إلى اللهو واللعب والبطالة، ولم تكن هذه الآلة في زمن بطليموس ونيقوماخس لأنهما لم يذكرها في كتابيهما.

قال: وبطليموس لم يكن في عصره بيعيد عن ابتداء عصر أردشير بن بابك.

قال: وأما علم النجوم فابتدأه كان من بابل من جهة الكلدانيين، وذلك قبل زمان ابراهيم عليه السلام، وسببه إقبالهم على صناعة الفلاحة والملاحة، وهما لا يستغنيان عنها، وكان يعينهم على ذلك صفاء الجو في بلادهم ولطافة طباعهم، وذكاء أذهانهم، وخفة أرواحهم.

وأما الهندسة فابتدأها من مصر بسبب احتياجهم إليها لأجل النيل

والمزارع وكشح النبل عن مزارعهم في كل سنة.

وَأَمَّا اللَّحُونُ⁽¹⁾ فأول من أبدعها قوم من اليونانيين يُقال لهم ثامس فيما بين قسطنطينية وسقاية لكثرة ما نالهم من الحروب، فوضعوا أداتين إحداهما للجرأة وتحريضهم على لقاء عدوهم، وإزالة الجبن عن صدورهم بالألحان القاذية لنار الغضب المَهْوَنَةِ للنُوب.

والأخرى لترهيب قلوب أعدائهم⁽²⁾، وتشويه عقولهم، وتولية فكرهم بالألحان المُجْزَعَة المؤدية إلى النكول.

وَأَمَّا عِلْمُ الْحَسَابِ فأول من فَتَقَهُ أَهْلُ قِرَشَ أعني أهل جَنْصَ ومن يليهم، لأنهم كانوا تجاراً مسافرين يحتاجون إلى الحساب.

وَأَمَّا عِلْمُ الطَّبَائِعِ فمن الشام، وسببُه الوباء، كان يكثر بنواحيهم، ويَعُمُّ، فاضطُّروا إلى الاستعانة بالقوى الطبيعية.

وَذَكَرَ أَبُو سَهْلٍ بْنُ نُوَيْخَتٍ فِي كِتَابِ النَّهْمَطَانِ أَنَّهُ قَدْ كَثُرَتْ صُنُوفُ الْعُلُومِ وَأَنْوَاعُ الْكُتُبِ وَوُجُوهُ الْمَأْخِذِ الَّتِي اشْتَقَّ مِنْهَا مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ النُّجُومُ، فَمَا هُوَ كَائِنْ مِنْهَا قَبْلَ ظَهُورِهَا عَلَى مَا وَصَفَ أَهْلُ بَابِلَ فِي كُتُبِهِمْ، وَتَعَلَّمَ أَهْلُ مِصْرَ مِنْهُمْ وَعَمِلَ بِهِ أَهْلُ الْهِنْدِ فِي بِلَادِهِمْ عَلَى مِثَالِ مَا كَانَ الْخَلْقُ عَلَيْهِ قَبْلَ مَفَارِقَتِهِمُ الْمَعَاصِي وَارْتِكَابِهِمُ الْمَسَاوِيءَ، وَوُقُوعِهِمْ فِي لُجَجِ الْجَهَالَاتِ، فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ بَلَغَ بِهِمْ عَلَى مَا ذُكِرَ فِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ الْغَايَةَ حَتَّى صَارُوا حَيَارَى ضَلَالًا لَا يَعْرِفُونَ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى ذَلِكَ حِينًا مِنَ الذُّهْرِ حَتَّى نَشَأَ مِنْ ذُرَارِيهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ مَنْ آيَدَ بِالتَّذَكُّرِ لَتِلْكَ الْأُمُورِ وَالْفِطْنَةِ لَهَا، وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا، وَالْعِلْمِ الْمَاضِي مِنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَمِنْ شَأْنِهَا، وَسِيَاسَةِ أَوْلِيَئِهَا، وَالْمُسْتَنْفَى مِنْ تَدْبِيرِ أَوْسَطِهَا وَعَاقِبَةِ آخِرِهَا، وَحَالِ سَكَّانِهَا، وَمَوَاضِعِ أَفْلَاكِ سَمَائِهَا، وَدَرَجَاتِهَا وَمَنَازِلِهَا، وَجَمِيعِ أَنْحَائِهَا، وَذَلِكَ عَلَى عَهْدِ جَمِ الْمَلِكِ. وَعُرِفَتْ⁽³⁾

(1) ح. م. : اللحن أو الحان جمع لحن أو نغم.

(2) أ. ح. ن. : للموت.

(3) أ. ح. ن. : الدنيا.

العلماء ذلك، ووضعوه في الكتُب، وأوضحت ما وضعت منه، ووضعت مع وضعها ذلك الدنيا وجلالتها ومبدأ أسيانها وتأسيسها وحال العقاقير والأدوية. وكانوا على ذلك برهة من الدهر حتى ملك الضحاك بن ميم⁽¹⁾ في حصّة المشتري وتوبته⁽²⁾. وسلطانه، فبنى مدينة اشتق اسمها من اسم المشتري، فجمع فيها العلم والعلماء، وبناها اثني عشر قصراً على عدة بروج السماء، وسماها بأسمائها، وخزن فيها كتب أهل العلم، وأسكنها العلماء، فانقاد لهم العالم، ودبروا أمورهم.

ومنهم هرميس البابلي وتكلوشا وطيغورس وغيرهم من الأفاضل، وما زالوا على أحوالهم مقيمين إلى أن بعث الله تعالى نبياً في زمانهم، فانكروا نبوته، فاختلفت أحوالهم وتشتت أمورهم.

وقام كل عالم منهم إلى بلد يسكنه ويرأس عليه، فسقط هرمس إلى مصر وكان من أعلمهم وأعقلهم، فملكها وعمرها، وأظهر علمه فيها، وبقي جل ذلك بابل إلى خروج الاسكندر، فهزم تلك العماثر، وأخذ من العلم المنقوش فيها، واستنسخ ما احتاج إليه من النجوم والطب والطبائع، وبعث بها إلى أرض مصر، وبقيت أشياء بناحية الهند والصين.

وكانت الفرس نسختها على عهد نبهم زرادشت وحاماسب خذراً منهم من فعله الإسكندر، وغلبته على بلادهم وإهلاك ما قدر عليه من كتبهم وعلومهم، فدرس العلم حينئذ بالعراق، وقل، وصار الناس أصحاب عصبية وفرقة، وصار لكل طائفة منهم ملك، فسُموا ملوك الطوائف.

ولم يزل أهل بابل مهوورين مغلوبين إلى أن ملك أردشير بن بابك من نسل ساسان، فجمع أمرهم، وأعلى كلمتهم، فبعث إلى الصين والهند

(1) أ. ح. ن. : في.

(2) أ. ح. ن. : وتوبته.

والروم، فجمع العلوم والكتب مما قَدِرَ عليه، وفعل ابنُه شَابُرُ مثل ذلك⁽¹⁾، وكتبَ الكتب بالفارسيَّة على ما كان هَرَمِس البابلِي ودُورِنُوسُ السَّرْيَانِي وقندوزس اليوناني من اشينية⁽²⁾ وبطليموس الإسكندراني وقرماسب الهندي، فشرحوها وعَلِّمُوها الناس على مثل ما كان أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلُها من بابل ثم جمعَها وألفَها. وكذلك فعل كسرى أُنُوشِرْوَان بعدهما كذلك لمحبة العلم والعمل، ولأهل كل زمانٍ ودَهْرٍ تجارِبُ حادثةٌ وعِلْمٌ مُجَدَّدٌ لهم على قَدْرِ الكواكِبِ والبُرُوجِ الذي هو وليُّ تدبير الزمان بأمر الله تعالى.

قال أبو مَعْشَر⁽³⁾ في اختلاف الزيجات: إن ملوكَ الفرس بلغوا في عنايتهم بصيانة العلوم وحرصهم على بقائها على وجه الدهر وإشفاقهم عليها من أحداث الجَوِّ وآفات الأرض أن اختاروا لها من الورقِ أَصْبَرَهَا على الأحداث وأبقاها على الدهر وأبعدها عن التعفُّن لحاء شجر الخَذَنك، ويسمى التوز، وبهم اقتدى أهل الصين والهند والأمم، واختاروها لِقِيَّسِهِمْ لصلابتها وملاستها وبقائها على القِيَّي.

ثم طلبوا لها بعد ذلك من بقاع الأرض وبلدان الأقاليم أَصْحَبَهَا تربةً وأقلَّها عُفُونَةً وأبعدها من الزلازل والخسوف وأبقاها على الدهر بناءً، فلم يجدوا أجمعَ لهذه الأوصاف من أَصفهان؛ ثم فَتَشُوا عن بقاع هذا البلد فلم يجدوا أَفْضَلَ من رستاق جِيٍّ، فجاؤا إلى مُهَنْدٍ وهو في داخل المدينة المسماة بجِيٍّ فأودعوه علومهم، وقد بقيَ إلى زماننا هذا، وهو يُسمى سارويه⁽⁴⁾⁽⁵⁾.

ومن هذا البنية ذرى الناس من بناها لأنَّ قَبْلَ زماننا هذا بسنين كثيرة

(1) أ. ح. ن. : بعده.

(2) أ. ح. ن. : أينية.

(3) أبو معشر: جعفر بن محمد بن عمر البخاري : ت : 272 هـ / 886 م،

عالم فلكي مشهور، أصله من بلخ وأقام ببغداد وتوفي بواسط. من تصانيفه: المدخل الكبير، هيئة الفلك، الأمطار والرياح، مواليد الرجال والنساء وغيرها.

(4) أ. ح. ن. : ساروم.

(5) ح. م. : وردت هذه القصة أيضاً في كتاب الفهرست، ص 301.

انهدمت من هذه ناحية، وظهروا فيها على أَرْجٍ معقود من طين الشقيف فيه كُتِبَ كثيرة من كُتُبِ الأوائل، مكتوبة في لحاء، التوز، مودوعة أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة.

فوقَّع بعضها إلى مَنْ عني به فقراءه، فوجد فيه كتاباً لبعض ملوك الفُرسِ المتقدمين أنَّ طمهورث المَلِكُ الفاضلَ المُجِبَّ للعلوم وأهلها قد انتهى إليه خبرُ الحدثِ الغربيِّ الذي كان من جهة الجوِّ في تتابعِ الأمطارِ هناك وإفراطها في الدوامِ والغزارة وخروجها عن الحدِّ، وأنه كان من أوَّلِ يومٍ من سني مُلكه إلى أوَّلِ يومٍ من بَدْءِ هذا الحدثِ الغربيِّ مائتان وواحد وثلاثون سنةً وثلاثمائة يوم.

وأنَّ المنجِّمين كانوا يخوِّفونه من أوَّلِ ابتداءِ مُلكه بعدي هذا الحدثِ المغربي من ناحية المغرب إلى ما يليه من جانب المشرق، فأمرَ المهندسين بإيقاع الاختيار على أصحِّ البقاع، فاختاروا لها موضعَ البنية سارويه، وهي قائمة إلى الساعة، فأمرَ ببنائها، ونَقَلَ إليها علوماً كثيرةً مختلفةً الأجناس، وأنه كان فيها كتابٌ منسوبٌ إلى بعض الحكماء المتقدمين فيه سنون وأدوارٌ معلومة لاستخراج أوساط الكواكبِ وعللِ حركاتها، وكانوا يسمونها أدوارَ الهزازات.

وجميع القدماء⁽¹⁾ من الهند والكلدانين، وهُم سكان بابل كانوا يستخرجون الأوساط من هذه السنين والأدوار، واستخرجَ المنجِّمون منه في ذلك الزمان زيجاً سموه زيج الشهرزار ومعناه: ملكُ الزَّيجات، فهذا لفظ أبي معشر.

ويُقالُ إنَّ الصَّاحِبَ ابنَ العميد وَجَدَ في سور هذه المدينة صناديق فيها كتب، فأنفذها إلى بغداد، فاستخرجها بعضهم. وسارويه من الأبنية العجيبة القديمة المُعجزة البناء، وهي في المشرق تشبهُ الأهرام التي بمصر في الجلالة وإعجاز البناء.

ويُقالُ إنَّ المنطق والحكمة التي ألَّفها وهذبها أرسطاطاليس أصل ذلك

(1) أ: ح. ن: الحكماء.

مأخوذ من خزانة القُرْس حين ظفر الاسكندر بدارا ويلايدهم، وأنه ما قدر
أرسطو على ذلك إلا بمدد كُتِبهم ومعاونيتِها، ولا شك ولا خفاء عند من أدرك
طرفاً من الأمور الشريفة والحكمة الصحيحة⁽¹⁾ مقدار حِكْمَةِ فارس وشرها.

وكان فيهم ملوك أفاضل مثل كَيُومَرْت وطمهورث وأفريدون وأردشير بن
بابك وكَيُخْسرو وغيرهم من الملوك العارفين بحقيقة الحكمة، ومثل حاماسب
وفرشائوش وُسُزُجْمَهُر وغيرهم من الأجلة والحكماء الأعيان. لكن من دأب
الأمور الإلهية والأحوال السماوية أن تنتقل الحكمة والمُلْك من جيل إلى
جيل، ومن قوم إلى قوم، فُسُحَّانَ الأزلِ الأبدِي الدائم الغير المتغير على
مرُّ الدهور والأعصار.

ويقال: كانت الحكمة في قديم الزمان ممنوعاً عنها إلا مَنْ كان من أهلها
وَمَنْ يتقبلها طبعاً، وكانت الحكماء تنظر في مواليد مَنْ يريد الحكمة
والفلسفة، فإن عَلِمَتْ أَنَّ في صاحب المولد في مولدِهِ حصول ذلك
استخدموه وإلا فلا.

وكانت الفلسفة ظاهرة قبل المسيح عليه السلام في اليونانيين، فلما
تَنَصَّرَت الرومُ مُنِعُوا عنها وأُحْرِقُوا⁽²⁾ وحُرِّمُوا الكلام فيها إذ كانت في الظاهر
بضد الشرائع النبوية ثم إن الروم رجعت إلى مذاهب الفلاسفة.

وكان السبب في ذلك ملك أيوليانس، وكان ينزل بانطاكية، ووُزِّر له
بَاسْطِيُوس⁽³⁾ شارب كُتِبَ أَرَسْطُو.

ثم لما قصده شابور ذو الأكناف وظفر به سار إلى أرض المعجم حتى بلغ
جُنْد شابور فحاصرها وصعب عليه فتحها.

(1) أ: ح. ن. : في.

(2) أ: ح. ن. : وأخرجوه.

(3) أ: ح. ن. : باسطوس.

ب: ناسطوس.

ثم إن شابور تخلّص من سجن الروم، وطوى البلاد حتى دخل جُند شابور
وخرج بمن فيها إلى الروم، فهزمهم⁽¹⁾ وقتلوا أبوليانس، وولّى عوّضه قسطنطين
الأكبر؛ فعاد المنع من الاشتغال بالفلسفة، وبالجملّة بحسب رغبات الملوك
والأمراء والأكابر تظهر الحكمة والفلسفة، وبحسب نفرتهم عنها وعداوتهم لها
تختفي. وهكذا دأب الدنيا أبداً وأزلاً.

فهذا خبر الحكمة والحكماء على الإجمال، وستأتي الأحوال مفصلة إن
شاء الله تعالى.

وأما سبب ظهور الفلسفة في الملة الإسلامية فبسبب مصاحبة بعض الأكابر
قوماً من الفلاسفة العارفين باللغتين أعني: اليونانية والعربية، ونقلهم شيئاً من
الكلمات الحكيمية والكُتب من اليونانية إلى العربية، فأول نقل كان في
الإسلام كان في زمن بني أمية، وذلك أن خالد بن يزيد لهوس كان له في
الصنعة أمر بنقل الكُتب التي في الصنعة. وهو أول نقل كان في الإسلام.

ونقل الديوان من الفارسية إلى العربية في زمن الحجاج. فأما الديوان
بالشام فكان بالرومية، فنقله منصور بن سرحون في زمن هشام بن
عبد الملك، ونقل في زمن بني العباس على التدريج في كل وقت بعض
الاشياء، وكان المأمون أصلاً عظيماً في ذلك.

ويقال إنه رأى في المنام شيخاً يميل وجهه إلى الشفرة عليه ثياب منسوجة
بالذهب جالس على سدة، قال: فهيتة إلا أنني مع ذلك دنت منه فقلت له:
من أنت؟ فقال: أنا أرسطاطاليس الحكيم. قال، فقلت له: إني أسألك عن
أشياء. فقال: سل. فقلت له: ما الحُسْنُ؟ فقال: ما حُسْنُ عند العقل.
قال، فقلت له: ثم ماذا؟ فقال: ما حُسْنُ عند الشرع. قال، ثم قلت له: ثم
ماذا؟ قال: ما حُسْنُ في العرف. ثم قلت له: ثم ماذا؟ قال: ثم لا ثم. ثم

(1) أ. ح. ن. : فقهروهم.

قال: ما كان في الذهب⁽¹⁾. فليكن عندك كالذهب، فلما استيقظ اعتقد في جميع أنواع علوم الحكمة، فجمع النقلة، وفتح دار الحكمة، وأطلق الجرايات والوظائف على أن ينقلوا العلوم الحكيمية إلى العربية. وأنفذ رسولا إلى ملك الروم يطلب كتب الحكمة، فسير له جملة من الكتب، وكذلك فعل بنو موسى، وكثر بعد ذلك الطلب حتى كان بعضهم يذهب إلى الروم ويبدل الأموال ويطلب الكتب وينقلها إلى العربية.

1 - أول الحكماء آدم أبو البشر صلوات الله تعالى عليه وسلامه

فكان في أول الدور الأول بعد خراب الرُّبع المسكون بالطوفان، وهو أول من استخرج الصنائع وآلاتها وعلمها أولاده، واستخرج أيضاً العلوم ودونها لأولاده، ورأيت بعض كتبه في التعيينات وبعض الصنائع⁽²⁾ والعلوم وعلم الاسماء في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. وعاش دهرأ طويلاً، وكان رجلاً فاضلاً عظيم القدر جليل الشأن أول أنبياء الله تعالى ورُسليه عليهم الصلاة والسلام.

2 - ولده شيث (عليهما السلام)

ثم ولده شيث عليهما السلام، وهو أوزيا الأول، وهو أيضاً اغاثا ذيمون استاذ هرمس الهرامسة المسمى عند⁽³⁾ (الرُّبُّ تعالى) بأدريس عليه السلام، وهو أول من أخذ عنه الشريعة والحكمة، والصَّابِيَةُ تُنسَبُ إليه وتعرف بنبوته، ولهم كتب أحكام، بعضها منسوبة إلى شيث عليه السلام، وبعضها إلى

(1) أ. ح. ن. : قال.

(2) أ. ح. ن. : المذكورة.

(3) أ. ح. ن. : العرب.

يحيى بن زكريا عليه السلام، ولا يقولون بقيمة الأجساد بل الأرواح.

ولهم كتابةٌ وحروفٌ بالنُّبْطِيَّةِ قديمةٌ على هجاء أبجد، وليس لهم
أ ب ت ث. ولهم كتابٌ يسمونه الزُّبور⁽¹⁾، الأول وهو مائة وعشرون سورة،
كبارٌ وصغارٌ، وقيلَتْهم بيتُ المقدس، والله أعلم بمسكنه من الأرض. ولعلَّ
الأظهر أنه كان بالشام أو بصعيد مصر.

ومن كلامه قال: إنه⁽²⁾ يجب أن يكونَ في المؤمنِ الحقيقي ستُّ عشرة
خصلة:

1 - المعرفةُ بالله تعالى وملائكته من السَّمائينَ والرُّوحانيينَ وحملَةِ العرشِ
وأهل طاعته.

2 - معرفةُ الخيرِ والشرِّ، أما الخيرُ فليُرجَب فيه، وأما الشرُّ فليُحذَر من
فعله.

3 - السَّمْعُ والطاعةُ للملِكِ الرحيم الذي استخلفَهُ اللهُ تعالى في الأرضِ
وملكهُ أَمْرَ البلاد والعباد.

4 - يرُ الوالدين.

5 - اصطِناعُ المعروفِ بقُدْرِ الطاقة⁽³⁾.

6 - المُواساةُ للفقراء.

7 - التعصُّبُ للغرباء.

8 - الشجاعةُ في طاعةِ الله تعالى.

9 - العصمةُ عن الفجور.

(1) ب: النور الأول.

(2) أ: ح. ن: . انه.

(3) ب: بقدر الطاعة.

10 - الصبرُ بالإِنابة واليقين .

11 - صدقُ اللّهجة .

12 - العدل⁽¹⁾ .

13 - القنوع في الدنيا .

14 - الضحايا والقرايينُ شكراً لله تعالى على ما أوّلَى من النعمِ لخلقِهِ .

15 - الحلمُ وحمدُ الله تعالى على مصائب الدنيا من غير تمللٍ .

16 - الحياءُ وقلةُ المماراة .

وقال ﷺ : سبيلُ الملكِ كما يُجبُ أن تكونَ رعيّةٌ تحت طاعته ، كذلك يلزمُهُ أن يكون هو المتفقّدُ أحوالَهُم قبل حالِ نَفْسِهِ في جميعِ أُمُورِهِمْ ، لأن صورتهُ معهم صورةُ النفسِ في البدنِ .

وقال : إن ظنَّ الملكُ أَنَّهُ يجمعُ مالاً من ظلمٍ فقد ظنَّ عجزاً ، ولا يجمعُ الملكُ المالَ إلّا مِن عِمارةِ الأرضِ .

وقال : إن غفلَ الملكُ عن النظرِ في أُمُورِ رعيّتهِ وجيوشِهِ وأعدائِهِ يوماً واحداً اشتغلَ فكرُهُ وسوسَ خاطِرُهُ واشتَهَرَ عنه شهراً ، وإن غفلَ يومينِ حُمِلَ ذلكَ عنه شهرينِ ، هذا إن سلمَ عن أمرٍ يبعثُهُ فيذهبُ بِملكِهِ .

وقال : مَا أَحْسَنَ حالَ الرعيّةِ وأوليائِ الملكِ إذا كان ملكُهُم لطيفُ العقلِ ، صحيحُ الرأيِ ، عالماً بالحكمةِ ، وما أسوأَ حالَهُم إذا عديمٌ من هذه شَيْئاً .

وقال : إذا استهانَ الملكُ بصغيرِ الأشياءِ صارَ كبيراً ، كالعلةِ في البدنِ متى لم يُتداركْ علاجُها ولُدَّتْ سقماً للبدنِ .

وقال : إذا اغترَّ بالملكيِّ والمنطقيِّ اللطيفِ من عدوِّهِ ولم يتفقَدِ آثارَهُ ويتَّبِعْ

(1) أ . ح . ن . : بالإيمان .

(2) بين القوسين قد حذف من النسخة ب .

أعماله فلا يأمن وثوبه عليه ؛ فإن وثبة الأسد على غفلة سبب هلاك الموثوق به .

وقال : سبيلُ الملك أن لا يغفل عن تعليم ولده سائر العلوم التي لها قوامُ مملكته ، والعدلُ في رعيته ، وسياسةُ جيوشه ، ولا يحسن له مداومة الصييد واللعب ، ويلزمه الجدُّ ، وتجنبُ الهزل .

وقال : يجب على الملك أن يُظهر نعمته على أهل الفضل والعلم وطالبه ليحثوا أنفسهم في الزيادة .

وقال سبيلُ الملك إذا أراد أن يستخدم متصرفاً في شيء من أعماله أن يسأل عن أخلاقه وصبره ، وتدبيره لنفسه ومنزله ، فإذا كان حسن الخلق ، شديد السياسة لسائر أحواله ، وفيه الدين والصبرُ على الأشياء العارضة فيستخدمه ، وإن كان ضد ذلك فلا .

وقال : يصبرُ في الأمور فإن الاستعجال في الغضب . وقال : القلوب الفارغة موكلة بالشهوات .

وقال : صديق في الله تعالى يودك خالصاً خيراً من أخٍ شقيقٍ يتمنى ميراثك عاجلاً .

وقال : كلُّ شيء يألف جنسه ، والإنسان يألف شكله .

وقال : مَنْ لم يعرف مقدار جميل يفعل به فاستبدلته بالقبيح كفعل العبيد .

وقال : غربة المجهول دُل .

وقال : أغنى الغنى صحة الجسم وأجل السُرور سعة الصدر .

وقال : طاعة المحبة والود أرجى من طاعة السلطنة والهيبة .

وقال : نعم المؤدب التجارب . ونعم الوفاء النظر في العواقب .

وقال : أفضلُ أمر الدنيا وأشرُّهُ الشقاء ، وفي الآخرة ، النجاة في المعاد .

وقال: العمرُ لا يحاورُهُ الجهالُ في الانفراد ولا مواصلةُ الأشرار.

وقال: الجهولُ عند السلطان الجائر خيرٌ من العزيز العظيم الجاه عندهُ.

وقال: العُصمُ خيرٌ مِنَ الوَلَدِ البليدِ.

وقال: القُرْبُ مِنَ العاقلِ القليلِ البختِ خيرٌ مِنَ الجاهلِ الكثيرِ المالِ.

وقال: الحكمةُ تُورِثُ صَاحِبَهَا فراشَ التواضعِ. وبها ينالُ معرفةُ الأمورِ، وبها يُحسِنُ الثقةَ وتنزِلُ الرحمةُ بعدلِ السلطانِ، ويُبْتَغى الرضى، وينفَى بالمساءلة، وتجتمع الآراءُ ويزدادُ الزرعُ، ويكثرُ البرُ، ويظهرُ الأخيارُ وتقلُّ الذُنُوبُ.

وقال: أطل من أحس الحكمةَ بغيرِ إمعانٍ، وجهلٌ من ظنَّ أنَّ البهاءَ سبيلاً مع النعيمِ. والله أعلم⁽¹⁾.

3- خبر هرمس الهرامسة

وزعم أبو معشر أنَّ الهرامسةَ كثيرةٌ، إلَّا أنَّ أفضلهم وأعلمهم وأعظمهم ثلاثة: أولهم الذي كان قبل الطوفان، وتذكر الفرسُ أنَّ جده كيومرث وهو أحنوخ عند العبرانيين وإدريس عند العرب.

قال: وهو أوَّلُ مَنْ تكلَّمَ في الأشياءِ العلويةِ، وَمِنَ الحركاتِ النجوميةِ، وأنَّ جده جيومرث⁽²⁾ عَمِلَ ساعات الليل والنهارِ.

وهو أوَّلُ من بنى الهياكل ومجدد الله تعالى فيها.

وأوَّلُ مَنْ تكلَّمَ في الطبِّ وألَّفَ لاهلِ زَمَانِهِ قصائدَ موزونةً وأشعاراً معلومةً في الأشياءِ العلويةِ والأرضيةِ⁽³⁾.

(1) [—] الفقرة غير موجودة بالنسخة ب.

(2) أ. ح. ن. : خير مرد.

(3) ح. م. : الكلام الوارد هنا عن هرمس الأول والثاني والثالث ينسب المؤلف إلى أبي معشر من كتاب الألف، ويرد نفس هذا الكلام حرفياً عند ابن جلدج وينسب أيضاً إلى أبي معشر.

وهو أول من انذر بالطوفان، وأن آفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار.

وكان مسكنه صعيد مصر فبنى الأهرام وودائن البرابي، وخاف هذا العلم بالطوفان فبنى البرابي⁽¹⁾، وهو الجبل المعروف باليونانية⁽²⁾، وصور فيها جميع الصناعات وصناعاتها نقشاً، وصور جميع آلات الصناعات، وأشار إلى صفات العلوم برسوم لمن بعده خشية أن تذهب وتُبت في الأثر المروي أنه أول من درس الكتب ونظر في العلوم، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وأول من خاط الثياب.

وحكى عنه أبو معشر حكايات شتى.

4 - وهرمس الثاني

بابلِي سكن مدينة الكلدانيين، وكان بعد الطوفان في مدينة⁽³⁾ بابل، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نُمرود الجبار، وكان بارعاً في الطب والفلسفة عارفاً بطبائع الأعداد. وكان تلميذه فيثاغورس وجَدَّ من العلوم ما دثر بالطوفان، ومدينة الكلدانيين مدينة الفلسفة من أهل المشرق، وهم فلاسفة الفرس حذائق.

5 - وهرمس الثالث

كان بعد⁽⁴⁾ الطوفان، وهو صاحب كتاب الحيوان ذوات السموم.

وكان فيلسوفاً طيباً جوالاً في البلاد عالماً بتنجسها وطبائع أهلها.

وله كلام في الكيمياء، وتلميذه أسقلوموس، وله أخبار شتى وقصص بشعة.

(1) ح. م. : قصة الابنة بمصر يقال لها البرابي من الحجارة المطيعة - (وقد يقصد بها الأهرامات) وردت أيضاً بالفهرست ص 418.

(2) أ. ح. ن. : باليونانية.

(3) أ. ح. ن. : تدبير.

(4) أ. ح. ن. : وقت.

وُلِدَ هَرْمِسُ الهَرَامِسَةِ بِمِصْرَ فِي مَدِينَةِ مَنَفَ وَهِيَ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا مِنْ
الْقُسْطَاطِ، وَكَانَتْ دَارَ الْحِكْمَةِ حَتَّى بُنِيَتِ الْإِسْكَندَرِيَّةُ، فَتَقَلَّتْ مِنْهَا. وَهُوَ
بِالْيُونَانِيَّةِ إِدْرِيسُ، وَإِنَّمَا عُرِّبَ، فَقِيلَ: هَرْمِسُ. وَمَعْنَى أَدْرِيسَ: عَطَاوُدُ.

يُسَمَّى أَيْضًا عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ: طَرَسِيمَنَ، وَعِنْدَ الْعَرَبِ:
إَدْرِيسَ، وَعِنْدَ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَخْنُوخَ.

وَهُوَ ابْنُ تَارُخَ بْنِ مَاهَلِيلَ بْنِ قَيْنَانَ بْنِ أَنْوَشَ بْنِ شِيثَ بْنِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
كَانَ قَبْلَ الطُّوفَانِ الْكَبِيرِ الَّذِي غَرَّقَ الدُّنْيَا، وَهُوَ الطُّوفَانُ الْأَوَّلُ.

وَكَانَ بَعْدَهُ طُوفَانٌ آخَرُ غَرَّقَ أَهْلَ مِصْرَ فَقَطْ، وَكَانَ فِي بَدَايَةِ أَمْرِهِ تَلْمِيزًا
لِغَادِيْمُون⁽¹⁾.

6 - غَادِيْمُون

وَكَانَ غَادِيْمُونُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحَدُ أَنْبِيَاءِ الْيُونَانِيِّينَ وَالْمِصْرِيِّينَ، وَهُوَ
أَوْرِيَا الثَّانِي وَإَدْرِيسُ أَوْرِيَا الثَّالِثُ، وَتَفْسِيرُ اسْمِ غَادِيْمُونَ: السَّعِيدُ الْجَدُّ.

وَخَرَجَ هَرْمِسُ مِنْ مِصْرَ وَدَارَ الْأَرْضَ كُلَّهَا، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ فَرَفَعَهُ⁽²⁾ تَعَالَى،
وَرَفَعَنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا، وَذَلِكَ بَعْدَ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَعَا الْخَلَائِقَ مِنْ سَائِرِ أَهْلِ
الْأَرْضِ إِلَى الْبَارِي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لِسَانًا أَنَاهُ اللَّهُ تَعَالَى الْحِكْمَةُ
بِمَنَاطِقِهِمْ وَعَلَّمَهُمْ وَأَذْبَهُمْ وَبَنَى لَهُمْ مِائَةَ مَدِينَةٍ وَثَمَانِي مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ أَصْغَرَهَا
الرُّهْمَا، وَعَلَّمَهُمُ الْعُلُومَ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَخْرَجَ عِلْمَ النُّجُومِ. وَأَقَامَ لِأَهْلِ كُلِّ إِقْلِيمٍ سَنَةً تَلِيْقُ بِهِمْ
وَتُقَارَبُ آرَاءُهُمْ، وَخَدَمَهُ الْمُلُوكُ وَأَطَاعَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلِّهَا، وَأَهْلُ الْجَزَائِرِ الَّتِي
فِي الْبَحَارِ، وَخَدَمَهُ الْمُلُوكُ الْأَرْبَعَةُ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَلَّى بِأَمْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
الْأَرْضَ كُلَّهَا.

(1) أ: ح. ن. : المصري.

(2) أ: ح. ن. : الله إليه قال الله.

فَأُولَٰئِهِمْ إِيْلَاوُسٌ وَتَفْسِيرُهُ: الرَّحِيمُ.

وَالثَّانِي: ابْنُهُ لَأَوُسٌ.

وَالثَّالِثُ اسْتَقْلَبِيُوسٌ.

وَالرَّابِعُ آمُونٌ، وَهُوَ أَبُو سَيْلُوحَسَنٍ.

وَدَعَا إِلَى دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْقَوْلُ بِالتَّوْحِيدِ، وَعِبَادَةُ الْخَالِقِ، وَتَخْلِيصُ
النَّفُوسِ، مِنَ الْعَذَابِ، وَالْحِظِّ^(١) عَلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالْعَمَلِ بِالْعَدْلِ،
وَطَلَبِ الْخَلَاصِ فِي الْآخِرَةِ.

وَأَمَرَهُمْ بِصَلَوَاتٍ ذَكَرَهَا لَهُمْ عَنْ صِفَاتٍ بَيْنَهَا لَهُمْ، وَصِيَامٍ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ
مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالْجِهَادَ لِإِعْدَاءِ الدِّينِ وَالزَّكَاةَ فِي الْأَمْوَالِ، وَمَعُونَةَ الضَّعْفَاءِ،
وَعَلَّظَ عَلَيْهِمْ فِي الطَّهَارَةِ مِنَ الْجَنَابَةِ وَالْحَيْضِ. وَمَنْ الْمَوْتَى وَأَمَرَهُمْ بِتَحْرِيمِ
أَكْلِ الْخَنْزِيرِ وَالْجَمَلِ وَالْحِمَارِ وَالْكَلْبِ وَالْبَصْلِ وَالْبَاقِلَاءِ وَكُلِّ مَا يَضُرُّ بِالدِّمَاغِ
وغيرها مِنَ الْمَأْكَلِ. وَحَرَّمَ السَّكْرَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْمَشْرُوبَاتِ وَشَدَّدَ فِيهِ
أَعْظَمَ تَشْدِيدٍ، وَجَعَلَ لَهُمْ أَعْيَاداً كَثِيراً فِي أَوْقَاتٍ مَعْرُوفَةٍ وَصَلَوَاتٍ فِيهَا
وَقُرْبَانَاتٍ.

وَمِنْهَا لِدُخُولِ الشَّمْسِ رُؤُوسَ الْبُرُوجِ.

وَمِنْهَا لِرُؤْيَا الْهَلَالِ وَأَوْقَاتِ الْقِرَانَاتِ، وَكُلَّمَا صَارَتِ الْكَوَاكِبُ إِلَى بَيْتِهَا
وَأَشْرَافِهَا وَنَظَرَتْ كَوَاكِبَ أُخَرَ قَرَّبُوا قُرْبَاناً، وَالْقُرَابِينَ فِيمَا جَاءَ بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ:
الْبُخُورُ وَالذَّبَائِحُ وَالْخَمْرُ، وَيَقْرَأُونَ مِنْ بَاكُورَةِ الْأَشْيَاءِ مِنَ الرِّيحَاتِ الْوَرْدِ،
وَمِنْ الْحَبُوبِ الْحَنْطَةِ وَالشَّعِيرَ وَمِنْ الْفَاكِهِةِ الْعِنَبَ وَمِنْ الْأَشْرِبَةِ الْخَمْرَ.
وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُ سَيَأْتِي بَعْدَهُ عِدَّةُ أَنْبِيَاءَ.

وَعَرَفَهُمْ أَنَّ مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ الْمَبْعُوثِ أَنْ يَكُونَ بَرِيئاً مِنَ الْمَذْمُومَاتِ
وَالْآفَاتِ كُلِّهَا، كَامِلاً فِي الْفَضَائِلِ الْمَمْدُوحَاتِ كُلِّهَا لَا يَقْصُرُ عَنْ مَسْأَلَةٍ يُسْأَلُ

(١) كَذَاءُ فِي هَاءٍ وَالصَّوَابُ: الْحَضُّ.

عنها بما في السموات والأرض، وأن يدل على ما فيه الشفاء من كل ألم وأن يكون مستجاب الدعوة في كل ما طلبه من إزال الغيث، ورفع الآفات وغير ذلك من المطالب، وأن يكون مذهب ودعوته المذهب الذي به يصلح العالم ويكثر عمارته.

ورتب الناس ثلاث طبقات: كهنة وملوكاً ورعية، ومرتبة الكاهن فوق مرتبة الملك، لأن الكاهن يسأل الله في نفسه وفي ملكه وفي رعيته، وليس للملك أن يسأل الله تعالى في شيء إلا في نفسه فقط وكان عليه السلام رجلاً آدم اللون، تأم القامة، أجلج، حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخاطب، تأم الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، براق العين أكحل، متأنياً في كلامه، كثير الصمت ساكن الأعضاء، إذا مشى أكثر نظره إلى الأرض، كثير الجد، فيه فكرة وعبسة، إذا تكلم يحرك سبابه.

وكان على فص خاتمه الذي يلبسه كل يوم: الصبر مع الإيمان يورث الظفر، وعلى فص الخاتم الذي يلبسه في الأعياد: تمام الفرح بالأعياد الأعمال الصالحة، وعلى فص خاتمه الذي يلبسه إذا صلى على ميت: الأجل جصاًراً الأمل، والموت رقيب غير غافل، وعلى المنطقة التي يلبسها دائماً: النظر في العاقبة يورث سلامة النفس والبدن من الأغراض المؤذية، وعلى المنطقة التي يلبسها في الأعياد: حفظ الفروض والزبور تمام الدين، وتمام الدين كمال المروءة⁽¹⁾، وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: من نظر نفسه فاز وشفاعته عند ربه الأعمال الصالحة، وانتهت شريعته وهي الملة الحنيفية، وتعرف أيضاً بدين القيمة إلى مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، وطبقات الأرض بأسرها حتى لم يبق على وجه الأرض آدمي إلا تدفن بها، وكانت قبيلته الجنوب على خط نصف النهار.

(1) أ. ح. ن. : والشرية.

ـ مُخْتَارُ حِكْمِ هِرْمِسَ وَمَوَاعِظِهِ وَآدَابِهِ^(١)

هو المثلث بالحكمة، ومعنى المثلث بالحكمة أَنَّهُ نَبِيٌّ، ثُمَّ مَلِكٌ، ثُمَّ حَكِيمٌ، أَيُّ هُوَ مُتَّصِفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ الْمَدْرُوحَةِ وَهُوَ إِدْرِيسُ.

قال: لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ عَلَى نِعَمِهِ بِمِثْلِ الْإِنْعَامِ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ.

وقال: مَنْ أَرَادَ بُلُوغَ الْعِلْمِ وَضَالِحَ الْعَمَلِ فَلْيَتْرَكَ مِنْ يَدِهِ أَدَاةَ الْجَهْلِ وَسُوءَ الْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ الصَّانِعَ الَّذِي يَعْرِفُ الصَّنَائِعَ كُلَّهَا إِذَا أَرَادَ الْخِيَاطَةَ أَخَذَ آلَتَهَا، وَتَرَكَ آلَةَ النَّجَارَةِ، وَإِذَا أَرَادَ الْكِتَابَةَ أَخَذَ آلَتَهَا وَتَرَكَ آلَةَ الْخِيَاطَةِ، فَحُبُّ الدُّنْيَا وَحُبُّ الْآخِرَةِ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبٍ أَبَدًا.

وقال: أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِذَا اتَّقَيْتَ رَبَّكَ وَحَذَرْتَ الطَّرِيقَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى الشَّرِّ لَمْ تَقْعَ فِيهِ.

وقال: لَا تَمْلُ إِلَى الدُّنْيَا وَالْهَوَى وَحَلَاوَتَيْهِمَا الصَّادَتَانِ^(٢) لَكَ عَنِ الشُّغْلِ بِمَعَادِكَ، فَتَكُونُ كَالْغَرِيقِ الْمَشْتَغِلِ عَنِ التَّدْبِيرِ بِخُلَاصِ نَفْسِهِ بِحَمَلِ بَضَاعَةٍ ثَقِيلَةٍ اغْتَرَّ بِحُسْنِهَا، وَهِيَ سَبَبٌ عَطِبَ.

وقال: لَمْ يَكُنْ الْبَشَرُ لِيَهْتَدُوا إِلَى مَعْرِفَةِ عَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْلَا أَنَّ عَرَفَهُمْ نَفْسُهُ وَهَدَاهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ بِالْوَسَائِطِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ وَحَمَلَةٍ وَحِيَةٍ الْمُخْتَارِينَ الْمُصْطَفِينَ النَّاطِقِينَ عَنْ رُوحِ الْقُدُسِ الْمُرْشِدِينَ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَسُبُلِ طَاعَتِهِ، الْمَوْقِفِينَ لَنَا عَلَى حُدُودِ أَوَامِرِهِ، وَزَوَاجِرِهِ، وَحَفِظَ سَنَبِهِ وَالسُّلُوكِ فِي مَذَاهِبِ رِضَا الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالنَّعِيمِ الْمُتَّصِلِ.

وقال: لَا تَرْفَعُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى دَعَاكُمْ بِالْجَهَالَةِ وَلَا بِالنِّيَابِ الْمَدْخُولَةِ، وَلَا تَعَصُوا، وَلَا تَتَعَدُّوا حُدُودَهُ وَنَوَامِيسَهُ وَلَا يَجْعَلَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَى مَعَامِلَةِ أَخِيهِ عَلَى

(١) ب: مختار مواظ هرمس وحكمه وآدابه.

(٢) وكذا: في: «أ»، والصواب: الصادتين.

ما يكره أن يعامل بمثله وأنفقوا وتحابوا وثابروا على الصوم والصلاة جماعةً بصائر صافيةً ونياتٍ⁽¹⁾ غير منقسمة ولا مشوبة وتوأدوا على طاعة الله تعالى بالتقوى له وابتغوا الخير واجتهدوا فيه ولتلك تأدية فرائض الله تعالى عليكم بالتمام والكمال والخشوع والخضوع من غير عجب ولا استكبار وإياكم والتفاخر والتكاثر، وعليكم بالأحباب والتواضع لكيما تستكثروا فعمل أئمار الخير من أعمالكم.

وقال: ابتعدوا عن مخالطة الخونية والفسقة ومبتغي الضلال ومقابع الأفعال. وقال: لا تحلفوا بالله كاذبين، ولا تهجموا على الله تعالى باليمين، واعتمدوا الصدق حتى تكون نعم من قولكم: نعم، ولا: لا، وتورعوا عن تحليف الكذابين بالله عز وجل فإنكم تشاركونهم في الإثم إذا علمتم منهم الحنث، وليكن الأثر في نفوسكم أن تكلوهم إلى الله سبحانه عالم السرائر، فحسبكم به من جاءكم يجزي المحبين بإحسانه والمسيء بإساءته.

وقال: اعلّموا واستيقنوا أن تقوى الله سبحانه هي الحكمة الكبرى والنعمة العظمى والسبب الداعي إلى الخير والفتاح لأبواب الفهم والعقل لأن الله سبحانه لما أحب عباده وهب لهم العقل واختص أنبياءه بروح القدس وكشف لهم عن السرائر الربانية وحقائق الحكمة وانتهوا عن الضلال وتبعوا الرشاد.

وقال: استشعروا الحكمة وابتغوا الديانة وعودوا أنفسكم الوقار والسكينة وتحلّوا بالآداب الحسنة الجميلة وترؤوا في أموركم ولا تستعجلوا ولا سيما في مجازاة المسيء، واجعلوا الحياء قبل وجوهكم والخيفة من الله سبحانه خشو جنوبيكم، وتدبروا بالصحة والاستقامة، واحذروا عواقب الندامة، فسلوك هذه السبيل تصير النفس حرة معتقة من رقي الجهالة وعبودية الحداثة.

وقال: وإن تكن من أحدكم فرطة أو ارتكب منكراً فليقلع عنها ولا تحمله

(1) أ: ح. ن: نقي.

السَّلامَةُ مِنْهَا عَلَى الْمَعَاوِدِ لَهَا بَلْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِقْلَاعِ عَنْهَا، فَإِنَّهَا وَإِنْ سُرِّتْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ يَفْتَضِّحُ بِهَا يَوْمَ الدِّينِ، وَيَجَازِي عَلَيْهَا بِعُقُوبَةٍ لَا رَحْمَةَ مَعَهَا.

وقال: تَأَذُّبُوا بِآدَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ الَّتِي دَعَاكُمْ إِلَيْهَا وَأَمَرَكُمْ بِحِفْظِهَا وَاتَّبِعُوا الْحُكَمَاءَ وَالْعُلَمَاءَ، وَخُذُوا عَنْهُمْ الْفَضَائِلَ وَلِتَكُنْ شَهَوَاتُكُمْ مَصْرُوفَةً إِلَى طَلَبِ الْحَمْدِ وَاسْتِحْقَاقِ الْمَدْحِ، وَلَا تَصْرِفُوهَا إِلَى الشَّرِّ وَمَقَابِيحِ الْأُمُورِ. وقال: اهْرُبُوا مِنَ الْمَأْكَلِ الْخَبِيثِ وَاحْتَشِمُوا مِنَ الْمَكَابِسِ الدَّنِيسَةِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ مَلَأَتْ أَكْيَاسَكُمْ مِنَ الْمَالِ، فَإِنَّهَا تُفْرِغُ قُلُوبَكُمْ مِنَ الْإِيمَانِ.

وقال: غَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ إِكْرَامَ الْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ، أَمَّا الْأَخْيَارُ فَمِنْ أَجْلِ خَيْرِهِمْ، وَأَمَّا الْأَشْرَارُ فَلَا سِتْكَافٍ شَرِّهِمْ.

وقال: تَحَفَّظُوا مِنْ مُخَالَطَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ لِلْحَقِّ وَلَا يَكْمُلُونَ لِمَعْرِفَتِهِ، وَلَا يَتَعَلَّقُونَ مِنْهُ بِبَعْضَتِهِ غَيْرَ أَنْ يَسْتَمْعُوهُ سَمَاعاً وَلَا يَفْعَلُوهُ فِعْالاً وَلَا تَنْصِبُوا لِمَكَارِهِ النَّاسِ الْحَبَائِلَ وَلَا تَفْهَمِ الْفَوَائِلَ، وَلَا تَسْعَوْا لَهُمْ فِي الْمَضَرَّةِ. فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَخْفَى، وَمَتَى خَفِيَ فِي الْأَوَّلِ لَمْ يَخَفْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَارْبِعُوا نَفُوسَكُمْ عَنْ أَنْ تَفْعَلُوا هَذِهِ الْفِعَالِ أَوْ أَنْ تَقُومُوا هَذَا الْمَقَامَ.

وقال: اجْمَعُوا بَيْنَ مَحَبَّةِ الدِّينِ وَمَحَبَّةِ الْحِكْمَةِ وَأَقِفُوا نَفُوسَكُمْ عَلَى تَعْلِيمِهَا وَإِنْ قَلِبْتُمْ عَلَى أَنْ يَكُونَ زَمَانُ مَقَابِلِكُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَصْرُوفاً بِأَسْرِهِ إِلَى ذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ فَافْعَلُوا، وَمَتَى كُنْتُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ سَهْلَ عَلَيْكُمْ مَا يَصْعَبُ عَلَى غَيْرِكُمْ وَكَانَ مَا يَحْصُلُ لَكُمْ مِنْ شَرَفِ الْفَضِيلَةِ أَنْفَعُ مِنْ ذَخَائِرِ الذَّهَبِ وَالْفُضَّةِ وَسَائِرِ أَصْنَافِ الْبَقِيَّةِ فَإِنَّهَا تَفْنَى وَثَوَابُ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَفْنَى.

وقال: سَاوُوا بَيْنَ بَاطِنِكُمْ وَظَاهِرِكُمْ فِي الْمَخَاطَبَاتِ، وَلَا تَكُنْ السُّتُكْمُ مُخَالَفَةً لِمُضَامِرِكُمْ.

وقال: اطِيعُوا رُؤَسَاءَكُمْ وَاخْضَعُوا لِسُلْطَانِكُمْ وَاكْرِمُوا كِبَرَاءَكُمْ، وَبَرُّوا مُؤَدِّبَكُمْ وَلِتَغْلِبَ عَلَيْكُمْ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْحَقِّ، وَلَا تُخَالِفُوا الرَّأْيَ الصَّوَابَ

ومشاورة النصحاء لتأمنوا الندامة وتسلموا من الملامة ولتكن أفواهكم مغلوة
بشكر الله سبحانه وحمده عند الشدة والرخاء والفقر والغنى .

وقال : لا تفاضلوا بأعمالكم ولا تجوروا في الحكم ، ولا تستعملوا
الشفاق ، ولا تركوا الخونة ، ولا تخونوا الأزياء ، وليكن الفقر مع الاستقامة
أحب إليكم من الثروة مع الإثم فإن المال يفنى وأعمال البر والخير تبقى .

وقال : لا تحبوا كثرة الضحك والهزل ، ولا تغفروا بالناس وإن ظهرتم من
أحد على عاهة أو عورة أو حالة مذمومة فلا تعيبوه ولا تضحكوا منه واعتبروا
وارجعوا إلى الله سبحانه ، فإن البشرية تجمعكم ، وأنتم وهم من طينة واحدة
خلقتكم ، وليس الضاحك بآمن من أن يناله مثله في المستأنف ، والواجب
عليكم إذا رأيتم ذوي البلوى أن ترفعوا نواظركم إلى الله سبحانه ، وتحمدوه
على العافية وتسلوهم الاعادة .

وقال : إذا جادلكم المخالفون لكم في الدين بالفاظة وسوء القول ، فلا
تقابلوهم بمثل ذلك بل بالرفق والدلالة والهداية ولطف المخاطبة ، واعتصموا
بالله سبحانه ، وقولوا بأجمعكم : اللهم أصلح بريتك ، وأجر عليهم من قضائك
وقدرك وما يقودهم إلى الإلقة والسلامة والإيمان والهدى .

قال : اكثروا من الصمت في المحافل ، ولا تطلقوا السبكم بمحضر
المتحفظين عليكم بما عسى أن يجعلوه سلاحاً يقتلونكم به ، وأقلوا من
المراءى والهذر والفضول من القول .

وقال : حياة النفس في الحكم ، والحكم في الإيمان بالله عز وجل ،
والإيمان في الله عز وجل في حفظ الدين ، ولا تعلمون أن الحكمة والإيمان
بالله سبحانه لا يفترقان إن وجد أحدهما وجد الآخر ، وإن عديم عديم .

وقال : لا يكون الإنسان عادلاً وهو غير خائف من الله عز وجل وإنما يكون
العدول عدولاً إذا استكثروا من خشية الله عز وجل ، وبذلك يكسبون روح
القدس في يوم القيامة ، ويفتح لهم أبواب الفردوس في يوم القيامة حتى

نَسِجَ^(١) أَنْفُسُهُمْ فِي النُّفُوسِ الْمَطْهُرَةِ الْعَامِلَةِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى الْمُسْتَحَقَّةِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ.

وقال: احذَرُوا الْأَشْرَارَ وَالْحُسَادَ وَالْمُسْتَمْلِينَ عَلَى الْعِدَاوَاتِ وَالْأَحْقَادِ وَالشُّكَارَى وَالْجُهَالِ، وَإِذَا هَمَمْتُمْ بِالْخَيْرِ فَقَدِّمُوا فِعْلَهُ لئَلَّا يَعْارِضَكُمْ سُوءُ الْخَاطِرِ فَتَتَوَقَّفُوا عَنْهُ.

وقال: لَا تَغْطُوا الْفَاسِقَ عَلَى أَنْ يُوَانِيَهُ الْخَبْثُ فَإِنَّ اسْتِمْنَاعَهُ قَلِيلٌ، وَعَاقِبَتُهُ الزُّبَالُ، وَاللَّهُ لَا يَصْلَحُ أَعْمَالُهُمْ.

وقال: رَوْضُوا أَوْلَادَكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يَكْبُرُوا لئَلَّا يَتَمَرَّدُوا عَلَيْكُمْ وَيَمِيلُوا إِلَى الشَّرِّ وَيُلْخِفَكُمُ الْإِثْمُ فِيهِمْ.

وقال: لِيَتَكُنْ هِمَّتُكُمْ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَارْفَعُوا إِلَيْهِ صَلَوَاتِكُمْ وَدُعَاءَكُمْ بِصِفَائِهِ مِنْ ضَمَائِرِكُمْ وَعَلَى غَيْرِ تَسْوِيرٍ مِنْ خَوَاطِرِكُمْ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَاجَوْهُ بِقُلُوبٍ سَلِيمَةٍ يَسْمَعُ مِنْكُمْ وَيَسْتَجِبُ لَكُمْ وَيَبْلَغُكُمْ آمَالَكُمْ وَيَفْتَحُ لَكُمْ أَبْوَابَ الرُّشْدِ فِي مَسَاعِيِكُمْ وَمُتَوَجِّهَاتِكُمْ، وَيَقْصِمُكُمْ مِنْ أَفْكَارِ الشَّرِّ وَيَحْفَظُ أَنْفُسَكُمْ مِنَ الْمَكَارِهِ وَيُنْجِيَكُمْ مِنْ فِتَاخِ الْأَنْسَامِ وَيَسَرِّدُ عَنْكُمْ الْمَخَافَ، وَيَكْبُرُ رُؤُوسَ أَغْدَائِكُمْ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ.

وقال: إِذَا دَخَلْتُمْ فِي الصَّيَامِ فَطَهِّرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ نَجَسٍ وَذَنْسٍ، وَصُومُوا فِي سُبْحَانِهِ بِقُلُوبٍ خَالِصَةٍ صَافِيَةٍ مُنْزَهَةٍ مِنَ الْأَفْكَارِ الشَّيْئَةِ^(٢) وَالْهَوَاجِسِ الْمُنْكَرَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَسْتَبْعِدُ الْقُلُوبَ الْمَلْطَخَةَ وَالنِّيَابَ الْمَذْخُولَةَ وَمَعَ صِيَامِ أَفْوَاهِكُمْ مِنْ الْمَآكِلِ فَلْتَصُمْ جَوَارِحَكُمْ عَنِ الْمَائِمِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَا يَرْضَى أَنْ تَصُومُوا مِنَ الْمَطَاعِمِ فَقَطْ، لَكِنْ مِنَ الْمَنَاكِرِ كُلِّهَا وَالْفَوَاجِسِ بِأَسْرَها مَا يُغْنِي عَنْكُمْ، لَيْتَ شِعْرِي الصُّومُ إِذَا كَانَتْ أَعْمَالُكُمْ فِيهِ مَذْمُومَةً وَيَصَائِرُكُمْ مَشْوِيَةً، وَوَاطِبُوا فِي صِيَامِكُمْ عَلَى بَيِّتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاعْبِرُوا

(١) نَسِجَ فِي: دَأَى، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ.

(٢) الشَّيْئَةُ فِي: دَأَى، وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ.

بالصلاة والدعاء ولا تستكبروا بالعبادة ولا تروموا بها السُّمعة والشهرة، بل استعملوها بالتدليل والاستكانة، وإذا أدبتم فرائضكم وعيذتم أعيادكم وانقلبتم إلى منازلكم مسرورين بحريمكم وأولادكم فاذكروا أهل الضر والمسكنة ومدوا أيديكم إليهم بالبر والمواساة، وقال: نفّسوا عن المكروبين، وفرّجوا عن المحزونين، وتفقدوا الأسارى، وعالجوا المرضى، أطبقوا الغرباء، أطعموا الجياع، أرووا العطاش، عزّوا أهل المصائب، خلّصوا المظلومين ممّن يظلمهم، لا تزيدوا المحزونين، ولا تصيروا عليهم مع خطوط زمانهم عوناً، بل سلوهم وعاونوهم وعاضدوهم وآسوهم بالقول الحسن والفعل الجميل، وإن كانوا ممّن أسلفوكم الإساءة فاعفوا واقتصروا بهم على ما نالهم من العقوبة.

وقال: اكتسبوا الأصدقاء وقدموا الاختيار لهم قبل الاستمالة إليهم، ولا تعجلوا بالثقة بهم قبل المحنة لهم لئلا يلحقكم الندم وينالكم منهم المضرة.

وقال: من أتاه الله تعالى فضلاً في دنياه فلا يفتخرن على أخيه ولا يدخله العجب والتعظيم، وليكن ذلك الفضل محترماً في عينه فإن الله سبحانه خلق الفقراء والأغنياء وهم عنده سواء.

وقال: لا تبذوا عند الغضب منكم كلمة فحش، فإنها تورثكم العار والمنقصة، ويلحق بكم العيب والهجنة، وتجرح عليكم المائت والعقوبة.

وقال: من كظم غيظه، وقيد لفظه، ونظف منطقه، وطهر نفسه فقد غلب الشر كله.

وقال: لا ينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه لها ذريعة فيها لئساب عليها ويؤمن بها، لكن ينبغي له أن تكون منه رغبة لنفسه فيها لفضلها على كل شيء سواها.

وقال: إذا كانت الحكمة خالصة فهي معدن كل سعادة ومظهره كل أدب وماجده كل شر.

وقال: خيرُ الملوك من بذلَ الشرِّ في مملكتهِ إلى السَّيرةِ الحسنةِ، وشرُّهم من عكس.

وقال: الدليلُ على غريزةِ الجودِ السَّمَحُ عندَ العُسرةِ، وعلى غريزةِ الورعِ الصَّدْقُ عندَ السُّخْطِ، وعلى غريزةِ الحلمِ العفو عندَ الغضبِ.

وقال مَنْ سَرَّهُ مَوَدَّةُ النَّاسِ إِيَّاهُ وَمَعُونَتُهُمْ لَهُ، وَحَسَنَ الْقَوْلِ مِنْهُمْ فِيهِ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ يَكُونَ مِثْلَ ذَلِكَ لَهُمْ.

وقال: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُجَادَ عَلَيْهِ عِنْدَ حَاجَتِهِ فَلْيُجِدْ بِمَا وَسِعَ لَهُ عَلَى أَهْلِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

وقال: مَنْ فَضَّلَ الْعُلَمَاءَ وَقَصَدَ الْعَدْلَ وَاسْتَفَادَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَاجْتَهَدَ فِي طَلَبِ الْحِكْمَةِ وَتَزَيَّنَ بِالْأَدَبِ أَصَابَ مَا يَرْغَبُ فِيهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقال: أَعْظَمُ النَّاسِ مَصِيبَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَقْلٌ وَلَا حِكْمَةٌ وَلَا لَهُ فِي الْأَدَبِ رَغْبَةٌ.

وقال: مَنْ مَنَعَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ لِلصَّالِحِينَ قَوِيَ بِذَلِكَ جَهْلُ الْأَشْرَارِ، وَمَنْ مَنَعَ الْعِلْمَ لِمُسْتَحِقِّهِ مَنَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَنَفَعَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَلَا يَبْخُلُ بِالْعِلْمِ عَلَى مُسْتَحِقِّهِ إِلَّا جَاهِلٌ قَلِيلُ الْعِلْمِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَلِيلُ الْعِلْمِ فَهُوَ رَدِيءُ الْهَمَةِ حَسُودٌ.

وقال: مَنْ جَادَ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ جَادَ بِالْمَالِ وَأَبْقَى لَذَكَرَهُ، فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى وَالذِّكْرَ يَبْقَى.

وقال: السَّلَامَةُ أَنْ لَا يَمْدَيَ الْمَرْءُ أَحَدًا، وَلَا تَكُونَ لَهُ إِسَاءَةٌ إِلَى مَنْ عَادَاهُ وَأَضَرَّ بِهِ بَلْ يَحْبِسُ إِلَيْهِ وَيُلَيِّنُ لَهُ الْقَوْلَ. وَإِنْ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: أَنْ تَبْدُلَ الْعَدُوَّ صَدِيقًا، وَالْجَاهِلَ عَالِمًا، وَالْفَاجِرَ بَرًّا.

وقال: الصَّالِحُ مَنْ خَيْرُهُ خَيْرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَمَنْ يَعُدُّ خَيْرَ كُلِّ أَحَدٍ لِنَفْسِهِ خَيْرًا.

وقال: ما أَقْلُ منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة، وما أَكْثَرُ منفعة قِلَّة المعرفة مع مِلْك النفس.

وقال: الموتُ كسهمٍ مُرْسَلٍ وعمرُكَ بقدرِ سَيْرِهِ نحوكَ.

وقال: مِنْ أَوْكَدِ أسباب الحكمة والحلم رحمةُ الجهال.

وقال: رَبُّمَا شَرِيقُ شاربِ الماءِ قبلَ رِيهِ، وَمَنْ تَجَاوَزَ الْكِفَافَ لَمْ يَغْنِهِ الْإِكْثَارُ.

وقال: السَّاعِي كاذِبٌ لِمَنْ سعى إِلَيْهِ أو خَائِنٌ لِمَنْ سعى بِهِ. المزاجُ يُفْنِي الهَيْمَةَ كما تُفْنِي النَّارُ الحَطَبَ.

وقال: الفرصةُ سريعةُ الفوتِ بطيئةُ العودة.

وقال: لا أشجعُ من بريءٍ ولا أجبنُ من مُريبٍ.

وقال: مَنْ جرى فِي عَنَانٍ أملهُ عَشْرَ بَاجِلِهِ.

وقال: كَأَنَّ الحاسدَ خُلِقَ لِيَفْتَاطَ. وقال: اقْتَصَصْ من شهوةِ خالفتْ عقلَكَ بالخلافِ عليها.

وقال: الغضبُ إذا كانَ لَهُ سببٌ يُعْرَفُ كانَ الرِّضى سهلاً يسيراً، وإذا كانَ بلا سببٍ كانَ الرِّضى صعباً، لأنَّ المُحالَ غيرَ موجودٍ على كُلِّ حالٍ.

وقال: المُسْتَشِيرُ على طرفِ النجاحِ. وَسُئِلَ: ما الَّذِي يَهْدِي الرَّجُلَ؟ فقال: الغضبُ والحقدُ، وأبلغُ منهما الهمُّ. وَسُئِلَ: ما بالُ العلماءِ يَأْتُونُ أَبْوابَ الْأَغْنِيَاءِ أَكْثَرَ مما تَأْتِي الْأَغْنِيَاءُ أَبْوابَ العلماءِ؟

قال: لمعرفة العلماءِ بِفضلِ الغنى وجهلِ الأغنياءِ بِفضلِ العلمِ، وإنَّ العلمَ ممدوحٌ بِكُلِّ لسانٍ متزيّنٍ بِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وقال: العقلُ بِغيرِ أدبٍ كالشجرةِ العاقرةِ، والعقلُ معِ الأدبِ كالشجرةِ المثمرةِ.

وقال: العلم بالخير والشر هو تمام العلم، وتمام العلم يكون تمام الحكمة وتمام الحكمة سلامة العاقبة.

وقال: ما ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه.

وقال: مَنْ عُرِفَ بالجهل كان عاقلاً، ومن جهله كان جاهلاً، وَمَنْ جهل صورة الحكمة جهل صورة ذاته، وَمَنْ جهل صورة ذاته كان بغير ذاته أجهلاً.

وقال: النَّاسُ إثنان: طالب لا يجدُ وواحد لا يكتفي.

وقال: الحكمة إنما هي كالجواهر التي في الصدف في قُومِ البحار لا تُنال إلا بالغواص الحذاق.

✓ وقال: لا يمدح بكمال العقل مَنْ لا تكملُ عفته، ولا بكمال العلم مَنْ لم يكمل عقله.

وقال: الأدب صورة العقل، فحسن عقلك ما قدرت.

وقال: العاقل لا تدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه.

وقال: النصح بين الملا تفرغ.

وقال: إعادة الاعتذار تُذكرُ بالذنب.

وقال: ماعفا عن الذنب مَنْ قرع به.

وقال: الجاهل صغير وإن كان شيخاً، والعالم كبير وإن كان حدثاً.

وقال: الدنيا تُهين مَنْ كانت تكرمهُ والأرض تأكل مَنْ كانت تطعمهُ.

وقال: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

وقال: الميت يقل الحاسد له ويكثر الكذب عليه.

وقال: يكفيك مِنَ الحاسد أنه يقتنم وقت سرورك.

وسُئل عن شيخ له زوجة، فقال: مَنْ لا يقدرُ أن يسبح في البحر كيف يقدرُ على أن يحمل على عنقه آخر.

وقال: اجْتَنِبْ مصاحبةَ الكَذَّابِ فَإِنَّهُ مِثْلُ الشَّرَابِ يَلْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ.

وقال: مَنْ كَثُرَ حَقْدُهُ قَلَّ عَتَابُهُ.

وقال: الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَشْغَلْهُ النَّظَرُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْعَمَلِ لِلْعَاقِبَةِ، وَالْهَمُّ بِالْحَادِثَةِ عَنِ الْحِيلَةِ لِدَفْعِهَا.

وقال: مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ فَلَا تَأْمَنَّهُ أَنْ يَذُمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ.

وقال: الْغَضَبُ يُصْدِيءُ الْعَقْلَ حَتَّى لَا يَرَى صَاحِبَهُ حَسَنًا فَيَفْعَلُهُ، وَلَا قَبِيحًا فَيَجْتَنِبُهُ.

وقال: مَنْ تَكَلَّفَ بِمَا لَا يَعْنِيهِ فَاتَهُ مَا يَعْنِيهِ. وقال: لَا تَقْطَعْ أَخَاكَ إِلَّا بَعْدَ عِجْزِ الْحِيلَةِ فِي الْإِسْتِصْلَاحِ، وَلَا تَتَّبِعْهُ بَعْدَ الْقَطِيعَةِ وَقِيْعَةً فَتَفْسُدَ طَرِيقُهُ بِالرَّجُوعِ إِلَيْكَ، وَلَعَلَّ التَّجَارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْكَ وَتَصْلَحَهُ لَكَ.

وقال: خَيْرُ الْأَصْحَابِ مَنْ نَبِيَّ ذَنْبِكَ وَلَمْ يَقْرَعْكَ بِهِ، فِيهِ مَعْرُوفُهُ عِنْدَكَ وَلَمْ يَمُنْ بِهِ عَلَيْكَ.

وقال: أُعْطِيَ الْحَقُّ مِنْ نَفْسِكَ وَإِنْ لَمْ تَعْطِهِ مِنْهَا كَانَ الْحَكْمُ خَصْمَكَ.

وقال: نِعْمَةُ الْجَاهِلِ كَرُوضَةٍ عَلَى مَزْبَلَةٍ.

وقال: إِخْوَانُ السُّوءِ كَشَجَرَةٍ عَلَى النَّارِ يَحْرِقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرُبُّ كَلَامٍ جَوَابُهُ السَّكُوتُ، وَرُبُّ عَمَلٍ الْكَفُّ عَنْهُ أَفْضَلُ، وَرُبُّ خِصْمِيَةِ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا أَصَوَّبُ.

وقال: أَفْضَلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذَا الْعَالَمِ النَّاسَ، وَأَفْضَلُ مَا فِي النَّاسِ الْعَقْلُ، وَأَفْضَلُ أُمُورِ الْعَقْلِ تَدْبِيرُ صَاحِبِهِ بِالْعَدْلِ وَالْكَفُّ لِنَفْسِهِ عَنِ الذُّنُوبِ.

وقال: أَحْمَدُ الْأَشْيَاءِ عِنْدَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لِسَانٌ نَاطِقٌ صَادِقٌ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

وقال: الخير والشر واصلان إلى الناس لا محالة.

وقال: فطوبى والويل لمن جرى وصولهما إلى الناس على يديه.

وقال: ينبغي للسُّلطان، وذوي الملُك أن لا يَمْلِكُوا ولا يَسْلُطُوا إِلَّا مَنْ لَهُ رَحْمَةٌ وَمَوْدَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ مِثْلَ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْآبِ^(١) لِلْوَلَدِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ.

وقال: غاية النفس المنطقية المعرفة الحقيقية، وغاية معرفة القوة الشهوانية المحبّة، وغاية معرفة فعل القوّة الغضبيّة السلامة.

وقال: كفى بالطُّغْر شفيماً للمذنب إلى الحكيم. وسُئِلَ عن الجود، فقال: هو أنْ تَجُودَ بِمَا لَكَ وَتَصُونَ نَفْسَكَ عَنْ سُؤَالِ غَيْرِكَ.

وقال: إِنَّ أَمْرَ الدُّنْيَا لِحَقِيرٍ مَنْ أَنْ تَطَاعَ فِيهِ الْأَحْقَادُ.

وقال قائل: غَضَبُكَ بِحُلُمِكَ، وَجَهْلُكَ بِعِلْمِكَ، وَلِسَانُكَ بِذِكْرِكَ.

وقال لتلميذه فوطيليس وعنده موسيقى: حَرِّكَ عَلَى صُورَةِ الشَّجَاعَةِ، أَفَهِمْتُ مَا قُلْتُ؟

قال: نعم. فقال: لَا أَرَى عَلَيْكَ أَثَرَ الْفَهْمِ.

قال: وَكَيْفَ ذَاكَ؟

قال: لَا أَرَاكَ مُسْروراً وَالدَّلِيلُ عَلَى الْفَهْمِ السُّرُورُ.

وقال: الْحَيَاءُ فِي الصَّبِيِّ أَحْمَدُ مِنَ الْخَوْفِ، لِأَنَّ الْحَيَاءَ يَدُلُّ عَلَى الْعَقْلِ، وَالْخَوْفَ يَدُلُّ عَلَى الرُّهْبَةِ.

وقال: تَزُوْدُ مِنَ الْخَيْرِ وَأَنْتَ مُقْبِلٌ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَتَزَوَّدَ مِنْهُ وَأَنْتَ مُدْبِرٌ.

وقال: مَنْ لَمْ يَكُنْ مُوَضَّعاً فِيهِ سُلْطَانٌ قَاهِرٌ، وَقَاضٍ عَادِلٌ، وَطَيِّبٌ مَاهِرٌ عَالِمٌ، وَسَوْفٌ قَائِمٌ، وَنَهْرٌ جَارٍ فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَمَالَهُ وَوَلَدَهُ.

(1) أ. ح. ن. : المحب.

ووصى بلسوخس وهو آمون الملك، فقال: أول ما أمرك بتقوى الله عز وجل، وإيثار طاعته، ومن تولى أمر الناس فقد يجب عليه ثلاثة أشياء يكون ذاكراً لها.

أولها أن تكون يده مطلقاً على قوم كثير.

والثاني أن الذي يده مطلقاً عليهم أحراراً لا عبيد.

والثالث أن سلطانه إنما يلبث مدة يسيرة، فسيبك أن تظهر نفسك بحسن النية يا أمون والقول بالحق وإياك أن يهتك الحرب والجهاد لمن لا يؤمن بالله عز وجل، وتنتفع سنتي وشريعتي لما ترغب إليه من دخولهم في طاعة الله عز وجل اسمه. واحذر أن ترغب في أخذ أموالهم وتركهم على طغيانهم فإن المال لا رغبة فيه إلا من جل، وقال الله فيه الرضى.

واعلم أن الرعية تسكن إلى من احسن إليها، ولا تحسن المملكة إلا برعيته، فمتى ما لم يكن للسلطان رعية حصل السلطان نفسه إذا سلم منهم، وإياك والغفلة عن النظر في أمورهم، وأمر مملكتك ثم نفسك، وقدم ما تصلح به آخرتك يصلح أمر دنياك، وسبيك إذا لقيت حرباً أن تكون جازم الرأي في جميع أمورك، واحذر الهزيمة فإنها إذا وقعت بعسكر ليس بشد حزاماً سريعاً، وأكثر الجواسيس لتكون أخبار أعدائك معك وقتاً بوقت، واحذر من حيلة تعمل عليك، وإذا أمرت بأمر فسله عنه بعد ذلك، ولا تقصر فيه ليلحقك من ذلك نقصان الهية، وإذا أمرت أن تكتب لك كتاباً فاحذر ختمه وإنفاذه حتى تراه أنت لأن الحيل تقع بالملوك، وأنت أول ملك أهل لهذا الأمر، وإياك أن تأنس إلى أحد أو تكشف إليه سراً بل يكون خواصك ورعيته يأنسون إليك بحسن سياستك لهم، واجعل النوم لك بقدر راحة جسمك ولا تشغل نفسك إلا بجدة الأشياء، وليكن أمرك كله جديلاً بلا هزل، وإذا هممت فافعل، وإذا قدرت فآلئ، وإذا ألفت فاحذر، وإياك والغفلة عن الكيمياء العظمى وسياسة أهلها وميل قلوبهم والمسامحة لهم، وهم

الفلاحون، فإنَّ الكيمياءَ عمارةُ الأرضِ بالزُّرعِ والنَّباتِ، فإنَّ الرعيَّةَ بها يسكنون، والجُنْدُ بها يكثرُون، ويبيتُ الأموالُ بها تعمُرُ، والدولةُ^(١) تثبتُ، فليسَ سبيلُكَ أنْ تفعلَ أمراً هذا عقباه، وسبيلُكَ أنْ تُكرمَ أصحابَ المراتبِ في المذاهبِ ثم كل إنسانٍ على قدرِ علمه وعقله.

وأشهرُ إكرامهم لئلاَّ تجهلَ الرعيَّةُ حقوقَ أهلِ الفرضِ، ومن يطلبُ العلمَ فأكرمهُ، واعرفْ حقَّهُ، وفوضْ إليه الإحسانَ لتزيدَ همَّتُهُ فيه، ويلطفَ عقلُهُ، ويصفو ذهنُهُ، وتقلَّ همَّتُهُ في أمرِ دنياه يتفجعَ به إن شاء الله تعالى.

وعجِّلِ العقوبةَ على المفسدين في الأرضِ بعد أن يصحَّ عندك جرمُهُم وتضحَّ خيانتُهُم، مَنْ قدحَ في مُلكِ فاضربْ رُقبَتَهُ، واشهرهُ ليحذرَ غيره، وَمَنْ سرقَ اقطعْ يده، وَمَنْ تلصَّصَ في طريقِ فاضربْ عنقه واصلِّبْه ليشتهرَ ذلكَ ويأمنَ سبيلُكَ، وَمَنْ وُجدَ مع ذكِرٍ مثله يفسقُ به فحرِّقْهُ بالنَّارِ واجبٌ، وَمَنْ وُجدَ مع امرأةٍ يزني بها فاضربْهُ خمسينَ جلدةً وارجمِ المرأةَ مائةً حجرٍ بعد إقامةِ البينةِ الثَّقةِ على ذلكَ، واحذرْ أن تسمعَ قولَ ساعٍ بلْ إذا صحَّ عندك سعيتهُ فعجِّلْ عليه بالعقوبةِ واشهرهُ، فزعَ قلبُكَ أن تستعمله بالمحالِ، وإياكَ والغفلةُ^(٢) في الجبوسِ في كلِّ شهرٍ لئلاَّ يكونَ فيهم مظلومٌ فَمَنْ يستحقُّ التَّخْلِيَةَ أطلقتَ سبيلَهُ بعد الإحسانِ إليه، ومن استحقَّ العقوبةَ عجلتْ عليه ومن استحقَّ أن تُمهِّلَ إلى وقتٍ ينكشفُ حالُهُ رددته، واحذرِ الإعجابَ بربابيك، والزمِ المشاورةَ بمن حُسِنَ عقله وطمعَ في سنِّهِ لكثرةَ ما مرَّ عليه من التجاربِ، وحصلَ آراءُهُم فإن رأيتَ في أحدهم سداداً وإلاَّ فاعتقدِ أنْتِ من جميعهم رأياً سديداً ترشد، وباللهِ التوفيق.

وقال: الشريفُ مَنْ استعملَ الفضائلَ، وأعظمَ الشرفَ العدلَ والعفةَ والجودَ قبل الطلبِ.

(١) أ. ح. ن. : بها.

(٢) أ. ح. ن. : عمن.

وقال: حقيقٌ أن يطلب المرء الحكمة ويشتتها في نفسه، ولا يهزج من المصائب التي تنم الأخيار ولا تأخذ بالكبر ولا فيما بلغ من سرفٍ ولا تزهر بحالِ الغنى والسلطان وتعدل بين بنيه بقوله وفعله وتكون رعيته مما لا عيب فيها ودينه غير مختلفٍ وحبتهُ ممّا لا ينقص فما يغير الله ما بهِ إلّا مَنْ له ويعيقه .

وقال: لا يستطيع أحدٌ أن يجد الخير والحكمة إلّا أن يُخلّص نفسه في المعاد، ولا خلاص له منه إلّا أن تكون له ثلاثة أشياء: وزيرٌ ووليٌّ وصديقٌ فوزيرُهُ عقله ووليُّهُ عفتهُ وصديقهُ عملهُ الصالح .

وقال⁽¹⁾ لكلُّ شيءٍ حيلةٌ غير الموتِ، وكلُّ شيءٍ فإن غير الإنم، وكلُّ شيءٍ يبئد غير العمل الصالح، وكلُّ شيءٍ يطاق تغييرهُ غير الطباع، وكلُّ شيءٍ يُقدَّر على إصلاحه غير الخلقي السوء، وكلُّ شيءٍ يُستطاع دفعه غير القضاء .

وقال: ليس العجب ممّن امتنعت عنه الشهوات أن يكون فاضلاً وإنما العجب ممّن الشهوات مقرونةٌ به ويكون فاضلاً .

وقال: لا خيرَ فيمن يستر وجه العفو بمكروه التفرع .

وقال: لا تُعجل الذنب بالمقوبة واجعل بينهما للاعتذار طريقاً .

وقال: زلّةُ العالمِ ككسرِ السفينة تفرق وتُفرّق معها خلقاً كثيراً .

وقال: الغنى وطنٌ، والفقر غربةٌ، والطمع رقٌ، والياس حرّةٌ .

وقال: إذا كان الملك لا يقدرُ على قهر حواسه وغلبة شهواته، فكيف يقدر على ضبط خاصّيته، وكيف يقدر على ضبط أعوانه؟ وإذا لم يقدر على ضبط أعوانه فكيف يقدر على رعيته، وما بعد عن مملكته؟ فسبيل الملك أن يبتدئ بسلاطنته على نفسه ليستقيم سلطانهُ على غيره .

(1) أ. ح. ن.: وقال: أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض لسان ناطقٍ وصاقدٍ بالعدل والحق .

7- طاطو هو صاب بن ادريس عليه السلام

وَمِنْ آدَابِ طَاطُو هُوَ صَابُ بْنُ اَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالِيهِ يُنْسَبُ الْحَنَفَاءُ فَقِيلَ لَهُمُ الصَّابِتُونَ.

قال: مَنْ لَمْ يَمْلِكْ عَقْلَهُ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبُهُ.

وقال: الملك اللبيب يبلغ بالرفق والمُداراة ما لا يبلغه بالجفاء والصولة وخاصة مع الأخيار، سبيل الملك الحازم أن يختبر الرجال بأفعالهم لا بما يُشاهد من عظم أجسامهم ولذلك لا يُظهر الخلاف على مَنْ ليس له به طاقة.

وقال: إذا جمع الملك الأموال ولم ينفق منها في مواضع الحقوق كان ذلك سبب تضييعها مع تلافٍ ملكه.

وقال: النار إذا اشتعلت بغير ريح ضعف عملها وأبطأ إحراقها.

وقال جمع المال يحتاج إلى الأعوان، والأعوان يحتاجون إلى المال.

وقال: سبيل السلطان أن يعرف المنقطعين إليه ويُنزلهُم بمنازلهم وعقولهم وعلومهم ونصحتهم وما يستحق كل امرئ منهم ولا يكثر عطاؤه وإنعامه عليهم ولا يحصل له في نفوسهم موقع ولا يجدون به سروراً.

وقال: سبيل الملك أن لا يصطنع لمعروفه من عُرف بالكذب والشرُّ تقديراً منه أنه إذا اصطنعه زال عن طبعه وغيره، فإن تغير الطباع ونقلها يبعد عن صاحبه.

وقال صاب: لا تأخذوا من الناس جميع ما عندهم لكن ينبغي أن تأخذوا ممن هو من الناس محمود في جميع خصاله جميع ما عنده وممن هو محمود في شيء واحد ذلك الشيء فقط، فإن التفاحة ليس يلتذ منها برائحتها فقط بل يلتذ مع ذلك منها بأكلها، فأما الزهر فإِنَّمَا يلتذ منه برائحته ومنه ما لا يلتذ منه برائحته فقط بل بالنظر إليه مثل ورد الدقلى. فأما النحلة فإِنَّمَا يلتذ منها بشمرتها، وأما شجرة الورد فبزهراها بعد أن يتوقى شوكها، فإذا كان الأمر على

ذلك فينبغي أن يأخذ مَنْ هو محمودٌ في الكلام والعقل جميع ما عنده مِنْ هو محمودٌ في الكلام، وانظر مع ذلك إلى قَوْتِكَ هل أنت كُفُوٌ لآخذه، فإنَّ التقاط العسل عن الزهر يُمكنُ النحلة ولا يُمكنُ الإنسان.

وقال: سبيلُ مَنْ تعلم الحكمة أن يُلْقِنَهَا للمتعلِّمين ويقرئها لهم ويفهمها إياهم، فإنَّ الفهم الأخير يُحلُّ رِباطَ الجهل القديم.

8 - أسقليبوس النبي الحكيم عليه السلام⁽¹⁾

كان تلميذاً لِهَرْمِسَ عليهما السلام، وقيل كان تلميذاً لِهَرْمِسَ المصري، وكان مسكنه أرض الشَّاماتِ وذكر جالينوس أنَّ الله تعالى أَوْحَى إليه لِأَنَّ أَسْمِيكَ حَكِيماً ملكاً أقرب من أن أَسْمِيكَ إنساناً.

وذكر أبقراط أنَّه ارتفع⁽²⁾ الهواء في عمودٍ من نورٍ. وحكى أفلاطون عنه أنَّه تحاكم إليه رجلٌ وامرأةٌ في جنينٍ كان في بطنِ المرأة، فقال أسقليبوس للمرأة: يا ظالمةُ إِنَّه كان زوجُكِ في هيكلِ عبدةِ الشمس يدعوك بالبقاء والسلامة، وأنتِ قد واقعتِ غلاماً من بني فلان، وستلدِينَ غلاماً بعد ثلاثٍ⁽³⁾ مُشوهاً، فولدتِ جنيناً في صدره يدان⁽⁴⁾.

ثم قال للرجل: عقدت نكاح المرأة على ما لا ينبغي فخصدت منها أكثر مما زرعت.

وخبي⁽⁵⁾ لَه رجلٌ مالاً.

ثم قال: يا نورَ الألبابِ ضاع لي مالٌ فائزُهُ لي.

قال: فتنهض معه فأخرجه.

(1) ابن جليل ص: ١١، الغفطي ص: ٨، أصيعة ص: ٢٩.

(2) أ. ح. ن. : إلي.

(3) أ. ح. ن. : أشهر.

(4) وردت قصة المرأة والجنين المشوه عند الغفطي أيضاً ص 10.

(5) خبا (ابن جليل ص ١١).

ثم قال للرجل: - إنَّ المالَ يسلبه^(١).

وقيل إنه وجد علم الطب في مكانٍ لليونانيين برومية يعرف بهيكل الشمس.

وقيل إنه هو الذي وضع هذا الهيكل ويعرف بهيكل الشمس ويدلُّ على هذا قولُ جالينوس إنَّني لما خلَّصني الله تعالى مِنْ مرضٍ قَتَلَ حججْتُ إلى بيته المسمَّى بهيكل الشمس، وكان يحرص على العالم وهو مستنبط للطب، وكان معظماً عند اليونانيين وكان القومُ يستسقون بقبْرِهِ.

ويقال إنَّه كان يُسرجُ على قبرِهِ كلُّ ليلةٍ ألفَ قنديلٍ، وكان الملوكُ والحكماءُ من نسله، وكان له في جميع الأرض اثنا عشر ألفَ تلميذٍ، وكان يعلمُ الطبَّ مشافهةً وكان نسلُهُ يتوارثون الطبَّ إلى زمنِ أبُقراطِ وكان يسافرُ معه إلى البلادِ، فلمَّا خرجوا إلى بلاد الهند وجاؤوا إلى فارس خلفه بيبابل ليضبطَ الشرعَ فيهم، فلمَّا كان في آخرِ عمره، اعتلَّ فاجتمع إليه جماعةٌ من الحكماءِ فعادوه فلمَّا رأى اجتماعهم علم أنَّ المعابد والهيكل قد خلت منهم.

فقال: لهم هذا ما كنتُ أوصيكم به وأنهاكم عنه لكن المستعانُ بالله عليكم، قد استعلمتم الآراءَ الفاسدةَ لتفروا كل واحدٍ منكم بشيءٍ ويجعل له سوقاً ليكون له فيه مرتبةٌ وأطعتم جهالاً من ملوككم و^(٢) اخترتم الدنيا على الآخرة ولم حتَّى تُسألون ما جاء به مَنْ اصطفاهُ اللهُ تعالى واتَّخذه رسولاً إليكم ومرتباً لشريعتم يعني إدريسَ كان أولى وأحمد عاقبةً.

وقال لهم: عهدي ذات ليلةٍ ونحنُ بحضرةِ النبيِّ الأعظمِ. أشركنا اللهُ تعالى في صالحِ دعائِهِ ونحنُ على أمرٍ ما كُنَّا عليه من العبادةِ التي يجب علينا إذ دخل غلمانٌ بأطباقٍ هدايا حسنةٍ فردَّها ووضع خدَّهُ على الأرض.

(١) أ: ح. ن.: يسلبه.

ب: يلبه فسلبه.

(٢) أ: ح. ن.: ولو.

وقال: رَبِّ اعْطُونِي مَا لَيْسَ لِي فَخُذْهُمْ بِمَا جُنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ وَلَا تَجْمَعْ لَهُمْ شَمْلًا، فَاسْتَجِيبَتْ دَعْوَتَهُ^(١).

وقال مَنْ عَرَفَ الْيَوْمَ لَمْ يَفْلَحْ إِلَّا بِالِاسْتِعْدَادِ.

وقال إِنَّ أَحَدَكُمْ بَيْنَ نِعْمَةٍ مِنْ بَارِيهِ سَبْحَانَهُ وَبَيْنَ ذَنْبٍ مِنْ عَمَلِهِ وَمَا أَصْلَحَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ إِلَّا الْحَمْدُ لِلنَّعَمِ وَالِاسْتِغْفَارُ مِنَ الذَّنْبِ.

وقال كَمْ دَهْرٍ ذَمْتُمُوهُ فَلَمَّا صَرْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَمَدْتُمُوهُ وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ يُغْضِبُ أَوَائِلَهُ، وَيُبْكِي عِنْدَ آخِرِهِ عَلَيْهِ.

وقال: الْمُتَهَجُّدُ بَغِيرِ مَعْرِفَةٍ كَحِمَارِ الطَّاحُونِ يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ.

وقال: فَوَتْ الْحَاجَةُ خَيْرٌ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا اعْطَاءُ الْفَاجِرِ تَقْوِيَةً عَلَى فَجْورِهِ. وَالصَّنِيعَةُ عِنْدَ الْكُفُورِ إِضَاعَةٌ لِلنَّعْمَةِ، وَتَعْلِيمُ الْجَاهِلِ ازْدِيَادٌ فِي الْجَهْلِ وَمَسْأَلَةُ اللَّئِيمِ إِهَانَةٌ لِلْعَرَضِ.

وقال إِنْ أَعْجَبُ مَنْ يَحْتَمِي مِنَ الْمَآكِلِ الرَّدِيئَةِ مَخَافَةَ الضَّرَرِ وَلَا يَدْعُ الذُّنُوبَ مَخَافَةَ الْآخِرَةِ.

وقال أَكْثَرُوا مِنَ الصَّمْتِ فَإِنَّهُ سَلَامَةٌ مِنَ الْمَقْتِ، اسْتَعْمَلُوا الصَّدَقَ فَإِنَّهُ زِينُ الْمُنَاطِقِ.

وقيل لَهُ صَفٌ لَنَا الدُّنْيَا فَقَالَ لَهُمْ: أَمْسِ أَجَلَ وَالْيَوْمِ عَمَلٌ وَغَدًا أَمَلٌ.
وقال: الْمَشْفَقُ عَلَيْكُمْ سَيُّءُ الظَّنِّ بِكُمْ، وَالرَّازِي عَلَيْكُمْ كَثِيرُ الْعُتْبِ لَكُمْ، وَذُو الْبَغْضَاءِ لَكُمْ قَلِيلُ النَّصِيحَةِ لَكُمْ.

وقال: سَبِيلُ مَنْ لَهُ دِينَ وَمَرْوَةٌ أَنْ يَبْذُلَ لِصَدِيقِهِ نَفْسَهُ وَمَالَهُ وَلَمْ يَعْرفْهُ طَلَاقَةً وَجْهَهُ وَحُسْنَ مُحَضَّرِهِ وَلَعْدُوهُ الْعَدْلَ وَإِنْ يَتَصَاوَنَ عَنْ كُلِّ حَالٍ يَعْيبُهُ.

(١) أ: ح. ن.: من آداب اسفلبيوس.

9 - الحكيم العظيم الرباني أنبا ذقلس^(١)

ابن تاذر من أهل أفرغليتا، وهو من الكبار والعظماء عند الجماعة من الحكماء، دقيق النظر في العلوم الحكيمية، رقيق الحال في الأعمال، ولما وعى الحكمة من داود ولقمان بالشام عاد إلى يونان فكلّم بالحكمة.

فقال: إنَّ البارئ تعالى لم يزل مُوَيَّته فقط، وهو العلم المُلَخَّص والإرادة المحضة، والجود والعز والقدرة والعدل والخير والحق لا إنَّ هناك قوى مسمأة بهذه الأسماء بل هي هو وهو هذه كلها مبدعة فقط، لا أنه أبدع من شيء، ولا أنه كان معه شيء، فأبدع البسيط الذي هو أول البسائط المعقولة أعني العنصر الأول، ثم كثرت الأشياء المبسطة من ذلك المبدع البسيط الواحد، ثم كوّن المركبات من المبسوطات، وهو مبدع المتضادات والمتقابلات المعقولة، والخيالية والحسية.

[وذكر أنَّ المنطق لا يقدر أن يغيّرهما عند العقل لأنَّ العقل أكثر من المنطق لأنّه بسيط، والمنطق مركّب متحيّز، والعقل مُتَّحِدٌ فليس للمنطق إذن أن يصف البارئ تعالى إلا صفة واحدة وذلك أنّه هو ولا شيء من هذه الموالم بسيط ولا مركّب إلا العنصر الأول بسيط من نحو ذات العقل ليس هو بسيطاً مطلقاً أي واحداً بحتاً، فلا معلول إلا وهو مركّب تركيباً عقلياً أو حسياً، فالعنصر في ذاته مركّب من المحبة والغلبة، وعنهما نشأت الجواهر البسيطة الروحانية والجسمانية، فصارت المحبة والغلبة صفتين أو صورتين للعنصر مبدئين لجميع الموجودات فانطبعَت الروحانيات كلّها على المحبة الخالصة والجسمانيات كلّها على الغلبة والمركبات على طبيعتي المحبة والغلبة والازدواج والتضاد ويمقدارهما في المركبات تعرف مقادير الروحانيات في الجسمانيات، ولذلك أشاعت المزدوجات واختلَفَت المتضادات، والائتلاف الذي فيها من الروحانيات، والاختلاف والغلبة من الجسمانيات، وربما

(١) الففطي، ص: ١٥ (أبذقلس) ١ أصبغة، ص: ٦١ (بندقليس).

اجتماعاً في نفسٍ واحدةٍ بإضافتين مختلفتين⁽¹⁾.

وكان في زمنٍ ذَاوُدَ، وكان أخذ الحكمة عن لقمان بالشام.
وقيل عن سليمان ثم انصرف إلى بلاد اليونانيين فتكلم بخلقهِ العالم حتى
هجرهُ بعضهم وطائفة من الباطنية تنتمي إلى حكمته ويزعم أن له رموزاً قل ما
يوقفُ عليها.

وكان محمد بن عبد الله بن مُرَّة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفاً
بفلسفته دُويّاً على دراستها، وهو بالجملة عظيم الشأن جليل القدر، كثيرُ
الرياضة والثَّالِ والتَّشْفِ، تاركاً للدنيا، مقلداً على الأخرى، ماهراً في معرفة
النفس والمجردات وأحوالها وتراثيها، وقد رأيت له كتاباً في الفلسفة بدل
على ذوقه وقوة سلوكه وتبزيه في⁽²⁾ العلم الإلهي وحكمته⁽³⁾⁽⁴⁾.

وهو أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله تعالى وأنها كلها
تؤدي إلى شيء واحد وليس ذا معاني متميزة يختص بهذه الأسماء المختلفة بل
هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكرر أصلاً بخلاف باقي الأشياء الموجودة، فإن
الوحدانيات العالية⁽⁵⁾ للتكثر، أما بأجزائها أو بمعانيها أو بنظائرها فذات الباري
سبحانه وتعالى مُتَزَهة عن هذا كله، وإلى هذا المذهب ذهب علي بن أبي
طالب رضي الله عنه، وأبو الحسن البصري وجماعة من المعتزلة وجمهور
الحكماء.

ومن لطائف كلماته قوله: إن في طلب الفلسفة شرفاً وإن مرتبتها لعالية
عظيمة، فينبغي لمن طلبها أن يكون ذهنه صافياً وعقله لطيفاً وهمومه في هذا

(1) [الفقرة غير موجودة بالنسخة ب.]

(2) أ. ح. ن. : وكشفه.

(3) أ. ح. ن. : النبوة ممزوجة بفلسفة.

(4) ح. م. : يلاحظ أن المؤلف يتقل للحدث عن محمد بن عبد الله بن مرة عند ترجمته

أبيذقلس ودون مقدمة للغاريه ولعل الجملة الآتية التي وردت في كتاب الفسطي تفسر

السبب إذ يقول (ص 26) : ومن المشتهرين في الملة الإسلامية بما لا زمته إلى مذهب

أبيذقلس هو محمد بن عبد الله الجبلي من أهل قرطبة. . .

(5) أ. ح. ن. : معرفة.

العالم قليلة، وإن في طلب الحكمة فضيلةً ومرتبةً شريفةً وهي في ذاتها وحدودها تدلُّ على ما وصفتُ، وذلك أنها تُنيرُ العقل بالنورِ العاليِ الإلهي في طلبه إياها وإن الحكمة لترغبُ في الرحلةِ عن هذا العالمِ إلى ذلك العالمِ، وتزهدُ العقل والنفس في هذا العالمِ فلا مرتبةً أفضلُ من هذه المراتبِ الثلاثِ.

ومِمَّا نُقِلَ عنه في أمر المعادِ أنه بقي في هذا العالمِ على الوجه الذي عهد بأمر النفوس التي تشبَّتْ بالطبايع والأرواح التي نطقت بالشبائك حتى تستغيث في آخر الأمر إلى النفس الكلية، فتضرعُ النفس الكلية إلى العقل ويتضرعُ العقل إلى الباري تعالى، فيسبح الباري تعالى على العقل، ويسبحُ العقل على النفس، ويسبح النفس على هذا العالم بكلِّ نورها فحينئذٍ تستضيء الأنفسُ الجزئيةُ وتشرق الأرضُ والعالم بنورها حتى تغايِنَ الأنفسُ الجزئيةُ كلياتها فتخلصُ عن الشبكة وتتصلُ بكلياتها وتستقر في عالمها مسرورةً محبورةً.

وقال إنَّ العنصر الأول لما صور في العقل ما عنده من الصُّور العقلية الروحانية وصوِّر العقل في النفس ما استفاد من العنصرِ وصوِّرَت النفس الكلية في الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل حصلت قشورٌ في الطبيعة لا تشبهها ولا شبيهةً بالعقل الروحاني اللطيف، فلما نظر العقل إليها وأبصرَ الأرواحَ واللُّبُوبَ في الأجساد والقشورِ سَاحَ عليها من الصُّور الحسنة الشريفة.

وهي صُوِّرَت النفوس المشاكلة للصُّور العقلية اللطيفة الروحانية حتى يُدبِّرَها وينصرف فيها بالتمييز بين القشورِ واللُّبُوبِ، فيصعد باللُّبُوبِ إلى عالمها، فكانت النفوس الجزئية أجزاءً للنفس الكلية كأجزاء النفس المشرقة على منافذ البيت، والطبيعة الكلية معادلة للنفس، وفرقٌ بين الجزء وبين المعلوم، وخاصةً النفس الكلية المحببة لأنها⁽¹⁾ نظرت إلى العقل، وحسبته عشقته فطلبت الانحداد به وتحركت نحوه.

(1) أ. ح. ن. : ١٧٠.

وقال ليس يقدرُ أحدٌ أن يعرفَ النَّفْسَ إلَّا مَنْ كانت نفسه طاهرةً زكيةً مستوليةً على بدنيه فيعرفُ حيثُذَ ما النَّفْسُ ويراها رؤياً حسناً لأنها روحانيةٌ غير منجسة، ويعرفُ أنها جوهرٌ لا اشرفَ منه ولا اكرمَ، باقٍ دائمٌ لا يموتُ ولا يفنى.

فأما جُلُ الناس، فإن نفوسهم ناقصةٌ كأنها بدنٌ مقطوعُ الاعضاء فينكرون شرفها وحسنها^(١) وعذمَ مؤثرها، وهو خطأ لأنه لا ينبغي لأحدٍ أن يقولَ قولاً في شيءٍ قيلَ أن يفحصَ عنه ويعرفَ علته وباطنه وظاهره، ثم يقضي عليه وإذا أراد أن يفحصَ عن شيءٍ فلا يلقي نظره خارجاً على القشر الظاهر بل يحرص على أن يلقيه على روحانية الشيء الباطن الذي هو الجوهر الخالص بعينه وإلا لم ينل معرفة حقيقة ذلك الشيء، فافهم ذلك، وهذا كلامٌ في غاية الحسن.

وقال: إن من رام أن يعرف الأشياء من العلو أعني من الجوهر الأول عسرَ عليه إدراكها ومن طلبها من أسفل عسرَ عليه إدراك العلم الأعلى لانتقاله من جوهرٍ كثيفٍ إلى جوهرٍ في غاية اللطف، ومن طلبها من المتوسط وعرف المتوسط كنه المعرفة أدرك به علم الطرفين وسهلَ عليه الطلُبُ، وهذا كلامٌ عجيبٌ لا يعرفُ قدره إلَّا من عرف المتوسط أعني النَّفْسَ الإنسانيةَ.

وقال: إن النَّفْسَ جوهرٌ مبسوطٌ متحركٌ باقٍ، وليس يعني بالبسط هذا البسط ولكن بسطَ الذهني والوهم، فإن ذلك البسط روحانيٌ، وهذا البسط جزميٌ مركَّبٌ عند البسط الأول الوهمي والذهني وإنما صارَ عندنا مبسوطاً لأننا لا ندرك شيئاً من الأوائل اللطيفة التي هي مدركةٌ في هذا العالم هو العطف من ذلك.

فإن أردتَ أن تعلمَ خاصيةَ المبسوط فتوهمُ النورَ لا النارَ والضياءَ لا الضوءَ ولو لم تكن النفسُ مبسوبةً لم تكن نيرةً ولا كان يتصلُّ نورٌ بعضها

(١) ا: ح. ن. : وبسطها.

ببعض، وذلك لأن من هذه الجواهر الخمسة ثلاثة نقيّة من القشور، فالثلاثة الروحانية المبسوطة⁽¹⁾ يختلط بعضها ببعض. وكل واحد محيط بالذي دونه.

وأما الجوهران الآخران فهما أفق للثلاثة الأفلاك باطن، فمن هذه الجهة صارت هذه الجواهر مبسوطة لأن النور محيط بها، ولأنه لما صار كل جوهر من هذه الجواهر محيطاً بصاحبه كإحاطة الفلك كان نور كل واحد من هذه الجواهر متصلاً بنور صاحبه، يستمد الذي هو أدنى من صاحبه الذي هو أعلى منه بوصلة واحدة لا فرق بينهما أكثر من أنه يصل إلى الأول قبل الثاني وإلى الثاني قبل الثالث، والوصلة بينهما غير منقطعة إلى أن يصل إلى الطبيعة فتقطع، لأن فلك النفس لا يحيط بفلك الطبيعة، والطبيعة محيطة بفلك الهيولى الثانية، والعقل يمد النفس بنور الهيولى الأولى فيفيضه على الطبيعة. وقيل لاباذقلس: لأي شيء قعدت عن خدمة الملوك؟ فقال: لعلني بقلّة من يسلم منهم.

وقال له تلميذه: أي العلوم أشرف؟ فقال: ما العامة فيه ازهد.

وقال: كما أن الإناء إذا ترك فيه أكثر مما سعه خرج منه، كذلك الذهن إذا ترك فيه أكثر من المقدار الذي يمكنه تحيّر، وربما خرج بعض ما كان ضابطة.

وقال: إذا أزيلت لثاقي ينقر فلا تات يتسر فيؤكل تمرّك ولا تسلم من العتاب.

10 - خبر فياغورس الفيلسوف المتأله⁽²⁾

أصله بالرومية: ثواغورس، ومعنى ثوا: الله. ومعنى أغورس: الشب.

(1) أ. ح. ن.: وإثنان كثير القشور.

(2) القفطي، ص: 258، أصحمة، ص: 61.

ومعناه: شأب الله، لكنهم يقدمون المضاف إليه على المضاف. وكان فيثاغورس بعد أنباذقليس بزمان، وأخذ الحكمة من أصحاب سليمان بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام.

وكان أخذ الهندسة قبلهم من المصريين، ثم دخل إلى بلاد يونان، وأظهر الهندسة عندهم وعلم الطبيعة وعلم الدين، واستخرج بذكائه الموسيقى وأوقعها تحت النسب العددية وأدعى أنه استفاده من مشكاة النبوة، وله في نصب العالم وتركيبه على خواص العدد ومراتبه أمور عجيبة وأغراض بعيدة.

ويقارب أنباذقليس أن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً لا يدرك العقل حسنة وبهائه، والانس الزكية تشاق إليه، ومن قوم نفسه وبزها من العجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات البدنية، فقد صار أهلاً للحوق به والإطلاع على جواهره والانغماس في لذاته.

وله تواليف شريفة في الحكمة والموسيقى وغيرهما، وذكروا أنه كان يرى السياحة واجتناب مماسة القاتل والمقتول، وأنه أمر بتفديس الحواس ويعمل العمل بالعدل وجميع الفضائل والكف عن الخطايا والبحث عن العطية الأنسية ليعرف طبيعة كل شيء وأمر بالتجارب والتأديب بشرح العلوم العلوية، ومجاهدة المعاني، وعصمة النفوس، وتعلم الجهاد، واكتساب الصيام، والقعود على الكراسي، والمواظبة على قراءة الكتب، وأن يعلم الرجال الرجال وأن يعلم النساء النساء، وأمر بجودة المنطق ومواظبة الملوك.

وكان يقول ببقاء النفوس وكونها فيما بعد في شواب أو عقاب على رأي الحكماء الإلهيين.

وكان له غدان أحدهما لا يجوع معه، وكان قد ألزم نفسه عادة موزونة، فلم يكن مرة صحيحاً ومرة سقيماً، ولا كان مرة ويسم مرة يهزل، وكانت نفسه لطيفة جداً، ولم يكن يفرح بإفراط ولا يحزن بإفراط، ولا رآه أحد قط

ضاحكاً ولا باكياً وكان يُقدِّم إخوانه على نفسه، وكان أول من قال إن أقوال الأيلاء مُشاعةٌ غير مقسومة.

وكان يرمزُ حكمته ويُسرها، فمن رمزه قوله: لا تعدى في المسرات أي اجتنِب الإفراط، ولا تحركِ النَّارَ بالسَّكِينِ لأنها قد حَمِيتْ منها مرَّةٌ أي اجتنِب الكلامَ المُحرِّضَ عند الغضبِ المغتاضِ، ولا تجلس على فقرٍ أي لا تعش في البطالة، ولا تَمُرْ بغياضِ اللَّيْثِ أي لا تقتدِ بآراء المردة، ولا تعمُرِ الخطاطيفِ البيوتِ أي لا تعتدِ بأصحابِ الطُّرمدةِ غير المالِكين لأنفسهم، وأن لا تلقى الجمل على حامله لكن يُعان على حملة أي لا يعقل أحدُ أعمال نفسه في الفضائل والطاعات، وأن لا تلبس تماثيل الملائكة على فُصوص الخواتم أي لا تجهر بديانتك في أسرار العلوم الإلهية عند الجُهال.

وذكرَ قرفوريوس في تاريخه حكاياتٍ عجيبةً ظهرت عن فيثاغورس ومما تكهن به، ومن أخباره بمُغَيَّباتٍ سُمِعَتْ منه وشُوهِدَتْ.

وكان لفيثاغورس أب اسمه مينسارخوس من أهل صور، وكان له أخوان، اسم الأكبر منهما أويوسطوس والأخر طورينوس، وكان اسم أمه بوثانيس بنت لياحقانوس من سكان ساقوس.

ولما غلبَ على صور ثلاث قبائل: ليْمون ويمرون وسَقُورون فاستوطنتوها وجلا أهلها منها وجلا والد فيثاغورس معه فيمن جلا، وسكن البحيرة وسافر منها إلى ساموس ملتصقاً كسباً، فأقام بها وصار مُكرماً، ولما سافر منها إلى أنطاكية⁽¹⁾ أخذ فيثاغورس معه ليتفرَّج بها لأنها كانت نزهةً جداً، كثيرة الخصب، فذكروا أن فيثاغورس إنما عاد إليها يسكنها لما رأى من طيبها أول مرَّة، ولما حلا منها مينسارخوس سكن ساموس ومعه أولاده أويونسطوس وطورينوس وفيثاغورس فتبنى أنذروماخوس رئيس ساموس بفيثاغورس وكفله لأنَّه كان أحدث الأخوة وأسلمهم من صغيره في تعلُّم الآداب واللغة

(1) أ. ح. ن.: انطاكية.

والموسيقى فلما التحى وجّه به إلى مدينة سليطون وأسلمه إلى اكثمايدوس الحكيم ليعلّمه الهندسة والمساحة والنجوم، فلما أحكم فيثاغورس هاتين الصناعتين اشتدّ جُبهُ للعلوم الحكيمية، فسافر إلى بلدانٍ شتى طلباً لذلك فورّد على المصريين والكلدانيين وغيرهم، ورابط الكهنة بمصر وتعلّم منهم الحكمة، وخلق لُغة المصريين بثلاثة أصنافٍ من الخطّ: خطّ العامة، وخطّ الخاصة، وهو خطّ للكهنة المختصر، وخطّ الملوك. وعندما كان في أراقليا اغني هرقله، وكان مُرابطاً لملكها.

ولما صار إلى بابل رابطَ رؤساء خلدانيين^(١)، ودرس على رارياطا فبصره بما أحبّ على الصديقين، وأسمعه سماع الكبار وعلمه أوائل الكل إنما هي، فمن ذلك فضلت حكمه فيثاغورس وبه وجدّ السبيل إلى هداية الأمم ورذّهم عن الخطايا الكثيرة لكثرة ما اقتنى من العلوم من كل أمة ومكان وورد على أفاراقوديس الحكيم السرياني في بداية أمره في مدينة اسمها ديلون من سورية وخرج عنها فسكن سلّموس.

وكان قد عرض له مرضٌ شديدٌ حتى أنّ القمل كان يتعشّش من جسمه فلما عظم به الأمر وساموه حمله تلامذته إلى أفاسوس، ولما تزايد ذلك عليه رغب إلى أهل أفاسوس وأقسم عليهم أن يحولوه من مدينتهم، فأخرجوه إلى ماغانيسا وعني تلامذته بخدمته حتى مات، ودفنوه وكتبوا قصته على قبره.

ورجع فيثاغورس إلى مدينة ساموس، ودرس بعده على ازمودانطيس الحكيم الإلهي المتأله المكنى بفروقليو بمدينة ساموس، ولقي بها أيضاً ازموداماليس الحكيم الإلهي المكنى افرووليم، فربطه زماناً وكان طرابه ساموس فصارت فيولوفراطيس أراطرون^(٢)، واشتاق فيثاغورس إلى الاجتماع بالكهنة الذين بمصر فابتهل إلى فيولوفراطيس أن يكون له على ذلك معيناً

(١) أ: ح. ن.: كلدانيين.

(٢) أ: ح. ن.: الأطرون.

فكتب إلى أماسيس ملك مِصْرَ كتاباً يُخبره بما تاقَ إليه فيثاغورس ويُعلِّمه أنَّه صديقٌ من أصدقائه ورسالته أن يجودَ عليه بالذي طلب وأن يتحنَّنَ عليه فأحسنَ أماسيسُ قبوله، وكتبَ إلى رؤساءِ الكهنةِ بما أرادَ، فوردَ على أهلِ مدينةِ الشمسِ، وهي المعروفةُ في زماننا بعينِ شمس، يكتبُ ملكُهم فقبلوه قبولاً كريهاً وأخذوا في امتحانهِ زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا نقصيراً.

فوجهوا به إلى كهنةٍ مُنفَ كي يبالغوا في امتحانهِ فقبلوه قبولاً على كراهةٍ واستقصوا امتحانَه فلم يجدوا عليه نقصاً ولا أصابوا له عثرةً، فبعثوا به إلى أهلِ ديبوسوكس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقاً ولا إلى ادحاضيه سبيلاً لعنايةِ ملكيهم به، ففرضوا عليه فرائضَ صعبةً كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبَه مُخالفةً لفرائضِ اليونانيين، فقبلَ ذلك وقام به، فاشتدَّ إعجابهم منه، وفشا بمصرَ ورعُه حتى بلغ ذكره إلى أماسيس، فأعطاه سُلطاناً على الضحايا للربِّ تعالى وعلى سائرِ قرايبتهم ولم يُعطِ ذلك لغريبٍ قط.

ثم مضى فيثاغورس من مصر راجعاً إلى بلاده، وبنى له بمدينةِ أبويه منزلاً للتعليم، فكان أهلُ ساموس يأتونَ إليه ويأخذونَ من حكميهِ. واعتزلَ خارجاً من تلك المدينةِ أمطرونَ، فجعلَه مجعماً خاصاً لحكميهِ، وكان يُربطُ مع قليلٍ من أصحابه أكثرَ أوقاته.

ولما أتت عليه أربعونَ سنةٍ وتمادت طرايةُ فولوفراطيسَ وكان قد استخلفه عليهم حيناً طويلاً واستغفاه ففكرَ ورأى أنه لا يحسنُ بالمرءِ الحكيمِ المكثُ على لزومِ الطرايةِ والسلطانِ والغشمِ فرحلَ إلى انطاكيا، وسار منها إلى أفروطوليا، ودخلها فرأى أهلها حسنَ منظره ومنطقه وتبليهِ، وسعةَ علمه، وصحةَ سيرته مع كثرةِ يساره وتكامله في جميعِ خصاله، واجتماعِ الفضائلِ كُلها فيه.

فانقادَ له أهلُ أفروطوليا انقيادَ الطاعةِ العلميةِ فالزمهم عصمةُ القدماء، وهدى نفوسهم ووعظهم بالصالحاتِ وأمرَ الأراكيةَ أن يضعوا للأحد

الآداب الحكيمية وتعليمهم إياها، فكان الرجال والنساء يجتمعون إليه ليسمعوا مواعظه ويستفهموا بحكمته .

فَعَظُمَ مجده وكبر شأنه وصير كثيراً من أهل تلك المدينة مَهَرَةً بالعلوم حتى انتشر خبره حتى أن عامة ملوك البربر وردوا إليه ليسمعوا حكمته ويستوعبوا من علمه، ثم إن فيثاغورس جال في مدن انطاكيا وسقليا، وكان الجوز والتمر، وقد غلب عليهم، فصار واسماعته وصديقه⁽¹⁾ من أهل قرطونيا وأهل سوراوقوسيا وأهل فرافطا والروم وأهل طافر وماسون وغير ذلك .

فاستأصل الفتنة منهم ومن نسلهم إلى أحقاب كثيرة، وكان منطق طارداً لكل منكر، ولما سمع جكمه ومواعظه سيماخوس اطرون والي قانطورنيا خرج من ملكه وخلف أمواله، بعضها لإخيه وبعضها لأهل مدينته .

وذكر أن بابوس الذي كان حبسه من قرلس، وكان ملك⁽²⁾ قوتيا، كان من ولد فيثاغورس وكان لفياغورس وهو بأمر قرطونيا بنت بتول، وكانت تعلم عذارى المدينة، شرائع الدين وفرائضه وسنته من حلاله وحرامه، وأيضاً⁽³⁾ زوجته تعلم سائر النساء .

ولما توفي فيثاغورس عمد دهرطريوس المؤمن إلى منزل الحكيم فجعله هيكلاً لأهل قرطونيا، وذكروا أن فيثاغورس كان على عهد كورس ملك الفرس حدثاً وكان ملكه ثلاثين سنة، وملك بعده ابنه فابوس وفيثاغورس في الحياة، وإن فيثاغورس لبث بساموس ستين سنة، وصافر إلى أنطاليا، ثم توجه منها إلى قرطونيا، فأقام بها ثمانين سنين وأنه لما هاج عليه بها ذلك الهيج رحل فيها إلى ماطر بوطيون، فمكث بها خمس سنين، وتوفي، وكان غذاؤه

(1) سماعته وصديقه : «كذاء في داء» ولمل في ذلك تصحيف من الناسخ . وإخال الصواب : (فصار سماعه وأصدقاه) . (المحقق) .

(2) «كذاء في داء»، والصواب : ملكاً . (المحقق) .

(3) أ : ح . ن . : وكانت .

علاً شهداً وعشاؤه خبزاً واحجون ويقول⁽¹⁾ نية مطبوخة ومن اضمحة كهوته
مما كان يقرب لله تعالى فلما أن رأس على الهياكل وصار رئيس الكهنة جعل
يتغذى بالأغذية غير المجوعة وغير المعطشة، وكان إذا ورد عليه وارد لسمع
كلامه يكلمه على أحد وجهين: إما بالاحتجاج الدرسي وإما بالموعظة
والمشورة، وكان يعلمه شكل درجتين.

وحضره سفر إلى بعض الأماكن فأراد أن يؤنس أصحابه بنفسه قبل فراقهم
في بيت رجل يقال له دسلون⁽²⁾ فبينما هم في البيت مجتمعون إذ هجم عليهم
رجل من أهل فرونوطونيا اسمه قلون، وكان له شرف وحسب ومال عظيم،
وكان يستطيل بذلك على الناس، ويتمرد عليهم، ويقترب بالجود، وكان قد
دخل على فيثاغورس وجعل يمدح نفسه، فزجره بين جلسائه، فإشار إليه
بإكتساب من خلاص نفسه، فاشتد غيظ قلون عليه وجمع أخصائه وقذف
فيثاغورس عندهم ونسبه إلى الكفر ووافقه على قتله وأصحابه.

ولما هجم عليهم قتل منهم أربعين إنساناً، وهرب باقيهم، فمنهم من أدرك
وقُتل ومنهم من أفل واختفى، ودامت السعاية بهم والطلب لهم، وخافوا على
فيثاغورس القتل فأفروا له قوماً واحتالوا له حتى أخرجوه بالليل، ووجهوا معه
بعضهم حتى أوصلوه إلى قاومونيا، ومن هناك إلى القارص.

فانتهت البشاعة فيه إلى أهل المدينة فوجهوا إليه مشايخ منهم، فقالوا له:
أما أنت يا فيثاغورس فحكيم فيما نرى، فأما البشاعة عنك فسيجة جداً لكننا
ما نجد في نوايسنا ما يلزمك القتل ونحن متمسكون بشرائعتنا فخذ بنا
ضيافتك ونفقه طريقك وارتحل عن بلدنا بسلام، فرحل منها إلى فارقرطا
فجاءه هنالك قوم من أهل فاروطينيا فكادوا أن يحتضوه وأصحابه فرحل إلى

(1) وكذا في واه، والصواب: بقولاً (المحقق).

(2) أ. ح. ن. : دسلون.

مَقْطَابُوطِيُون وَتَكَاثَرَتْ الْهَيُوجُ عَلَيْهِ فِي الْبِلَادِ حَتَّى كَانَ يَذْكُرُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ
تِلْكَ الْبِلَادِ سَنِينَ كَثِيرَةً.

ثُمَّ انْحَاذَ إِلَى هَيْكَلِ الْمُسَمَّى هَيْكَلِ الْمَوْسِينَ فَتَحَصَّنَ فِيهِ وَأَصْحَابُهُ
وَلَبِثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَلَمْ يَتَعَدَّوْا، فَضَرَبُوا الْهَيْكَلِ الَّذِي كَانَ فِيهِ النَّارَ، فَلَمَّا
أَحْسَنَ أَصْحَابُهُ ذَلِكَ عَمَدُوا إِلَيْهِ، فَجَعَلُوهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَاحْدَقُوا بِهِ لِقَوِّهِ النَّارَ
بِأَجْسَادِهِمْ، فَعِنْدَمَا احْتَدَمَتِ النَّارُ فِي الْهَيْكَلِ وَاشْتَدَّ لَهْيُهَا غَشِيَ عَلَى
الْحَكِيمِ مِنْ لَهَبِ حَرَارَتِهَا وَمِنْ الْجَوْرِ فَسَقَطَ مَيِّتًا.

ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْأَقَّةَ عَمَّتْهُمْ أَجْمَعِينَ فَأَحْرَقُوا كُلَّهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ مَوْتِهِمْ.
وَذَكَرُوا أَنَّهُ صُنِفَ مَائَتِينَ وَثَمَانِينَ كِتَابًا، وَخَلَفَ مِنَ التَّلَامِيذِ خَلْقًا كَثِيرًا، وَكَانَ
نَقْشُ خَاتَمِهِ: شَرُّ لَا يَدُومُ خَيْرٌ مِنْ خَيْرٍ لَا يَدُومُ؛ أَيُّ شَرٍّ يُنْتَظَرُ زَوَالُهُ أَلَدُ مِنْ
خَيْرٍ يُنْتَظَرُ زَوَالُهُ، وَعَلَى مَنْطِقَتَيْهِ: الْعَصْمَةُ سَلَامَةٌ مِنَ النَّدَامَةِ.

أَمَّا الْغِذَاءُ الْغَيْرُ^(١) الْمَجْجُوعُ فَكَانَ يَنْجَذُهُ مِنْ بَزْرِ سَقَوِيُون، وَسَمِمْ
وَقَشْرَاسِقَالِ مَقْسُولٍ جَيِّدٍ حَتَّى سَامِلَى وَاسَارَ مَعُولٍ وَأَسْفُودَاتُوتِ الْعَبِّ طَوَالَ
وَحَمَصٍ وَشَعِيرٍ، مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ جِزْءٌ بِالتَّحْرِيرِ كَانَ يَسْحَقُهَا وَيَعْجُنُهَا بِجَنْسٍ مِنْ
الْعَمَلِ يَسْمَى لِمَطْيُو.

وَقَالَ: وَأَمَّا غَيْرُ الْمَعْطَشِ فَكَانَ يُهَيِّئُهُ مِنْ بَزْرِ الْقَثَاءِ وَزَبِيبِ سَمِينٍ مَنْزُوعٍ
الْمَعْجَمِ وَزَهْرِ فَرِينُوتٍ وَبَزْرِ طُونِخِيَا وَبَزْرِ لُوفِيَا وَأَنْدَرَاغِينِ وَنَوْعٍ مِنَ الْخَبِزِ يَدْعَى
قِيلَ طَامُوسُ وَدَقِيقُ أَوَاوَلِيسَ، وَكَانَ يَعْجُنُهَا بِعَمَلِ جَانُونٍ، وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ
فَوْقَ عَالَمِ الطَّبِيعَةِ عَالَمًا نَوْرَانِيًّا لَا يَدْرُكُ الْعَقْلُ حَسَنَهُ وَبِهَاءَهُ، إِلَيْهِ تَشْتَأِقُ
الْأَنْفُسُ الزُّكِّيَّةُ وَكُلُّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا فَوْقَهُ
كَالتَّقَلُّلِ لَهُ، وَأَيَّمَا إِنْسَانٍ أَحْسَنَ تَقْوِيمَ نَفْسِهِ مِنَ التَّبَرُّؤِ مِنَ الْعَجَبِ وَالتَّجْبِيرِ
وَالْمَرَاةِ وَالْحَسَدِ وَغَيْرِهَا مِنَ الشَّهَوَاتِ الْجَسْمِيَّةِ فَقَدْ صَارَ مُسْتَاهِلًا لِأَنْ يَصِيرَ
فِي أَعْلَى أَقْسَامِهَا، فَيُطْلَعُ عَلَى جَمِيعِ مَا فِي جَوَاهِرِ الْعَالَمِ مِنَ الْحِكْمَةِ
الْإِلَهِيَّةِ، وَمَتَى سَعِدَ بِذَلِكَ فَقَدْ نَالَ السُّرُورَ الْحَقَّ وَالْعَزَّ الْحَقَّ، وَكُلُّ نَفْسٍ

(١) (كَلَا) فِي هَاهُ وَحْدَهُ أَنْ يَقُولَ: غَيْرِ.

كانت شريعة دنسة فإنها تبقى في هذه الأرض المحاطة باللهب، ويصيرُ السماءُ لِلْأَنْفُسِ الرُّبُوبِيَّةِ كالأرضِ، ويصيرُ سماءُهم سماءُ نُورِيَّةٍ أَشْرَفَ مِنْ هذه، وهناك الحسنُ المحضُ واللذةُ المحضةُ.

وكان فيثاغورس من العلماء الزهاد من مريوس.

وأما كتبُ فيثاغورس فماتانِ وثمانونَ كتاباً، وكانت سَلِمَتْ لكونها كانت مخزونةً بأنطاليا، ويقال كان عهدُ فيثاغورس في الوقت الذي سُبِيَ فيه بنو إسرائيل إلى بابل في سنة سبعٍ وأربعينَ من السبي.

وقال فيثاغورس إنَّ الباري تعالى واحدٌ لا كالأحادِ، ولا يدخلُ في العددِ ولا يدركُ من جهةِ العقلِ والنفسِ والفكرِ العقلي ولا المنطقِ النفسي بصفةٍ، فهو فوق الصفاتِ العقليةِ غيرَ مدركٍ من نحو ذاته وإنما يدركُ بآثارِهِ وصنائعِهِ وأفعاله، فكلُّ عالمٍ من العوالمِ مدركُهُ بقدرِ الآثارِ الظاهرةِ فيه، فيصفهُ بذلك القدرِ الذي خَصَّهُ من صنعه، فالموجودات في العالمِ الرُّوحانيِّ خُصَّتْ بآثارِهِ خاصةً روحانيةً فتتعتة من حيث تلك الآثارِ، والموجودات في العالمِ الجسمانيِّ خُصَّتْ بآثارِ، خاصةً جسمانيةً وتتعتة من حيث تلك الآثارِ، ولا شكُّ أنَّ هدايةَ الحيوانِ مقدَّرةٌ على الآثارِ التي حيلَ عليها، وهدايةُ الإنسانِ مقدَّرةٌ على الآثارِ التي فُطِرَ عليها، وكلُّ بصفةٍ من نحو ذاته وتقديسه عن خصائص صفاته.

قال: والوَحدةُ تنقسم إلى وحدةٍ غيرِ مستفادَةٍ من الغيرِ كوحدةِ الباري تعالى وهي وحدةُ الإحاطةِ بكلِّ شيءٍ، ووحدةُ الحكمِ على كلِّ شيءٍ، وهي وحدةُ تصدر عنها الأحادُ في الموجوداتِ، والكثرة منها وأبُو وحدةٍ مستفادَةٍ من الغيرِ كوحدةِ المخلوقاتِ وربما قال: الوحدةُ مطلقاً تنقسم إلى: وحدةٍ قبلِ الدَّهرِ، ووحدةٍ معِ الدَّهرِ، ووحدةٍ بعدِ الدَّهرِ وقبلِ الزمانِ، ووحدةٍ معِ الزمانِ، فالأولى وحدةُ الباري تعالى، والثانيةُ وحدةُ العقلِ الأولِ، والثالثةُ وحدةُ النفسِ، والرابعةُ وحدةُ العناصرِ والمركباتِ، وربما قال: الوحدةُ إما بالذاتِ كوحدةِ الباري تعالى أو بالعرضِ كوحدةِ المخلوقاتِ.

- آدابُ فيثاغورس ومَواعِظُهُ

قال لما كان بدءُ وجودنا وخلقَتْنَا مِنِ الله سبحانه هكذا، ينبغي أن تكون نفوسُنا منصرفةً إلى الله تعالى .

وقال: إِنَّ أُخْبِتَ أَنْ تَعْرِفَ الله سبحانه فلا تصرف عنايةك إلى معرفة الناس، فإنَّه قد يمكنك أن تعرف الله باليسير من الكلم⁽¹⁾.

وقال ليس المتقدمُ عند الله سبحانه لسانَ الحكيمِ بالتَّكْرَمَةِ بل أفعالهُ.

وقال: الْحِكْمَةُ لِلَّهِ تَعَالَى خَاصَّةٌ فَمَحَبَّتُهَا مُتَّصِلَةٌ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ عَمِلَ بِمَحَابِبِهِ، وَمَنْ عَمِلَ بِمَحَابِبِهِ قَرَّبَ مِنْهُ، وَمَنْ قَرَّبَ مِنْهُ نَجَا وَفَازَ.

وقال: ليس الضُّحَايا والهُدَايا والقَرَابِينُ بِكَرَامَاتِ اللَّهِ تَعَالَى . لَكِنَّ الْإِعْتِقَادَ الَّذِي يَلْبِغُ بِهِ هُوَ الَّذِي يَكْتَفِي بِهِ فِي تَكْرِمَتِهِ.

وقال: الْأَفْعَالُ الْكَثِيرَةُ فِي اللَّهِ سَبَّحَانَهُ عِلَامَةٌ تَقْصِيرِ الْإِنْسَانِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، فَإِذَا خَطَرَ بِبَالِكَ فِي كُلِّ وَقْتٍ شُغْلٌ فِيهِ أَحَدُ أَعْمَالِ الْجِسْمِ أَوْ النَّفْسِ قَرُبُ اللَّهِ تَعَالَى الْمَشَاهِدُ لِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ وَالْأَفْكَارِ فَإِنَّكَ بِسُرْعَةٍ تَسْتَحِي مِمَّنْ لَا نَفْوَتُهُ رُؤْيَا شَيْءٍ، وَهَذَا يَكُونُ إِذَا كَانَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى اعْتِمَادُكَ.

وقال: أَحْضُ بِالْأَشْيَاءِ الْجَلِيلَةِ النَّفْسَ بِالْفِعْلِ لَا بِالْقَوْلِ حَتَّى يَكُونَ كَمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ مَنْ وَلَهُ خَلْقُنَا.

وقال: الْإِنْسَانُ الْحَكِيمُ الْمَر_اقِبُ لِلَّهِ سَبَّحَانَهُ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَعْرُوفٌ فَلِهَذَا لَا يَنْدَمُ مَتَى لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ.

وقال: ليس في الأرضِ موضعٌ أُولَى بِهِ مِنَ النَّفْسِ الطَّاهِرَةِ.

(1) أ: ح. ن. : العلم.

وقال: ما أنفع للإنسان أن يتكلم بالأشياء الجليلة النفيسة فإن لم يمكنه فليستمع قائلها.

وقال: احذر أن تتركب قبيحاً من الأمر لا في خلوة ولا مع غيرك، وليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد.

وقال: ليكن قصدك في المال اكتسابه من حلال وانفاقه في مثله، وقال إذا سمعت كذباً فهوّن على نفسك الصبر عليه.

وقال: رُو قبل الفعل كيما لا تعاب في فعلك. وقال: لا ينبغي لك أن تهمل أمر صحّة بدنك، لكن تعنى بالقصد في الطعام والشراب والنكاح والرياضة.

وقال: احذر أن تفعل ما يجلب عليك التحسر.

وقال: لا تكن متلافاً بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده، ولا تكن شحيحاً فتخرج عن الحرية بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها.

وقال: كن متيقظاً في آرائك أيام حياتك فإن شتات الرأي مشارك للموت في الجنس.

وقال: ما لا تفعله احذر أن تخطره ببالك.

وقال: لا تطمع من الشرير أن يُحسن إليك لأن تدبير كل إنسان لنفسه، ومنحته لغيره هو بحسب ما يعقد عليه فكره وضميره.

وقال: لسان الرجل المتحرّص غير المرتاض وصلواته وضحاياه نجاسة عند الله عز وجل.

وقال: معاتب الإنسان نفسه أنفع من عتابه لأصحابه.

وقال: الرأد الذي يصلح للحياة الصالحة أن لا يبسي الإنسان مصاحبه.

وقال: لن يمكن بالتغافل الوصول إلى الموجودات على الحقيقة.

وقال: ظن بمن كان عديماً للمعرفة أن مديحه وإمساكه وهجاءه أهل أن

تضحك منه ، فحياة مَنْ لا عِلْمَ معه عارٌ .

وقال : وَظَنَّ بمعاضديكَ على الحكمةِ النافعةِ إِنْهُمْ إخوانُكَ .

وقال : الحاكمُ الذي لا يعدلُ في قضائه أهلٌ لكلِّ رداءةٍ .

وقال : لا تُدْنَسْ لسانُكَ بالقذْفِ ولا تصغِرْ بأذنيكَ إلى مثلِ ذلك .

وقال : اجعل عقلَكَ المستولي على جميعِ تدبيراتِ حياتِكَ ، فرقةً العاقلِ مجانسةً للموتِ .

وقال : عسرُ على الإنسانُ أن يكونَ حرّاً وهو ينصاعُ للأفعالِ القبيحةِ الجاريةِ مجرى العادةِ .

وقال : ليس ينبغي للإنسان أن يطلبَ القنيةَ العاليةَ والأبنيةَ المشيدةَ العاليةَ لأنها من بعد موتِهِ تبقى على حدودِ طباعِها ويتصرفُ غيره فيها ، لكن يطلبَ من القنيةِ ما ينفعه بعدِ المفارقةِ والتصرفِ فيها .

وقال : مِنَ الأحمدِ للإنسانِ أن يحيا وهو على سريرٍ من خشبٍ وهو حسنُ التوكلِ على الله عزَّ وجلَّ ، خيرٌ من أن يكونَ على سريرٍ من ذهبٍ وهو متشكِّكٌ في الله عزَّ وجلَّ .

وقال : الحكيمُ إذا خرجَ على غيرِ الصوابِ فهو سببُ جميعِ الشرورِ .

وقال : اخترْ أن تكونَ متحرِّكاً في نفسك لا في جسدِكَ فتكونَ أرباحاً أرباحاً نفسيةً لا جسميةً .

وقال : الاشكالُ المزخرفةُ والأمورُ المموَّهةُ في أقصرِ الأزمانِ تبهرُجُ .

وقال : (عدمُ الفلاحِ ليس وإنما يضرُّ فاعليه فحسبُ ، ولكن وبالأذنين يتصلَّونَ الفاعلينَ له) ^(١) .

(1) «كذاه» وردت في «أ» العبارات الموضوعة ما بين قوسين .

وقال: اعتقد أن أسْ مخافةَ الله تعالى الرحمة.

وقال: إذا رُمْتَ اذْيَةُ غيرِكَ فتصور أنك لا تخلص من اذْيَتِهِ.

وقال: وطَّن نفسك على قبول ما يردُّ عليك بالمستقبل من الأمور التي تسوء وتسُرُّ وخاصةً التي تسوء بورودها في كلِّ يومٍ.

وقال: واجبٌ عليك أن تبعد من جميع زخارفِ العالم المضلِّلةِ المكذِّرةِ للفكرِ.

وقال: لا تساعدنْ عينيك للنُّومِ قبل أن تتصفَّحَ الأفعال التي فعلتها في نهارك فتقف على الموضع الذي زللت فيه عما ينبغي أن كنت زللت، وعلى ما فعلته ممَّا كان ينبغي أن لا تفعله، وعلى ما كان ينبغي أن تفعله فلم تفعله، ومتى كنت قد أتيتْ مكروهاً فليُدْعِرْنُكَ، ومتى كنت قد أتيتْ رضاً فليبهجْنُكَ، فإنَّ ذلك يُوطئُ لك ما يُقربُكَ إلى الفضيلةِ الإلهيَّةِ، أي والذي ذهب لأنفسينا الينبوع ذي الأربع من الطبيعة التي لا تتغيَّرُ.

وقال: التمسْتِ فعلاً من الأفعالِ، فابدأ إلى ربِّكَ عزَّ وجلَّ بالابتغالِ فانجح فيه.

وقال: أعطِ من مالك الفضلاء والناس الضعفاء، فالذي لا يعطي الأخيار حاجاتهم لا تتأثي له من الله تعالى حاجاته.

وقال: الإنسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح أن يكون صديقاً وخيلاً، احذر أن تجعله لك عدوًّا.

وقال: لاتعدَّ حرّاً من لا يتمكَّن من ضبط نفسه.

وقال: اجعل اختيارك للإنسان من أفعاله خصوصاً من أقواله، فإن كثيراً من الناس تدبيراتهم رديئةٌ، وأقوالهم شديدةٌ، وأفعالهم خبيثةٌ، وأقوالهم جميلةٌ.

وقال: علِّموا أولاد الفلاسفة الأعداد والأشكال، ليعرفوا من الأعداد كيف

انحراف الأشكال وخروجها من الاستقامة، ولأجله كان أفلاطون ينادي لا يدخل في الفلسفة شاب لا يعرف التعاليم الأربعة.

وقال إذا أردت أن يطيب عيشك فارض من الناس أن يقولوا إنك عديم عقل بدلاً من قولهم إنك عاقل.

وقال: إذا فعلت الخير ثم فارت هذا البدن كنت سائحاً في الملكوت غير عائد إلى الأنسية ولا قابلاً للموت. وقال ما أحسن الإنسان أن لا يخطيء، وإن أخطأ فما أكثر انتفاعه بأن يكون عالمًا بأنه أخطأ، ويحرص في أن لا يعاود وقال من جرت عادته بأذيتك لا تستنم إليه في حكمك.

وقال: الخمر عدو النفس، رابط ومانع لها عن تصرفاتها، مَقْوٍ للجسم، مُنْهَضٌ له، ويجري مجرى إلقاء نارٍ على نارٍ.

وقال: من الواجب على الإنسان أن يكون طائعاً لسلطانه وجيشه، فهذا ليس يكون مطلقاً، لكن إلى الحد الذي يقتضي شروط الحرية.

وقال: لا تكشِفَنَّ أحداً سرق من فاقة، فالسارق فاقته لا هو.

وقال: إذا وعظت مذنباً فبرقي لئلا يخرج إلى المكاشفة.

وقال: التقلب في الأمصار، ومشاهدة الصناعات يزيد الرجال أدباً وحكمة.

وقيل له: أي شيء في غاية المفسدة للإنسان؟ فقال: فضل المال.

وقال: شرف النفس أن تقبل النفس النعم والمكارة قبولاً واحداً.

وقال له رجل: من أشقى الناس؟ فقال: من يجمع لغيره.

قيل له: من صديقك؟ فقال: من لا يغضب من الحق إذا سمعه.

قيل له: أي الناس أولى بالمغادرة؟ قال: أنقصهم ذنباً.

قيل له: فأيهم ذلك؟ فقال: أكملهم عقلاً، وأوفرهم عملاً بالواجب.

وقال: حفظ ما في يدك أولى من التماس ما ليس عندك.

وقال: أَرَبِعَةٌ مِنَ الْبِرِّ: كتمان الفاقةِ والمصيبةِ والوجعِ، والصُّبرُ عند المماتِ.

قال: من منع المالَ مِنَ الحمدي ورثه من لا يحمله.

وقال: أَتَكْذُ الْعَيْشَ عَيْشُ الْحَسْرَةِ. وسأله إنسانٌ نحيفٌ أن يُقِيمَ عنده، فقال: عقلك يُضَادُّ من ينفعك، فلا تطمعن أن أُقِيمَ عندك لشيءٍ أَمْرَضَ بمرضك.

وقال: الأصْلَحُ لِلْإِنْسَانِ أن يموتَ من أن يجعل نفسه مظلومةً بالجهل والكسل.

وقال: لا يَصُدُّكَ عَنِ الْأَعْمَالِ الْجَمِيلَةِ سُوءُ سِيرَةِ الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ لِلنِّعْمَةِ.

وقال: أَذْكَرُ نَفْسِكَ، فكل الناسَ إِنَّمَا خُلِقُوا لِلذُّكْرِ وَالْفِكْرِ الْفَاضِلَةِ، وَالْقَلِيلُ مِنْهُمْ يَلِغُ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ الْعُلْيَا وَيَتَمَكَّنُ مِنَ الصَّبْرِ عَلَيْهَا.

وقال: النَّفْسُ الطَّاهِرَةُ الْمُتَالِهَةُ لَا طَرِيقَ إِلَى أَنْ يَوَافِقَهَا شَيْءٌ مِنْ مَوَاصِلِ الْأَرْضِيَّاتِ.

قال: مَنْ جَعَلَ جَمِيعَ زَمَانِهِ مَصْرُوفًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ، فَرَجَاؤُهُ يَنْبَغِي دَائِمًا⁽¹⁾ لِلَّهِ وَمَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. فقال أفرخُ بمن يعيبُكَ لَا يَمَنْ يَزْهُو لَكَ.

وقال: لِتَضْرَضَ أَنْ لَا تَجْعَلَ لِلْعَدَاوَةِ طَرِيقًا إِلَى النُّمُوِّ. وقال: مَتَى أَسَاءَ بِكَ إِنْسَانٌ قَلِيلًا فَلَا تُسَى بِهِ كَثِيرًا.

وقال: إِذَا أَخْطَأَ عَلَيْكَ صَدِيقُكَ فَسَهِّلْ عَلَيْكَ احْتِمَالَهُ وَالْإِغْتِفَارَ لَهُ.

وقال: احْرَضْ أَنْ تَتَجَدَّدَ الْأَصْدِقَاءُ بِذَاتِكَ لَا بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَمْلِكُهَا.

وقال: الْأَخْلَقُ بِالْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَفْعَلَ مَا يَرِيدُ لَكِنْ مَا يَنْبَغِي.

وقال: يَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفَ الْوَقْتَ الَّذِي يَحْسُنُ فِيهِ الْكَلَامُ وَالْوَقْتُ الَّذِي يَحْسُنُ فِيهِ السَّكُوتُ.

(1) أ: ح. ن: أن يكون.

وقال: مَنْ لَمْ تَقْهَرْ نَفْسُهُ جَسَدَهُ فَإِنَّمَا جَسَدُهُ قَبْرٌ لِنَفْسِهِ.

وقال: الحرُّ الذي لَا يُضَيِّعُ حُرْفًا مِنْ حُرُوفِ النَّفْسِ لَشَهْوَةٍ مِنْ شَهَوَاتِ الطَّبِيعَةِ.

وقال: غَايَةُ الْإِسْتَوَاءِ وَالْإِعْتِدَالِ اسْتَوَاءُ الْكَمِّ مَعَ الْكَيفِ. وقال: جَرَّدَ الْعَقْلَ مِنَ الْهَوَى يَظْهَرُ صَدَقَ الْمَعَامِلَةِ.

وقال: إِنْ لَمْ تَقْدِّمْ حَسْنَ الظَّنِّ فِي كُلِّ مَا تَطَالَبُ مِنَ الْمَحْمُودَاتِ لَمْ تَلْتَذْ بِالشَّيْءِ الْمَطْلُوبِ وَإِنْ تَمَ كَذَلِكَ، يَجِبُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَقْدِّمَ سُوءَ الظَّنِّ فِي الْمَذْمُومَاتِ.

وقال: بِقَدْرِ مَا تَطَلَّبْتَ تَعْلَمَ وَبِقَدْرِ مَا تَعْلَمَ تَطْلُبُ.

وقال ليس من شرائطِ الحكيم أن لا يضجر ولكن يضجر بوزن.

وقيل له: مِنَ الْخَيْرِ؟ فقال: خَادِمُ الْخَيْرِ.

وقال: لَيْسَ الْحَكِيمُ مَنْ حُمِلَ عَلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يَطِيقُ فَصَبِرَ وَاحْتَمَلَ، وَلَكِنْ الْحَكِيمُ مَنْ حُمِلَ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَحْتَمِلُ الطَّبِيعَةُ فَصَبِرَ.

وقال: الطَّبِيبُ هُوَ مَنْ لَمْ يَدْعُ بِدَنِهِ سَقِيمًا لَيْسَ مِنْ عَالِجٍ غَيْرِهِ، يَعْنِي مَنْ صَانَ نَفْسَهُ عَنِ الْقَبَائِحِ وَفَعَلَ الْفَضَائِلَ لَيْسَ مِنْ وَصَفٍ وَثَنَى وَتَرَكَ نَفْسَهُ.

وقال: الدُّنْيَا دُولٌ، مَرَّةٌ لَكَ وَمَرَّةٌ عَلَيْكَ، فَإِذَا تَوَلَّيْتَ فَأَحْسِنْ وَإِذَا تَوَلَّوْكَ فَلَنْ.

وكان يقول: إِنْ أَكْثَرَ الْأَفَاتِ لَا يَعْرِضُ لِلْحَيَوَانَاتِ لَعْدِمِهَا الْكَلَامَ وَتَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ مِنْ قَبْلِ الْكَلَامِ.

وكان يقول: مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمْنَعَ نَفْسَهُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ لَا يَنْزِلَ بِهِ الْمَكْرُوهُ كَمَا يَنْزِلُ بِغَيْرِهِ: الْعَجَلَةُ وَاللَّجَاجَةُ وَالْعُجْبُ وَالتَّوَانِي، فَأَمَّا ثَمَرَةُ الْعَجَلَةِ فَالْتَدَامَةُ، وَاللَّجَاجَةُ ثَمَرُهَا الْحَيْرَةُ، وَثَمَرَةُ الْعُجْبِ الْبُغْضَةُ، وَثَمَرَةُ التَّوَانِي الذِّلَّةُ.

ونظر إلى رجلٍ عليه ثيابٌ فاخرةٌ يتكلمٌ ويلحنُ في كلامِهِ فقال له : إِمَّا أَنْ تَتَكَلَّمَ كَلَامًا يُشْبِهُ لِبَاسَكَ أَوْ تَلْبَسَ لِبَاسًا يُشْبِهُ كَلَامَكَ .

وسأله ملكٌ سَقِيلِيَّةٌ أَنْ يُقِيمَ عندهُ ، فقال له : إِنْ عَقَلَكَ يَضَادُ مَا يَفْعَلُكَ ، وَيَقَاوُكَ يَقْلَعُ أَسَاسَكَ فَلَا تَطْمَعَنَّ إِذَا فِي مَقَامٍ فَيَتَأَغْوِرْسَ عِنْدَكَ ، فَإِنَّ الْأَطْبَاءَ لَا يَضْمَنُونَ أَنْ يَمْرُضُوا مَعَ الْمَرْضَى .

وقال لِتَلَامِيذِهِ : لَا تَطْلُبُوا مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ بِحَسَبِ مَحَبَّتِكُمْ ، وَلَكِنْ أَحْبُوا مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا هِيَ مُحِبَّةٌ فِي أَنْفُسِهَا .

وقال لِأَخِيهِ : إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ لَا يُخْطِئَ ابْنُكَ وَلَا عَبْدُكَ فَقَدْ طَلَبْتَ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنِ الطَّبْعِ .

وقال يَنْبَغِي لِلخَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ بِكَلَامِهِ مَا هُوَ مُتَطَوِّرٌ عَلَيْهِ ، وَيَظْهَرُ بِأَفْعَالِهِ صِدْقُ قَوْلِهِ .

وقال لِبَعْضِ تَلَامِيذِهِ - وَكَانَ مُعْجَبًا - : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْظُمَ مُحَاسِنُكَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ فَلَا تَعْظُمَنَّ فِي عَيْنِكَ .

وقيل له : فَلَاَنْ مَسِيءٌ بِالْقَوْلِ فَيْكُ ، فَقَالَ : حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ جَهْلُهُ بِالْقَوْلِ الْحَسَنِ .

وقال : لَا تَعْجَبْ مِنَ الْبَلَاءِ الشَّدِيدِ إِذَا نَزَلَ بِإِنْسَانٍ كَيْفَ يَأْتِمُ لَهُ ، وَلَكِنْ ائْجَبْ مِنَ الصَّبْرِ كَيْفَ يَحْتَمِلُهُ .

وقال : الْإِنْسَانُ الْحَكِيمُ يَعْنِي بِنَفْسِهِ كَعْنَايَةِ غَيْرِهِ بِجَسَمِهِ .

وقال : النَّفْسُ بِحُلُولِهَا بَيْنَ الْأَخْيَارِ فِي اللَّذَاتِ وَالنُّعْمِ وَبَيْنَ الْأَشْرَارِ فِي الْأَحْزَانِ وَالْغَمِّ (١) .

وقال : اتَّخِذْ أَخَذِي الْحَقَّ بِقَبُولِ أَصْدِقَاءِ الْمُتَمَتِّعِينَ أَغْدَاءَ .

(١) أ. ح. ن. : وقال لك أن تلتف بالإنسان . وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَسْتَكْرِهَ .

وقال: الاخْلَقُ بِالْإِنْسَانِ. أَنْ يَفْعَلَ مَا يَنْبَغِي لَا مَا يَشْتَهِي.

وقال اصبرْ على التَّوَابِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُتَلَمَّرَ بِكَ، اطلُبْ مداوئَهَا بِقُدْرِ مَا تَطِيقُ.

وقال: إِذَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ جَيِّدُهُ وَرَدِيئُهُ فَلَا تَمْتَعْضَنَّ مِنْهُ، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ الْاِمْتِنَاعَ مِنْ اسْتِمَاعِهِ، فَإِنْ سَمِعْتَ كَذِباً فَهَوِّنْ عَلَى نَفْسِكَ الصَّبْرَ عَلَيْهِ.

وقال: اسْتَعْمِلِ الْفِكْرَ قَبْلَ الْعَمَلِ.

وقال: كَمَا إِنَّ الْمَرِيضَ إِذَا لَمْ يَصْدُقْ فِي صِفَةِ دَائِهِ لِلطَّبِيبِ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى عِلَاجِهِ، كَذَلِكَ الْمَرْءُ أَيْضاً إِذَا لَمْ يَصْلُقْ نَفْسَهُ بِمَا لَهُ وَعَلَيْهِ لَمْ تَصِحَّ لَهُ مَوَدَّاتُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ.

وقال: كَثْرَةُ الْعَدُوِّ يُقِلُّ الْهُدُو.

وكانَ فَيَئَاغُورُسُ إِذَا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ أَوْصَاهُمْ بِهَذِهِ السَّنَجِ وَصَايَا: قَوُّمُوا مَوَازِينَكُمْ وَاعْرِضُوا أَوْزَانَهَا، عَدِّلُوا الْخَطَأَ تَصْحِبْكُمْ السَّلَامَةَ، لَا تَشْعِلُوا النَّارَ حَيْثُ تَرَوْنَ السُّكَيْنَ تَقْطَعْ، عَدِّلُوا شَهَوَاتِكُمْ تَسْتَدْعُوا الصُّحَّةَ اسْتَعْمِلُوا الْعَدْلَ تَحْطُ بِكُمْ الْمَحَبَّةُ، عَامِلُوا الزَّمَانَ كَالْوَلَاةِ الَّذِينَ يُسْتَعْمَلُونَ عَلَيْكُمْ وَيُقْرَلُونَ عَنْكُمْ.

ذُكِرَ الْمَالُ عِنْدَهُ، وَمُدِخٌ، فَقَالَ^(١): وَمَا حَاجَتِي إِلَى مَا يُعْطِيهِ الْحَظُّ، وَيَحْفَظُهُ اللَّوْمُ، وَيُهْلِكُهُ السُّخَاءُ.

وقيل له: مَا أَصْعَبُ الْأَشْيَاءُ عَلَى الْإِنْسَانِ؟

قال: أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ الْأَسْرَارَ.

وقال: - وَقَدْ نَظَرَ إِلَى شَيْخٍ يُحِبُّ النَّظَرَ فِي الْعِلْمِ وَيَسْتَجِي أَنْ يُرَى

(1) أ. ح. ن.: لَا تَرَفُوا أَبْدَانَكُمْ فِيهِ أَنْفُسَكُمْ فَتَقْدُومَا فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِدِ إِذَا رَدَّتْ عَلَيْكُمْ.

مُتَعَلِّمًا - يا هذا، لا تستحي⁽¹⁾ أن تكونَ في آخرِ عمرِكَ أَفْضَلَ مِنْكَ فِي أَوَّلِهِ.

وقال: أنكى لعدوك أن لا تُربِّه أنك مُتَّخِذُهُ عَدُوًّا.

وقال: سبيلُ الملكِ الحازِمِ أن يتعاهدَ⁽²⁾ مُلْكَهُ ورعيتهُ كتمهيدِ صاحبِ البستانِ بُستانَهُ.

وقال: سبيلُ الملكِ أَوَّلُ ما يَبْدَأُ بِهِ إظهارُ السُّنَنِ الجاريةِ، وإقامةُ الأمورِ اللازمةِ للرُّعيَّةِ، وأخذُ الحدودِ مِنْ أَهْلِهَا بحسبِ ما يستحقُّ كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ، وأن يقهرَ نفسه عَمَّا تَنَازَعَهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ، وإن احتاجَ مع أعوانِهِ إلى زيادةِ أعوانٍ فليجمعَ إِلَيْهِمُ النَّاصِحِينَ النَّاصِرِينَ لِلدِّينِ، اللَّازِمِينَ الشَّرَائِعَ وَالسُّنَنَ.

وقال: سبيلُ الملكِ أن يحذَرَ الإعجابَ والانفرادَ بِرَأْيِهِ، وكثرةَ الصُّبَدِ وانفرادِهِ فِيهِ عَنْ عَسْكَرِهِ، وَلِيَحْذَرَ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقًا لَا يَعْرِفُهَا وَلَا طَرِيقًا فِيهَا ضَيْقٌ، وَلِيَحْذَرَ الرُّكُوبَ فِي ظُلُمَةِ اللَّيْلِ، وإذا سارَ موكِبُهُ فَلْيَكُ ثَابِتًا عَلَى ذَاتِهِ حَسَنَ الرُّكْبَةِ، طَلَّقَ الْوَجْهَ، يَرْمُقُ النَّاسَ بِعَيْنَيْهِ، وَيَرُدُّ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ بِيَدِهِ. مُسْتَبْشِرًا بِهِمْ، فَإِنَّ الْعْيُونَ إِلَيْهِ كَثِيرَةٌ مِنَ الرُّعْيَةِ.

ولا يَدْخُلُ إِلَى نِسَائِهِ مِنَ النِّسَاءِ الْخَادِمَاتِ لَهُنَّ إِلَّا مَنْ مَضَى مِنْ أَعْمَارِهِنَّ خَمْسُونَ سَنَةً وَمَا فَوْقَهَا، وإن احتاجَ إلى رجلٍ يَكُونُ فِي خِدْمَتِهِنَّ فَلْيَكُنَّ طَاعِنًا فِي السِّنِّ قَبِيحَ الصُّورَةِ لَهُ دِينٌ وَأَمَانَةٌ، فإذا نَامَ الْمَلِكُ واشتغلَ بِشَيْءٍ مِنْ لَذَائِهِ فَلْيُوكَلِّ عَلَى حُرَاسِ فَرَائِشِهِ بِقَاتِهِ، وأمرَ بِإِفْتِقَادِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَإِنْ تَوَانَى أَحَدُهُمْ عَنْ نَوَيْتِهِ عَاقِبَتَهُ وَشَهْرَهُ وَعِزْلَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ.

وَلِيَحْذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ أَنْ يَأْكُلَ أَوْ يَشْرَبَ مِنْ يَدِ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَعِزُّنَ عَلَيْهِ أَوْ غَيْرِهِنَّ مِنْ سَائِرِ خَوَاصِهِ وَرَعِيَّتِهِ بَلْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ مَنْ يَثِقَ بِعَقْلِهِ وَدِينِهِ وَمُرُوءَتِهِ

(1) وكذا في «ه»، والصواب: لا تستح (يحذف حرف العلة).

(2) وكذا في «ه»، والصواب: يتمهد (كما يستنتج من سياق الكلام).

وَيُحِبُّ مُلْكَهُ وَدَوْلَتَهُ، كَذَلِكَ لَا يَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ لَا يَتَّقِي بِهِ، وَلَا يُلْبِسُهُ ثِيَابَهُ وَلَا يُجَيِّرُهُ إِلَّا مَنْ هُوَ بِهِذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي سَلَفَتْ وَلَا يَمْسَحُ بِمَنْدِيلٍ بَعْدَ مُجَامَعَتِهِ نِسَاءَهُ إِلَّا بَعْدَ الثَّقَةِ بِهِ.

وقال: أصحاب الشهوات البدنية مملوكون للنخواتين، وأصحاب الفضائل موافقون للعقل.

وقال: الحزير في هذا العالم من أخصى عيوبه، وضده من كان مُحصياً لفضائله.

وحضرت امرأته الوفاة في أرض غربية فجعل أصحابه يتحزنون على موتها في أرض غربية.

فقال: يامعشر الإخوان، ليس بين الموت في الغربية والوطن فرق، وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحد من جميع النواحي.

وقيل له: ما أحلى الأشياء؟ فقال: الذي يشتهي الإنسان.

وقال ليحدثنيهاون بتعليمه: أيها الحدث، إنك إن لم تُصبر على تعب التعليم صبرت على شقاء الجهل.

وقال: الرجل المحبوب عند الله هو الذي لا يدلُّ غيره لأفكاره القبيحة.

وقال: كلام الإستواء هو الطيب يجوز بقربه إلى الله جلَّ وعلاً.

وقال: الكلام في الله تعالى يجب أن تتقدمه الأعمال الذي⁽¹⁾ يرضاها الله عز وجل.

(1) وكذا في هاء، والصواب: التي. (المحقق).

11 - خبر سقراطيس الزاهد المثال الحكيم⁽¹⁾

وكان سقراط من تلاميذ فيثاغورس وأرسلاوس. ومعنى سقراط باليونانية: المعتصم بالعدل. ولقد في زمن بقم وسُم في أواخر أيامه، واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية والأخلاق، وأعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها، وانعزل إلى الجبل وأقام في غار، واشتغل في الزهد ورياضة النفس، وخالف اليونانيين في عبادتهم الأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة، فتوز العالم عليه فاضطروا ملكهم إلى قتله، فقتله بالسّم تفادياً من شرهم بعد مناظرات جرت له مع الملك، محفوظة، وله وصايا شريفة وآداب فاضلة وجكم مشهورة ومذاهب في الصفات قريية من مذاهب فيثاغورس وأنباذقليس، وله في المعاد آراء ظاهرها ضعيف، والله أعلم بأسراره، ومرموزاته.

وقال: إن الباري تعالى لم يزل هوئته فقط، وهو جوهر فقط، وإذا رجعنا إلى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا العقل والمنطق متأجراً عن اكتناء وصفه وتحقيقه وتسميته وإدراكه لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره، فهو المدرك حقاً، والواصف لكل شيء وصفاً والمسمى لكل موجود اسماً، فكيف يقدر المسمى أن يسميه، وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفاً، فيرجع فيصفه من جهة آثاره وأفعاله، وهي أسماء وصفات، إلا أنها ليست من الأسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته، مثل قولنا: الباري تعالى، واضع كل شيء وخالق أي مقدر كل شيء، وعزيز أي ممتنع أن يضام، وحكيم أي مُحَكَّم الأفعال، وكذا سائر الصفات.

وقال: إن علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا نهاية، فلا يبلغ العقل أن يصفها، ولو وصفها لكانت متناهية.

فقال له: ترى الموجودات متناهية. فقال: إن تناهيها بحسب احتمال.

(1) ابن جليل، ص: 23، الففطي، ص: 197، أصيمة، ص: 70.

الموائل لا بحسب القدرة والجود والحكمة لأن المادة لا تحتمل صوراً غير متناهية، فتناهت الصور لا من جهة بُخل الواهب بل لقصور المادة، وعن هذا اقتضت الحكمة أنها وإن تناهت ذاتاً وصوراً وحيزاً ومكاناً فغير مُتناهية زماناً، والأشخاص إن لم يُتصور بقاؤها في ذاتها إلا أنها تبقى ببقاء الأنواع، ويستبقى النوع بتجدد الأشخاص، فلا تبلغ القدرة إلى حَدِّ النهاية، ولا الحكمة تغف على غاية.

وزعم أن أخص أوصافه تعالى هو الحي القيوم، لأن العلم والقدرة والجود والحكمة تدرج تحت الحياة التي هي صفة جامعة لكل، والبقاء والسرمد والذوام وحفظ النظام في العالم يدرج تحت القيوم الذي هو صفة جامعة لكل، وهو حي ناطق من جوهره، وهما لنا⁽¹⁾ من جوهرنا، ولهذا يتطرق إلى حياتنا ونطقنا العدم والدور.

وهو ابن سُفرونيش، ومولده ومثوه بائنية، وخلف من الولد ثلاثة ذكور، ولما أُلزم التزويج على عَادَتِهِم الجارية في إلزام الأفاضل بالتزويج لِيَتَقَى نسله بينهم طلب تزويج المرأة السفيهة التي لم يكن في بلده أَسْلَطُ منها، ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها ليقدر أن يحتمل جهل العامة والخاصة.

ويلغ من تعظيمه الحكمة مبلغاً أضرب بمن بعده من مُجبي الحكمة، لأنه كان من تعظيمه الحكمة رأيه أن لا يستودع الحكمة الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلك. ويقول: الحكمة ظاهرة مقدسة غير فاسدة ولا دنيئة.

فلا ينبغي لنا أن نستودعها إلا الأنفس⁽²⁾ الحية، ونزهاها عن جلود الميتة، ونصونها عن القلوب المتمردة، فلم يُصنّف كتاباً ولا أُملى على أحد من تلامذته ما أثبت في قرطاس وإنما كان يُلقنهم علمه تلقيناً لا غير.

(1) كلمة غير مفرومة.

(2) أ: ح. ن.: القدسية.

وتعلم ذلك من استاذِهِ طَيِّمَائِيلُوسَ، فَإِنَّهُ قَالَ لَهُ فِي صَبَاحِهِ: لِمَ لَا تَدْعُنِي أَنْ
أَدُونَ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ مِنَ الْحِكْمَةِ؟

فَقَالَ لَهُ: مَا أَوْفَقَكَ بِجُلُودِ الْبَهَائِمِ^(١) وَأَزْهَكَكَ فِي الْخَوَاطِرِ الْحَيَّةِ! هَبْ أَنْ
إِنْسَانًا لِقِيكَ فِي طَرِيقِ فَسَالُكَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ شَرَفِ الْعِلْمِ هَلْ كَانَ يَحْسُنُ أَنْ
تُحِيلَهُ عَلَى الرَّجُوعِ إِلَى مَنْزِلِكَ وَالنُّظَرِ فِي كِتَابِكَ؟ فَإِنْ كَانَ لَا يَحْسُنُ فَالزَّمِ
الْحَفِظَ، فَلَزَمَهُ سَقْرَاطُ، وَكَانَ زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا قَلِيلَ الْمَبَالَاةِ فِيهَا.

وَكَانَ مِنْ رُسُومِ مُلُوكِ الْيُونَانِيِّينَ إِذَا حَارَبُوا أَخْرَجُوا حُكَمَاءَهُمْ مَعَهُمْ فِي
أَسْفَارِهِمْ فَأَخْرَجَ الْمَلِكُ مَعَهُ سَقْرَاطَ فِي سَفَرَةٍ خَرَجَ فِيهَا لِبَعْضِ مُهِمَّاتِهِ فَكَانَ
سَقْرَاطُ يَأْوِي فِي عَسْكَرِ ذَلِكَ الْمَلِكِ إِلَى جُبٍّ مَكْسُورٍ يَسْكُنُ فِيهِ مِنَ الْبَرْدِ فَإِذَا
طَلَعَتِ الشَّمْسُ خَرَجَ مِنْهُ فَجَلَسَ عَلَيْهِ يَسْتَدْفِي بِالشَّمْسِ، وَلَا جِلْدَ ذَلِكَ سُمِّيَ
سَقْرَاطُ الْجُبِّ، فَمَرُّ بِهِ الْمَلِكُ يَوْمًا وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ الْزِيرِ فَوَقَفَ عَلَيْهِ.

وَقَالَ: مَا لَنَا لَا نَرَاكَ يَا سَقْرَاطُ وَمَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْمَصِيرِ إِلَيْنَا.

فَقَالَ: الشُّغْلُ أَثِيهَا الْمَلِكُ؟ قَالَ: بِمَاذَا؟

قَالَ: بِمَا يُغَيِّمُ الْحَيَاةَ. قَالَ تَصِيرُ إِلَيْنَا فَإِنْ هَذَا لَكَ عِنْدَنَا مُعَدًّا أَبَدًا. قَالَ:
لَوْ عَلِمْتُ أَثِيهَا الْمَلِكُ أَنِّي أَجِدُ ذَلِكَ عِنْدَكَ لَمْ أَدْعُهُ. قَالَ: بَلِّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ:
إِنْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ ضَارَةٌ.

قَالَ: لَمْ أَقُلْ هَكَذَا. فَقَالَ: فَكَيْفَ قُلْتُ؟ قَالَ: قُلْتُ: إِنْ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ
نَافِعَةٌ لِلْمَلِكِ ضَارَةٌ لِسَقْرَاطَ لِأَنَّ الْمَلِكَ يُصْلِحُ بِهَا رِعِيَّتَهُ وَيُسَخِّرُ بِهَا
خَرَاجَهُ، وَسَقْرَاطُ يَعْلَمُ أَنَّهَا لَا تَضُرُّهُ وَلَا تَنْفَعُهُ، لِأَنَّهُ مُقَرَّرٌ بَأَنَّ لَهُ خَالِقًا يَرْزُقُهُ
وَيُجْزِيهِ بِمَا قَدَّمَ مِنْ شَيْءٍ وَأَحْسَنَ.

قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، تَصْرِفُ عَنَّا دَابِتَكَ عَنِّي، فَقَدْ

(١) أ: ح. ن. : المنة.

سترتنى جيوشك مِنْ ضوئِ الشمسِ . فدعا لَهُ الملكُ بكسوةٍ فاخرةٍ من ديباجٍ وغيرهٍ وبجوهرٍ ودنانيرٍ ليجبُوهُ بذلكِ .

فقال له سُقراطُ : أيُّها الملكُ وعدتْ بما يقيِّمُ الحياةَ ، وبذلتْ ما يقيِّمُ الموتَ ليس لِسُقراطُ حاجةً إلى حجارةِ الأرضِ وهشيمِ النباتِ ولُعابِ الدُّودِ ، والذي يحتاجُ إليه سُقراطُ هو معه حيثُ توجُّهُ .

وكان سُقراطُ يرمزُ في كلامِهِ مثل ما كان يفعلُ فيشاغورس ، فمن كلامِهِ المرموزِ .

قوله عندما فتُشْتُ عن علَّةِ الحياةِ أَلقيْتُ الموتَ ، وعندما وجدتُ الموتَ عرفتُ حينئِذٍ ينبغي أن أعيشَ .

قال : إِنَّ الذي يريدُ أن يحيا حياةً إلهيَّةً ينبغي أن يُميِّتَ نفسه من جميعِ الأفعالِ الحسِّيَّةِ على قدرِ القوةِ التي مُنِحَها فإنَّهُ حينئِذٍ يتهيَّأُ له أن يعيشَ حياةَ الحقِّ .

وقال : تكلِّمُ بالليلِ حيثُ لا تكونُ أعشاشُ الخفافيشِ ، أي ينبغي أن يكونَ كلامُكَ عند خلوتِكَ لنفسِكَ وأنْ تجمعَ فكركَ وتمنعَ نفسك أن تطلعَ في شيءٍ مِنْ أمورِ الهَيولَاتِ . وقال : صُدَّ الخمسُ الكورى لِإِضْءاءِ مسكنِ العَلَّةِ ، أي غِبْضُ حواسِّكَ الخمسِ مِنَ الجَوْلانِ فيما لا يجدي تَقْضىءَ نفسك .

وقال : إِمْلأِ الوعاءَ طيِّباً ، أي أَوْعِ عقلَكَ بياناً وفهماً وحكمةً . وقال : افرغِ الحوضِ المثلَّثَ مِنَ القلالِ الفارغةِ ، أي اِرْفُضْ عن قلبِكَ جميعَ الألامِ العارضةِ في الثلاثةِ الأجناسِ من قوى النفسِ التي هي أصلُ جميعِ الشرِّ . وقال : لا تأكلِ الأسودَ الذيبَ ، أي احذرِ الخطيئةَ .

وقال : لا تتجاوزنُ الميزانَ ، أي لا تتجاوزِ الحقَّ .

وقال : عند المماتِ لا تكن نملةً ، أي في وقتِ أمانتِكَ لنفسِكَ لا تعينِ ذخائرَ الحَسَنِ .

وقال: ينبغي أن تعلم أنه ليس زمانٌ من الأزمنة يُفقدُ فيه زمانُ الربيع، أي مانع لك في كل زمانٍ من اكتساب الفضائل.

وقال أنحص عن ثلاث سُبُل. فإن لم تجدها فارض أن تنام لها يومَ المستغرق، أي انحص عن علم الأجسام وعلم ما لا جسم له وعلم الذي وإن كان لا جسم له، فهو موجودٌ مع الأجسام، وما اغتاض منها عليك فارض بالإمساكِ عنه قال: ليس التسعةُ تاكلُ مِنَ الواحد، أي العشرةُ هي عقدٌ من العدد، وهي أكثرُ من تسع، وإنما تكمل التسع فتكون عشرةً بالواحد، فكَذلك الفضائل كالسع. تتم وتكمل بخوفِ الله عز وجل ومحبةٍ ومراقبته.

وقال: اقتنِ بالاثني عشر اثنا عشر، يعني بالاثني عشر عضواً التي يُكتسبُ بها البرُّ والإنم.

وهي: العيانِ والأذنانِ والمنخرانِ واللسانُ واليدانِ والرجلانِ والفرج، وايضاً بالاثني عشر شهراً اكتسب⁽¹⁾ أنواع الأشياء المحمودة والمُكملة للإنسان في تدبيره ومعرفته في هذا العالم.

وقال: ازرعِ الأسودَ واخصدِ الأبيض، أي ازرعِ بالبكاءِ واحصدِ بالسرور.

وكان أهل دهره لما سألوه عن عبادة الأصنام صدهم عنها وأبطلها، ونهى الناس عن عبادتها، وأمرهم بعبادةِ الإله الواحد الصمد الباري الخالق العالم بما فيه، الحكيم القدوس لا الحجر المنحوت الذي لا ينطق ولا يسمع ولا يحسُ بشيءٍ من الآلات، وحضُ الناسَ على البرِّ وفعلِ الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهاهم عن الفواحش. والمُنكراتِ في بقيَّة من أهل زمانه، ولم يقصد استكمالَ صوابِ الرأي لعلهم أنهم لا يقبلون ذلك منه.

فلما علم الرؤساء في وقته من الكهنة والاراكنة ما رآه من دعويته وأن رأيه نقيُّ الأصنام وردُّ الناس عن عبادتها شهَّدوا عليه بوجوبِ القتل، وكان

(1) ح. ن. بها.

الموجبون عليه القتل قُضَاةً أسلس الأحد عشر، وسُقي السُّم الذي يقال له فُلْيُون، لأنَّ الملك لما أُوْجِبَ عليه القضاةُ القتل ساءَهُ ذلك، ولم يمكنهُ مخالفتهم.

فقال له: اختر أي قِتْلَةٍ، شئتَ، فقال بالسُّم، فأجابَهُ إلى ذلك والذي أُخِرَ قتل سُقراط شهوراً بعدما أُوْجِبُوهُ عليه، أنَّ المركب الذي يَبْتَثُ كُلُّ سنةٍ إلى هيكل^(١) أولُوقومُون ويُحمل إليه فيه ما يُحمل، عرض له ما يحبسهُ لتعذُّبِ الرِّيحِ فأبْطأ شهوراً، وكان مِنْ عاداتهم أنَّ لا يُراق دَمٌ ولا غَيْرُهُ حتى يرجع المركبُ من الهيكل إلى سنس، وكان أصحابُهُ يختلفون إليه في الحبس طولَ تلك المدة، فدخلوا إليه يوماً.

فقال له أفريطون رجلٌ منهم: إنَّ المركبَ داخلٌ غداً أو بعد غدٍ، وقد اجتهدنا في أنَّ ندفع عنك مالا إلى هؤلاء القومِ وتخرجَ سِراً فتصير إلى روميةً، فتقيمُ بها حيث لا سبيل لهم إليك.

فقال له سقراط: قد تعلمُ أنَّه لا يبلغُ ملكي أربعمائة درهم.

قال له أفريطون: لَمْ أَقُلْ لك هذا القولَ على أنَّك تغرُمُ شيئاً لأنَّا نعلمُ أنَّه ليس في وسعك ما سألَ القومُ، ولكن في أموالنا سعةٌ لذلك وأضعافه، وأنفسنا طيبةٌ لأدائه لنجاتك، وأنَّ لا نَفْجَعُ بك.

قال له سقراط: يا أفريطون، هذا البلد الذي فُعِلَ بنا فيه ما فُعِلَ هو بلدي وبلد حبسي، وقد نالني فيه ما رأيتُ، ولم يوجب ذلك عليَّ لأمرٍ استحقته بل لمخالفتي الجور ولطعني على الأفعال الجائرة وأهلها من كفرهم بالباري سبحانه، وعبادتهم الأوثانَ من دونهِ، والحال التي أُوْجِبَتْ عليَّ القتل هي معي حيث توجهتُ، وإنِّي لا أدعُ نصرةَ الحقِّ، والطَّعنَ على الباطلِ والمبطلين حيث كنتُ، وأهل روميةً أبعدُ مِنِّي رحماً من أهل مدينتي، وهذا الأمرُ إذا كان

(١) أ. ح. ن.: كان.

باعثه على الحق^(١) فحيث توجهت فغير مأمونٍ عليّ هناك مثل الذي أنا فيه .

قال له أفريطون : فتذكّر ولدك وعيالك وما تخاف عليهم من الضيعة؟ فقال له : الذي يلحقهم برومية مثل ذلك إلا أنكم ههنا بهم أخرى أن لا يضيعوا معكم .

فإن كان اليوم الثالث، بَكَرَ تلامذته إليه على العادة، وجاءهم السجان ففتح الباب وجاء القضاة الأحد عشر فدخلوا إليه وأقاموا ملياً، ثم خرجوا من عنده وقد أزالوا الحديد عن رجله، وخرج السجان إلى تلامذته، فدخل بهم إليه فسلموا عليه وجلسوا عنده، فنزل سقراط عن السرير وقعد على الأرض ثم كشف عن ساقيه فمسحهما وحكهما .

وقال : ما أعجب فعل السياسة الإلهية حيث قربت الأضداد بعضها من بعض، فإنه لا يكاد أن تكون لذة إلا ويتبعها ألم، ولا ألم إلا تبعه لذة، وصار هذا الكلام سبباً لدوران الكلام بينهم، فسأله سيمائوس وقيلون عن شيء من الأفعال النفسية، وكثرت المذاكرة بينهم حتى استوعب الكلام في النفس بالقول المتقن المستقصى، وهو على ما كان يُعهدُ عليه في حال سروره وبهجته ومرجه في بعض المواضع، والجماعة يتعجبون من صرامته وشدة استهانتِهِ بالموت ولم يكلّ عن تقصي الحق في موضعه، ولم يترك شيئاً من أخلاقه ولا من أحواله نفسه التي كان عليها في زمانٍ أمينٍ من الموت، وهم من الكمد والحزن على فراقه على حالٍ عظيمة .

فقال له سيمائوس : إن التقصي في السؤال عليك مع هذه الحال لثقلًا علينا شديداً وقبحاً^(٢) في البثرة، فإن الإمساك عن التقصي في البحث لحسرة عظيمة جداً مع ما نعلم في الأرض من وجود الفاتح لما يريد .

فقال له سقراط : لا تدع عنا التقصي لشيء أردته فإن تقصيك لذلك هو

(١) أ. ح. ن. : ونصرة الحق .

(٢) وكذا في «أ»، والصواب : لثقل... وقبح . (المحقق).

الذي أسر به، وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال التي هي ضدّها فرق في الحرص على تقصّي الحقّ، فإنّا وإن كنّا نعدم أصحاباً ورفقاء أشرفاً محمودين فاضلين، فإنّا أيضاً إن كنّا معتقدين ومُتَقِنين الأقاويل التي لم تزل نسمع منها بأنّ نصير إلى أقوامٍ آخر فاضلين أشرف محمودين، منهم: إيسلاوس وأيارس وأرفلس وجميع من سلف من ذوي الفضائل النفسانيّة.

فلما تصرّم القول في النفس وبلغوا فيها الغرض الذي أرادوه، سألوهُ عن هيئة العالم وحركات الأفلاك وتركيب الاستقصات فاجابهم عن جميعه، ثم قصّ عليهم قصصاً كثيرة في العلوم الإلهية والأسرار الربانيّة، ولما فرغ من ذلك قال: أمّا الآن فقد حضر الوقت الذي ينبغي لنا أن نستحم فيه ونصلّي ما أمكننا، ولا نكلّف أحداً بحمّام الموتى، فإنّ الأزمانى⁽¹⁾ قد دعانا ونحن ماضون إلى أراوس، وأمّا أنتم فتصرفون إلى أهاليكم، ثم نهض فدخل بيتاً فاستحم فيه وصلى وأطال اللبث، والقوم يتذكرون عظم المصيبة، وأنهم يفقدون منه حكيماً عظيماً وأباً عليماً ويقون بعده كاليتامى، ثم خرج فدعى بولديه ونسائه، وكان له ابنٌ كبيرٌ وابنانٌ صغيران، فودّعهم ووصّاهم.

فقال له أفريطون: فما الذي تأمرنا أن نفعله في أهلك وولدك وغير ذلك في أمرك؟

قال: لست أمرُكم بشيء، بل هو الذي لم أزل أمرُكم به قديماً من الاجتهاد في إصلاح أنفسكم، فإذا فعلتم ذلك سررتُموني، ثم سكت ملياً وسكت الجماعة، فاقبل خادم الأحد عشر قاضياً، فقال: يا سقراط، إنك جريء مع ما يصيبك، إنك تعلم أنّي لستُ علّة موتك، وإنّ علّة موتك القضاء الأحد عشر، وأنا مأمورٌ بذلك، وإنك أفضل من جميع من صار إلى هذا الموضع، فاشرب الدواء بطيب نفسٍ، واصبر على الاضطراب اللازم. ثم ذرفت عيناه وانصرف.

(1) أ. ح. ن.: الارماني.

قال سقراط: نفعل، ثم سكت هنيهة، وقال: لأفريطون: مَنِ الرَّجُلُ الذي يأتيني بشرية موتى؟ فدخل ومعه الشربة، فتناولها منه وشربها، فلما راوه قد شربها غلبهم من البكاء والأسف ما لم يملكوا أنفسهم معه، فعلت أصواتهم بالبكاء، فأقبل عليهم يلومهم ويعظهم.

وقال: إنما صرفنا النساء لئلا يكونَ منهم مثل هذا. فأمسكوا استحياء منه، وقصدًا للطاعة له، على مضضٍ شديدٍ من فقدِه، وأخذ سقراط في المشي والتردد هنيهة، ثم قال للخادم: قد ثقلت رجلاي عليّ، فقال له: استلقِ، فاستلقى. فجعل ينحس قدميه ويقول: هل تحسّ بغمزي لهما؟ فقال: لا. ثم غمز ساقه، وجعل يسأله ساعةً بعد ساعة، وهو يقول: لا. فأخذ يخمد أولاً فاوَّلاً، وشدَّ برده حتى انتهى إلى حقونه.

قال الخادم: إذا انتهى البرد إلى قلبه، ومضى.

فقال له أفريطون: يا إمام الحكمة ما نرى عقولنا إلا تبعد عن عقلك فتعهد إلينا. فقال: عليكم بما أمرتكم به أولاً. ثم مدَّ يده إلى يد أفريطون، فوضعها على خده.

فقال له: مُرّني بما تحبّ، فلم يُجبه بشيء، ثم شخص ببصره وقال: أسلمت نفسي إلى قابض أنفس الحكماء ومات، فأطبق أفريطون عينيه، وشدَّ لحيته، ولم يكن أفلاطون حاضراً معهم لأنه كان مريضاً.

وذكر أن سقراط هلك عن اثني عشر ألف تلميذ وتلميذة، وكان رجلاً أبيض أشقر أزرق، جيّد العظام، قبيح الوجه، ضيق ما بين المنكبين، بطيء الحركة، سريع الجواب، شعث اللحية، غير طويل، إذا سئل أطرق حيناً ثم يجيب بالفاظ متقنة، كثير التوحيد، قليل الأكل والشرب، كثير التعبد، شديد⁽¹⁾، يكبر ذكر الموت، قليل الأسفار، مجيداً لرياضة بدنه، خسيس

(1) أ: ح. ن. : العتب.

الملبس، مهيباً، حسن المنطق، لا يوجد فيه خلل، مات بالسُّم، وله مائة سنة، ويضع سنين.

وقيل له: لا بد وأن نزوجك؟ فقال: إن كان ولا بد، فتكون امرأة قبيحة الوجه سيئة الخلق، فقالوا: لِمَ هذا؟ فقال: أما الأول فلئلا تحن نفسي إلى جماعها، وأما الثاني فلأروض نفسي على الاحتماء، فقيل له لِمَ تكره الجماع وهو لذيق؟

فقال: لأربع خصال: الأول هنك الاستار، والعاقل تأبى نفسه ذلك. الثاني ولوج الأقدار، والعاقل يأبى ذلك. الثالث نهك القوى، والعاقل يشح على قوته. الرابع تخليف خليف الموت، الذي إن عاش قتن، وإن مات حزن، والعاقل لا يجعل نفسه مرتنهة بشيء. وسقراط المذكور هنا هو أبو الفلاسفة، حكيم الحكماء، من عنده، وردت الفلسفة، وعنه صدرت الحكمة، له الأمثال السائرة والفوائد الغامرة، كلامه في القلوب، كنسيم الرياح عند الهبوب، وكالراحة للمكروب.

آداب سقراط الحكيم الزاهد

قال ليكن أول ما تجعل فيه هميتك ومحافظتك أن تعرف حق الله - عز وجل - عليك في العبادة والتقوى وأن تجتهد فيما يرضى به ليس بالقرايين وحدها ولكن أن تحذر التعدي في أن تقسم به باطلاً، فإن هذا النحر إن أحكمته كان علامة غنى واثراً صالحاً من شيمه الأبرار، فارض الله سبحانه دهرك، واجتهد في موافقة الجماعة، فإن العصمة بذلك مع العمل بالشرعية.

وقال لتلاميذه، الحكمة سلم العلو، من عديمها غيم القرب من بارئ عز وجل.

وقال: بالله تعالى وبالإخلاص لذلك في الشرائع خلاص الحائرين.
وقال: العدل أمان النفس.

وكان يقول إذا جلس للتعليم : أنا زارعُ والدِّراسةُ ماءُ التَّربيةِ، فمن لم يُكُنْ له مزرعةٌ نقيَّةٌ، وماؤُها متدفَّقٌ لم ينجع فيها الزرعُ.

وقال : عجيباً لِمَنْ عرف فناء الدنيا، كيف تلهيه عما ليس فيه فناءً⁽¹⁾.
حُكيَ عنه أَنَّهُ لما أُدْخِلَ على الملك الذي قتله، قال له : يا سقراطُ أَنتَ الزَّارِيءُ عَلَيْنَا والقَاتِلُ إِنَّ اتِّخَاذَ الأصنامِ ليس بجيِّدٍ.

قال له سقراطُ : أَنَا القَاتِلُ إِنَّ اتِّخَاذَ الأصنامِ ليس بجيِّدٍ لبعض الناس .
فقال له الملكُ : وَلِمَنْ هو جيِّدٌ وَلِمَنْ هو لَيْسَ بجيِّدٍ؟

قال : ليس بجيِّدٍ لِسُقْرَاطَ، وهو للملكِ جيِّدٌ.
قال : وكيف ذلك؟ قال : لأنها ليست بجيِّدةٍ للحكيم، وجيِّدةٌ للذي ليس بحكيم . قال : وكيف ذاك؟

قال : لَأَنَّ مَنْ عرف الله تعالى حَقَّ معرفتِهِ وما يرضيه لم يحتج إلى ما يُربطه عن السيِّئاتِ وَيُجنبه منها لِرُؤْمِ الواجبِ من حَقِّ خالفِهِ وبارئِهِ سبحانه، فأما مَنْ كان بخلافِ ذلك فيحتاج إلى ما يربطه ويردُّعُهُ عن السيِّئاتِ من خوَفٍ للأصنامِ التي وضعها أرباباً له، فهي تردُّعُهُ باعتقاده إِيَّاهَا آلهَةً، وهي لا تنفعه لأنها جسد مواتٌ.

وقال : النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ تحبُّ الخير وتأمُر به، والنَّفْسُ الرُّدِيَّةُ تحبُّ الشر وتأمُر به.

وقال : غرسُ النَّفْسِ الفاضِلَةِ الانصاف، وثمرَةُ غرسها السلامة، وغرسُ النَّفْسِ الرُّدَّةِ الشرُّ، وثمرَةُ غرسها الندامةُ.

(1) أ. ح. ن. : وَقِيلَ لَهُ : لَا بُدَّ أَنْ نَزُوجَكَ قَالَ وَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَيَكُونُ امْرَأَةً فَيَحِبُّهُ الْوَجْهَ سَيِّئَةَ الْخَلْقِ. فَقَالُوا لَمْ هَذَا قَالَ : أَمَّا الْأَوَّلُ فَلَمَّا تَحَنَّنَ نَفْسِي إِلَى اجْتِمَاعِهَا. وَأَمَّا الثَّانِي فَلَأَرَوْضِ نَفْسِي عَلَى الْإِحْتِمَالِ. قِيلَ لَهُ لِمَ تَكْرَهُ الْجَمَاعَ وَهُوَ لَذِيذٌ قَالَ لِأَرْبَعِ خِصَالٍ :
١ - هُنَاكَ الْأَسْتَارُ وَالْعَاقِلُ تَأْمُرُ نَفْسَهُ هُنَاكَ سِتْرَهَا - 2 - وَلَوْجُ الْإِقْدَارِ وَالْعَاقِلُ لَتَلَقَّى نَفْسَهُ عَنْ ذَلِكَ - 3 - نَهَكَ الْقَوَى وَالْعَاقِلُ يَشْحَ عَلَى قُوَّتِهِ - 4 - تَخْلِفُ خَلْفَ الْمَوْتِ الَّذِي إِنْ عَاشَ فَمَنْ وَإِنْ مَاتَ حَزَنَ وَالْعَاقِلُ لَا يَجْعَلُ نَفْسَهُ مَرْتَهَنَةً بِشَيْءٍ وَقَالَ لِنَلَأْ . . .

وقال: النَّفْسُ الْفَاضِلَةُ تُعَرَفُ بِحَسَنِ مَسَارِعَتِهَا وَقَبُولِهَا لِلْحَقِّ. وَالنَّفْسُ النَّاقِصَةُ تُعَرَفُ بِمَسَارِعَتِهَا إِلَى الْبَاطِلِ.

وقال: إِذَا وَقَفَتِ النَّفْسُ عَمَّا اشْتَبَهَ عَلَيْهَا وَقَبِلَتْ مَا أُتِّضِحَ لَهَا فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى ذِكَاثِهَا.

وقال: نَفُوسُ الْأَخْيَارِ نَافِرَةٌ عَنْ أَعْمَالِ الْفُجَّارِ، وَنَفُوسُ الْأَشْرَارِ مُتَبَرِّمَةٌ بِأَعْمَالِ الْأَبْرَارِ.

وقال: مُتَبِعُ الشَّهَوَاتِ نَادِمٌ فِي الْعَاقِبَةِ مَذْمُومٌ فِي الْعَاجِلَةِ، وَمُخَالَفُ الشَّهَوَاتِ سَالِمٌ فِي الْعَاقِبَةِ غَانِمٌ فِي الْعَاجِلَةِ مَحْمُودٌ مُغْتَبَطٌ فِي الْأَجَلَةِ^(١).

وقيل لِسُقْرَاطَ: هَلْ تُغَيِّرُ قَلْبَ الْعَاقِلِ قَلَّةُ الْمَالِ؟

قال: مَنْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَاقِلًا.

وقيل: هَلْ يَعْمَلُ الْعَاقِلُ غَيْرَ الصَّوَابِ؟ فقال: مَا يَعْمَلُهُ بَرَأْيُ الْعَقْلِ فَهُوَ صَوَابٌ.

وقال: شَخْصٌ بَغِيرَ عِلْمٍ كَجَسَدٍ بَغِيرَ رُوحٍ.

وسُئِلَتْ امْرَأَةٌ سُقْرَاطَ: أَيُّ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْهُ حَسَنًا؟ فَقَالَتْ: كَانَ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ بِوَجْهِ وَاحِدٍ.

سُئِلَ أَيُّ شَيْءٍ أَلَذُّ؟ فَقَالَ: تَعَلَّمُ حِكْمَةً لَمْ نَعْرِفْهَا.

وسأله بعضهم، فقال: متى نكمل في الحكمة؟ فقال: إذا لم تفرح بالمدح ولم تحزن بالذم؛ فقال: متى يتهيا لي ذلك؟ قال: إذا حصلت أربع آذان، آذانان تسمعان الحكمة، وآذانان تصمان عن هذر الجهال.

وقال: لَا يَنْبَغِي لِلْأَدِيبِ أَنْ يُخَاطَبَ مِنْ لَا أَدَبَ لَهُ، كَالصَّاحِي لَا يَنَازِعُ السَّكْرَانَ.

وقال: النَّفْسُ الرُّدِيَّةُ تَهْلِكُ وَيَهْلِكُ مَعَهَا غَيْرُهَا.

وقال: النَّفُوسُ أَشْكَالٌ فَمَا تَشَاكَلُ مِنْهَا اتَّفَقَ، وَمَا تَضَادَّ مِنْهَا اخْتَلَفَ.

(١) أ: ح. ن.: وقال النفس الزكية تسلم ويسلم معها غيرها.

وقال: اتَّفَقَ النفوسُ باتِّفاقٍ مِمَّها، واختلافها باختلاف مرادها.
وقال: النفسُ جامعةٌ لكلِّ شيءٍ، فمن عرف نفسه عرف كلَّ شيءٍ، ومن
جهل نفسه جهل كلَّ شيءٍ.

وقال: النفسُ جوهرَةٌ لا قيمةَ لها، فمن عرفها صانها إلَّا عمَّا يشاكلها، ومن
جهلها ابتذلها في غير موضعها.

وقال: من بخل على نفسه، فهو على غيره أبخل، ومن جادَ على نفسه
فذلك المرجوُ جودٌ.

وقال: ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه.

وقال: مَنْ لا يُحَسِّنُ النظرَ لنفسه أوْشَكَ أَنْ لا يُحَسِّنَهُ لغيره.

وقال: مَنْ كان حريصاً على صيانةِ نفسه عُرِفَ ذلك مِنْ تَوْقِيهِ مِنَ المداخلِ
السَّيِّئَةِ.

وقال: النفسُ عوضٌ من كلِّ شيءٍ، ولا شيءٌ عوضٌ مِنَ النفسِ، فمُضَيِّعُ
نفسه مُضَيِّعٌ لكلِّ شيءٍ. وحافظُ نفسه حافظٌ لكلِّ شيءٍ.

وقال: النفسُ الخَيْرَةُ مُجَرَّبَةٌ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْأَدَبِ، وَالنَّفْسُ الشَّرِيرَةُ لا يَنْجِعُ
فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَدَبِ لِسوءِ معرفتها.

وقال: لو سَكَتَ مَنْ لا يَعْلَمُ لَسَقَطَ الْاِخْتِلَافُ.

وقال: بَيْتَةٌ لا تَفَارِقُهُمُ: الْكَاتِبَةُ، الْحَسُودُ، وَالْحَقُودُ، وَحَدِيثُ عَهْدٍ بَغْنَى،
وغيٌّ يَخْشَى الْفَقْرَ: وَطَالِبٌ زُبِّيَّةٌ يَقْصُرُ قَدْرُهُ عَنْهَا، وَجَلِيسٌ أَهْلُ الْأَدَبِ وَلَيْسَ
مِنْهُمْ.

وقال: مُؤَدِّبُ النَّفْسِ الرَّدِيئَةِ، كَرَاثِصُ الْفَرَسِ الصَّعْبِ، إِنْ غَفَلَ عَنْ عِنايَةِ
جَمْعٍ بِهِ.

وقال: مَنْ مَلَكَ سِرَّهُ خَفِيَ عَلَى النَّاسِ أَمْرُهُ.

وقال: لا تَكْرَهُ سَخَطَ مَنْ رِضاهُ الْبَاطِلُ.

وقال: التَّقَرُّبُ مِنَ النَّاسِ مَجْلِبَةٌ لِقَرِينِ السَّوِّءِ، وَالتَّبَاعُدُ مَجْلِبَةٌ لِلْعَدَاوَةِ

فَكُنْ مِنَ النَّاسِ بَيْنَ الْمُنْقَبِضِ وَالْمُسْتَرْسِلِ .

وقال : خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مَنْ عَمِلَ بِهِ ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ مَنْ عَمِلَ بِهِ .

وقال : الْعَقُولُ مُوَاهِبٌ ، وَالْعُلُومُ مَكْسَبٌ .

وقال : مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ شَيْءٌ وَلَيْسَ بِحَسَنٍ شَيْئاً فَلَيْسَ يَسْتَاهِلُ شَيْئاً سِوَى التَّوْبِخِ .

وقال : الْعَالِمُ طَبِيبُ الدِّينِ ، وَالْمَالُ دَاءُ الدِّينِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ الطَّبِيبَ يَجْرُ الدَّاءَ إِلَى نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يَدَاوِي غَيْرَهُ ؟

وقال : لَا تَكُونْ كَامِلاً حَتَّى يَأْمَنَكَ عَدُوُّكَ ، فَكَيْفَ بِكَ إِذَا كُنْتَ لَا يَأْمَنُكَ صَدِيقُكَ ؟

وقال : اتَّقُوا مَنْ تَبَغَّضَ قُلُوبُكُمْ .

وقال : لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ إِلَّا لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : نَاطِقٍ عَالِمٍ أَوْ صَامِتٍ وَاعِيٍّ ^(١) .

وقال : الدُّنْيَا سَجَنٌ لِمَنْ زَهَدَ فِيهَا ، وَجَنَّةٌ لِمَنْ أَحَبَّهَا .

وقال : إِنَّمَا الدُّنْيَا كَطَرِيقٍ فِيهَا شَوْكٌ مَغْطًى بِالْتَرَابِ يَدُوسُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَسْلَكَهُ فَيَنْخَسُهُ وَيُؤْلِمُهُ ، وَيَقِفُ عَنْهُ مَنْ اسْتَرَابَ بِهِ فَيَسْلُمُ مِنْهُ .

وقال : مَنْ مَالَ إِلَى الدُّنْيَا تَعَجَّلَ التَّعَبُ فِيهَا ، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ فَنَائِهِ عَنْهَا ، وَمَنْ زَهَدَ فِيهَا اسْتَرَاحَ مِنْ عَنَائِهَا وَأَحَبَّ أَهْلَهَا ، وَأَمِنَ خَوْفَ الْعَاقِبَةِ بَعْدَ مَفَارِقَتِهَا .

وقال : مَا أَعْقَلَ مَنْ تَيَقَّنَ بِالرَّحِيلِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَهُوَ دَائِبٌ مُجْتَهِدٌ فِي عِمَارَتِهَا .

وقال : جَدِيرٌ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَجِدُ فِي عِمَارَةِ شَيْءٍ يَتْرَكَهُ لغيرِهِ .

وقيل له : لِمَ تَعَاشَرُ الْأَحْدَاثَ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ؟ فَقَالَ : الرَّاغِبَةُ إِنَّمَا تَرَوْضُ مَهَارَ الْخَيْلِ لَا مُبَيِّنَاتُهَا .

(١) وكذا في هامش، والصواب : واعٍ . (المحقق).

ووقف عليه الملك وقال له: ألا تخافني؟ فقال: أخير أنت أم شرير؟ فقال: بل خير. فقال: لا أخاف من الأخاب. وركب في سفينة فلما لحج، قال للملاح: كم عرض الواح السفينة؟ فقال: إصبعان، فقال: بيننا وبين الموت إصبعان، رُدني إلى الساحل.

وقال لرجلٍ وقد غيرهُ بأنه من أهل بيتٍ لا شرف لهم، فقال: أهل بيتي عارٌ عليّ وأنت عارٌ على أهل بيتك. وقصده رجلٌ غنيٌّ من موضعٍ بعيدٍ ليتعلّم منه الحكمة، فلما دخل عليه رآه ملفوفاً بكساءٍ خلقٍ، فالتفت إلى مَنْ أُرشدَه إليه، فقال: سقراطُ هذا هو؟ فقال سقراطُ: نعم سقراطُ هذا يكون وإن كان في كساءٍ غيرٍ جديدٍ، ولكنك أتعرفُ أنت؟ فلست من رجالِ الحكمة. ودخل عليه آخرُ، فرآه يغتسل بالماء، فقال: أين موضع سقراط؟ فقال: في موضعٍ كذا، فذهب إلى هناك ينتظره، فلما رجع قال: كُنت سقراطُ ولم تُخبرني؟ فقال: لأنك سألتني عن موضع سقراط، لا عن سقراط نفسه، والجواب على حسب السؤال.

ونظر إلى شيخٍ يُحبُّ النظر في الفلسفة ويستحي، فقال: يا هذا أُستحي أن تصير أفضل مما أنت عليه؟. وعُوتِبَ على إدامة العزلة، فقال: لو عرفتم نفعها وحلاوتها لاستوحشتم من أنفسكم فكيف من الناس⁽¹⁾؟ استهينوا بالموت ليعزُّ عليكم فراق الحياة.

وقال: وليس ما مضى من الدنيا إلّا كما لم يكن.

وقال: ليس بين الدنيا والآخرة إلّا حلولُ الموت.

وقال، وقد ذُكِرَ عنده موسى عليه السلام: معاشرَ الرُّبانيين⁽²⁾ لا حاجةَ بنا إلى تهذيب غيرنا لأنّا مهذَّبون. وقال: الكلامُ فيما لا يُدرِكُ جهلٌ، والمناظرةُ فيما لا يبلغه الرأيُ خطأ.

لَقَدْ

سَالَمَ

عَ

(1) أ: ح. ن.: وقال.

(2) أ: ح. ن.: نحن معاشر اليونانيين.

وقال له رجلٌ وضع الخلّاقَ شريفَ الجنسِ : أما تأتُ يا سُقراطُ من خِصَاصَةِ جنسك ؟ فأجابهُ : جنسك عندك انتهى وجنسي مني ابتداءً .
وقال : كما أَنَّهُ يُستدلُّ بالصواب على الخطأ كذلك لا يعرف المنزلُ الجيّدُ حتى تنزلَ المنزلُ الرديءُ ولا يعرف اللّينُ من لا يعرف الخشنَ ، والمفروحُ هو المحزون عليه .

وقال : الدنيا كصورةٍ في صحيفةٍ كلّما نُشرَ بعضها طُويَ بعضها ، وخيرُ الأمور أوسطُها ، والصبرُ يعين على كلّ عملٍ .
وقال : من اسرع يوشِكُ أن يَكثُرَ عثاره .
وقال : مَن ابتليَ فصر كمن عوفي فشكرَ .
وقال : إذا لم يكن عقلُ الرجلِ أغلبَ الأشياءِ عليه . كان هلاكه في أغلبِ الأشياءِ عليه .

وقال : مَن لا يعرف الخيرَ من الشرِّ فألحقوه بالبهائمِ .
وقال : خيرُ الإخوانِ من صرفِ إخوانه من الشرِّ إلى الخيرِ ، وأقوى الأقوياء من دُفِعَ به الضررُ عن الناسِ ، وأفضلُ السيرةِ طيبُ المكسبِ وتقديرُ الإنفاقِ .

وكتب إلى ملكٍ زمانٍ وقد مات ابنُهُ : أمّا بعدُ ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ اسمه جعل الدنيا دارَ بلوى ، وجعل الآخرةَ دارَ عقبى ، وجعل بلوى الدنيا لشوَابِ الآخرةِ ، سَبَباً ، وشوَابِ الآخرةِ من بلوى الدنيا عِوَضاً ، فيأخذُ ما يأخذُ بما يُعطى ويَبْلَى إذا أَبْلَى لِيُجْزِيَ ، والسلامُ .

وقال : لا يكونُ الحكيمُ حكيماً حتى يغلبَ شهواتُ الجسمِ .
وقال لتلاميذه : احذروا كلّ الشهواتِ فإنَّ القلوبَ المتعلقةَ بشهواتِ الدنيا عقولُها محجوبةٌ عن الله جلَّ وعزَّ .

وقال : الدُّنيا واعظٌ لِمَن بقي بمن مضي .
وقال : حوادثُ الدنيا هلاكٌ لقومٍ ، ووعظٌ لقومٍ آخرين .
وقال : السُّكُونُ إلى الدنيا بعد العلم بها نهايةُ العجزِ ، والثقةُ بها غايةُ

الغروب، وسوء الظن بها نفس الحزم.

وقيل له: ما التعميم؟ فقال: طيب النفس. وقيل له: ما الغنى؟ قال: صحة الجسم.

وقال: إن مساعدة الأمور للمرء تكاد أن تسلبه عقله.

وقال: إن القلب الفارغ يبحث عن الأسوأ، واليد الفارغة تنازع إلى الأثام.

وقال: بطن الأرض ميت، وظهرها سقيم.

ودفع إليه بعض تلامذته برأ فقبله منه ثم بكى، فسئل: لم تبكي؟ فقال: لأنني أهلكت العشيرة بقبولي الأجرة.

وقال: كن مع والديك كما تحب أن يكون معك بنوك.

وقال: لا تكثر الضحك، ولا تستقبل كلمة غضب، فإنهما شيان من صنيع الجهال.

وقال: ما استحينا من فعله ينبغي أن نستحي من الكلام به.

وقال: كابر شهاب الحداثة بالقهر لها، فإن ذلك أزين ما أنت لابس، وبذلك تنجو من تلون الصبا، وإن أتيت فاحشة سرّاً، وظننت أن ذلك مستور فأيقن أن ذلك لن يخفى عن الناس مع توبيخ النفس إياك به، فاتى الله سبحانه، واستحي⁽¹⁾ من الناس، واحفظ الوصية، واسمع من الحكماء، وتعلم وأخبر إلى غاية الذكر الصالح، فما أجمل الشهوة الحسنة، وما أقبح الشهوة السيئة.

وقال: احذر النيمة وإن كانت كذباً، فإن أكثر الناس لا يعرفون الحق.

وكتب إليه أفلاطون: إنني أسألك عن ثلاثة أشياء، فإن أجبت عنها تعلمت لك، فكتب إليه سل وبالله التوفيق. فكتب إليه: أي الناس أولى

(1) وكذا في «أ»، والصواب: واسع. (المحقق).

بالرحمة؟ ومتى تضيع أمور الناس؟ وبماذا تتلقى النعمة من الله تعالى؟ فأجابه أولى الناس بالرحمة ثلاثة: البرُّ يكون في السلطان الفاجر فهو - الدهر - حزين لما يرى ويسمع، والعاقِل في تدبير الجاهل فهو - الدهر - متبِّ مغموم، والكريم يحتاج إلى اللّثيم فهو - الدهر - له خاضعٌ ذليلٌ وتضيع أمورُ الناس إذا كان الرأي عند من لا يُقبل منه، والسلاح عند من لا يستعمله، والمال عند من لا ينفقه وتُلقى نعمةُ الله تعالى بكثرة شكره، ولزوم طاعته، واجتناب معصيته، فأقبل أفلاطون إليه فتلمذ له حتى مات.

وقيل له: وهل شيء أصعبُ من الموت؟ فقال الحياةُ أصعبُ، لأنَّ مع الحياة الغمُّ والهَمُّ والمرضُ والفقرُ والتَّعبُ ومع الموتِ الراحةُ من جميع ذلك. وقيل لسقراط: إنَّكَ تستخفُّ بملك مدينتك، فقال: إني ملكت الشهوة والغضبَ ومُلْكاهُ، فهو في محلِّ عبدٍ لعبيدي.

وقال بعض الملوك لسقراط: اعملْ لي كتاباً فيه جُمَلٌ من حكمتك أرجعُ إليها، فقال هيئات الحكمة أجَلٌ من أن تخدمها إلا بنفسك.

وحكي عنه أنه قال لا تحرصوا على الغنيَّة فيشتدُّ فقرُكم واستهينوا بالموت لأن لا تموتوا، وأمينوا أنفسكم تخلدوا، والزموا العدل تلتزمكم النجاة، والعدل أمانُ النفس.

وقال: الحزنُ للمبتلين حتى يتخلَّصوا من البلايا أفضلُ من الفرح لاهلِ السلامة. وكان يقول: الإقلالُ للعاقِلِ حصنٌ من الرذائلِ وطريقٌ للجاهلِ إليها.

وكان يقول: راحة الحكماء في وجود الحقِّ، وراحة السفهاء في وجود الباطلِ.

وكان يقولُ ضادوا الشهواتِ بالغضبِ فإنَّ مَنْ غضبَ على نفسه في تناول المساويء شُيِّلَ عنها، ودلَّلوا الغضب بالصمتِ.

وكان يقول: ضالَّةُ الجاهلِ غيرُ موجودةٍ وضالَّةُ العاقِلِ معه حيث ما سلك.

وقال: المعجب بنفسه يرى فيها ما هو أجلُّ منها مع ضعف قوته، فيظهر فرحه.

وقال: مَنْ استعملَ العقلَ قلَّ حزنُهُ، واشتاقَ إليه كلُّ شيءٍ.

وقال: ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض. وقال: اللذة حقائق مُرسَّلة.

وقال: طلب الدنيا لا يخلو عن الحزن في حالين: حزن على ما فاتته كيف لم ينله، وحزن على ما ناله كيف يخاف سلبه، وإن أمن سلبه أيقن بتركه بعد موته، فهو مغمضٌ في جميع أحواله.

وقال لتلميذ له: يا بُنَيَّ اقنع من الدنيا بما بلغك قوتك من المأكول، واكف بما كسر ظمأك من المشروب، وارض بما سترك من الملبوس، واستغن بما لك من البيوت، وكُنْ خادماً لنفسك يهدأ قلبك، وتستغن عن مداربك واجعل نعلك مركبك، واجعل الأرض مهادك، والقمر والنجوم سراجك والعلم طلبتك، والعمل دأبك. وتعلم الحكمة شأنك تكن من أفضل أهل زمانك، وتلق بمن تقدّم من محمودي إخوانك، وإياك والفق المنصوب على الأرض للرجال من النساء فإنه مفسد للحكمة، مسقط للرتبة، مورث للنعمة، مؤدٍ إلى نقص الهمة.

وقال: طالب الدنيا قصير العمر، كثير الفكر.

وقال: طالب الدنيا كراكب البحر، إن سلّم قيل: مخاطر، وإن عطب قيل: مغرور.

وقال: طالب الدنيا كناظر السراب يحسبه ماء فيتعب نفسه في طلبه فإذا جاءه خابئة ظنه^(١)، وبقي عطشه، ودامت حدته، وخر طول عنائه.

وقال: عمر الانسان في الدنيا مثل الفيء الذي لا حقيقة له يزول من

(١) أ. ح. ن. : وفاته امله.

موضعه إلى غيره فإذا التمس في موضعه لم يجده شيئاً.

وقال: الإنسان في الدنيا معذبٌ بجميع أحوالها غير باقٍ عليه ما يصيرُ إليه من امتنانها قليلُ التهتهة بما يجد من ملاذها دائمُ الغُصصِ بمفارقةِ أحبائه فيها.

وقال: حُبُّ الدنيا يُصمُّ الأسماع عن الحكمة ويعمي الأبصار عن نور البصيرة. وقال: حُبُّ الدنيا يورث الضغائن، ويزرعُ الاحقاد، ويكمنُ الشر، ويمنعُ البر.

وقال: الدنيا تنصح تاركها، وتغشُّ طالباها، فتصحها لتاركها ما تُريه من تغيرها بأهلها، وغشها لطالباها ما تُذيقه من لذّةِ ساعتها ثم تعقبه مرارة طعمها وسوءَ منقلبها.

وقال: مَنْ أراد أن يستعمل الحقَّ بأكثر مما يستعمله الملك فليأهْ وخدمة الملوك فإنَّ أراد أن يخدم الملوك فليستعمل القدرَ الذي يستعمله الملك من الحقِّ ولا يتجاوزه، فإنَّه متى تجاوزه فليعلم أنَّه قد نامض الملك.

وكان يقول: القَبِيئَةُ مخدومة، ومن خدَم غير ذاته فليس بحراً. وكان يقول: ما الإيمانُ إلَّا ما نصح، ولا العملُ إلَّا الابتداء بما يُوقنُ فيه بحسنِ العاقبة.

وقال له رجلٌ: ما أشدُّ فركَ يا سقراط! فقال له: لو عرفتَ الفقرَ لشغلك التوجُّعُ لنفسك عن التوجُّعِ لسقراط.

وقيل له: ما أقربُ شيءٍ؟ قال: الأجلُ؛ وما أبعدُ شيءٍ؟ قال: الأملُ؛ وما آنسُ شيءٍ؟ قال: الصاحب المواتي؛ وما أوحشُ شيءٍ؟ قال: الموت. وقال: مِنْ أعجبِ العَجَبِ عاقلٌ تأسَف.

وقال: مَنْ أَمَاتَ نفسه موتاً طبعياً كان جسمه قبراً، وَمَنْ أَمَاتَ نفسه موتاً إرادياً كان موته الطبعيُّ حياةً لنفسه أبداً.

وقال: أَفْضَلُ من استشِيرَ الزمانَ في كُلِّ وقتٍ.

وقال: أحسن الناس صورةً أعملُهُم بما يوجبهُ الحقُّ.

وقال: الموتُ حقٌّ واجبٌ وليس يكرهُهُ إلَّا مَنْ كَثُرَ جَوْرُهُ وَقَلَّ عدله.

وقال: ما آتَيْنَ فضيلةَ الموتِ إذا كان سبباً للنُّقْلةِ من عالمِ الذُّلِّ إلى عالمِ العزِّ، ومن عالمِ الفناءِ إلى عالمِ البقاءِ، ومن عالمِ الجهلِ إلى عالمِ العقلِ، ومن عالمِ التعبِ إلى عالمِ الراحةِ.

وقال: لو لم يكن للموتِ فضيلةٌ إلَّا الراحةُ بِمَنْ لا يُنْصَفُ من أضدادِكَ ومن أهلِ العدلِ من أشكالكِ.

وقال: ما أسهَلَ الموتُ على مَنْ آتَقَنَ بما بعدهُ! وما أصعَبَ الموتُ على مَنْ شَكَّ فيما بعدهُ!
وقال: مَنْ طابَتْ حَيَاتُهُ طابَتْ مَيِّتُهُ.

وقال: الموتُ أمانٌ مِنَ الموتِ وموصلٌ إلى النعيمِ والفوزِ.

وقال: الموتُ خَيْرٌ من المقامِ في دارِ الهوانِ.

وقال: الموتُ راحةٌ لِمَنْ كان عَبْدَ شَهْوَتِهِ ومملوكَ هواه، لأنَّهُ كلما طالت حَيَاتُهُ كَثُرَتْ سَيِّئَاتُهُ وَأَنْبَثَتْ فِي الْعَالَمِ جَنَائِثَهُ.

وقال: مَنْ كان شَرِيراً فالَمَوْتُ سببُ راحةِ العالمِ من شرِّهِ.

وقال: الموتُ محمودٌ على كُلِّ حالٍ لِلْبِرِّ وَالْفَاجِرِ. فَأَمَّا الْبِرُّ فَيَصِلُ إِلَى مَا قُدِّمَ مِنْ جَمِيلِ أَعْمَالِهِ وَيَلْتَقِي مَعَ مَحْمُودِي أَخَوَانِهِ، وَأَمَّا الْفَاجِرُ فَيَسْتَرِيحُ الْعَالَمُ مِنْ فَجْوَهِهِ، وَيَقْلُ بِزَيْنِهِ وَوُزْرِهِ.

وقال: الموتُ بُشْرَى لِلْعَاقِلِ، وَعِظَةٌ لِلْجَاهِلِ.

وقال: الحَيَاةُ تَجْزُرُ فِي الْقَضَاءِ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ، وَالْمَوْتُ يُسَاوِي فِي الْقَضَاءِ بَيْنَ الْأَمْوَاتِ.

وقال: مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً كانَ ذَلِكَ أَمَاناً لَهُ فِي عَاقِبَتِهِ، وَمَنْ قُتِلَ ظالِماً كانَ ذَلِكَ جَدِيراً لَهُ بِالْخَوْفِ فِي عَاقِبَتِهِ.

وقال: ما أَقْبَحَ البكاءَ على مَنْ قُتِلَ مظلوماً! وما أحسنهُ على مَنْ قُتِلَ ظالماً! لأنَّ المظلومَ يُفْرَحُ له بحسنِ ما يردُّ عليه، والظالمَ يُحْزَنُ له بسوءِ ما يردُّ عليه.

وقال: مَنْ خافَ مِنْ شيءٍ عملَ ما يَؤُمِّنُهُ منه، فَمَنْ خافَ الموتَ فَلْيَعْمَلْ ما يرجوه السلامةَ مِنْ شَرِّهِ.

وقال: يا بَنِي لا تَغالبُ أَمراً مَقْبِلاً فَإِنَّهُ بَعِيدٌ أَنْ يَضْعُفَ، واستندِ إلى قومٍ مُقْبِلَةٍ جدودِهِمْ، وإِيَّاكَ وَأَنْتَ مُقْبِلٌ أَنْ تَخْلُوَ بِقَوْمٍ مُذْبِرِينَ.

وقال إذا أَرَدْتَ فعلَ أمرٍ مِنَ الأُمُورِ فانظُرْ في عِلَلِهِ التي عنها يَكُونُ، فإن كنتَ تَنالُها فاطْلُبْها بها وإنْ لَمْ تَنلُها، فَمُحَالٌ أَنْ تَبْلُغَها، وكيفَ تَنالُ أَمراً ليس معكَ العِلْلُ التي بها يُنَالُ. وقال: فَقَدْ السَّعَى معَ نِزَاجَةِ النَّفْسِ أَعْنَى مِنْ امْتِثَانِ العِرضِ لِمَنْ يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ نِيَلِهِ لكَ وَيَسْتَقِلُّ ما بذلتَ له مِنْ نَفْسِكَ.

وقال: لا تَعُدُّنْ معروفاً^(١) بَلَّتَتْهُ نَفْساً إذا كانَ معَ ابْتِذالِ نَفْسِكَ، وأخلاقِ وجهِكَ، وَضِيعَةِ قَدْرِكَ فَإِنَّ الَّذِي فَقَدْتَ مِنْ عِزِّ الصِّيانَةِ أَكْثَرُ مِنْ قَدْرِ الفائِدَةِ وَقيَمَةِ ما بذلتَ مِنْ مَدْرِكَ أَعْظَمُ ما أَفَدْتَ مِنْ قِضاءِ وطَرِ نَفْسِكَ.

وَحُكْمِي أَنَّهُ كانَ يَتَعَلَّمُ الموسيقيَ على كَبَرٍ فَقِيلَ له: أَمَّا تَسْنَحِي يا شَيْخُ أَنْ تَتَعَلَّمَ على الكَبِيرِ؟ فقال أَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ أَكُونَ جَاهِلاً^(٢).

ورأى فَتًى قد أَكَلَ مالَهُ وحَصَلَ على أَكْلِ الزَّيتُونِ مِنَ الشَّجَرِ يَجْمَعُهُ، فقال له: لو كُنْتَ اقْتَصَرْتَ على أَنْ يَكُونَ هَذَا طَعَامَكَ لَمْ يَكُنْ هَذَا طَعَامَكَ.

وقال: إِنَّمَا جُعِلَ لِلإِنْسَانِ لِسَانٌ وَاحِدٌ وَأُذنانِ لِيَكُونَ ما يَسْمَعُهُ أَكْثَرُ مما يَتَكَلَّمُ بِهِ.

وقال: المَلِكُ الأعْظَمُ هو الغالبُ لَشَهْوَتِهِ.

(١) أ. ح. ن.: ولا حظاً.

(٢) أ. ح. ن.: على الكبر.

وقيل له: أي الأشياء الذُّ؟ فقال: استغلةُ الأدبِ، واستماعُ أخبارٍ لم تكن سمِعت.

وقال: أنفُسُ ما لزمه الأحداثُ الأدبَ وأقلُّ نفعه لهم أنه يقطعهم عن الأشياءِ الرديئة. وقال: أنفعُ ما اقتناه الإنسانُ الصديقُ المخلصُ.

وسمع إنساناً يقول: السكوتُ أسلَمُ وذلك أن الكلامَ الكثيرَ قد يقع فيه الخطأُ كثيراً، فقال ليس يمرضُ ذلك إلا لمن يدري ما يتكلَّمُ به، بل إن تكلمَ الجاهلُ قليلاً أو كثيراً فهو خطأ.

وقال: نفع السكوتِ أكثرُ من نفعِ الكلامِ، وضررُ الكلامِ أكثرُ من ضررِ السكوتِ.

وقال: العاقلُ يعرفُ بكثرةَ صَمَتِهِ، والجاهلُ يعرفُ بكثرةَ كلامِهِ.
وقال: الصامتُ يُنسَبُ إلى النَمِّيِّ وسلَمُ والمتكلِّمُ يُنسَبُ إلى الفضولِ ويندم.

وقال: لو لم يربحِ الصامتُ إلا أَلَمَ المجادلةِ وأَلَمَ المقاولَةِ لكانَ رابحاً فكيف هو مع ذلك يربحُ حُسْنَ العاقبةِ وراحةَ الأحياءِ به.

وقال: مَنْ لَمْ يستعملِ الصمتَ من نفسهِ وإلا استكتهُ غيرهُ كرهأ، وكان عاراً عليه.

وقال: مَنْ سكثَ حتى يُستَظَنُّ كان الرُّبْحُ لِمَنْ ينطقَ حتى يعيشَ كان مكتوباً على بابِ صَوْمَعَتِهِ: سلامي على مَنْ لا أعرفه ولا يعرفني.

فقال: الحكمةُ طِبُّ النفوسِ والحكيمُ العالمُ مُعالِجُ النفوسِ.

وقال: الكلامُ مملوكٌ ما لَمْ ينطقَ به صاحبهُ فإذا نطقَ به خُرجَ عن ملكه له.

وقال: مَنْ قوِيَ على الإمساكِ عَنِ الكلامِ إلا في موضعه كان على الفعلِ أقوى.

وقال: الكلام مفتاح البرِّ، والسكوت مغلاق.

وقال: الصمت محمودٌ في أكثرِ المواضع والكلام مذمومٌ في أكثرِ المواضع.

وقال: إذا تكلمَ المرءُ عُرِفَ تمامُهُ من نقصِهِ وإذا سَكَتَ شُكِكَ في أمرِهِ فلم يُقَضَّ عليه بنقصٍ ولا بتمامٍ.

وقال: مَنْ علم أن الكلام يتصفح فليَتَصَفَّحْهُ هو على نفسه قبل أن يتصفَّحْهُ عليه غيره.

وقال لتلميذٍ له: الكلام يُحصى عليك فاحرص أن يكون صواباً، وإلا فالإمساك أولى بك.

وقال: مَنْ كان الكلامُ لَهُ موجعاً كان من الضربِ سالماً. وقال: الصامتُ متصفِّحٌ على غيره والمتكلمُ غيره متصفِّحٌ عليه، واستشارهُ رجلٌ في التزويج، فقال له: احذر أن تكونَ كالسمك، فالداخِلُ في الشبكِ يطلبُ الخروجَ والخارجُ يطلبُ الدخولَ.

وقال: استهينوا بالموتِ فإنَّ مرارَتَهُ في خوفِهِ. وقيل له: ما الغنيَّةُ المحمودَةُ؟ فقال: ما ينمي على الإنفاق.

وقال: لا تكن عنايةُكَ أنْ تكسبَ الشيءَ بدونَ عنايتِكَ بحسنِ استعمالِهِ. وقال له رجلٌ ما أَغْنَتْ عنكَ الحكمةُ وأنت لا تبيِّتُ إلا فقيراً؟ فقال: أَغْنَتْ عَنِّي أَلَمُ ما الملكُ⁽¹⁾.

وقالت له امرأةٌ معروفةٌ بالمجونِ والسُّرفِ على نفسها: يا شيخُ ما أَقْبَحُ وجهكِ! فقال لها: لولا أَنكِ من المرايا الصُّدِّيَّةِ لبأنَّ حسنَ صورتي عندكِ.

وقال: السُّكْرُ إنما هو عَدَمُ النفسِ عالمِ العقلِ وهو يتركُ النفسَ كالهَيولى

(1) أ: ح. ن.: بني.

التي لا صورة لها فتبقى النفس لا جلية لها فأي شيء أضرب من شرب ما يُجبرد
عن النفس حليتها.

وقال: المتصرفون في الزمان نحو تصرف الزمان لا يستشارون لأنهم لا
يُشيرون بالرأي. لأنه لا رأي لهم، بل انهم يُشِرون بمحض الهوى، وإنما
يُستشار مَنْ حصر الزمان برأيه فلم يتصرف معه، ومن لم يتصرف مع الزمان،
فله المحبة المحضة العقلية، ومن تصرف مع الزمان فإنما محبته هوائية.

وقال: الرأي يُريك غاية الأمر في مبدئه.

وقال: كتمان السر واجب في العقل، فمذيعه لا عقل له.

وقال: كتمان سرّك سبب إصابتك، وكتمان سرّ غيرك واجب عليك.

وقال: المشكور من كتم سرّاً لم يُستكتمه، وأما من استكتم سرّاً فذلك
واجب عليه.

وقال: اكتم سرّ غيرك كما تحب أن يكتّم سرّك غيرك.

وقال: كتمان السرّ كرم في النفس، وسمو في الهمة.

وقال: إذا ضاق صدرك بسرّك فصلّر غيرك به أضيّق.

وقيل له: لم صار العاقل يستشير؟ فقال: العلة في ذلك تجريد الرأي عن
الهوى، وإنما استشار تخوفاً من شوائب الهوى.

وقال: لو عَلِمَ الذي يأكل الحلو ويذمّه أن علاجه المر لما داوم عليه.

وقال: الفصل بين الحرّ والعبد أن الحرّ يحرس الحقّ أبداً حراسة جوهرية،
والعبد يحرس حراسة عرضية، وهي حراسة المخافة.

وقال: مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ طابَ عَيْشُهُ، ودامت سلامته، وتأكدت في النفوس
محبته، ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ودامت بغضته ونفرت النفوس منه.

وقال: حَسُنَ الخلق يغطي غيره من القبائح، وسوء الخلق يُفصح غيره من
المحاسن.

وقال: رأس الحكمة حُسْنُ الخُلُقِ.

وقال: حُسْنُ الخُلُقِ يُوَدِّي إلى السلامة، وَيُؤْمِنُ من الندامة، وَيُوجِبُ الألفة وَيُؤْمِنُ مِنَ الفقرِ، وَيَبْعَثُ على الجميل.

وقال لتلميذ له يوماً: أَيُّ بُنْي، إِيَّاكَ والاعترار بالزمان فإنه لم يَفِ لِمَنْ وَعَدَهُ قَبْلَكَ وكذلك لا يَفِي لك وعليك بِحُسْنِ الخُلُقِ تكن محبوباً مألوفاً.

واعلم يا بُنْي أَنكَ إِنْ كنت حسن الصورة فجمعتَ إلى حُسْنِ صُورَتِكَ حُسْنَ خَلْقِكَ فكنت كاملاً، وَإِنْ كنت قبيح الصورة، لم تجمع إلى قبيح صورتك قبيح خُلُقِكَ بل حُسْنُ خُلُقِكَ يَغطِي قبيح صورتك.

وأوصى سقراط تلاميذه، فقال: عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ القنوع وتعرفوا الفضل عند الزيادة يطب لكم العيش ولا تستودعوا أسراركم غيركم كي تأمنوا صرف الزمان، ولا تستصغروا الأمر الصغير إذا ورد عليكم، وكان قابلاً للنماء، رَبُّوا أصدقاءكُمْ بالمحبة والفضل، ولا تُظهروا لهم المودة من أنفسكم دفعة واحدة.

وقال: النوم موته حقيقة، والموت نوم طويل.

وقال: مَنْ طلبَ أكثر من حاجته شُغِلَ عن منفعة. وقال: القنوع إمام الكفاية، وَمَنْ تعاهد نفسه بالمحاسبة أَمِنَ منها المُداهنة.

وقال: الأملُ فروع^(١) النفس الرديئة التركيب لأجل حب الدنيا، صُمِتَ الأسماع عن الحكمة، وَعَمِيَتِ القلوبُ عن نور البصيرة.

وقال: إقبلْ عُنْدَ الناسِ تَسْتَمِيعَ بحديثهم، وأبِتْ ضغائنهم بالبشر بهم.

وقال: الحكمة نورٌ جوهريُّ الطبع، والصوابُ فرعُ الرؤية، والفكر، والعملُ بالهوى ضدُّ الحزم.

(1) كداء في «أ»، ولعل الأصوب: نزوع.

وقال: استدم الحب من صديقك بحسن صحبتك له يَظُلُّ مكثه معك.

وقال لتلميذ له: لا تركز إلى الزمان فإنه سريع الخيانة لمن ركن إليه.

وقال: غوائل الأيام كثيرة ولن يحصي أحد عددها.

وقال: الزمان يُحذِّرُ عن نفسه، ويُخَبِّرُ عن سوء غائلته.

وقال لتلميذ له: يا بُني لا تَفْتَرَنْ بحسن شبابك وصحة جسمك فإن عاقبة الصحة سقم، وعاقبة السقم موت، يا بني اعمل في التخلص من آفات الدنيا، وغوائل الزمان، فإن مع كل فرحة ترحه، ومع كل صفو كدر ومع كل نعمة نقمة، ومع كل اجتماع تشتت، ومع كل تواصل انقطاع.

وقال من سره الزمان في حالة، ساءه في أخرى، أوشك لمن سره الزمان في عدوه أن يسر عدوه فيه.

وقال: مَنْ كَانَتِ الأيامُ به سائرة فلا شك أن عظامه بالية، ومهجته عن الدنيا راحلة.

وقال رجل لسفراط: ذكرتُك لفلان فلم يعرفك.

فقال: يضره أن لا يعرفني ولا يضُرُّني أن لا يعرفني إني لا أغنى بمعرفة خيس ولا يجهل مثلي إلا خيس.

وقال مُتَّبِعُ الشهوات نادم في العاقبة مذموم في العاجلة، ومُخَالِفُ الشهوات سالم في العاقبة، محمود في العاجلة.

وقال: مَنْ أَنْزَلَ نَفْسَهُ مِنْزِلَتَهَا أَمِنَ عَلَيْهَا سُوءَ الدَوَائِرِ.

وقال: النفسُ جَوْهَرَةٌ لَا قِيَمَةَ لَهَا، فَمَنْ عَرَفَهَا صَانَهَا إِلَّا عَمَّا يُشَاكِلُهَا، وَمَنْ جَهَّلَهَا بَذَلَهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا.

وقال: إِنْفَاقُ النَفُوسِ فِي إِنْفَاقِ هِمَمِهَا، وَاخْتِلَافُهَا بِإِنْفَاقِ مُرَادِهَا.

وقال مَنْ لَمْ يَمْدِدْ عَلَى نَفْسِهِ أَوْشَكَ أَنْ لَا يَمْدِدَ عَلَى غَيْرِهِ، وَمَنْ لَمْ

يُخَيِّنِ النَّظَرَ لِنَفْسِهِ لَمْ يُخَيِّنِ النَّظَرَ لِمَنْ سِوَاهُ.

وقال: العاقل مَنْ يُقَاضِي نَفْسَهُ بِمَا يُجِبُّ لغيرِهِ ولا يَتَقَاضَى مِنْ غَيْرِهِ ما يُجِبُّ بِهِ.

وقال: مَنْ أَلْهَمَ نَفْسَهُ حُبَّ الدُّنْيَا امْتَلَأَ قَلْبُهُ مِنْ ثَلَاثٍ خِلَالٍ: فَقَرٍ لَا يُدْرِكُ غِنَاهُ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُ مَتْنَاهُ، وَشُغْلٍ لَا يُدْرِكُ فَنَاهُ.

وقال: مَنْ احْتَجَّتْ أَنْ تَسْتَكْتَمَهُ سِرُّكَ فَلَا تُسِرَّهُ إِلَيْهِ.

وقال: إِذَا لَمْ تَجْذِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا مَهْمُومًا، فَانْقَعِ الْمَهْمُومِينَ مَنْ كَانَ هُمُّهُ فِي الْأَمْرِ الْبَاقِي.

وقال: إِنَّ الْعَاقِلَ الْمُذْبِرَ أَرْجَى مِنَ الْجَاهِلِ الْمُقِيلِ. وقال: إِذَا كَثُرَ الْإِمْكَانُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ فِي الْإِنْسَانِ.

وُسَيْلُ سَفَرٍ: لَمْ صَارَ مَاءُ الْبَحْرِ مَالِحًا؟ فَقَالَ لِلسَّائِلِ: إِنَّ أَعْلَمْتَنِي الْمُنْفَعَةَ الَّتِي تَنَالُكَ مِنْ ذَلِكَ أَعْلَمْتُكَ السَّبَبَ فِيهِ.

وقيل له: مَا الَّذِي غَنِمْتَ مِنَ الْحِكْمَةِ؟

فقال: صرْتُ كَالْقَائِمِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ أَنْظَرَ إِلَى الْجُهَّالِ يَتَلَفَّوْنَ بَيْنَ أَمْوَاجِهِ.

وقال: الدُّنْيَا مِيرَاثُ الدُّوَلِ وَبَقِيَّةُ الْقُرُونِ وَأَوْعِيَةُ الْفَجَائِعِ.

وقال: الْحُرِّيَّةُ هِيَ خِدْمَةُ الْإِنْسَانِ لِلْخَيْرِ، وَانْهَمَاكِهِ فِيهِ، وَيَقْدِرُ خِدْمَتَهُ لَهُ تَكُونَ حُرِّيَّتُهُ، وَمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكْ بِالْخَيْرِ فَلَيْسَ بِحُرٍّ.

وقال: لَا تُسْرِفْ فِي شَهَوَاتِكَ فَإِنَّ لَكَ مِنَ الْحَدَثَانِ وَقَائِعَ، فَارْصُدْ مَايَأْتِي بِهِ. فَمَنْ جَوَّهَرَ مَنْ خَلَا أَنْتَ، وَفِي مَحَلٍّ مَنْ مَاتَ مُقِيمٌ، وَإِلَى الْعَنْصَرِ الَّذِي بَدَأَتْ مِنْهُ تَعْوُدُ.

وقال: مَنْ أَرَادَ الْإِتِّصَالَ بِالْإِخْوَانِ فَلْيَمْتَنِجْ نَفْسَهُ بِخِلَافِ شَهْوَتِهِ، وَلِيَعْرِفْ

صبره خلاف موافقته فإن كان ذلك سهلاً عليه طابت عشرة أخلاقه له وإلا فالوحدة به أشبه.

وقال: النساء فُخ منصوب للرجال فما يقع فيه إلا من اغتر به.

وقال: لا ضرر أضرب من الجهل، ولا شرر أضرب من النساء. وقال وقد رأى امرأة تحمل ناراً، فقال: حامله أضرب من المحمول.

ونظر إلى امرأة سقيمة على الفراش لا حراك لها، فقال: الشرُّ بالشر يكف. ونظر إلى جنازة امرأة وخلفها بواك، فقال: الشر ليقف الشر يتوجع.

ونظر إلى صبية تتعلم الكتابة فقال: لا يزيد الشر إلا شراً.

وقال: مَنْ أراد النجاة من مكائيد الشيطان، فلا يُطيعن امرأة، فإن النساء سُلم منصوب للشيطان⁽¹⁾ حمله ألا بالصعود عليه.

وقال: العجزُ يعرف بالرجل من ثلاث خصال؛ قلة اكتراثه بمصالح نفسه وقلة مخالفتها لما يشتهي وقبوله من أمرائه فيما يعلم وفيما لا يعلم.

وقال يوماً لتلاميذه: هل أدلكم على النجاة من الشر كله؟ قالوا: نعم أيها الحكماء، فقدماً كانت لك الحكمة علينا.

فقال لا يطعن أحدكم امرأة بحال لا في ما تعرف ولا فيما تنكر فإنه يسلم.

فقال بعضهم: فالرجل منا له الأم الشفيقة والأخت الشفيقة، فقال: فيما قلت لكم كفاية الشر بالشر شبهه.

فقال: من أراد أن يقوى على طلب الحكمة فليتكف من تمليك النساء على نفسه.

(1) أ. ح. ن. : ليس.

ونظر إلى امرأةٍ تتمطر، فقال: نازَ أكثرَ حطبها حتى يشتدَّ وهجها وينمو ضررها.

وقيل له: ما تقول في النساء؟ فقال: هي كشجرةِ الدُّفلى لها رونقٌ وبهاء، فإذا أكله الغرُّ، قتله.

وقيل له^(١): أيجوز لك أن تذمَّ النساء ولولا هنَّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء؟

فقال: المرأةُ مثل النخلة ذات السُّلى ان دخل في ثوب إنسانٍ عقره وحملها الرطب الجنِّي.

وقيل له: ما بالك تنفر من النساء؟

فقال: لِمَا أرى من نفورهن عن الخير وسلوكهن في طرق الشرِّ، وقال: أسير النساء غير مفكوكٍ. وقال: من تملكه النساء فهو قاتل الأحياء.

ورأى رجلاً يصيح: النار النار؛ فقال له: ما حالك؟ فقال: امرأةٌ كانت لي آثرت عليَّ غيري؛ فقال له: يا هذا كفاك عاراً أن تريد من لا يريدك، فقال: فرَّجت عني وربُّ السماء.

ورأى صبيَّةً تتعلم الكتابة، فقال: عقرَبَ تزداد سُماً على سُمِّها.

وقيل له: أيُّ العلوم ينبغي أن يوجد لها الأحداث؟ فقال: كل الأمور التي يستحي الكبير أن لا يكون علمها.

وقيل له: مُدَّ كم بدأت بكسب الفضائل؟ فقال: مذ بدأت بتوبيخ نفسي.

وقال: إذا أحسَّ الإنسانُ من نفسه أن لا يلوئه الذمُّ في لزوم سبيل الحكمة وسنتها فقد صار حكيماً.

وقال له أرسيفالس: إنَّ الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل،

(١) أ: ح. ن.: كيف.

فقال: ليس يُكْرَبُنِي أن يكون لا يقبل وإنما يُكْرَبُنِي أن لا يكون صواباً.

قال: الفاضلُ في الطبقة العليا هو الذي سعى للفضائل من تلقاء نفسه، والفاضل في الطبقة الثانية هو الذي يتحرك لها إذا سمعها من غيره ومن أخطأه الأمران فهو الساقط الذنبي.

وقال: القنية المحمودَةُ هي التي إذا منحها غيرك كانت بكاملها عندك. وقال: من لا يستحي فلا تُخْطِرُهُ ببالك.

وقال: لستُ راداً ما نفذ منك من قولٍ أو فعلٍ وتقدر على التحرر قبل ذلك.

وقال: لا يمنعك من فعل الحسنة أن ترى من يزدريها.

ولك لتلميذٍ له: أي بني، إياك والحسد على ما لا يبقى وهي زينة الدنيا وعليك بالتنافس فيما يدوم ويبقى، أي بني جانب الشر وأهله يالفك الخير وأهله، أي بُني عليك بصحبة العلماء تكن فاضلاً بصحبتهن، وكن معظماً لأقدارهم يجعلوك موضعاً لأسرارهم، أي بني إن التمادي في الغفلة مع طول الصحة غرور.

إن أردت أن لا يصل إليك من أحدٍ شرٌ فلا تعتقد الشر بقلبك، ولا تطو عليه سرُّك، أي بني قلُّ التفقد لعيوب الناس يقل تفقد الناس لعيوبك، قدّم العقل أمامك في جميع أمورك ترشّد باتباعك أيّاه.

وقال: لا يصدّنك عن الإحسان جحود جاحد النعمة.

وقال: الجاهل من عثر بحجرٍ مرّتين. وقال له رجل: ما أقبح وجهك! فقال: لم أملك الخلقة فالألم عليها، فأما ما كان في ملكي فقد استكملته، وأما أنت فالذي كان في ملكك هَجَّتُهُ وَقَبَحَتُهُ.

فقال له: ما الذي في ملكك من التزيين والتقييح؟

قال سقراط: من التزيين عمارة الذهن بالحكمة، وجلاء العقل في الأدب،

وقمع الغضب بالحلم، وردع الحرص بالقناعة، وإماتة الحسد بالزهد، وتبديل المرح بالسكون، ورياضة النفس حتى تصير مطمئنة، ومن التقيح والتهجين⁽¹⁾ تعطيل الذهن من الحكمة، وتوسيع العقل بضياح الأدب، وإضرام الغضب بالانتقام، وإمداد الحرص بالطلب، وتذليل النفس بالشهوات البهيمة حتى تصير لها تبعاً.

وقال لتلميذ له: وطىء نفسك للمصائب فإنك في دار النازل فيها غير معرّى من مصائبها، على كل حال استعدّ للبلاء قبل نزوله فإذا نزل كنت مستعداً له بالصبر وإن انصرف عنك كان ذلك بعد استعدادك، أي بُني كنّ ناصحاً لمن استصحبك أميناً لمن إثمك تسلم من سوء العاقبة في أمرك.

وقال: إفعل ما تحب له أن يُفعل بك، واكف عما تحب أن يكف عنك.
وقال: التجني وافدً للقطيعة، والبخل من ضيق النفس.

وقال: النفس الناطقة جوهر بسيط ذو مسمع قوي يتحرك بها حركة مفردة إذا تحرك بها نحوذاته ونحو العقل، وحركات مختلفة إذا تحرك بها نحو الحواس الخمس.

وقال: الجود إثارة لذّة عذوبة الثناء على لغة المال.

وقال: الصبر حصن منيع البنيان، والعجلة مفسدة المروءة وقائدة إلى الندامة، والصدق ثمرة الكرم، والحرص فضول الشهوات، والاماني حبال الجهل، والعشرة الحسنة وقاية من الأسوأ.

وقال: صنع النعمة باصطناع المعروف تأمن زوالها عنك؛ والشكر دين وميراث مأخوذ على أهل كل نعمة، فمن أحاط النعمة بالشكر أحيطت له بالمزيد.

(1) أ: ح. ن.: بالملم.

وقال: بالتَّأَنِّي تسهل المطالبُ ويلين كَتِفُ المعاشرةِ تدوم المودةُ وبحفظِ الجانبِ تأمَنُ النفوسُ، وبسعةِ خُلُقِ المرءِ يطيب عيشه، وبكثرةِ الصمتِ تكون الهيئةُ، وبالعَدَلِ تجب الجلالةُ، وبالنُّصْفَةِ تكون المواصلَةُ، وبالاتِّصالِ تعظم الأقدارُ، وبالتواضعِ تتمُّ النعمةُ، وبصالحِ الأخلاقِ تزكو الأعمالُ وباحتمالِ المؤنِ يجِبُ السُّوددُ، وبالسيرةِ العادلةِ، يقهر المناوئُ، وبالحلمِ عن السفيةِ يكثر أنصاركَ عليه، وبالرفقِ والتودُّدِ يُستحق اسم الكرمِ، وبالرفقِ والصَّدقِ والوقارِ تلاحظُك بالجلالةِ الأكفَاءُ وبنفيِ العجبِ تأمَنُ الحمدُ، وبتركِ ما لا يعينُك يتم لك الفضلُ.

وقال: لأهل الاعتبارِ في صُرُوفِ الدُّهرِ كفايَةُ، فكلُّ يومٍ يأتي عليك فيه علَمٌ جديدٌ.

وقال: مسالمُ الناسِ عزيزُ الجانبِ وذو الفوائِلِ غير محفوظٌ، والحدْرُ لا ينفعُ الظالمِ وإنَّما يأمنُ العدوانُ النصفُ، وحسنُ البشاشةِ يبلغُ بصاحبها المعالي، والفعلُ الجميلُ مراتعُهُ نَزْهَةٌ.

وقال البشاشةُ تكسو أهلها المحبةَ، والفظاظةُ تخلعُ من صاحبها ثوبُ القبولِ.

وقال: من حاسب نفسه ربحَ، ومن غفل عنها خسِرَ، ومن صبر غنمَ، ومن لم يحلم ندمَ، ومن سكت سلمَ، ومن اعتبر أبصرَ، ومن أبصر فهمَ، ومن فهم علمَ.

وقال: من زرع الشرَّ يحصد الشرَّ، والقليلُ مع القنوعِ عِزٌّ، والحرصُ مع الكثرِ ذُلٌّ، والفكرُ في العاقبةِ نجاةٌ، وحليفُ الصديقِ موفِّقٌ، وقرينُ الكذِّبِ مخذولٌ، ومصاحبُ العاقلِ مغتبطٌ، ومصاحبُ الجاهلِ تميَّبٌ، وإذا زلزلت فارجع، وإذا أسأت فاندِمْ وإذا ندمت فاقْلَعْ، وإذا فضلتَ عليَّ أحدٍ فاكْتُمْ، وإذا منعت فاجْهَلْ.

وقال: من استلذَّ المعروف كان ربحُهُ الحمدُ، ومن كافي بالشكر فقد أذى

الحق، ومن أقرضك الثناء فأوفه الصنيع، ومن بذلك بيرة فقد شغلك بشكره.

وقال: كُنْ موفر القدر تبق لك الجلالة على أي حال كنت، وتعاهد نفسك بالحدز في وقت الانس مع الموالفة لئلا تخرج من حدود ما يُحتمل وتجاوز العدو في التبدل فتحمد على أكثر مما ظهر منك فيما يُستأنف، ثم يكون منبؤاً.

وقال: بعوارض الآفات تُكدر النعم على المنعمين. وقال: العاقل من اتهم رأيه، ولم يثق بكل ما سؤلت له نفسه، والجاهل لا يعرف تقصيره، ولا يقبل من نصحائه. وقال: لا تعاشر من الناس إلا من عرف مقدار نفسه، فإن من عرف مقدار نفسه فمعاشره، معه في طيب عيش، ومن لم يعرف فلا خير في عشرته.

وقال: من قلَّ همُّه على ما فاتته استراحت نفسه وصفا ذهنه. وقال: من استقصى على خليطه انقطعت أسباب مودته، ومن استقصى على نفسه استراح من استقصاء غيره عليه.

وقال العاقل من اقتصد في معيشته، وتأدب في منطقته، وتربى مع الصالحين من أهل طبقته، ولم يرغب في شيءٍ دنيءٍ إن عرض له.

وقال: لا تستحي⁽¹⁾ أن تقبل الحق ممن أتى به وإن أتى به ذميم المنظر فإن الحق عظيمٌ وصاحبه يُعظم لعظمته⁽²⁾.

وقال: من أحبك لنفسك فلا تخلِّه من فضلك.

وقال: الغني ما ستر صاحبه من الامتهان أكثر من المال الذي يرزقه صاحبه بالهوان.

وقال: أوشك لمن شغل بنفسه أن يرى الرشد في عاقبة أمره.

(1) وكذا في هام، والصواب: لا تسح.

(2) أ. ح. ن. : وكان يقول بأشرف الموت حلوا أمركم بالحكمة.

وقال له بعض تلامذته : ما نرى عليك أثر الحزن .

فقال له : لأنني لا أملك شيئاً إن عدمته أحزنني وإن انكسر الجب لم ينكسر المكان .

ونظر لرجلٍ منهزمٍ : الهرب من الحرب فضيحةٌ ، فقال له : شرٌّ من الفضيحة الموتُ .

فقال له سقراط : الحياة أفضل من الموت إذا كانت النجاة من الموت إلى حياةٍ صالحةٍ ، فأما إذا كانت النجاة إلى حياةٍ رديئةٍ فالموت خيرٌ منها وأفضل .

وقال لامرأته حين أخرج من الحبس وهي تبكي ، فقال لها : ما يبكيكِ؟ فقالت فكيف لا أبكي وأنت تقتل مظلوماً؟ فقال لها : أكتي⁽¹⁾ تريدان أن أقتل بحقٍ . وقال لتلاميذه من لم يُضمر نفسه في مضمار الرياضات لم يسبق إلى غاية الحيرات لأنه لم يبلغ غاية مدى الحكمة⁽²⁾ .

وكان يقول حيث يكون الشراب واللهو لا تسكن العفة والحكمة بل هما منه متنفيان .

وشتم بعض السفهاء سقراطاً فقال له بعض أصحابه : أذن لي فيه أيها الحكيم أكفك إيأه ، فقال له : ليس بحكيم من أذن في الشر .

وقيل له : إن أهل المدينة يضحكون منك ؛ قال : علي أن أتمم ضحكهم لي إلى مماتي .

وقيل له : إن فلاناً عدوك مات ؛ فقال : وددت أنكم قلتم تزوج ، فإن تزويجه شرٌّ له من موته .

ورآه بعض أمراء الملك يأكل الحشيش في الصحراء .

(1) وكذا في واء ، والصواب : «أكتي» .

(2) أ : ح . ن . : وكان يقول يا أسرى الموت خلوا أسركم بالحكمة .

فقال لو خدمت ملكنا لما احتججت إلى هذا؛ فقال: وأنت لو قدرت على أكل الحشيش لم تعبد من هو مثلك لأنك أبداً بين حزنٍ وغمٍ وتعبد من الخدمة.

فقال له: وكيف ذلك؟ فقال: لأنني لست أملك ما أحتاج إلى الاهتمام به، فإن أكل الحكماء بلا نمو، وعبادتهم بلا رياء، وحياتهم بلا أمنية.

وقال: إذا أردت أن تشاور أحداً في شيء من أمر نفسك فانظر كيف تدبير ذلك المستشار في أمر نفسه فإن كان لم يصلح لنفسه ولم يكسبها خيراً فانت أخرى أن لا يتفع به، فلست أثر عنده من نفسه.

وقال: من يُجربُ يزدد علماً، ومن يؤمن يزدد يقيناً، ومن يستيقن يزدد جهاداً، ومن يحرض على العمل يزدد قوةً، ومن يكسل يزدد فترةً، ومن يتردد يزدد شكاً.

بيت لسقراط شعرٌ وُزن بالعربية:

إنما الدُّنيا وإن رمقت
خَطَرَةٌ لا⁽¹⁾ مِن لَحْظٍ مُلْتَفِتٍ

وقال: الباري تعالى لا غاية له ولا نهاية، وما ليس له نهاية لا شخص له ولا صورة، والنهائية في سائر الموجودات لو تحققت لكانت لها صورة واقعة ووضِع وترتيب، وما تحقّق له صورة ووضِع وترتيب صار ساهياً، فالموجودات ليست بلا نهاية، والمبدع الأول ليس بذِي نهاية، ليس على أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية كما يتخيله الخيال والوهم بل لا يرتقي إليه الخيال والحق لم يصفه بنهاية ولا بغير نهاية، فلا نهاية له من جهة العقل إذ لا يحده، ولا من جهة الحسّ إذ لا يحده، فهو ليس له نهاية، فليس له شخص وصورة، فليس له صورة جيّة ولا خيالية ولا عقلية.

ورأى سقراط أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل الأبدان على نحو من

(1) «كذاه» في «أ». ويجب حذف (لا) استقامة للوزن والمعنى. ووردت أيضاً في «أبي أصيبعة» بدون لا (ص 79).

أنهاء الوجود إما مُتَّصِلَةٌ بِكُلِّهَا أو مُبَايِنَةٌ بِلَوَاتِهَا وَجِرَانِهَا، فَاتَّصَلَتْ بِالْأَبْدَانِ اسْتِكْمَالًا، وَالْأَبْدَانِ قَوَالِبُهَا وَآلَاتُهَا، فَإِذَا بَطَلَتْ رَجَعَتِ النُّفُوسُ إِلَى كَلْبَاتِهَا، وَلِهَذَا قَالَ لَمَّا خُوفَ بِالْمَلِكِ الْقَاتِلَ لَهُ: أَنَّ سَقْرَاطَ فِي جُبِّ وَالْمَلِكُ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى كَسْرِ الْجُبِّ، فَإِذَا انْكَسَرَ رَجَعَ الْمَاءُ إِلَى الْبَحْرِ.

وقال: ينبغي لنا أن نغتم بالحياة ونفرح بالموت لأننا نحيا لنموت ونموت لنحيا.

وقال: قلوبُ المفرقين في المعرفة بالحقائق منابرُ الملائكة، وبطنون المتلذذين بالشهواتِ قبور الحيوانات الهالكة.

وقال: كما أن جميع الأعراضِ الخارجة التي تظهر في البدن تابعة ضرورةً أمراضاً في البدن وأشياء خارجةً عن الطبيعة كذلك الكلام الفائض؛ والأفعال الصعبة التي تظهر من النفس تابعة ضرورةً أمراضاً إما نفسانيةً وإما أشياء خارجةً عن الطبيعة ثابتةً في النفس.

وقال: كما أن الذين يستعملون حواسُ البدن، فقط يمنهم من الغضب الملك المحسوس إذا وقفوا بين يديه كذلك يجب على من يستعمل الحواسُ النفسانية أن يمنعه من الغضب الخوف من الملك المعقول الذي هو واقف بين يديه دائماً.

وقال: إحدِرْ حُكْمَ الْحَكِيمِ وَلَا يُغْرِكَ تَمَادِيهِ، فَإِنَّ الصُّنْدَلَ مَعَ بَرْدِهِ تَلَحُّ عَلَيْهِ الرِّيحُ حَتَّى تَجْمَعَ بَيْنَ أَغْصَانِهِ فَيُلْغَمُ مِنْ قَدَحٍ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مَا يُؤْذِي مِنْهُ فَتُحْرِقُهُ.

وذكر له رجلٌ كثيرُ المالِ فقال: لستُ أغبطُهُ دون أن أعلم أنه أحسن استعمال ماله.

وجعل لرجلٍ على أن شتم سقراطَ مَالًا، فشتمه، فقال: إن كان ههنا وجهٌ آخرُ يظُنُّ أن يُتَضَعُ بنا فيه فلا يمتنعُ منه.

ورُفِعَ عليه رَجُلٌ في مجلس بعض الرؤساء فلم يمتنع، فقبل له في ذلك، فقال: هذا الحائط الذي قبالنا أرفع منا أجمعين، ولا أرى أحداً منا يُمِغِضُهُ ذلك، وإنما اغضب أن ترتفع هُمته على همتي، فأما إذا كانت همتي أرفع فمجلسي الأرفع، ومجلسه الأدنى.

وقال: إحذر العتب كمن تعرف ضرره فإن وقعت فيه فلا تكل فيه عن الخروج منه بجهدك.

وقال: لولا أن في قلبي: لا أعلم أخباراً أني أعلم، لقلت: لا أعلم.

ورآه إنسان وهو في كساء لا يوازيه خلق.

فقال: أهذا سقراط واضح نواميس أليس؟ وجعل يتعجب منه، فقال: هذا سقراط ليس عليه الناموس الحق كساء جديداً.

وكان يقول لتلاميذه: إستهينوا بالموت، وليهن عليكم خائفو الموت.

وأوصى سقراط عند موته بتسعة أشياء، فقال: خذوا طبائعكم بالقنوع من بدء معرفتها، فإنكم تعرفون الشكر عند الزيادة ويطيب عيشكم ولا تستمخ سوى قلبك فإن الزمان لا يؤمن أن يتصرف عليك بالحاشية الجائرة كما يتصرف عليك بالحاشية العادلة، ولا تستصغر الأمر وهو صغير إذا ورد عليك وهو قابل للزيادة، ورب صديقك بالمحبة كما تُربي الصغير، ولا تظهر له المحبة دفعة واحدة فإنه متى رأى منك تغيراً أعقبك بالعداوة، وتجنب الحرّد فأنته يضيع⁽¹⁾ المروءة ويهتك السُّر والشرف والفضيلة. واستعملوا المحبة وارفضوا المعاملة بوزن القصاص تسلّم أنفسكم من الأشرار، وتقرّبوا من الأخيار، ولا تبكّ أحداً بما تفعل مثله وإلا فاجتنب الفعل الذي تُبكّك غيرك به. وقال: من الحكمة أن يعرف نفسه لأي شيء تصلح.

(1) أ. ح. ن.: جميع زائد الأعراض الجارحة التي تظهر في البدن.

12 - خبر أفلاطون الحكيم الإلهي وآدابه⁽¹⁾

هو أفلاطُن بن رَاسُطُن بن أرِسْطوفليس، من أثينية، وهو آخر الحكماء المقدمين الأساطين، وهو معروف بالتوحيد والحكمة، تلمذ لسقراط وطيمائوس وغريب أثينية وغريب الناطس، ولما مات سقراط قام مقامه وجلس على كرسيه، وضم إليه العلوم الطبيعية والرياضية.

وحكى عنه تلامذته أرِسْطو وطيمائوس وباومرسطوس أن للعالم مبدعاً أزلياً واجباً لذاته عالماً بجميع المعلومات على نعت الأسباب الكلية. كان في الأزل، ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل ولا مثال عند الباري تعالى، وربما يُعبر عنه بالهولي أو بالعنصر.

ولعله يُشير إلى صور المعلومات في علمه، فأبدع العقل الأول، وبتوسطه النفس الكلية المنبعثة عن العقل انبعثت الصورة عن المرأة وبتوسطها العنصر والهولي الموضوع للصور الحسية غير ذلك العنصر، وأدرج الزمان أعني الدهر في المبادئ، وأثبت لكل موجود مثلاً في العالم الحسي موجوداً غير مُشخص في العالم العقلي، فالمبادئ الأولى بسائط، والمثل مبسوطات والأشخاص مركبات، فالإنسان المحسوس جزء للإنسان المبسوط المعقول، وكذا كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن والموجودات في هذا العالم آثار الموجودات في ذلك العالم. وكل أثر لا بُد له من مؤثر يشابهه نوعاً من المشابهة.

والعقل الإنساني لما كان من ذلك العالم أدرك من المحسوس مثلاً مُتزعاً من المادة، معقولاً لا يطابق بالمشال الذي في عالم العقل بكلّيته، ويطابق الموجود الذي في عالم الحس بجزئيته، ولولا ذلك لما كان يدركه

(1) أفلاطون: الفهرس، ص: 603؛ وابن جليل، ص: 23؛ والقفطي، ص: 17؛ وأصيمة، ص: 41.

العقل مطابقاً فلم يكن مدركاً لشيء يوافق إدراكه حقيقة المدرك وإنما تبقى الصور الحسية إذا كانت لها صورٌ عقليةٌ ترجو اللحوق بها، ويخاف التخلف عنها، وإذا شاهدنا بالحوس جميع المحسوسات وهي محدودةٌ محصورةٌ بالزمان والمكان وهي مثلٌ عقليةٌ.

وأرسطو يخالف أفلاطن بهذا المعنى العقلي الكلي إلا أنه يقول إنه معنى في العقل موجودٌ في الذهن لا يوجد في الخارج عنه إذا الشخص الواحد لا ينطبق على زيد وعمر، وهو في نفسه واحدٌ وأفلاطن يقول: ذلك المعنى الذي في العقل لا بُدَّ وأن يكون له شيء يطابقه في الخارج، فينطبق عليه وذلك هو المشال العقلي، وهو جوهرٌ إذ تصوّر وجوده لا في موضوع، وهو مقدّمٌ على الأشخاص الجزئية بتقدّم العقل على الحس، وهو تقدّمٌ عقليٌّ وشرفي معاً، وتلك المثل مبادئ الموجودات الحسية، منها بدأت وإليها تعود، وتفترعُ على ذلك أن النفوس الإنسانية كانت موجودةً قبل الأبدان، نحواً من أنحاء الوجود العقلي وهو بهما يرى الصور المجردة.

وخالفه أرسطو ويقال إنه شارك سقراط في الأخذ عن فيثاغورس، إلا أنه لم يظهر ويشتهر بالحكمة إلا بعد موت سقراط، واحتوى على جميع فنون الفلسفة.

وصنّف كتباً كثيرة مشهورةً في ضروب الحكمة. وذهب فيها إلى الرمزي والإغلاقي، وخرّج جماعةً من التلاميذ، وكان يعلم وهو ماشٍ، فسّموا بالمشائين. وفوّض التعليم إلى ذوي البراعة في آخر عمره من أصحابه وتخلّى عن الناس واشتغل بعبادة ربه عزّ وجلّ. ومن كتبه كتاب فاذن⁽¹⁾ في النفس وطّيماس الروحاني في عالم النفس والعقل والربوبية، وكتاب طّيماس الطبيعي في ترتيب عالم الطبيعة.

ومعنى أفلاطن وتفسيره في لغتهم: العميمُ الواسع. وكان اسمُ أبيه

(1) أ: ح. ن.: ماذن.

أرسطُن. وكان أبواه من أشرف اليونانيين من ولد أسقليوس جميعاً، وكانت أمه خاصة من نسل أسيرلون صاحب الشرائع، وكان قد أخذ أول أمره في تعلّم الشعر واللغة وبلغ في ذلك مبلغاً عظيماً إلى أن حضر يوماً سقراطيس وهو يثبث صناعة الشعر، فأعجبه ما سمع منه، وزهد فيما كان عنده منه، ولزم سقراط. وسمع منه خمس سنين، ثم مات سقراط.

وبلغهُ أن بمصر قوماً من أصحاب فيثاغورس فسار إليهم حتى أخذ عنهم، وكان يميل في الحكمة قبل أن يصحب سقراط إلى رأي أبرقليطوس، فلما صحب سقراط زهد في مذهب أبرقليطوس، وكان يصحبه في الأشياء المحرمة، وكان يتبع فيثاغورس في الأشياء المعقولة، وكان يتبع سقراطيس في أمور التدبير.

ثم رجع أفلاطون من مصر إلى أثينية، وكان نصب فيها بيتي حكمة، وعلم الناس فيها، ثم سار إلى أسقليا فجرت له قصّة مع ديوسوس المتغلب، وكان بها، وأبلى منه بأشياء صعبة تخلص منه وعاد إلى أثينية، فسار فيهم أحسن سيرة، وفعل الجميل والآن للضعفاء والزموه أن يتولّى تدبير أمورهم فامتنع لأنه وجدهم على تدبير غير التدبير الذي يراه صواباً، وقد اعتادوه، وتمكّن من نفوسهم فعلم أنّه لا يمكنه نقلهم عنه وأنّه لورام نقلهم عمّا وجدهم عليه لكان يهلك كما هلك أستاذه سقراط، على أن سقراط لم يكن رام استكمال صواب التدبير، وبلغ من العمر إحدى وثمانين سنة، وكان حسن الأخلاق، كريم الأفعال، كثير الإحسان إلى كل ذي قرابة منه، وإلى الغرباء، متأيداً حليماً صبوراً.

وكان له تلاميذ كثيرة وتولّى التدريس بعده رجلان بأثينية في الموضع المعروف بأفاديميا وكسانوأمراتيس والآخر بلوفين من عمل أثينية أيضاً وهو أرسطوطاليس، وكان يُلغز حكمته ويسترها، ويتكلّم بها ملغوزة حتى لا يظهر مقصده إلا لذوي الحكمة.

وكان درسه وتعليمه على طيماؤس وسقراطيس وعنهما أخذ أكثر رأيه.

وصنّف كتباً كثيرة منها ما بلغنا اسمه ستة وخمسون كتاباً. ومنها كتبٌ كبارٌ يكون فيها عدّة مقالات، وكتبه يتصل بعضها ببعض أربعة أربعة، يجمعها عرضٌ واحدٌ ويخصّ كل واحد منها عرضٌ خاصٌ يشتمل عليه ذلك العرض العام، وسُمّي كل واحد منهما رابوعاً، وكل رابوع منها يتصل بالرابوع الذي قبله. وكان رجلاً أسمر اللون، معتدل القامة، حسن الصورة، تامّ التخاطيط، حسن اللحية، قليل شعر العارضين، ساكناً خافضاً، أشهل العينين، برّاق بياضهما، في ذقنه الأسفل خالٌ أسود، تامّ الباع، لطيف الكلمة، يُحبّ الجلوس في الصحاري والوحدة، وكان يستدل في الحال الأكثر على موضعه بصوت بكائه، وكان يُسمع منه على نحو ميلين في الفيافي والصحاري والبراري أعاد الله تعالى من بركته ودعائه.

آداب أفلاطن⁽¹⁾

وهو الإلهي الذي سلّم له السُّبق كل من كان بعده وإذا شئت أن تشهد في هذه القلّة العليّة⁽²⁾ والمكانة الرفيعة فانظر إلى آثاره في أرسطوفان الذي ألف الصناعة بأجزائها وتصفّحها من حضيضها إلى عليائها، واجتني ثمرة كل من غرسها من أوليائها، والقول فيها طويلاً والثناء عليهما موصول، والذي بلغنا من أسماء كتبه ستة وخمسون كتاباً، وفيها كتبٌ كبارٌ.

وقال: الحمق نوعان: الجنون والثاني عدم العلم.

وقال: لا تسأل شيريراً حاجةً فإنّه بحسب شرارته في مذهبه، كذلك شرارته في عطية.

وقال: إذا خطر لك فكرة في شيء تريده وتشتهيه فاجعله من بالك

(1) أ. ح. ن. : وحكمه ومواعظه.

(2) أ. ح. ن. : في بعده العلية الفلسفة.

كالمعارض فإن تهياً لك نلت به الأمور وإن فاتك تضطر النفس إليه .

ووصى أفلاطن الناس فقال: أيها الناس اسمعوا كلامي واشكروا الله على نعمه عليكم، واعلموا أن الله سبحانه قد ساوى بين خلقه في مواهب النعم، وبذلها لهم كافة، فافهموا واعتبروا القول بالصحة، أسبغ الله النعم للعامة أجمعين، ولا تال الصحة بالمراتب، ولا يفقدها أهل الضعف لضعفهم، هذه نعمة تفوق جميع ما افتخر به أهل السعة، وكذلك الحاسة هي للناس أجمعين، وفيها ما أوجب عليكم الشكر في ليلكم ونهاركم على مواهبه، وعلى ما صرف عنكم من الآفات، فاصرفوا فكركم عن المشاحنة فيما لا حاجة بكم إليه، واعلموا أن ما كان في الفطرة فهو السنة الطبيعية، وفيه لكم منافع وغنى، والطبيعة قد أعدت لكم ما يصلح شأنكم في دنياكم وآخرتكم، فما الذي يدعوكم إلى أن تجمعوا أو تكثروا فيما تولد بينكم البغضاء والعداوة حقاً.

أقول لكم: لو علمتم ما في هذه التي يتنافسون عليها لعلمتم أنكم زاهدون فيما رغبتم فيه، ادفعوا الشهوات فإنها ضد الفكر، ولا تطلبوا ما لا حاجة بكم إليه، خذوا فيما يصلح أمركم، ما غنا الذهب والفضة في الفطرة، وما خاصيتهما التي يمدحهما بها محبوبهما، قد أعد الله لكم ما يحامي عنكم وهو الحكمة والتقوى.

يا قوم، التقوى رأس النجاح، وهو مفتاح الفضائل، إياكم والجور فإنه أداة العطب وشقة البلاء، إياكم والفجور فإن نشوءه يهلك الأمم وهو من الخواص الدنيئة، فأما الذي تطلبونه فخذوه لتعرف حاجتكم في مطالبتكم الغنى أو الفقر، وإن كنتم تطلبون الغنى فالحجة عليكم، وإن طلبتم الفقر فالزموا ما أقول لكم.

أتذكرون الذي له ما يحتاج إليه، والذي لا يقنع بما له فهو مكدر في طلب غيره، فإذا صح لنا أن الطبيعة قد أعدت ما يحتاج إليه فواجب عليكم

أن تلزموا ما أنعم الله سبحانه عليكم، يا طالبي الذهب والفضة لأنفسكم تريدون جمعها أم لأنفسهما، فإذا جمعتموهما، فإن كنتم راغبين فيهما، فما الذي يحملكم على أن تتاعوا بهما المحقرات، أما تعتبرن وتعلمون أنهما لا رغبة فيهما؛ دعوا الذهب والفضة؛ لا تجمعهما وتشقى بهما؛ وعليكم بالحكمة فإنها ضياء النفوس، وبها تظهر فضائلهما وجميع أخلاقهما؛ إلزموا العلم فإنه من خاصة الصورة التي هي بدء الخلقة.

ولا تطلبوا الإسراف في الأكل والشرب فإنها من شكل الهوى التي هي أوضح من الصورة وهو الذي يتم بفعال الصورة، فتشبهوا بالصورة لأنها المحركة بالقوة التي أنشأ فيها الخالق تعالى، ولا تميلوا إلى الهوى الذي أنشأه الخالق تعالى وتمنه بالصورة وحركه بتحريك القوة لها حقاً. أقول لكم إن أميرس الشاعر مصيب في حكمته وقوله إن الهوى مثال الأنثى والصورة مثال الذكر؛ أصلحوا لأنفسكم يصلح لكم إخوانكم، إن تقبلوا قولي ترشدوا وإن تغفلوها لم تضيعوا عز أنفسكم، ولا ييالي ضرر ذلك غيركم، الزموا طريق أسلافكم، فأرقوا الدنيا وانتم غير مجروحين بشهواتها، قدموا الحكمة على جميع المرغوب فيه.

إعنا بقوام البدن فإنه آلة النفس، أطلبوا فضائل النفس تصح لكم قواكم، لا تمدحوا المذموم ولا تذموا الممدوح، تعاونوا على البر وارفخوا عنكم البغضاء، لا تأنسوا بما يفارقكم ولا ترغبوا فيما تفقدوه قريباً، واطلبوا الفضائل التي اتفق الناس على أنها رغبة؛ ارفضوا المذمومات لانقباض الناس أجمعين عنها؛ اعتبروا بمن مضى من خياركم وملوككم وارموا الفرض الذي قصدوا إليه؛ الحق واضح، والصواب بين، والتقى معروف والأنفة ظاهرة والمروءة مكشوفة، والعدل فضيلة محمودة؛ ما أبين وسمت المذمومات وما أظهر المصيبات!.

أخبركم حقاً أنني أجد من السوء بتفضي الذهب والفضة ما لم أجده من اللذة في مزيد مالي منهما بل كانت الغموم متزايدة واردة للانقطاع بالاهتمام

بذلك، وأنا أترى من سرور الحكمة ومثالها، على أن الذهب والفضة وما أشبههما لا فضيلة في شيء منهما لأننا نجد قوماً يتأهون بالذهب الكثير القليل من العظام التي هي العاج، وقوماً يستبدلون به النحاس وما دونه من الزجاج وغيره. ولو كان الذهب فضيلة في نفسه لكان في كل المواضع مرغوباً فيه؛ كما أن الحكمة في جميع الأقطار ممدوحة، والجهل مذموم في جميع الآفاق وعند كل الناس. انظروا لأنفسكم وحاموا عن مراتبكم تزيّنوا بالعدل والبسوا العفة تفلحوا وتحمدوا أئوركم.

وقال للملك: فكّر يوم لنفسك أنفع من خراج سنة لمليك. وقال لارسطو: لا تشنع على أحد ولكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع.

وقال: من علم أنه يموت فليس ينبغي له أن يفتن لأمير صعب يعرض له لأنه لا يمكن أن يتوهم الحيّ أمراً هو أصعب عليه من الموت.

وقال أفلاطون: العادة على كل شيء سلطان.

وقال: سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الصبر العمل.

وقال: من لم يواس الأخوان عند دولته خذلوه عند آفته.

ورأى رجلاً ورث عن أبيه ضياعاً فأنلفها، فقال الأرضون تبلغ الرجال وهذا الفتى يبلغ الأرضين.

وقال: الذي يعلم الناس الخير ولا يعمله بمنزلة من بيده سراج يضيء لغيره.

وقال: ليس الملك من ملك العبيد، ولكن من ملك الأحرار، وما الغنى من جمع المال بل من دثر المال.

وسأله رجل: بم تلت ما وصلت إليه من العلم؟ فقال له باني أفيت زيتاً في سراجي بأكثر من الشراب الذي شربته أنت. وشمته إنسان، فقال له: شأنك والشر كأنك لا تحسن خيراً.

وقال: ينبغي إذا عوتب واحدٌ من الأحداث أن يترك له موضع الجحود
لدينه وإلاّ حمله ذلك على المكابرة.

وسئل: مَنْ أحقُّ الناس أن يؤتمن على تدبير المدينة؟ فقال: مَنْ كان في
تدبير نفسه حسن المذهب.

وسئل: من أقرن الناس في أمور الحكمة؟ فقال: أفهمهم لرأيهِ وأرغبهم
في المشهورة⁽¹⁾ وأوقفهم عند الشبهة حتى يمكنه طريق النظر والامتحان.

وفي النواميس صرّح بأنّ للعالم بدواً عليّاً وليس له بدو زماني. وقيل له:
مَنْ أجهل الناس في فعله؟ فقال: أعجبهم برأيه، وأتبعهم بتدبيره دُونَ رأيهِ.
غيره، وترك مخالفته أمره، والمتخفم في الأمور بحسن ظنه.

وقال: الحرُّ النفس الحكيم هو سيّد لناموس الطبيعة.

وقيل له: مَنْ سلّم من سائر الميوس وقبيح الأفعال؟ فقال من جعل عقله
أميره وحذره وزيّره والمواعظ زمامه والصبر قائده والاعتصام بالتوقي ظهيره
وخوف الباري تعالى خشيته وذكر الموت أنيسه.

وقيل له: مَنْ أصيح⁽²⁾ لنفسه وأوضعهم لقرّده؟

قال: مَنْ تواضع لمن لا يكرمه وقبل مدح من لا يعرفه.

وقال: البهيميون والجهال يقضون على الحسني والقيح بقدر ما تنال
حواسهم الظاهرة وإنما ترى الحواس حُسن الأعضاء، فأما حسن الصورة فلا
تراها إلا الحواس الباطنة.

وقال: مَنْ طالب الحكمة من طريق طلبها أدركها وإنما يخطيء أكثر
الطالبين لأنهم يطلبوها⁽³⁾ من غير طريقها، فإذا لم يدركها من تلك الطريق لم

(1) وكذا في «ه»، ولعل الصواب: المشورة.

(2) أ. ح. ن.: الناس.

(3) وكذا في «ه»، والصواب: يطلبونها.

يطلبها من طريق آخر لم يكذب بصورتها فيحمله جهله على أن يجهل، وذلك أنه من جهل صورة الحكمة جهل ذاته، ومن جهل ذاته كان أجهل الجاهلين.

وقال: الدنيا لا شيء في صورة شيء.

وقال لأرسطو: لا تقبل المدح بما ليس فيك.

وقيل له: ألك من يخدمك؟ فقال: الذين تخدمونهم هم يخدموني.

وقال: من عرف صورة الجهل كان عالماً، وإنما الجاهل من جهل صورة الجهل.

وقال: الغضب عز يستقبله شر.

وقال: إذا أردت أن تدوم لك اللذة فلا تستوفي⁽¹⁾ في الملذذ أبداً بل دغ فيه فضلة تنم لك اللذة.

وقال: ينبغي للملك أن يضع الرئاسة في الحليم العليم، لأن الحليم وقور صبور، والشجاعة قلق ضجرة، فإذا كانت الرئاسة لأهل الحلم عدلوا بوقارهم وحسن صبرهم قلق أهل الشجاعة وضجرهم، وإذا كانت لأهل الشجاعة فحيث أقلقوا أهل الحلم بقلقهم وأضجروا أهل العلم بضجرهم لأن الحليم لا يقلق إلا من الجهال.

وقال: إياك في وقت الحرب أن تستعمل النجدة وتدع العقل، فإن للعقل موافق قد تيم بلا حاجة إلى النجدة ولا نرى للنجدة غنى من العقل.

وقال: قول بلا عمل كمد يغرق ولا ينفع.

وقال: الشراب يكشف سر المتصنع.

وقال: سوء الخلق من استعمال سوء الظن لأن من استعمل سوء الظن فسد عيشه وساء خلقه.

(1) وكذا في داء، والصواب: فلا تستوف.

وقال: لا ينبغي للمرء أن يستعمل سوء الظن إلا عند انقطاع الرأي، فإن لم يقدر على الرأي وأخطائه فليستعمل سوء الظن.

وقال: لا تلتذ بشيء في العالم حتى تصلح بين الحس والعقل لئلا يُفبذ أحدهما على الآخر، فإذا أصلحت بينهما رأيت الحسن حسناً والقبح قبيحاً.

وقال: لا تمدح الشيء أكثر من قدره لأن بعد قليل يبين عن ذاته وعن جهلك، فلا يكون حينئذ مدحاً للشيء بل تنقيصاً لنفسك.

وقال: متى يضجر العاقل؟ قال: إذا حملته على مجاورة جاهل.

وقال: إذا رأيت العقل تاماً فالشهوة هناك مريضة ضعيفة.

وقال: إذا قوي الوالي في عمله حول مملكته على حسب ما في طبعه من الخير والشر.

وقال: دنو الهمة وضيعة القدر من ضعف الرؤية وسوء الاختيار.

وقال: أقيح ما يكون الصدق في السعاية، والضيق في الصدور، والبخل على من عجز عن المسألة، والسطوة على من يؤمن شره.

وقال: إن حياة النفس وقوامها بأعمالها المحصنة لها من الآفات حتى لا يدنو منها شيء يُميتها فيكون ذلك قتلاً للنفس فإنها إن لم يقتلها ذلك لم يقدر أحد على قتلها لأنها عالية على الجسد، مرتفعة عنه، وممتعة بلطفها من أن ينظر إليها الموت الناظر إلى الجسد فهو لا يراها وهي تراه بفضل لطيفها عليه.

وقال: فيما أملاه على أرسطاطاليس: أعرف الله سبحانه وحقه وأدب عانيتك بالعلم الصالح أكثر من عانيتك بغذائك يوماً بعد يوم لا تسلب الله سبحانه ما لا يدوم لك نفعه أبداً فإن كل المواهب منه، بل يجب أن تسأله النعمة الباقية معك أبداً. وكن متيقظاً أبداً فإن علل الشرور كثيرة، لا تهو ما لا ينبغي لك

أن تفعله. لا ينبغي لك أن تهوى حياة⁽¹⁾ فقط بل موتاً صالحاً ولا تعتمد الحياة والموت صالحين إلا أن تكتسب بهما أمراً لا يتم حتى تحاسب نفسك على ثلاث خصال: هل أخطأت في يومك؟ وما اكتسبت فيه من البر؟ وما كان ينبغي لك أن تعمله فيه من الخير فقصرت عنه؟ تذكر ما كنت وإلى أي شيء مصيرك. الشقي من لم يذكر دائماً عاقبته فيرجع عن بلسه. لا تجعلن قينتك من الخارجات عنك إلى الأصل، لا تضطرن أن تفعل الحق إلى مستحقه أن ينالك إلهه بل ابتدأه به.

وقال⁽²⁾: الحكيم التأم من فرح بشيء من هذا العالم أو جزع بشيء من مصائبه فاعتم له. أدم ذكر الموت والاعتداد للموت تعرف خسارة عقل المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه وإخباره بما لا يسأل عنه ولا يزداد منه. فكرر مراراً ثم تكلم وافعل فإن الأشياء متغيرة. لا تسرع الغضب فيسلط عليك بالعادة. لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غدي فإنك لا تدري ما يحدث في غدي عن المبتلى إن لم يكن سوء عمله أرداه. لا تحب القنية الحسنة فتضطر إلى البعد من محبة الله عز وجل. لا تكن حكيماً بالقول فقط بل كن حكيماً بالعمل فإن الحكمة التي تكون بالعمل تنفعك في العالم الباقي وليس الشرف عند الله تعالى الحكمة بالقول بل الحكمة بالأعمال الصالحة.

إنك وإن تعبت في البر فإن التعب يزول والبر يبقى لك وإن التذت بالإثم فإن اللذة تزول والإثم باقي عليك.

اذكر اليوم الذي يهتف بك فلا تسمع، والذي يصبت فيه اللسان الحديد ويبطل فيه الفكر، وتظلم فيه العينان، وتنصب رطوبتهما في التراب، وتبطل نفسك من بدنك، ولا يمكنك أن تشم رائحة جيفة بدنك، ويبطل جثك فلا تشعر بالدود الذي يمض الصديد، واذكر أنك ذاهب إلى المكان الذي لا

(1) أ: ح. ن.: صالحة.

(2) أ: ح. ن.: لبس.

تعرف فيه صديقاً ولا عدوّاً والمكان الذي يستوي فيه المولى والعبد، واذكر الميزان العدل واجمع الأدب والارتياض^(١) فإنك لا تدري متى الرحلة.

وقال: إنه ليس شيء في عطايا الله تعالى خير من الحكمة كافٍ بالخير. واضمح عن الشر تحفظ في كل وقت، وتذكر وافهم واعقل ولا تتكبر على شيء من أمور هذا العالم الحائلة الزائلة. لا تضاد واحدة من الخيرات ولا تمنع بواحدة من السيئات البتة من أجل القنية الحسنة. لا ينبغي أن تترك ما هو أفضل منها من أجل شرو الزمان الزائل. لا ينبغي أن تترك السرور الدائم. اجب الحكمة وانصف الحكماء وأطع السلطان ولا تمتنع في وقت من الأوقات من الأدب الحسن.

لا تفعل شيئاً في غير وقته فإذا فعلته في وقته فافعل بفهم. لا تقول قولاً لا ينتفع به، وإذا قلت قولاً نافعاً فحرر واحتفظ. لا ينبغي لك أن تختال عند الغنى ولا تستجدي عند المصائب. لا تسف على أحد ولتكن سيرتك مع الناس كلها بالتواضع، ولا تستخف بأحد لتواضعه، لتكن مساعدتك على ما لا يزي بك ولا ينقص من برك ما غدرت نفسك في فعله. لا تلم أخاك على مثله. جانب المرأة وتمسك بالثاني. لا ينبغي لك أن تقبل المدح بما ليس فيك. لا تفعل ما تدم على فعله، لا تغتم بشيء لم تفعله واحتمل التعب في وجوه البر. ينبغي لك أن تفعل الواجب من غير أن تحث عليه وتمتنع مما لا تحب من غير أن يمتنع عنه.

وقال: ينبغي للعاقل أن يكون رقيقاً على نفسه فيستعظم خطأه ويستصغر صوابه.

وقال: لا تنظر إلى أحد بالموضع الذي يزيته فيه زمانه. وانظر إليه بقيمته الحقيقية فإنها مكانه الطبيعي.

(١) ح. ن. : وأداب الانتهاض.

وقال: السائر تحت الممكن ضعيف الهداية والسكينة، والمطالب بالمتنع. أعمى البصيرة ناقص التمييز، والسالك مع الواجب، أمين من السرف، عزيز الجانب ساكن القلب لا نلقاه مسرّة ما يضره ولا يدهمه ما لم يعتد له.

وقال: الغضب والشهوة وكل خلق من اخلاق النفس. فله مقدار يصلح له به حال الشخص الذي يكون فيه، فإن زاد فيه على ذلك أخرجه إلى الشر لأن الغضب شبه الملح الذي يطرح في الأطعمة فإن كان بقدر صالح أصلح الطعام وإلا أفسده وكذلك سائر القوى.

وقال: ليس ينبغي أن يمتحن الأديب بكثرة العمل بل بأن يوجد معرّى عن الشر.

وقال أرسطو: قصدت أفلاطون^(١) فقل إنه في المقابر، فحشته وقد عبأ من العظام. تلا عن يمينه وآخر عن يساره، وهو يقبل ويدبر، وضحك ويعبس، فوقفت ساعة ولم يعرف، ثم نظر إليّ، فسألته.

قال: فأما ضحكى فلاغترارهم بالدنيا، وعبوسي للفكر في تركيبها وانجلالها.

وجلس يوماً حوله التلامذة سوى أرسطو، فقال: لو وجدت مستجعاً لتكلّمت، فقل: حولك ألف تلميذ.

فقال: أريد واحداً كالف.

وقال: إذا رأيت الميت فسل نفسك: هل هو مساوٍ لك في الطبيعة أم لا؟ فإن كان مساوياً لك فكُن ذاكرةً لتلك الحال دائماً.

وقال: لا تكن بمن يسرع إلى الغضب فتسلط عليك عادات السفهاء.

وقال: كن في كل وقت تبعاً زاداً كما يبعد من يرتحل ليكنه تلك.

(١) أ. ح. ن. : يوماً.

وقال: لا تفرح بالبطالة.

وقال: مَنْ يكره الذلَّ والعار^(١) ينبغي له أن يجتهد في التنويه بأسيمه.

وقال: لا ينبغي للأديب، أن يخاطب غير الأديب إلا برفق، كما لا ينبغي للصّاحي أن يخاطب السّكران إلا بمدارة.

وقال: أشدّ الاحرار وأحقهم بالتفضيل مَنْ خرج عن سلطان عادته، وزال عن طاعة غضبه، ونزل بدون منزلته في قلوب الناس، ولم تشغله موارده عن مصادره.

وقال: محبتك للشّيء ستر بينك وبين مساوئه ويغضك له ستر بينك وبين محاسنه.

وقال: مَنْ رأيته يقتني شيئاً دون ما ينفع فلا تعدّه في خاتفاً.

وقال: إذا طابق الكلام نيّة المتكلّم حرّك نيّة السامع، وإن خالفها لم يحسن موقعه ممّن يريد به.

وقال: إذا قويت نفس الإنسان انقطع إلى الرأى، وإذا ضعفت انقطع إلى البحث.

وقال: أحسن ما في الأنفة الترفع عن معائب الناس، وترك الخضوع لما زاد على الكفاية.

وقال: انبساطك عورة من عوراتك فلا تبذله إلا لمن توكل عليه، وحقق به. وقال: من تعلّم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده، ومن تعلّمه لجذواه انصرف عنه بانصراف الحظ. وقال: الحلم لا ينسب إلا لمن قدير على السطوة، والزهد لا ينسب إلا إلى من ترك بعض القدرة.

وقال: لا تغترون بمن يميل إليك حتى تعرف جلته فإن كان لشئ من

(١) أ. ح. ن. : ليس.

صفاتك الذاتية لك فارجُ ثباته، وإن كان لصفة عارضة فلا تحفل به، فإن ذلك الميل يُقيم بمقامه وينصرف بانصرافه.

وقال: إنما صار التقليد واجباً في العالم لأن الضعف فيه، قائم في الناس. وقال: احفظ الناموس يحفظك.

وكان أفلاطن يجلس فيستدعي منه الكلام، فيقول حتى يحضر الناس، فإذا جاء أرسطوطاليس قال: تكلموا فقد حضر الناس.

وقال: أكبر الفخر أن لا تفخر.

وقال: من عدل قل غمه واشتاق إليه كل شيء.

وقال: إذا صادقت رجلاً وجب أن تكون صديق صديقه، وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه، والمشورة تريك طبع المستشار.

وقال: سئل أفلاطون عند موته عن الدنيا فقال: خرجت إليها مضطراً، وهشت فيها متحيراً، وما أنا أخرج منها كارهاً، ولم أعلم فيها إلا أنني لا أعلم.

وقال: ينبغي أن تتعلم وتستفيد وتسمع ولا تحتشم ولو بلغت غاية الشيخوخة، وكان المعلم لك حدث السن، فإن الجهل أقبح من التعليم.

وقال: تعلم الفضيلة الإنسانية هي الفضيلة القائدة المرِيحة⁽¹⁾.

وقال: من عديم الفهم عن الباري لم يجر أن تستفهمه موعظة حكيم.

وقال: من فوائد الحكمة أن يعلم الحكيم علماً يقيناً أنه نجا بمنزلة من كبر به في البحر، كيف تتلاطم به الأمواج، فيعظم سروره بخلاصه، وتعظم شفقتة ورحمته لمن بقي من الناس في الشروب متردداً.

(1) أ. ح. ن.: من هنا إلى قوله: علم إصابة الحق، متعلق بكلام أرسطو وإنما وقع للسهم من النسخ. ولم يكتب في موضعه فنبني أن يكتب في أول كلام أرسطو.

وقيل له: مَنْ أنفعُ الناسِ علماً؟ فقال: مَنْ رغبَ فيما لا يفنى من العلم. وإذا كسلتم فاضمتموا مجالسكم الحديث تنشطوا...

13 - خبر أرسطاطاليس بن نيقوماخوس الحكيم⁽¹⁾

معنى أرسطا: حسن، ومعنى تا: الذي، ومعنى ليس: تقول، فيكون معنى الاسم: حسن الذي تقول. ويكون بالرومي: ارشاد الاليس، فعرّب فقيل: أرسطاطاليس. وهو المقدم المشهور والمعلم الأول، والحكيم المطلق، عند اليونانيين. وإنما سمي المعلم الأول لأنه واضع للتعاليم المنطقية، ومخرجها من القوة إلى الفعل، وحكمه حكم واضع النحو والعروض، فإن نسبة المنطقي إلى المعاني التي في الذهن نسبة النحو إلى الكلام والعروض إلى الشعر.

وهو واضح لا بمعنى أنه لم تكن المعاني مقومة بالمنطق قبله، فقومها هو، بل معناه أنه جرّد آلة عن المادة فقومها تقريباً إلى أذهان المتعلمين، حتى تكون كالميزان عندهم يرجعون إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ، والحق بالباطل. إلا أنه أجمل القول لإجمال الممهدين، وفصله المتأخرون تفصيل الشارحين، وله حق السبق وفضيلة التمهيد، وكتبه في المنطقيات والطبيعيات والآلهيات والخلافيات معروفة ولها شروح كثيرة كشرح بافرسطس وفرغوريوس والإسكندر الإفرواسي وباسيليوس وغير ذلك، وأكثر من جاء بعد المعلم الأول. سلك طريقته، ورأى رأيه كالمقلدين له، وليس الأمر على ما ظنوه، فإن أرسطو وأكثر أتباعه أخطأوا في مسائل كثيرة من المهمات الحكمية والمضائق الفلسفية يطلب تحقيق ذلك من كتبنا.

وذكر أن واجب الوجود هو المحرك الأول، وأن الجوهر يقال على ثلاثة أضرب: إثنان طبيعيان وواحد غير متحرك، فإن كل متحرك لا بد له من

(1) ابن جليل، ص: 125 والفلفلي، ص: 127 أصيعة، ص: 86.

محرّك، فإن كان المحرّك متحرّكاً تسلسل إلى غير النهاية، فلا يتحصّل، فلا بدّ من استناد التحرّك في الأخير إلى محرّك غير متحرّك. ومعنى أرسطو في لغتهم: الكامل الفاضل، ومعنى نيّقوماخس: المجاهدُ القاهرُ، وكان أبوه ماهراً في علم الطبّ.

فولّد له أرسطاطاليس في مدينة تسمى أسطاعين من البلاد المسماة مقدونيا حلفيد من أعمال تراكس، وكان اسم أمّه أفنطيا، وكان أبوه طبيب أفنطس والدّ فيليس، والد الإسكندر، وكان يرجع بنسبه إلى أسقليوس، وهو النسب الفاضل في اليونانيين، وأصل أمّه يرجع في النسب إلى أسقليوس؛ ولما بلغ ثمانين سنين حمله أبوه إلى بلاد أثينية، وهي المعروفة ببلاد الحكماء، وأقام في قوفيس منها، فضمّه أبوه إلى البلغاء والشعراء والنحويين، وأقام متعلّماً منهم تسع سنين، وكان اسم هذا العلم عندهم المحيط، أعني علم اللسان لحاجة جميع الناس إليه، لأنّه الأداة والمراقى إلى كلّ حكمية وفضيلة والبيان التي تحصّل به كلّ علم.

وإن قوماً من الحكماء أُرروا بعلم البلغاء واللغويين والنحويين، وعنفوا المشاغلين به منهم قيثاغورس وامنغورس، وزعموا أنّه لا يحتاج إلى علمهم في شيء من الحكمة لأنّ النحويين معلّمو الصبيان، والشعراء أصحاب أباطيل وكذب، والبلغاء أصحاب تحمل ومحابة ومراء، فلما بلغ أرسطاطاليس ذلك أدركته الحفيظة لهم، فناضل من النحويين والبلغاء والشعراء فاتحج عنهم.

وقال: إنّهُ لا بدّ ولا غنى للحكمة من علمهم لأنّ المنطق أداة لعلمهم.

وقال: إنّ فضل الناس على البهائم بالمنطق، فاحقهم بالالسنّة أبلغهم في منطقهم وأوصلهم إلى عبارة ذلك بذات نفسه، وأوضعهم لمنطقه في موضعه وأحسنهم اختياراً لأوجزه وأعربه، ولأنّ الحكمة أشرف الأشياء، فينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأفصح اللغة وأوجز اللفظ ليكون أبعد عن الزلل والدخل وسماجة المنطق وقبح اللكنة والعي، فإنّ ذلك يُذهب نور

الحكمة، ويقطع من الأداء، ويقصر عن الحاجة ويلبس على المستمع، ويُفسد المعاني ويورث الشبهة.

فلما استكمل علم الشعراء والنحويين والبلغاء واستوعبه، قصد إلى العلوم الأخلاقية والسياسية والتعليمية والطبيعية والإلهية، وانقطع إلى أفلاطون وصار تلميذاً له ومتعلماً له يومئذ سبع عشرة سنة، وذلك في موضع يسمى أفاديميا من اثينية بلد الحكماء، وأقام متعلماً من أفلاطون عشرين سنة، وكان يتعلم العلم من أفلاطون بالسماع من فيه، ولم يكن يكله إلى تعليم كساقوفراطيس تلميذه كما كان يفعل بغيره لجلالته في نفسه.

ولما غاب أفلاطون إلى سقليا الغيبة الثانية استخلف أرسطوطاليس على دار التعليم بالمدينة المسماة أفاديميا، فلما هلك أفلاطون خرج أرسطاطاليس إلى موضع باثينية يسمى لوفيون، فاتخذ هناك داراً لتعليم الحكمة المنسوبة إلى المشائين، وكان من رأي أفلاطون الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول عنه كرياضة النفس بالحكمة ليجمع الحليات في رياضة النفس والبدن، وتقدم في ذلك إلى أرسطاطاليس وكساقوفراطيس.

وكانا يُعلِّمان التلاميذ الحكمة وكلهم مشاة ولُقبَا ومن تبعهما بالمشائين، وبقي كساقوفراطيس بأفاديميا ليعلم بها علم أفلاطون فكان جميع حكمة أرسطوطاليس وما وضع من كتب المنطق وغيره من الحكمة في الموضع الذي انتقل إليه الذي يسمى لوفيون واستودعها هناك وكانت جكمته وكتبه تسمى في ذلك الحين: علم إصابة الحق وسماعه.

ولما توفي أفلاطون، سار أرسطوطاليس إلى أزميس الخادم للوالي پاولس، ولما مات الخادم رجع إلى أثيس فأرسل إليه فيلبس، فصار إليه إلى ماقدونيا، فلبث بها يعلم الحكمة إلى أن سار إلى الاسكندر إلى بلاد آسيا، واستخلف أرسطاطاليس في ماقدونيا.

فاستأنس ورجع إلى بلاد أثيس فأقام في لوقين عشر سنين يعلم، وقام عليه

رجلٌ من المتكهنين اسمه أو ماذن وشنع عليه بالطعن في مذهبه، وأنه لا يسجد للأصنام التي كانت تُعبَدُ في ذلك الدهر، ولا يُعظمها بسبب الحسد له، وضغن كان في نفسه عليه.

فلما أحسَّ بذلك شَخَصَ عن أثنية إلى بلاده، وهي حلفيد خوفاً أن يفعلوا به كما فعلوا بسقراط الزاهد، وأتى هذا الموضع الذي ذكرناه لينظر إلى مدحره أورنفوس التي تأسوه وحدها، وأن يضع في ذلك كتاباً، فأذركه الموت هناك، فتوفي بها ودُفن بها وكان له حينئذٍ ثمانٍ وستون سنةً، ولما مات فيلبس وملك الإسكندر بعده وشخص عن ماقدونية لمحاربة الأمم. وجاز بلاد آسيا صار أرسطاطاليس إلى التبت والتخلي عن الاتصال بأمور الملوك.

وأقبل على العناية بمصالح الناس ورَفِدَ الضُعفاء وتزويج اليتامى والأياشى، ورَفِدَ الملتسمين للعلم والتأديب من كان، وأي نوعٍ من العلم والأدب طلبوا، والصدقات على الفقراء وإقامة المصالح في المدن، وجدد بناء مدينة إصطاغرا.

وكان هو الذي وضع سُنن إصطاغرا عندهم، وكان جليل القدر عظيم الشأن عندهم، وكانت له من الملوك كراماتٌ عظيمةٌ ومنزلةٌ رفيعةٌ، ونقل أهل إصطاغرا عظامه بعد ما بليت وجمعوها وصيروها في إناءٍ من نحاسٍ، ودفنوها في الموضع الذي يعرف بالأرسطاطاليسي مجمعاً لهم يجتمعون فيه للتشاور في جلائل الأمور وما يحزنهم، ويستريحون إلى قبره، ويسكنون في عظامه، وإذا صعب عليهم شيءٌ من أمور الحكمة أتوا ذلك الموضع وجلسوا عليه ثم يناظرو⁽¹⁾ فيما بينهم حتى يستنبطوا ما أشكل عليهم، ويصح لهم ما شجر بينهم.

وكانوا يرون أن مجيئهم إلى ذلك الموضع الذي فيه عظامه يذكي عقولهم، ويصح فكرهم، ويلطف أذهانهم، وأيضاً تعظيماً له بعد موته وأسفاً على

(1) كذا في «أ»، والصواب: يناظرون.

فراقبه، وكان كثير التلاميذ من الملوك وأبناء الملوك^(١) منهم باؤفرسطس وأوديموس والكسندروس الملك وأمونوس وأسخيليوس وغيرهم من الأفاضل المشهورين بالعلم المبرزين في الحكمة المعروفين بشرف النسب.

وقام بعده مقامه في تعليم حكمته التي وضعها وصنفها وجلس على كرسيه، وورث مرتبته ابن حالته باؤفرسطس، ومعه رجلان يُعنانه على ذلك ويؤازرانه يسمى أحدهما أوديموس والآخر اسحوارس، وصنفوا كتباً في المنطق والحكمة وخلف مالا كثيراً وعييداً وإماء كثيراً، وغير ذلك، وجعل وصية أنطسطرس وجماعة معه من أصحابه يعينونه وخرء باؤفرسطس في المشاركة في الوصية والتدبير معهم أن شغل ذلك عليهم.

وصنف كتباً كثيرة نحو مائة كتاب وذكروا أنه صنف غير هذه المائة كتباً آخر منها ما وقعنا عليه، وهي الآن موجودة بأيدي الناس نحو عشرين كتاباً، ثمانية هي الكتب المنطقية، وثمانية هي الكتب الطبيعية، وكتاب الأخلاق، وكتاب السياسة المدنية، وكتاب كبير فيما بعد الطبيعيات ويُعرف بشاولوخا، ومعناه: القول الإلهي، وكتاب الحيل الهندسية، ومنها رسائل وعهود ومنها ما انتهى إلينا أسماؤها، ولم نقف عليها وهي عدد كبير، وعد له أفلاطون على ما أظهره من الحكمة وصنفه من الكتب معتذراً، أما أبناء الحكمة^(٢) وورثتها فينبغي أن يمنحوها، وأما أعداؤها والزاهدون فيها فلن يصلوا إليها لجهلهم بما فيها ورغبتهم عنها، ونفاريهم منها لعصرها عليهم.

وقد حصنت هذه الحكمة مع إباحتي لإياها تحصيناً منيعاً لئلا يسورها السفهاء، ولا يصل إليها الجهلاء، ولا يتناولها الأشقياء، ونظمتها نظماً لا يعاب به الحكماء ولا يتفع به الجحدة الكذبة؛ وكان لئن الجانب، كثير التواضع، حسن اللقاء للصغير والكبير والقوي والضعيف.

(1) أ. ح. ن. : وغيرهم.

(2) أ. ح. ن. : فاجابه.

وأما قيامه بأمور أصدقائه فلا يوصف، ويدلُّ على ذلك ما ذكره أصحاب السِّرِّ واتِّفاقهم. وكان أرسطوطاليس أبيض أجلع قليلاً، حسن القامة، عظيم المظام، صغير العينين، كث اللحية، أشهل العينين، أفتى، صغير الفم، عريض الصدر، يُسرِّع في مشيته إذا خلا، وبطيء إذا كان مع أصحابه، ناظراً في الكتب دائماً لا يهن، ويقف عند كل كلمة، ويُطيل الإطراق عند السؤال، قليل الجواب، يتنقل في أوقات النهار في الفياقي والأنهار، محب لاستماع الألحان، والاجتماع بأهل الرياضات وأصحاب الجدل، منصف من نفسه إذا خصم، معترف بمواضع الإصابة والخطأ، معتدل في الملابس والمآكل والمشارب والمناكح والحركات، بيده آلة النجوم والصناعات.

ونقل عن أرسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة أن مبادئ الأشياء هي العناصر الأربعة، ونقل عن بعضهم أن المبدأ الأول هو ظلمة وهابية، وفسروهما بفضل وخلى وعماية غير متناهية، وأثبت قوم من النصارى تلك الظلمة الخارجة⁽¹⁾، وخالف أرسطو أستاذه أفلاطن في قوله: إن من الناس من يكون طبعه مهياً لشيء لا يتعداه، فإِنَّه زعم أن الطبع إذا كان سليماً صلح لكل شيء، وكان أفلاطن يعتقد أن النفوس الإنسانية أنواع منها، كل نوع لشيء لا يتعداه؛ وأرسطو يعتقد أن النفوس الإنسانية نوع واحد، وإذا تهياً كل ذلك النوع.

وذكر أرسطو أن كل ما كان بسيطاً، كان فعله بسيطاً، ففعل الله تعالى واحد بسيط.

آداب أرسطوطاليس الحكيم

قال: ليس الأمر بالخير بأسعد من المطيع له، ولا المعلم بأسعد من المعلم له، ولا الناصح بأولى من المنصوح.

(1) أ. ح. ن. : وسورها الظلمة.

وقال: ليس شيء أصلح للناس من أولي الأمر إذا صلحوا ولا أفسد لهم ولا أنفسهم إذا فسدوا، فالوالي من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد والروح من البدن الذي لا حياة له إلا به.

وقال: اخذ الحرص فأما ما هو مصلحك ومصلح على يدك فالزهد. وقال: إن الزهد باليقين، واليقين بالصبر، والصبر بالفكر، فإذا فكرت بالدنيا لم تجد لها أهلاً لأن تكرمها بهوان الآخرة، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل بليّة.

وقال: إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنه من لم يكن له قناعة فليس المال مغنيه وإن كثر.

وقال: لا تضر على الناس بما ترغب فيه، ولا تأتي^(١) إليهم ما تكره أن يؤتى إليك، وقاتل هواك وانصر رعيّتك واكفف شهوتك، واحلل الحقد من فؤادك، وطهره من الحسد واقبض إليك أملك فإن بسط الأمل مقسة للقلب، ومشغلة عن المعاد، وليكن ما تستعين به على إطفاء الغضب علمك بأن الزلل لا يخلو منه أحد وبه وقع صاحبك.

وقال: إحدِر الشهوات وليكن ما تستعين به على كفها عنك علمك بأنها مذمومة لمعلك مهنّة لرايك، شاتئة لعرضك، شاغلة لك عن جميع أمرك، لأنها لعب، فإذا حضر اللب غاب الجسد ولا يقوم الدين، ولا تصلح الدنيا إلا بالجد، فإن نازعتك نفسك إلى الشهوات واللّهو فإنها قد ترغب بك إلى شر منزل.

وقال: لا يطل لك عمر في غير نفع، ولا تضيق لك مالاً في غير حق، ولا تصرف لك قوة في غير عناء، ولا تعدل لك رأياً في غير رشد، فعليك بالحفظ لما أتيت من ذلك، والجد فيه وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواه، وإن كان لا بد من اشتغال نفسك بلذّة، فلتكن في محادثة

(١) كذا في «أ»، والصواب: لا تأتي.

العلماء ودرس كتب الحكمة. وقال: العدل ميزان الله عز وجل في أرضه يؤخذ به الضعيف من القوي والمحق من المبطل، فمن أزال ميزان الله عما وضعه بين عباده فقد جهل أعظم الجهالة واغتر بالله تعالى أشد اغتراراً.

وقال: ليس طلمي للعلم طمعاً في بلوغ أقاصيه ولا الاستيلاء عليه ولكن التماساً لما لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل خلافه.

وقال: مَنْ لَمْ يَكُنْ حَكِيماً لَمْ يَزَلْ سَقِيماً.

وقال: السخاء بذل ما تحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة، فمن جاوز هذا فقد أفرط وخرج عن حد السخاء إلى التبذير.

وقال: الحكمة رأس التدبير وصلاح النفس ومرآة العقل، وبها تُدَلُّ المكروهات وتُعزُّ المحبوبات، ما أحسن رأيي من حقق في طلبها.

وقال: اطلب القنينة التي لا تزول، والحياة التي لا تتغير، والملك الذي لا يزول، والبقاء الذي لا يضمحل.

وقال: أصليح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك؛ كن رؤوفاً رحيماً، ولا تكن رافئك ورحمتك فساداً، لمن يستحق العقوبة ويصلحه الأدب، خذ نفسك بإثبات السنة فإن فيها كمال التقى. وقال: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى صَوْرَةِ نَفْسِهِ فَلْيَجْعَلِ الْحِكْمَةَ مِرْآةً.

وقال أرسطو: النفس ليست في البدن بل البدن في النفس لأنها أوسع منه وأبسط.

وقال عند موته: ابنوا لي بيتاً مثمناً واكتبوا على كل ثمن منه كلمة من هذه الكلمات: العالم بستان سياجه الدولة، الدولة سلطان تؤيده الشريعة، الشريعة سياسة يسوسها الملك، الملك راع يعضده الجيش، الجيش أعوان يكفلهم المال، المال رزق تجمعه الرعية، الرعية عبيد يستعبدهم العدل،

العدل مألوف به قِوَامُ العالم، وهذا كلام عالي^(١).

وكتب إلى الإسكندر: أماً بعدد، فإن الدنيا دول، فما كان منها لك أتاكَ على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوّتك والسلام.

وقال: حرام^(٢) على الأثام أن يكون لها بعدي مثلي، إني عدلت طباعي، يعني بحكمتي، ودلت على كثير من الحكمة بقليل من الآلة، ووضعت العلم الجُم بقلّة شغل قلب المقتصد في الحفظ. ومات للإسكندر ابن فدخل عليه أرسطو وقال: خوف ما لا مرد له خلق من لا عقل له.

وقال: صيّر دُنياك وقايةً لأخريتك، ولا تصيّر أخريتك وقايةً لدُنياك، فسّر أهل التقى المشهورين بالزهد، وقدم مجلس من كان مشهوراً بالورع، واقتصر حوائج العامة بهم.

وقال: اطلبوا الدنيا لتصلحوا بها الآخرة، ولا تطلبوها لتصلح هي، فما أقلّ اللبث فيها! وما أسرع الانتقال عنها! فقد أصبحت فيها غير راغب، ومنها على وجل، وأنا أسأل الخالق أن يسلمني من الدنيا وأن يسلم أهلها مني.

وقال: من جعل الأجل أمامه أصلح نفسه؛ لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من إخوانه؛ ومن نجبر على الناس أحب الناس ذلته؛ أي ملك نازع السوقه هتِك سره^(٣)؛ من أسرف في حب الدنيا مات فقيراً؛ من قنع مات غنياً؛ من أسرف في الشراب فهو من السفلى؛ بذل الوجه إلى الناس هو الموت الأصغر.

وقال: اختصار الكلام طي المعاني.

وقال: من لم يقدر على فعل فضيلة فلنكن همته ترك رذيلة.

وقيل له: ما أخف ما حملة الإنسان؟ قال: السكوت.

(١) وكذا في داء، والصواب: عالي.

(٢) أ. ح. ن. : حرام.

(٣) أ. ح. ن. : من أسرف في اللوم أحب الناس موته.

وقال: أيها الأشهاد بالعقول، تفاضل الناس لا بالأصول؛ وعبث عن افلاطون الحكيم: الحكمة رأس العلوم والآداب وتلقيح الأفهام ونسائج الأذهان، وبالفكر الثاقب يدرك الرأي العارب.

وقال: ووعيث عنه: وبالثأني تسهل المطالب، ولبين الكلمة تدرك المحبة، وتدوم المودة وبسعة الأخلاقي يطيب العيش، ويكمل السرور، ويحسن الصمت جلالة الهيبة، وبإصابة المنطق يعظم القدر، ويرتقي الشرف، وبالإنصاف يجب التواصل، وبالتواضع تكثر المحبة، وبالعفاف تزكو الأعمال، وبالإفضال يكون السؤدد، وبالعدل يفهر العدو، وبالحلم يكثر الانصار، وبالرفق تستخدم القلوب، وبالإشارة يستوجب اسم الجود، وبالإنعام يستوجب اسم الكرم، وبالوفاء تدوم الاحياء، وبالصدق يدوم الفضل، وبحسن الاعتبار تضرب الأمثال، لا أدري نصف العلم؛ السرعة في الجواب تورث العار؛ الرياضة تستحدث القريحة؛ مفاضة الاحمي عذاب الروح؛ من عرف نفسه لم يوضع بين الناس؛ من زاد علمه على عقله كان علمه وبالأ عليه؛ من وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في السؤال، ومن عدم ذلك كان مغموراً بالجهل.

وقال: إذا كانت الحكمة هي خير الدنيا وثوابها هو خير الآخرة فأحق ما وجهت إليه همك الحكمة.

وكانت لارسطو ضيعة نفيسة، فدفعها إلى من يقوم بها، فقال له بعض الناس: لم تفعل ذلك ولم لا تتعاهد ضيعتك؟

فقال: إني لم اقتني ضيعتي بتعاهدي للضياع، وإنما اقتنيتها بتعاهدي أدب نفسي، وبذلك أرجو أن أملك ضياعاً كثيرة.

وقال للإسكندر: الجمال مضره لصاحبه ومنفعة للناس إليه⁽¹⁾، غير متفجع بالحكمة قلب مرتبط بطلب المعيشة.

(1) أ: ح. ن.: وقال.

وقال لبعض تلاميذه: أي بُني، لا تعاشر من الناس إلا من عرف قدر نفسه، فإن من عرف قدر نفسه فمعاشره في طيب العيش. ومن لم يعرف قدر نفسه فلا خير في عشرته.

وقال له رجل: بلغني أنك اغتبتني⁽¹⁾، فقال: ما بلغ من قدرك عندي أن أدع لك خُلة من ثلاث، فقال: وما هن؟

قال: إما علم أعجلُ فكري فيه، وإما لذة أعللُ بها نفسي، وإما إقبال على عملٍ صالح. ورأى تافهاً يكثر الأكل، فقال: يا هذا ليس زيادةُ القوة بكثرة الأكل، ولكن بكثرة ما يقبلُ البدن.

وقال له رجل: ما البلاغة؟ فقال: إقلالٌ في إيجازٍ وصوابٍ في سرعة جوابٍ.

وقال: رضى الناس غاية لا تدرك، فلا تكره سخط من رضاه الجور؛ وأعاد على تلميذٍ له مسألة، فقال: فهمت؟ فقال التلميذ: نعم، فقال: لا أرى أثر الفهم عليك، والدليل على الفهم السرور.

وقال: كنتُ أشربُ فلا أروى، فلما عرفتُ الله رويتُ من غير شربٍ.

وقال أبرخس لأرسطاطاليس: يا إمام الحكمة، ما ينبغي لطالب الحكمة أن يتعلم أولاً؟ فقال: أما إذا كانت النفس هي معدن الحكمة فأول ما ينبغي لطالبها أن يطلب علم النفس بقوة نفسها، قال: فما قوة نفسها؟ قال: القوة السائلة لي منك عن نفسها.

قال: وكيف يسأل الشيء عن نفسه غيره؟

قال: كسؤال المريض للطبيب عن دائه وسؤال الأعمى من حوله عن لونه.

(1) أ. ح. ن. : ارتبتي.

قال: وكيف تعمى النفس عن نفسها وهي أم الحكمة؟ قال: إذا غابت الحكمة عن النفس عميت عن نفسها وغيرها كما يعمى البصر عن نفسه وعن غيره، إذا غاب عنه المصباح.

وقال: عجبت لمن قال فيه أحدٌ خير وليس فيه خير كيف يفرح، وعجبت لمن قيل فيه شر وليس فيه كيف يغضب، وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض غيره على الشك.

وقال: دفع الشرُّ بالشرِّ حيلة ودفعه بالخير فضيلة.

وقال: استغناؤك عن الشيء أحسن من استغنائك به.

وقال: السعادة الإلهية ههنا محتاجة إلى الخيرات الخارجة من الإنسان لأنه يعسر على الإنسان أن يفعل الأفعال الجميلة بلا مادة، مثل جودة العيش وكثرة الاخوان، ولهذا المعنى احتاجت الحكمة إلى المملكة في إظهار شرفها وفضلها.

وقال: مَنْ خدَم العدل وَعَبَدَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وفعل فعله بالفضيلة، وكانت حاله جَيِّدَةً حَسَنَةً، وهو أن يكون مُجِيباً لله تعالى جَدًّا، ومن أَحَبَّ اللهَ مُحِبَّةً إلهيةً وَأَحَبَّ العقل والفضائل الممَّجدة أكرمه الله تبارك وتعالى وتعهده وأحسن إليه.

وقال: اعلَمُوا أَنَّ اللثام اصْبِرْ أجساماً والكرامُ اصْبِرْ نفوساً وليس الصُّبرُ الممدوحُ أن يكون جلد الرجل وقاحاً على الضرب أو تكون رجله قوية على المشي أو يده قوية على العمل، فإن هذا من صفات الدواب، ولكن يكون للنفس غلباً وللأمور محتملاً، وفي الصبر جميلٌ وللجزم مؤثراً والهوان تاركاً، وبالمشقة التي يرجو عاقبتها مستحقاً، وعلى مجاهدة الأمور والشهوات الهوائية مواظباً.

وقال: الجاهل كالغريق، فانصحه بالبُعدِ منه ولا تقاربه، فإن نجا ربحَتْ،

وإن هلك لم يحزنك، ولم يجد بك إلى هلاكه، واحذر أن يسمع كلامك.

وقال: قَلَّةُ العلمِ والتمييز عِلَّةُ الرَّدَاءَةِ، وكلُّ من له رداءةٌ فلا معرفةً له بما ينبغي أن يفعل وبما ينبغي أن يهرب منه، وبمثل هذا الخطأ كثر الظلمة والأشرار والمعاندون للحق.

وقال أبو النصر الفارابي: ما فَرَطَ أرسطاطاليس في وضع المنطق ولقد محض النصيحة وانفرد فيه بكمالِ الفضيلةِ وبأن مِنْ جلالَةِ قدره وجزالةِ رأيه فيه على ما ذلَّتْ له الرِّقَابُ وخضع له أولوا الألبابِ وأقربُ الألسنِ له بالعجز على لطيفِ ما أتى ودقيقِ ما أدَّى وبديعِ ما أَلَفَ وغريبِ ما صَنَفَ حتى صار في الناس علماءً وعليهم حكيمًا.

وقال أبو سليمان السجري: لَوْ لَمْ يَكُنْ لارسطو إلَّا قوله في وصف الإنسان وذكر حاله وما يدل عليه وعلى غايته وبدنه وكيف يصلُحُ الإنسانُ وهو يسرُّه ما يضرُّه لكان كافيًا. . . وقال: نصحك من أسخطك بالحقِّ وغشك من أرضاك بالباطل، وكانت كتبه وحكمته تُسمَّى: علم إصابة الحق.

وقال لا ينبغي أن تأخذ نفسك بالعلوم قبل أن تنفي عنها العيوبَ وتعوِّذها الفضائل، فإن لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلم. . . وقال: الحمقُ الإغراقُ في المدحِ والذمِّ.

14 - خبرُ انكساغورسِ المَلْطِيِّ وآدَابُهُ

وهو من المَلْطِيِّين المعروف عندهم بالحكمة والخير. قال: إنَّ الباري تعالى أَرْزَيْ، لا أَوَّلَ له ولا آخر، هو مبدأ الأشياء، ولا بدء له ولا يشبهه هونه، وهو مبدعٌ، فقد كانت صورته في علمه الأول، والصُّورُ عنده بلا نهاية، فالصُّورُ أَرْزِيَّةٌ، ولا يتكثر ذاته بتكثر المعلومات، ولا يتغير بتغيرها، أبدع بوحدايته صورةَ العنصر، ثم صورةَ العقل، قريب العنصر في العقل،

الوأن الصور على قدر ما فيها من طبقات الأنوار، وأصناف الأناظر، وصارت تلك الطبقات صوراً كثيرة دفعة واحدة، كما تحدث الصورة في المرآة الصقيلة بلا زمان ولا ترتيب بعض على بعض، غير أن الهيولى لا يحتمل القبول، فقلت أنوار الصور في الهيولى.

وكان يقول: إن نسبة هذا العالم إلى ذلك العالم نسبة النقل والقشر إلى اللب، والقشر بريء منه، وإنما نبات هذا العالم بما فيه من قليل نور ذلك العالم والألم لم يثبت طرفه عين، ويبقى ثباته إلى أن يصفي العقل جرمه الممتزج به، وتصفى النفس جزءاً مختلطاً، فإذا صفي الجزءان عنه ورث أجزاء هذا العالم وبقيت الأنفس الدنسة في مبدأ الظلمة. رأي أنكساغورس الملطي كراي بالس وخالفه في المبدأ الأول، فإن مبدأ الموجودات عنده متشابهة الأجزاء وهي أجزاء لطيفة لا يدركها الحس ولا ينالها العقل، منها يتكون العالم العلوي والسفلي إذ المركبات مسوقة بالبساط والمختلفات بالمتشابهات، فإن المركبات تركب من العناصر المتشابهة، والحيوان والنبات يغتذي من الأجزاء المتشابهة وغيرها، فتصير متشابهة في المعدة وتجري في البدن، وتصير أجزاء مختلفة، ووافق الحكماء في أن المبدأ الأول العقل الفعال، وخالفهم في أن الباري تعالى ساكن غير متحرك.

وقال: إن أصل الأشياء جسم واحد هو موضع الكل لا نهاية له، ولم يبين أنه من العناصر أو من غيرها، قال ومنه يخرج جميع الأجسام والأنواع وأصناف القوى، وهو أول من قال بالكُمون والظهور، وكان بعد انقسامان الملطي وقد ملأ أرسطو كتبه من أقواله وآرائه ومذاهبه والرّد عليه فيما لم يوافق. وكان يأخذ نفسه بالتشفي، ويسومها الشدائد من مقاساة البرد والجليد والثلج عرباناً حافياً على كبره وضعفه، فقل له في ذلك، فقال: لأن نفسي سريعة المرح، فأخشى أن تشرد، وأخاف أن تجمع بي فتورطني في أهوائها المذمومة فما لي لا أجعلها تحتي دون أن أكون تحتها، ولم لا أحملها على الشدائد دون أن تحملني على الفواحش. وكان في مدينته هرج واختلاط

ببعض الحوادث، والفيلسوف ساكن مار، ف قيل له : ألا تتحرك لهذا الامر؟ فقال: لو رأيتم مثل هذا في النوم اكنتم تتحركون له في اليقظة، فكل ذلك لا يُقْلِبُنِي هذا الامر لَانْ أمور هذا العالم كلها كال حلم، وصحة الرأي كال يقظة.

وقال: اللسان قد يحلف كاذباً والعقل لا يحلف إلا صادقاً فاجهد أن يتطابقا جميعاً.

ويقال: إن امرأته خاصمته ومكثت زماناً تُسمعه المكاره وهو ساكن محتمل، فاغتاضت منه غيظاً شديداً، وكانت تغسل ثياباً، فقامت وصبت على رأسه غسالة الثياب، وكان في يده كتاب يطالع فيه، فوضع الكتاب من يده، ثم رفع رأسه إليها وقال لها: أرعدتي وأبرقتي ثم امطرتي⁽¹⁾، ولم يزد على ذلك.

ومر على رجل عريض عليل فشمته وافحش، فاعرض عنه، ف قيل له: لِمَ لا تمتص من كلامه؟ فقال: لأنني لا أتوقع أن أسمع من الغراب هديل الحمام، ولا من الكركي تغريد القمرى.

وكان إذا مدحه الأشرار يفرغ، وقال: لعلني فعلت شراً.

15 - ثاوفرسطس تلميذ الحكيم أرسطاطاليس⁽²⁾

وخليفته على كرسي الحكمة بعد وفاته، واعانه على ذلك أوديموس وانحولوس، وكانا أيضاً من تلامذة أرسطو الكبار، وله التصانيف الكثيرة والشروح لكتب أرسطاطاليس، ومما يدل على فضله وقوته قوله: الإلهة لا تتحرك، وهي مع قلة لفظها غزيرة المعنى كثيرة الفائدة.

(1) وكذا في هاء، والصواب: أرعدت وأبرقت ثم امطرت.

(2) ثاوفرسطس، الفهرست، ص: 308 - 309، والبيهقي ص: ، والقاضي، ص: 109، أصحح 106.

وقال: الأديب مَنْ روى محاسن الناس وستر المساوىء. وقال: العقلاء من خبأة الأموال ينالون من جمعها برفق ما لا ينالون من جمعها بالصولة فإن العقلة تنال من الدّم بغير أدنى ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بحراشفها وهؤل صوتها.

وقال وقد رأى شاباً طويلاً الصمت: إن كان سكوتك لقلة أدبك فانت أديب، وإن كنت أديباً فقد أسأت الأدب إذا سكّت.

وقال أيضاً: النفس تقدّر على الطيران والحلول على جميع ما تريد بالأجنحة الحقيقية التي لها، وهي تنظر إلى ما تريد.

وقال: متى طرحت النفس الثقل عنها من الفكر في هذا العالم الذي يعوقها عن حركاتها إلى الشيء الفاضل باشرت الحكمة بأيسر كلفة وأهون سني وصارت كالسراج الذي هو مضيء في نفسه ومضيء لغيره، والجاهل إذا لزمها صار عالماً والفقير إذا اتبعها صار غنياً.

وقال: المال غنى البدن والحكمة غنى النفس وطلب غنى النفس أولى لأنها⁽¹⁾ غنيّت بقيت، وغنى النفس محدود، وغنى البدن محدود.

ولما حضرته الوفاة أقبل على لوم الطبيعة بما معناه أن بنيان البدن لا أصل له بل بنيان النفس والاعتناء بها.

16 - أواديموس

كان من تلامذة أرسطو والمدرّسين لعلمه وحكمته والمصنّفين للكتب على قوة كلامه ونمط تأليفه، وقال: لا تهر إلى الجاهل شيئاً فإنه لا يطيق كتماناً ولا يطيق كتمان السر إلا الحكيم.

وقال: كما أن السهم إذا أصاب حجراً نبا عنه، كذلك الكلمة السوء إذا

(1) أ. ح. ن. : إذا.

رُمي بها الرجل الصالح لم ينجع فيه ورجع الميِّبُ إلى الرامي .

وقال : كما أنَّ الموت رديء لمن كانت الحياة له جيدةً كذلك هو جيِّدٌ لمن كانت الحياة له رديئةً ، فليس الموتُ رديئاً مطلقاً بل جيِّدٌ في الإضافة إلى شيء يكون جيِّداً و رديئاً .

وسئل عن قدر انتفاع الإنسان بالحكمة فقال : إذا حوى الإنسان الحكمة واشتمل عليها كان مثله مثل الواصل في البحر إلى مقصده ، فهو ينظر إلى غيره مكروباً بالأمواج المكددة به والرياح المخترقة عليه وهو مطمئنٌ وادعُ حزنه .

وقيل له : ما المحال ؟ قال : مالا صورة له في النفس .

17 - أسخيلُوس

كان من أصحاب أرسطو وكبار تلامذته وجارياً مجرى ثاوفرسطس وأوديموس فيما ذكرنا من شأنهما ، وكان الإسكندر يعظمه ويرفعه على نظرائه .

وقيل له : هل لا اتخذت زوجةً ؟ فقال : أنا في السعي في إصلاح نفسي والحيلة في مصالح جسدي في مؤنٍّ وجهلٍ وهمومٍ وعمومٍ لا قوام لي بها ، فكيف أضُمُّ إليها مثلها .

وقيل له : نراك تُدمنُ القراءةَ والكتابةَ ، فقال : لأعلم أنني جاهلٌ محتاجٌ إلى العلم . وقال في الإسكندر : كان جامعاً للشدة والحكمة ، وكان سلاحه في محاربة أعدائه الحكمة .

وسقَّ عليه بعضُ السفهاء ، فلم يلتفت وقال : إن كان كاذباً فأولى أن لا أغضب لأن الأمر ليس على ما قال وإن كان صادقاً فما يغضبني⁽¹⁾ .

(1) أ. ح. ن. : ينيبي أن .

وحبسه الإسكندر، فلما دخل السجن دخل السجناء يُفتش، ما معه من المال؟ فقال: ما أجهلك ما جئت هنا للتجارة، ولا للهو، فما بلغ من جهلي أن احمل معي المال إلى هنا لتأخذهُ.

فقال له: اجلس، لا خلصك الله تعالى: فبلغ الخبر الإسكندر فضحك وخلق سبيله. وقال: صحة الأرواح في الحكماء الصالحين فأما صحة الأجساد فلا أبالي بها.

18 - ديمقراطيس⁽¹⁾

كان هو وأبقراط الطبيب في زمن واحد أيام بهمن بن إسفنديار بن ساسب؛ وله مقالات وآراء قد ذكرها الحكماء عنه في الكتب، وهو من قدماء الفلاسفة، وقيل له: لا تنظر، فغمض عينيه؛ وقيل له: لا تسمع، فشد أذنيه؛ وقيل له: لا تتكلم، فوضع يده على شفتيه.

وقيل له: لا تعلم، فقال: لا أقدر على ذلك. وكان أرسطو يؤثر قوله على قول أستاذه أفلاطون ولم ينصف في ذلك.

وقال: إن الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالأصباغ، والجمال الباطن لا يشبه به إلا من هو له بالحقيقة وهو مخترعه ومنشئه.

وقال: ينبغي أن تأخذ في العلوم بعد أن تنفي عن نفسك العيوب، وأجودها الفضائل، ولألم تتفع بشيء من العلوم.

وقال: من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزانته ومن أعطاه علمه ونصحه فقد وهب له نفسه.

وقال: لا ينبغي أن بعد النفع الذي فيه الضرر العظيم نفع ولا الضرر الذي فيه النفع العظيم ضرر ولا الحياة التي تحمد حياة.

(1) ابن جليل، ص: 33؛ والقفطي، ص: 181.

وقال: قتل مَنْ قنع بالاسم كمن قنع من الطعام بالرائحة.

وقال: يجب أن يُطَهَّر القلب عن المكر والخديعة كما يطهَّر البقل من أنواع الخبث.

وقال: مَنْ وطئ عَقَبَكَ باليوم وطئكَ غداً.

وقال له نقاشٌ غير حاذقٍ: جَصَّصْ بَيْتَكَ بِاثْنَيْهِ لَأَصُورَهُ، فقال له: بل اُنْقِيهِ أولاً لِأَجْصُصَهُ بعد ذلك.

19 - قابس السُّقراطي

كان من الحكماء المتقدمين، وهو من أصحاب أفلاطون، ولم نجد له غير لغزٍ موضوعٍ في أمر هذا العالم وما يجري فيه من البحث والحث على ترك الدنيا والتهاوُن بها وما يجب على الإنسان من إسقاط الفكر في⁽¹⁾ الشهوات وطلب السعادة التامة والنجاة من الشرور التي في عالم الحس.

20 - أبرقليس⁽²⁾

هو الذي أُلّف في قدم العالم كتاباً أورد فيه الأدلة على قديهِ، وخالف القدماء في ذلك، ووافقه أرسطو على ذلك، وتبعهما كلٌّ من جاء بعدهما، وهو مخالفٌ للظاهر من أقوال الحكماء وبعض المتعصبين. أبرقليس مهذّبٌ عذره، وقال: إنّه كان يُناطق الناس ينطقي، روحانيٌ بسيطٌ وآخر جسمانيٌّ مُركَّب، فكان القوم الذين يناطقونه جسمانيين، وإنما دعا إلى ما ذكره من الأدلة على القدم. مفاومتهم، فخرج بذلك من طريق الحكمة والفلسفة إذ من الواجب على الحكيم أن يُظهر العلم على طرقٍ كثيرةٍ متصرفٍ فيها كل

(1) أ: ح. ن.: طلب.

(2) القفطي، ص: 89.

ناظر بحسب نظره ويستفيد منها بحسب فكره واستعماده فلا يجد على قوله متباعاً ولا طعناً.

فإن أبرقليس لما كان يقول بدهر هذا العالم وأنه باق لا يدثر، وضع كتاباً⁽¹⁾ في هذا المعنى، فطالعه من لم يعرف طريقته، ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانيته فنقصوه على مذهب الدهرية، وفي هذا الكتاب يقول: لما اتصلت العوالم بعضها ببعض وحديث القوى الواصلة فيها، وحديث المركبات من العناصر حديث قشور، واستنبطت لبوب كالقشور دائرة، واللبوب قائمة دائمة لا يجوز الفساد عليها لأنها بسيطة وجيدة القوى.

فانقسم العالم إلى عالمين: عالم الصفوة واللب وعالم الكدورة والقشر، فاتصل بعضه ببعض، وكان آخر هذا العالم من بدء ذلك العالم، فمن وجه ليس بينهما فرق، فلم يدثر هذا العالم لاتصاله بما يدثر، ومن وجه تدثر القشور وتزول الكدورة، وكيف لا تدثر القشور؟ ومما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية، ولأن هذا العالم مركب والعالي بسيط، وكل مركب ينحل إلى البسيط الذي تركب منه، وكل بسيط دائم.

والذي نقل عن أبرقليس هو المنقول عن مثله والذي أضاف إليه القول الأول، إما أنه لم يقف على مراده للعلّة المذكورة أو لأنه كان محسوداً عند أهل زمانه، لأنه بسيط الفكر، واسع النظر سائر القوى، وكان أولئك أصحاب أوهام وخيالات.

فإنه يقول في موضع من كتابه: أن الأوائل منها تكونت العوالم وهي باقية لا تدثر، وهي لازمة الدهر، ماسكة له، إلا أنها من أول واحد لا يوصف بصفة، ولا يدرك بنعت لأن صور الأشياء كلها منه وهو الجوهر الممد للطباع الحية والبقاء، فإذا اضمحل قشور هذا العالم وذهب دنسه وصار بسيطاً

(1) كذاه في هاء، والصواب: كتاباً (كما يستج من سياق الكلام).

روحانياً بقي بما فيه من الجواهر الصافية الثورانية الروحانية كالموالم العلوية التي لا نهاية لها وكان واحداً منها.

21 - أَرَسْطَيْسُ

كان رجلاً معروفاً في بلده بالحكمة والفلسفة وهو في حُسْنِ حالٍ، وخفَضَ من العيش، وكثُرَ في المال، فعثر به الذُّهْرُ وغدرت به الأيام فتعسَّرتْ حالُهُ، وتشتَّتْ أسبابُهُ، فعزَمَ على التَّغَرُّبِ إلى حيث لا يُعرف، فركبَ البحر، فانكسرَ المركبُ ودُمِيَ إلى الساحلِ، فصوّرَ شكلاً هندسياً على الأرض.

وقيل: بل رأى شكلاً هندسياً مُصَوَّراً في بناءٍ هناك فقويت نفسه بذلك لكونه قد وقع إلى قومٍ حكماء لا إلى أغنامٍ لا عقول لهم، فدخلَ المدينة وخالطَ أهلها فعادتْ حالُهُ إلى أَحْسَنِ ممَّا كانت عليه لأنَّهم عرفوا ما عنده من الفضلِ فأكرمُوهُ وأجلُّوهُ واختلفوا إليه، فعادتْ أسبابه، ثم أنه رأى قوماً يركبون البحر إلى مدينته، فسألوه أن يكتب شيئاً إلى أهلِهِ، فقال: هذا، ليكن ما تكسبونه وتفتنونه شيئاً ما إذا كُسِرَ بِكُمْ المركبُ وغرقت، شيخٌ معكم.

22 - فِوَاطَرْخُسُ⁽¹⁾

عمل ثوراً من طين وقربهُ في اليوم الذي كان أهل بلده يقربون لأصنامهم فعاتبوه فاجاب بأن ذبح الحي المتنفس لأجل ما ليس بحي قبيح.

23 - صَفِيدَاسُ⁽²⁾

جعل على نقيبهِ أن لا يتكلَّم، فاتَّصَلَ خبرُهُ بمادريانوس الملكِ فأمر

(1) الفهرست، ص: 1314 فلوطرخس؛ أصيعة، ص: 1425 أفلوثرخس.

(2) الفهرست، ص: 1419 سفدس.

بإحضاره، وجهد به الجهد أن يكلمه فلم يفعل، فأمر بقتله، وتقدم إلى السيف في السر إن تكلم إذا هزئت عليه السيف⁽¹⁾ فاقتله وإن ثبت على صمته فرده إلي، فمضى به وهز عليه السيف فلم ينطق بحرف فردّه إلى الملك، فأكرمه وعظمه وسأله عن مسائل، فأجابته عنها في كتاب ودأب على صمته.

24 - ثامسطيوس

معناه: المؤمن بالله، مُفسّر كتب الحكيم أرسطاطاليس بأحسن ما يكون وبأبلغ ما يمكن مع الاستقصاء التام؛ كان وزيراً وكتّاباً لضاييس الملك على ما ذكرناه فيما مضى، وإنما اعتمد الحكماء على شرحه لكتب أرسطو لأنه أهدى القوم إلى إشاراته ورموزه على رأي أرسطو، إلا أنه اختار رأي من زعم أن المبادئ ثلاثة: الهولى والصورة والعدم، والفرق بين العدم الخاص كعدم صورة السفينة عن الحديد، والعدم المطلق ظاهر، وزعم أن الأفلاك حصلت من العناصر الأربعة لا أن العناصر حصلت من الأفلاك ففيها نارياً كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الأرضية؛ والكواكب نيرات مشتعلة حصلت بتراكيبها على وجه لا يتطرق إليها الانحلال لأنها لا تقبل التكوّن والفساد والتغيّر والاستحالة، ولأ فالطباع واحدة والفرق يرجع إلى ما ذكرناه. ويُقَل عن أرسطو وتلامذته أن في جميع العالم طبيعة واحدة عامة، وكل نوع من الثبات والحيوان له طبيعة خاصة تُدبره تدبيراً طبعياً.

25 - الإسكندر الأفروديسي⁽²⁾

من مدينة أفروديمانساس المفسّر لجميع كتب أرسطاطاليس على غاية الإمكان، والإسكندر كان في زمن جالينوس، وكان بينه وبين جالينوس

(1) أ: ح. ن.: وروعة.

(2) الفهرست، ص: 1313 القفطي، ص: 154 أصيمة، ص: 106.

مناظرات، وكان كثيراً يبعث به ويسميه رأس البغل لعظم دماغه، وثامسطوس والإسكندر من تلامذة كتب الحكيم أرسطو.

وقال الإسكندر: إذا أردت أن تعرف ما عند صاحبك فحدثه في أثناء الحديث بالمحال، فإن أنكره فهو عاقل، وإلا فهو أحمق، وجميع المشائين يُعَظِّمونَه، وأبو علي بن سينا يُقَوِّمُه ويُنِّي عليه وكذلك ثامسطوس يمدحه الشيخ ويبالغ في شكره، ويقول أيضاً في حقهما في بعض كلامه: وقد صنَّفنا كتاباً سَمَّيناهُ بِالْإِنْصَافِ قَسَمْنَا الْعُلَمَاءَ فِيهِ قَسَمَيْنِ مَشْرِقِيِّينَ وَمَغْرِبِيِّينَ، وَجَعَلْتُ الْمَشْرِقِيِّينَ يَعارِضُونَ الْمَغْرِبِيِّينَ حَتَّى إِذَا أَحَقَّ الْكِدَادُ تَقَدَّمْتُ بِالْإِنْصَافِ، فَقَدْ كَانَ يَشْتَمِلُ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ ثَمَانِيَةِ عَشْرِينَ أَلْفِ مَسْأَلَةٍ.

ثم يقول بعد كلام قريب، وقد كان يشتمل على ضعف تلخيص البغدادية، وتقصيرهم وجهلهم، والآن فلا يمكنني بعد ذهابه أن أعيده ولكن اشتغل بمثل الإسكندر وثامسطوس ويحيى النحوى وأمثالهم.

ثم نقول بعده: وأما أبو نصر الفارابي فيجب أن نُعَظِّمَ فِيهِ الْإِعْتِقَادَ، وَلَا نَجْرِيَ مَعَ الْقِسْمِ فِي مِيدَانٍ فِيكَادُ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ سَلَفٍ مِنَ السَّلَفِ. والإسكندر من كبار العلماء رأياً وعلماً، ومقالته أَرْضَنُ، وكلامه أَمْتَنُ، وافق أرسطو في جميع آرائه وزاد عليه في الإحتجاج على أن الباري تعالى عالم بالأمور كلها: كلياتها وجزئياتها على نسقٍ واحدٍ بما كان ويكون، ولا يتغير علمه بتغير المعلوم ولا يتكثر بكثرته.

وقال: كل كوكب ذو نفس وطبع وحركة من جهة نفسه وطبعه ولا يقبل التحريك من غيره أصلاً بل يتحرك بطبعه واختياره، ولا تختلف حركاته لأنها دورية.

وقال: لما كان الفلك محيطاً بما دونه، والزمان جارياً عليه، لأن الزمان عاد للحركات، ولما لم يحط بالفلك شيء آخر، ولم يكن الزمان جارياً عليه، لم يجز فساد الفلك، ولا تكونه فيكون قديماً أزلياً.

وقال: إن النفس لا تفعل إلا بمشاركة البدن حتى التصور بالعقل فإنه مشترك بينهما وأشار بهذا إلى أن النفس لا تبقى بعد مفارقتها لها قوة أصلاً حتى القوة العقلية، وخالف في هذا أستاذه أرسطو، فإنه قال: الذي يبقى مع النفس من جميع ما لها من القوى هي القوة العقلية فقط، ولذاتها في ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط، إذ لا قوة لها دون ذلك فتحس وتلذذ بها، والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيئات ملكية هنالك.

26- الشيخ اليوناني

المشهور صاحب الجحّم الكثيرة والمواعظ النفيسة، كان معاصراً لديوجانس الكلبي، وهو تلميذه أيضاً وممن أخذ الحكمة عنه.

قال الشيخ اليوناني: النفس جوهرٌ شريف كريم يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنه لا يعدلها، ومركزها هو العقل، والعقل دائرةٌ دائرةٌ استدارت على مركزه، وهو الخير الأول، لكن دائرة النفس متحركةٌ ودائرة العقل ساكنةٌ شبيهةٌ بمركزها، ودائرة النفس تتحرك على مركزها، وهو العقل، ودائرة العقل تتحرك بالاشتياق إلى مركزها، ودائرة النفس في حركتها ميلٌ لأنها تشتاق إلى العقل والحيز الأول.

فأما دائرة هذا العالم فإنها تدور حول النفس وإليها تشتاق، والحركة الدائمة شوقاً إلى النفس كشوق النفس إلى العقل والعقل إلى البارئ تعالى، ودائرة هذا العالم جرمٌ يشتاق إلى ما يخرج عنه ليصير إليه ويعانقه، فكذلك يتحرك الجرم الأقصى الشريف حركةً مستديرةً لأنه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها فيستريح إليها ويسكن عندها.

وقال: ليس للبارئ تعالى صورةٌ ولا حليةٌ مثل صورة الأشياء العالية أو الصور التي في العالم السفلي، ولا قوةٌ مثل قواها، وهو فوق كل صورةٍ وحليةٍ وقوةٍ، وكذلك العقل والنفس اللذان هما شعاعاً ذاته فتجد الأشياء التي لا

صورة ولا حلية ولا شكل لها اتحاداً عقلياً معنوياً.

وقال الشيخ اليوناني: الغائب المطلوب في طي الشاهد الحاضر.
وقال أبو سليمان السجري: معناه أن كل ما هو عندنا بالحس بيناً فهو لنا بالعقل هناك، إلا أن الذي لنا ظل ذلك، ولأن من شأن الظل أنه كما يريك الشيء الذي هو ظله مرة فاضلاً على ما هو عليه ومرة فاضلاً عما هو به ومرة على قدره عرض الخيال والتوهم، وصار أمراً خيلاً للنفس فينبغي أن يكون عناصراً يطلب البقاء الأبدي؛ والوجود السرمدي أتم وأظهر، فالحق ما كان الغائب في ثني الشاهد، ويتصفح هذا الشاهد يصح ذلك الغائب.

وقال: المبدع الحق ليس شيئاً من الأشياء، وهو جميع الأشياء؛ لأن الأشياء منه، وقد صدق الأوائل الأفاضل في قولهم: مالك الأشياء هو الأشياء كلها إذ هو علّة كونها، فإنه فقط، وعلّة شوقها إليه، وهو خلاف الأشياء كلها، وإذا كان العقل واحداً من الأشياء فليس منه عقل ولا صورة ولا حلية، أبدع الأشياء، فإنه يعلمها ويحفظها ويدبرها لا بصفة من الصفات، وإنما وصفناه بالفضائل لأنه علّتها، وأنه الذي جعلها في الصورة فهو مبدعها، وإنما تفاضلت الجواهر العقلية لإختلاف قبولها من النور الأول. فصارت كذلك ذات مراتب شيء فاختلفت الأشياء بالمراتب والفصول لا بالأماكن كالحواس، والباريء تعالى غير متناه لا كانه جنة بسيطة وإنما عظم جوهرة بالقوة والقدرة لا بالكمية، فلا صورة له ولا شكل.

27 - زرادشت

قال الفاضل: إني كنت رجلاً من أهل أفريحان حيث الشمس زائلة عن المناكب والبخارات متكاثفة والثلج متهايف، غير أن أبي كان يأتي أرض الممترخين بحرّان فلمّا ولدت ونشأت حملني معه إلى حرّان، فصحبت بها أولوس الحكيم المتخلّي من الدنيا، فورثته الحكمة وتلقح منه مزاجي كيف تدبر أجسام الفلك أجسام مركز الفلك الذي نحن عليه يعني الأرض، فلمّا

بلغت دور زحل الأوسط دخل النور خلدي، وذلك أن طالعي كان الدلو وزحل، وإليه اقتدرت نفسي على مُناجاة النور الخالص، فإن الجسم منحصر للناظرين، والنفس منبسطة إلى حيث لا يبلغه عدد العاديين، ولم أنل ما نلت بحيلة ولكن اجتمع لي زحل والقمر بيت الدلو فاتصل المشتري بزحل من بيت عطارد ولأن عطارد والشمس وقعا مني بموضع نالي من الناس الأذى، وأحرقت مواضع من بدني بالنار عند رجوعي إلى أذربيجان لطلبهم مني المال وكتب الحكمة.

فلما أتيت أهل أذربيجان، وكنت فيهم معروف البيت والوالدين، فحسدني الأشراف على العلم والمنزلة، وأغربت الملوك بقتلي وقالوا عنده علم النبوة فنهيتها فلم يتبه.

فعند ذلك دخلت الجبل المظلم المغتم بالثلج ذا الغيطة المظلمة المطعمة والكهف المديد فأرسلت إليهم أن النور بعث في خلدي، وأنكم ستعذبون بالثلج فلقد اتهم الثلج حتى ما تراجع الأنفس إلى الصدور، فعند ذلك انجذبت إلى المشرق، فأتيت رستم سيد أحرار داوران شهر، فعرضت عليه الدين فقال: إن أعظم ملوك المشرق وأحكمها نستاسف، وهو ممن لا يضل رأيه ولا يخطئ تدبيره، فإنه إن أجابك أجبنك.

قال: ثم سألتني رستم عن أمر ابنه ولم يكن أهل المشرق يعرفون قبلي شيئاً من علم الفلك وما فيه، فأخذت مقياساً كان معي من حران ورثته عن الرأس الحكيم، فقال: ماهذا؟ فقلت: به تنجذب النفس إلى النور الأعلى. فوجدت الطالع واهياً وصاحبه واهياً والشمس واهية، فقلت له: يُسمى⁽¹⁾ بعد موتك ثم يقتل وزرادشت بن زورشت الذي ظهر في زمان نستاسف الملك.

وكان أبوه من أذربيجان، وأمه دعدد من الري. وزعم الزرادشتية أن لهم أنبياء وملوكاً أوّلهم كجورث، وهو أول من ملك الأرض وكان مقامه باصطخر

(1) أ. ح. ن. ب. س.

وبعدَهُ أو شَهِيحَ بَنِ نَوَارِكِ، وَنَزَلَ أَرْضَ الْهِنْدِ، وَكَانَ لَهُ دَعْوَةٌ، ثُمَّ بَعْدَهُ طَمْهُورَتْ، وَظَهَرَتِ الصَّابِئَةُ فِي أَوَّلِ سَنَةٍ مِنْ مَلِكِهِ، وَبَعْدَهُ أَخُوهُ جَمُ الْمَلِكِ، وَبَعْدَهُ أَنْبِيَاءٌ وَمُلُوكٌ كَمَنُوجَهَرٍ، وَنَزَلَ بَابِلَ، فَظَهَرَ مُوسَى فِي زَمَانِهِ حَتَّى انْتَهَى الْمَلِكُ إِلَى نَسْتَاسِفٍ، فَدَعَا زَرَادُشْتَ، فَاطَاعَهُ بَعْدَ أَنْ حَبَسَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنَ الْحَبْسِ لَمَّا أَخْرَجَ قَوَائِمَ فَرَسٍ. نَسْتَاسِفٌ مِنْ بَطْنِهِ، وَكَانَ دِينُهُ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْكَفَرُ بِالشَّيْطَانِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجْتِنَابُ الْخَبَائِثِ.

وَقَالَ: النُّورُ وَالظُّلْمَةُ أَصْلَانِ يَتَضَادَانِ، وَكَذَلِكَ يَزْدَانِ وَأَفْرَمَنْ، وَهُمَا مَبْدَأُ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ، وَحَصَلَ التَّرَكُّيبُ مِنْ امْتِزَاجِهِمَا، وَحَدَّثَتِ الصُّورُ مِنَ التَّرَاكِبِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَالْبَارِي تَعَالَى خَالِقُ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ وَمَبْدَعُهُمَا، وَهُوَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا ضِدَّ وَلَا يَدَّ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ وَجُودُ الظُّلْمَةِ، وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِنَّمَا حَصَلَا مِنْ امْتِزَاجِ النُّورِ وَالظُّلْمَةِ، وَلَوْ لَمْ يَمْتِزَجَا لَمْ يَوْجِدِ الْعَالَمُ، وَهُمَا يَتَفَاوَتَانِ وَيَتَعَالِيَانِ إِلَى أَنْ يَغْلِبَ النُّورُ الظُّلْمَةَ، وَالْخَيْرُ الشَّرَّ، ثُمَّ يَتَخَلَّصُ الْخَيْرُ إِلَى عَالَمِهِ، وَيَنْحَطُّ الشَّرُّ إِلَى عَالَمِهِ وَهُوَ سَبَبُ الْخِلَاصِ، فَالْمِزَاجُ وَهُوَ تَعَلَّقُ النَّفْسِ بِالْبَدَنِ جَعْلُهُ مَبْدَأُ وَالْخِلَاصُ مَعَادًا، وَكَلَامُ الْمَجُوسِيِّ يَدُورُ عَلَى الْاِمْتِزَاجِ وَالْخِلَاصِ، وَرَأَى زَرَادُشْتَ الْمَلَائِكَةَ وَالْبَارِي تَعَالَى رِسَالَةَ مَسَائِلَ.

28 - أَخْبَارُ دِيوجَانِسِ النَّاسِكِ الْكَلْبِيِّ⁽¹⁾

وَكَانَ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالتَّقَشُّفِ وَلَا يَقْتَنِي شَيْئًا بُتَّةً، وَلَا يَأْوِي إِلَى مَنْزِلٍ، فَلَيْسَ لَهُ إِلَّا مَا يُوَارِي عَوْرَتَهُ، يَأْكُلُ قُوْتَ يَوْمٍ يَوْمٍ إِنْ وَجَدَهُ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا عِنْدَ مَلِكٍ أَوْ زَبَالٍ، وَمَرَّ بِخَبَازٍ يَخْبِزُ فَاخَذَ مِنْ خُبْزِهِ، فَأَكَلَ أَيَّامًا، فَقَالَ لَهُ الْخَبَازُ: قَدْ أَكَلْتَ أَمْسَ، فَقَالَ⁽²⁾: وَأَكُلُ الْيَوْمَ أَيْضًا لِأَنَّكَ تَخْبِزُنِي كُلَّ يَوْمٍ وَهُوَ صَاحِبُ

(1) القفطي، ص: 181.

(2) أ: ح. ن.: وأجوع في كل يوم.

الشيخ اليوناني وأستاذه الذي ظهرت الحكمة منه في كتبه المعروفة به، فمن أراد قراءتها فعليه بتلك الكتب، فإنها موجودة. وأصحابه الكليون لأنهم كانوا يرون أطراح الرسوم مثل التزوج والبناء والتجارة والاقتناء، وكانوا يُحبون إخوانهم وأقاربهم فقط، ومن ذهب مذهبهم أو أحسن إليهم، ويُغضون سائر الناس وهي أخلاق الكلاب.

وقيل له: لِمَ لا تبني بيتاً؟ فقال لهم: لو علمتم بني وكبره لا يفتنم أن بيوتكم وبيوت العالم لا تسمع، يعني أنه الأرض كلها والسماء سقفة⁽¹⁾.

وقال: أيها الناس اجتماعوا، ففعلوا، فقال: إنمّا أذعو الناس لا أنتم. كان ديوجانس حكيم أهل زمانه، وكان زاهداً متخلياً لا مسكن له ولا ماوى له إلا حيث أجته الليل، وكان لا يمتنع من الطعام إذا جاع عند من وجده غير محتشم ليلاً كان ذلك أو نهاراً. وكان يُحبُّه الناس كلهم بالحق، وكان يُقدّمهم على نفسه، ويرفعها عما تنحط إليه الملوك والسوقة، وقنع بثوبين من الصوف فلم نزل حاله تلك إلى أن فارق الدنيا. وبعثه أهل أثينية إلى الإسكندر برسالة فقصها عليه، فقال له: ما الذي يُرضيهم غني؟ قال لا أخيب يرضيهم عنك إلا موتك.

ومر به الملك فوجده جالساً في مشرق، فوقف عليه وقال له: سل حاجتك، فقال: حاجتي إليك التنحي حتى تقع الشمس عليّ. وكان من أهل أفولونيا، وكان من المتكلمين على الطبايع، وكان يُنسب إلى أنكسما ندروس، وسُمي بالكلبي لأنه كان يُحبُّه الناس بالحق ولا يحشم أحداً.

وقيل له: لِمَ سُميت الكلبي؟ فقال: لأنني أبصير للأخيار وأهرُ على الأشرار. ووقف الإسكندر عليه يوماً، فلم يلتفت إليه، فقال: يادياجنس، ما هذا التهاون اتراك غني غني؟ فقال: وأي حاجة تكون لي إلى عبد عبدي؟ فقال له الإسكندر: ومن عبد عبدك؟ فقال: أنت. قال: وكيف ذلك؟ قال له:

(1) أ: ح. ن. بيت.

لأنني ملكْتُ الشهوةَ فقهرتُها واستعبدتُها، وملكْتُكَ^(١) الشهوةَ وقهرتُكَ واستعبدتُكَ، فانت عبدٌ لمن استعبدتُهُ أنا. فقال له الإسكندرُ: لو استمحتنا لأعناكَ على دنياكَ، فقال له: كيف استمَحَك وأنا أغني منك؟ قال له: وكيف صرتُ كذلك؟ قال: لأنني بالقليل الذي عندي أشدُّ اكتفاءً منك بالكثير الذي عندك. قال: فمنَ يدفُك إذا مُت؟ قال: مَنْ لا يجدُ بُدًّا من تنحية الجيفة من قربه.

وهذا الإسكندرُ ملكٌ كان في زمان ديوجانس وليس هو ذو القرنين، تلميذ أرسطو، وكان مع فضله وحكمته يهزؤ به ويضحك منه، وكان ديوجانس مع كونه حكيماً فاضلاً مُتقناً لا يقتني شيئاً، ولا يَأْوِي إلى منزلٍ، وكان مِنْ قدريةِ الفلاسفةِ لما يوجدُ في اندراج كلامه من الميل إلى القدر، فإنه كان يقول: إِنَّ اللَّهَ تعالى ليس علةٌ للشرورِ بل هو علةٌ للخيراتِ والفضائلِ والجودِ، فالعقلُ والجودُ جعلهما بين خلقه، فمن كسبها وتمسَّك بها نالها لأنه لا يدركُ الخيراتِ إلَّا بها.

ورأى غلاماً معه سراجٌ فقال له: مِنْ أينَ تجيءُ هذه النارُ؟ فقال له: إن أخبرتني إلى أينَ تذهب أخبرتك من أينَ تجيءُ فأفحمه بعد أن لم يكن يقوى عليه أحدٌ. وقُدِّمَ إليه رجلٌ طعاماً ما، وقال له: استكثر منه، فقال له: عليك بتقديمِ الأكلِ علينا باستعمالِ العدلِ. وعاتبته امرأةٌ بقبحِ الوجهِ ودماسته، فقال: منظرُ الرجالِ بعد المخيرِ، ومخيرِ النساءِ بعد المنظرِ، فخجلت^(٢).

آدابُ ديوجانسِ النَّاسِكِ الكَلْبِيِّ

معناه باليونانية: يا مجنون. ويُقال بالرومية: دي جانوس يعني: يامجنون، وعُربٌ، فقيل: ديوجانس.

(١) أ. ح. ن. : أنت.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل. ولعلها: وناسفت (المحقق).

وقال: لئس من كف عن الشر بخير لكن من عمل الخير.

ورأى شاباً قبيح الوجه حسن الأدب فقال له: جمعت فضائل نفسك محاسن وجهك.

وسئل عن وقت الأكل، فقال: لمن يمكنه إذا جاع ولمن ليس يمكنه إذا وجد.

وقيل له: ما الأصدقاء؟ فقال: نفس واحدة في أجساد متفرقة.

ورأى رجلاً يخطب امرأة فقال: راحة قليلة تجلبُ عناءً كثيراً.

وقيل له: لم تبغض الناس كلهم؟ فقال: نعم أبغض أشرارهم لسيرتهم الرديئة وأبغض أخیارهم إذ لا يعطون أشرارهم.

وقيل له: فلان يذكر بك بكل شر فقال: لانه لا يهتدي إلى الخير.

وقيل له: إن الملك لا يحبك، فقال: لأن الملك لا يحب من هو أكبر منه.

ورأى شرطياً يحدُّ لصاً، فقال: واعجباً لصُ العلانية يُؤدبُ لصُ السرِّ.

وقيل له: كيف الذي بينك وبين ريطين⁽¹⁾؟ فقال مختلف جداً لأنني بحكمتي صرتُ أحمق وهو بحُكمته صار حكيماً. فقال ريطين: صدق أدركتُ بحُقي ما صنعه بحكمته.

ورأى امرأة جميلة فقال: خير قليل وشر كثير.

وقال للإسكندر ملك وقته: أيها الملك لا تفتخر بجمالك وحسن ثوبك وفراة مركبك، ولكن إحرص أن يكون فخرك إظهار ما في طبعك من الخير والجود.

(1) أ. ح. ن. : ريطس.

وقال: إذا أنكرت شيئاً على غيرك فاحذر أن يكون مثله فيك فإنه⁽¹⁾ أقبح من عارٍ يرجع إلى المغير به⁽²⁾. له: لم تأكل في السوق؟ فقال: في السوق جُعْتُ.

ورأى رجلاً يدعو ويسأل الله أن يرزقه الحكمة، فقال: لَو اجتهدت في التعليم رَزَقْتُهَا.

وقيل له: أَلَك بَيْتٌ تشريح فيه؟ فقال: نعم، إِنَّمَا يحتاجُ إلى البيت لِيُستراح فيه وحيث ما استرحتُ فهو بَيْتٌ لي. وقال: كل شيءٍ يحبُّ فضله خلا فضل الكلام فتَوَقَّه فإنه غير محبوب.

وقال لزَيْنُون الشاعر: أقصر في مديحك، فإنَّ مديح الرجل بما ليس فيه هجاء له.

ودخل عليه الإسكندرُ وهو نائمٌ فركله برجله وقال له: قُمْ فقد فتحت مديبتك، فقال له: إِنْ فتَحَ المَدَن لا يَنكُرُ للملوكِ ولكنَّ الرُّكُلَ من صنيع الحمير.

وكان في أيامه رجلٌ مُصَوِّرٌ فترك التصويرَ وصار طبيباً، فقال له: أَحَسَنْتَ إِنَّكَ لما رأيتَ خطأَ التصويرِ ظاهراً للعينِ وخطأَ الطَّبِّ يواريه الترابُ تركتَ التصويرَ ودخلتَ في الطب.

ورأى رجلاً شريراً حسن الوجه، فقال: نعم البيتُ وبشَّ الساكنُ.

ورأى حدثاً لا أدب له وهو جالسٌ على حجرٍ فقال: حجرٌ على حجرٍ.

ورأى رجلين قديمي الصبغة فسأل عنهما ف قيل له: هما صديقان، فقال ما بال أحدهما غنياً والآخر فقيراً؟ وكان يُعِيرُ الناس بزهدهم في الحكمة والأدبِ

(1) أ: ح. ن.: لا شيء.

(2) أ: ح. ن.: وقيل.

والتعليم . وصعد يوماً⁽¹⁾ . . . يوماً : أنا أرخى وأغنى من ملك الفرس لأنَّ
القليل يقنعني والكثير لا يقنعه ولا أهتمُّ بأحدٍ وهو يهتمُّ بعالمٍ .

وحكي أن ماقدونس رآه يوماً على شاطئ النهر يغسلُ بقولاً ويسأكل منها،
فقال له : هذا طعامك؟ فقال له لو أمكنك أنت أيضاً أن يكون هذا طعامك لم
نأتِ باب ديونوس المتغلب .

وحبس له صديقٌ فدخل على الإسكندر، فقال : أيها الملك إن كان فلانُ
مُسبباً فهب لي ذنبه وإن كان بريئاً فكن أنت الذي يُخلِّي سبيله .

وقيل له لِمَ جعلت خاتمك في يمينك؟ فقال : لأعرف الفضولين ومن لا
يعنيه شأنه .

وقيل له ما الغنى؟ فقال : الكفُّ عن الشهوات .

وسئل عن العشق فقال : مرضٌ نفسٍ فارغةٌ لا جِمةَ لها .

ومرض فعاده اخوانه فقالوا له : لا تجزع فإنه أمرُ الله سبحانه ؛ فقال : إذن
ذلك أشدُّ له .

وسئل : ما الكرم؟ فقال : التَّزَاهُةُ عن المساوىء .

ورأى شيخاً قد خضب، فقال له : إذا أخفيت شيبك أتقدر أن تُخفي
هرمك؟

وسُئِلَ : كيف ينهي للإنسان أن لا يغضب؟ فقال : ليكن ذاكرةً في كل
وقتٍ أن ليس يجب أن يخدم وأن يطاع وأن يحتمل وأن يصبر عليه، بل أن
يُطِيع ويخدم ويصبر، فإنه إذا فعل ذلك قلَّ غضبه .

وقال لتلاميذته توقَّوا فضل الكلام ففضل كلُّ شيءٍ خيرٌ من فضله .

(1) أ. ح. ن. : على مكانٍ عالٍ وصاح : أيها الناس اجتمعوا فإني أريد أن أكلهم ، فقال لهم : لم أناديكم وإنما ناديت الناس وقال :

وقال: من أراد أن يكون مذهبه جيداً فليكن طريقته أكثر الخلق^(١).

وقال له رجل: ألا تُحدّثنا؟ قال: لا، قال: لِمَ؟ قال: لأنكم تجلّون عن دقيقي وأدقّ عن جليلكم.

ورأى رجلاً سميناً مشرق اللون فقال: أيها الرجل إن عليك ثوباً من نسج أضرابك.

وقيل له: احذر أن تدخل المدينة فقد اجتمع القوم لضربك، فقال: عندها يعرف مقدار حلمي.

وقيل له: ما الفضل بينك وبين الملك؟ فقال: هو عبد الشهوة وأنا مولاها. ونظر إلى صبي يزني نفسه فقال: إن زينتها للرجال فأنت مخطيء وإن زينتها للنساء فأنت هالك. وارتاض بالخييل في خلوة فاشتاق الجماع فأنفذ إلى بعض النساء ليفشاها لضرورة، فولع بقضيه فأنزل، فلما جاءته المرأة التفت إليها وقال: حصل لنا طريقة نستغني بها عنك، والله أعلم بصحة هذا الخبر العجيب.

وبعث إليه الإسكندر وطلبه، فأنفذ إليه: أن المانع الذي منعك عن المصير إلينا هو الذي منعنا. ومريض في خانٍ فعاده أصحابه فقالوا له: مَنْ يدفئك؟ فقال لا أرى أحقّ من صاحب الخان.

وسُئِلَ: ما الذي تحبّ من الطعام؟ فقال: الذي بغضتم ورفضتم من الحكمة اغتيت به، وما طرحته من الجهل احتوتم عليه.

ومرّ بجماعة فوثب عليه بعضهم يركله برجله فقال له تلامذته: نركّله نحن أيضاً، فقال لهم: تشبهوا بالحمير لا تشبهوا به.

وقيل له: هلاً اتخذت بيتاً؟ فقال: لو عرفتُم بيتي لعلمتُم أن بيوت العالم فيه.

(1) أ: ح. ن.: على طريقته.

وقيل له : فلان يحكي عنك كلَّ شرٍّ، فقال : لأنه لا يهتدي إلى الخير.
ورأى عبوزة تترين فقال : إن كنت تهابت للآحياء فأنت مخادعة، وإن كنت
تهابت للاموات فبادري .

ورآه بعض الحكماء يأكل في السوق فقال : تأكل في السوق أيها الحكيم
فقال : أكل حيث أجوع .

وقال له مستهزئاً : ما تأكل من الطعام ؟ قال : كل ما نفيتموه ، قال : ولم
ذلك ؟ قال : لأنكم تأكلون ما نفيت أنا .

ودخل إلى الإسكندر وعنده شاعرٌ يمدح ، فأخرج خبزاً كان معه وأقبل
يأكل ، فقيل له : أي شيء تعمل ؟ فقال : ما هو أنفع من استماع الكذب .

وأمر الملك لجماعة بأواني فضة وله بمثل ذلك ، فأبى أن يأخذها فذكر
ذلك للإسكندر ، فقال : الكلب إذا ضربه صاحبه أتبعه ؟ فقال : أيها الملك إذا
جوعته لرح له غيرك برغيف فأتبعه .

وقال : إذا كنت تفعل الجميل لتحمد فليس أنت أفضل ممن يفعل الشر
يريد بذلك أن يحمد عليه ، فإن كثيراً من الناس يفعلون ذلك ليحمدوا عليه .

وقال : لا تتكلم بين أحد من الناس دون أن تسمع كلامه وتقيس ما في
نفسك من العلوم إلى ما في نفسه ، فإن وجدت الفضل له فامسك وحصل
فائدتك منه والأ فانطلق بما تشاء .

وقال لتلاميذه : من جمع لكم مع المحبة رأياً فاجمعوا له مع المحبة
طاعة .

وقيل له لم لا تباشر الحرب بنفسك فقال : إنما لي نفسي ، فإذا ضيعتها
فعلى أي شيء أبقي ؟

وقيل له : من أملك الناس لنفسه ؟ فقال : من لم تصرعه شهوته .

وقيل له : إن فلاناً⁽¹⁾ أعرض عنك، فقال : ما أشبه إقباله بإدباره! وعُتِبَ على ترك النساءِ فقال : وجدتُ مكايِدَ الغلمةِ أيسرَ عليَّ من الاحتِيالِ لمصلحة العيال .

وعاب قومٌ من المترفين عيشَ ديوجانس فقال : لو أردتُ أن أعيش عيشكم قدرت ، ولو أردتم أن تعيشوا عيشي لم تقدروا .

وقال لرجلٍ قد شتمه : لست أغالبك بأمر الغالب فيه أنذلَ الفريقين ، بل بما في إنائك نطقت وكل إناءٍ ينضح بما فيه .

وقيل له : إن فلاناً يشتمك في غيبتك ، فقال : لو ضربني وأنا غائب ما باليتُ .

وقال : لا مالَ أوفرُ من عقلٍ ، ولا فقر أشدُّ من جهلٍ ، ولا قرينَ خيرٍ من حُسنِ الخلق ، ولا ظهيرَ أوثق من مشاورةٍ ، ولا فائدةَ خيرٍ من التوفيقِ ولا ميراثَ خيرٍ من أدبٍ .

وقال : المرضُ حبسُ البدنِ والغمُّ حبسُ الروح .

وسبّه⁽²⁾ رجلٌ شريفُ النسبِ بضيعَةِ أمه فقال له : أنا شرفي مني ابتداءً وأنت شرفك إليك انتهاءً .

وحضر مع قومٍ فأطال الصُمتُ ، فقيل له : لم لا تخوضُ معنا؟ فقال : الحظُّ للمرءِ في أذنيه والخطُّ لغيره في لسانه .

وسمع ديوجانس رجلاً يذكره بسوءٍ ، فقال : ما علم سبْحانه منّا أكثر مما تقول . وقيل له : إن فلاناً يريد أن يهلكك ، فقال : إن فعل ما تقول كان عليه أضرُّ .

(1) أ. ح. ن. : المقلُّ على شأنه فقال إذن يمادي أهل زمانه وقيل له إن فلاناً . . .

(2) أ. ح. ن. : وغيره .

وشتمه رجلٌ فأمسك عنه، فقليلٌ له في ذلك، فقال: كفاهُ مسبةٌ أنه شتم من لم يشتمه.

وقال له رجلٌ: بماذا أُغِمُّ عدوي؟ فقال: بأن تكون على غايةِ الفضيلة.

وقال: إذا أردت أن تعظمَ محاسنك في أعينِ الناس فلا تعظمَنَّ في نفسك.

وقال: المرأةُ أذى لا بدُّ منه.

وقال: الذي يفعل الخير في نفسه يجب أن يفعله بكلِّ واحدٍ وبين يديَّ كلِّ إنسانٍ وبين يديَّ المادح والذام له.

وقال: أما كثيرٌ من الناس يريدون بالعيش أن يأكلوا، وأنا أريدُ بالاكل أن أعيش، وأريدُ بالعيش أن أعيش عيشاً عقلياً.

وسُئِلَ متى يعرفُ الرجلُ أصدقاءه؟ قال: عند الشدائد لأنَّ كلَّ واحدٍ عند الرجاء صديقٌ.

وشتمه رجلٌ فلم يغضب، فقليلٌ له في ذلك، فقال: إن كان صادقاً فلا ينهني لي أن أحرَدَ وإن كان كاذباً فبالحرى أن لا أغضب إن لم أكن على ما قال.

وسمع رجلاً مهذاراً فقال له: انصف أذنك فإنما جعلت لك أذنان ولساناً واحداً لتستمع أكثر مما تتكلم.

وسأل الإسكندر جلساءه: بأيِّ شيءٍ يُكتسبُ الصوابُ؟ فقال له ديجانس: بأفعال الخيرات، وأنك أيُّها الملك لتقدر أن تكتسب في يومٍ واحدٍ ما لا تكتسبه الرعيةُ في دهرها.

ومرَّ بمشارٍ فقال له: أمعك شيءٌ؟ فقال: نعم، ووضع مخلاته ففتشها، فلم يجد فيها شيئاً، فقال له: آتِن ما قلت؟ فكشف عن صدره، وقال له: هو هاهنا حيث لا تقدرُ عليه ولا تراه.

ورأى غلاماً حسن الوجه يتعلّم الحكمة. فقال: أحسنت إذا قرنت بمحبّة
حسن وجهك محبة حسن نفسك.

29 - أخبار أبقرات الحكيم⁽¹⁾

كان هو وديمقراطيس في زمن بهمن بن إسفنديار بن كستاسب، وكان
اليونانيون يومئذ ملوك طوائف لا يجمعهم ملك واحد وكان، لبسه السواد، وهو
شعاره وجعله علماً للطب، وكان قبل الإسكندر بنحو من مائة سنة، بمدينة
قبروها، وهي مدينة حمص من أرض الشامات على ما قيل، والأصح أن
«قو» مدينة وجزيرة من جزائر بحر الروم، وكان متألهاً ناسكاً يعالج حسبة لله
تعالى.

وكان أبقرات الطبيب ابن رافيلس⁽²⁾ تلميذاً لإسقليوس الثاني الطبيب، وكان
من نسل أسقليوس الأول، وكان أسقليوس الأول قد عهد إلى ابنه أن لا
تُعَلِّموا صناعة الطب الغرباء، وكان الملوك يختارون للملك من نسل
أسقليوس، وكانت بداية صناعة الطب منه، وعلمها ابنه، وحذر أن تعلم
الغرباء شيئاً منها، وأمرهم بأمرين أحدهما أن يسكنوا من أرض اليونانيين وسط
المعمور منها في ثلاث جزائر إحداها تسمى رودس والأخرى أقيديس والثالثة
قو.

وكان أبقرات من جزيرة «قو» والآخر، واختار أن لا تُخرج صناعة الطب
منهم إلى غيرهم، بل يتعلّمها الأبناء من الآباء كي يبقى شرفها ثابتاً، وكانت
المواضع التي يتعلّم فيها الطب الثلاثة الجزائر المذكورة، وباد التعليم الذي
كان بمدينة رودس بسرعة لأنه لم يبق لأبائه وارث، وانقطع الذي كان بمدينة

(1) الفهرست، ص: 1346 بقراط بن ابرافليس وابن جليل، ص: 1216 الفسطي،
ص: 190 أصمجة، ص: 43.

(2) أ. ح. ن. : وهو.

قَبَسَ لَأَن الْوَارِثِينَ لَهُ كَانُوا يَقْرَأُ^(١) بِسِرّاً، وَبَقِيَ الَّذِي كَانَ بِمَدِينَةِ «قَوْ» وَثَبَتَ لثَبَاتِ الْوَارِثِينَ لَهُ، وَكَانَ رَأْيُ اسْقَلْيُوسِ الْأَوَّلِ فِي الطَّبِّ التَّجَرِبَةِ، وَلَمْ يَزَلِ الطَّبُّ وَالْقَوْلُ فِيهِ بِالتَّجَرِبَةِ جَارِياً كَذَلِكَ أَلْفاً وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَسِتْ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى أَنْ^(٢) فَيُنُوسُ الطَّبِيبَ فَظَنَرَ فِي ذَلِكَ فَإِذَا التَّجَرِبَةُ وَحْدَهَا عِنْدَهُ خَطَأٌ، فَضَمَّ إِلَيْهَا الْقِيَاسَ، قَالَ: التَّجَرِبَةُ بَلَا قِيَاسٍ خَطَرٌ وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ سَبْعَ مِائَةٍ وَخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً إِلَى أَنْ ظَهَرَ رِمَاسْدَسُ الطَّبِيبِ فَرَذَلَ التَّجَرِبَةَ، وَقَالَ: هِيَ خَطَأٌ وَاتَّخَذَ الْقِيَاسَ وَحْدَهُ وَخَلَفَ مِنَ التَّلَامِيذِ ثَلَاثَةٌ وَهُمْ بِاسَالِيسَ وَأَقْرَنَ وَدِيُوقِيسَ، فَوَقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْمَنَازَعَاتُ، فَصَارُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ فَقَالَ «أَقْرَنَ» بِالتَّجَرِبَةِ وَحْدَهَا؛ وَقَالَ دِيُوقِيسَ بِالْقِيَاسِ وَحْدَهُ، وَادَّعَى بِاسَالِيسَ الْحِيلَ، وَادَّعَى أَنَّ الطَّبَّ إِنَّمَا هُوَ حِيلَةٌ، وَلَمْ يَزَلِ^(٣) ذَلِكَ لَدَيْهِمْ سَبْعَ مِائَةٍ وَخَمْسَ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

ثُمَّ ظَهَرَ أَفْلَاطُونُ الطَّبِيبَ فَتَأَمَّلَ أَقْوَالَهُمْ وَنَظَرَ فِي آرَائِهِمْ وَاتَّضَحَ لَهُ أَنَّ التَّجَرِبَةَ وَحْدَهَا خَطَرٌ وَكَذَلِكَ الْقِيَاسُ فَانْتَحَلَ الرَّأْيَيْنِ جَمِيعاً وَأَخْرَقَ كُتُبَ بِاسَالِيسَ جَمِيعاً وَكُتِبَ أَصْحَابُهُ الَّتِي فِي الْجَبَلِ وَالَّذِي^(٤) صَنَفَهَا لِمَنْ انْتَحَلَ رَأياً وَاحِداً مِنَ التَّجَرِبَةِ أَوْ الْقِيَاسِ وَتَرَكَ الْكُتُبَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي فِيهَا الرَّأْيَانِ جَمِيعاً. وَمَاتَ وَبَقِيَ الْأَمْرُ فِي تَلَامِيذِهِ عَلَى مَا قَسَرَّهُ مَعَهُمْ، وَهُمْ سِتَّةٌ: مِيرَاوَسَ وَأَفْرَدَةُ لِتَدْبِيرِ الْأَبْدَانِ، وَفُورَاسَ وَأَفْرَدَةُ لِلْفَصْدِ وَالْكَيِّْ وَبَاقْرُونَ وَأَفْرَدَةُ لِعَمَلِ الْجَرَاحَاتِ، وَسَرُخْسَ وَأَفْرَدَةُ لِعِلَاجِ الْعَيْنِ، وَقِيَامِيْقُورَسَ وَأَفْرَدَةُ لَجَبْرِ الْعِظَامِ الْمَكْسُورَةِ وَإِظْهَارِ الْمَخْلُوعَةِ.

ثُمَّ ظَهَرَ اسْقَلْيُوسُ الثَّانِي بَعْدَ أَلْفٍ وَأَرْبَعُمِائَةٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَنَظَرَ فِي الْأَرَاءِ فَصَوَّبَ رَأْيَ أَفْلَاطُونِ وَعَاطَمَدَ عَلَيْهِ، وَمَاتَ وَخَلَفَتْ ثَلَاثَةُ تَلَامِيذٍ: أَبِقْرَاطُ وَفَلْقَارَسَ وَوَارْحِيسَ، فَمَاتَ فَلْقَارَسَ بَعْدَ شَهْوَرٍ وَلَحَقَهُ وَارْحِيسَ وَبَقِيَ أَبِقْرَاطُ،

(١) «كُذَاء» فِي «هَاءٍ»، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: يَقْرَؤُونَ.

(٢) أ: ح. ن.: ظَهَرَ.

(٣) أ: ح. ن.: كَذَلِكَ.

(٤) «كُذَاء» فِي «هَاءٍ»، وَالصَّوَابُ: وَالَّتِي.

وحيد دهره، وكامل الفضائل وقويت صناعة التجربة والقياس بقوته.

ولما رأى أبقرات صناعة الطب قد قربت إلى الذهاب بسبب قلة الأجناس الثلاثة الذين قدمنا ذكرهم الذين من ولّد أسقليبيوس الأول برودس وأقيدس وقو حتى أنه لم يبق إلا الثلاثة بقو التي أحياها أبقرات، ونظر في أقاويل قراباته من أهل الجزائر الثلاثة فوجد كثيراً منهم قد أحدث في الطب آراء كاذبة تزيد في كل زمان، فخاف أن ينشأ الفساد فيضيق ما خلفه جدهم أسقليبيوس، فتتدرس صناعة الطب فرأى إثباتها في الكتب بأقاويل غامضة وأومى إلى ولديه بالس ودارفن أن يعلمهما لمن استحقها من القرابات والغرباء لأنه نظر فرأى أن الغريب إذا كان مستحقاً فهو أولى من القريب غير المستحق فرأى أن يذيعها في سائر الأرض لئلا تبيد، ففعل ذلك وخاصةً بأساليس فثبت شرف الطب بذلك الزمان الطويل إلى اليوم، وجعل الغرباء المتعلمين للطب⁽¹⁾ كتباً، بل كان كل واحد من آل أسقليبيوس يلقنه إلى من يعلمه إياه تلقيناً ومعه تذاكير بالغات يعرفها هو فقط لئلا تخرج هذه الصناعة الشريفة إلى سائر الناس فتذهب محاسنها ويكثر الغلط فيها.

فلما مات أبقرات خلف ابنه بأساليس ودارفن وابنته مالانا إرسا، ومن أولاد الأولاد بقراط بن بأساليس وبقرات بن دارفن وخلف من التلاميذ الغرباء خلقاً كثيراً وأنقذ بهمن أردشير ملك الفرس إلى فيلاطس ملك جزيرة «قوة» فطلب منه توجيه أبقرات إليه وأمر ليقرات بمائة قنطار من ذهب، والقنطار مائة وعشرون رطلاً، والرطل تسعون مثقالاً، فكان الجميع ألف ألف وثمانين مثقالاً من الذهب.

وكان اليونانيون ملكهم يومئذٍ لبطوائف ملوك ولم يجمعهم ملك واحد، وكان بعضهم يؤدي الإتاوة إلى ملك الفرس⁽²⁾، وعرفه أنه لا يأمن أن يكون

(1) أ. ح. ن. : كأولاده بما عقد في رقابهم من الإيمان ولم يكن في الطب...

(2) أ. ح. ن. : فتقدم فيلاطس ملك جزيرة بقراط بالتوجه إلى ملك الفرس.

تأخره عنه سبباً لهلاكه وهلاك أهل بلده لأنه لا طاقة له بمقاومة ملك الفرس، وأمره بالمسير إليه ليعالجه، ويمالج الفرس من ما وقع فيهم فلما أجابه إلى علاج أعداء اليونانيين توقف عن ذلك فتكرر السؤال والطلب، فردّ أمره في ذلك إلى أهل بلده، فاشتد ذلك عليهم، فضنوا به أن يخرج من بلادهم وامتنعوا أن يمكّنوه من الخروج، وقالوا نبيد⁽¹⁾ عن آخرنا ولا نمكّن أبقرات أن يخرج من بلادنا فاعتذر إلى الملك بما كان من امتناعهم وكتب رسوله إليهم بما كان من أمهر أهل بلده فأمسك عن طلبه، وقيل إنه هو الذي امتنع، وقال: لا أبيع الفضيلة بالمال⁽²⁾.

وقبل إنّه دار جميع بلاد يونان حتى وضع لهم كتاباً في الأهوية والبلدان، وكان تخوم أبقرات في سنة ست وأربعين ومائة لينتصر، وصنّف كتاباً⁽³⁾ في الطب، والذي انتهى إلينا منها نحو ثلاثين كتاباً، وأكثر هذه الثلاثين موجودة اليوم. والذي يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب في هذا الزمان إذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيد واثنى عشر كتاباً الذي صنّفها جالينوس.

وكان أبقرات ربّماً، أبيض، حسن الصورة، أشهل العينين، غليظ العظام، ذا عصب، معتدل اللحية، منحنى الظهر، عظيم الهامة، بطيء الحركة، إذا التفت التفت بكليته، كثير الإطراق، مُصِيب القول، متأنياً في كلامه، يكرّر على السامع منه بين يديه إذا جلس، إن كُلم أجاب، وإن سكت عنه سأل، وإن جلس كان نظره إلى الأرض، معه مداعبة، كثير الصوم، قليل الأكل، بيده أبدأ إما يرؤد وإما مبضع. مات وله خمس وتسعون سنة عاش منها صبيّاً ومعلماً ست عشرة سنة وعالمّاً تسعاً وستين⁽⁴⁾ سنة وكان قبل اشتغاله بالطب

(1) أ: ح. ن.: نقل.

(2) أ: ح. ن.: ولا أدوي عدو اليونانيين.

(3) أ: ح. ن.: كثيرة.

(4) أ: ح. ن.: وسبعين.

ملكاً ترك الملك وتزهد فيه، وكان لا يأخذ الأجرة إلا من الأغنياء دون الفقراء
وكان أخذه طوقاً أو إكليلاً أو سواراً من الذهب.

وقال: أما العقلاء فيسقون الخمر والجهال الحريق. وقال: كل بدن لا
يدخله الشراب يسرع إليه الخراب.

آداب أبقرات الحكيم

قال: الأمن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف. وقال لتلامذته: ليكن
أكبر همتكم محبتكم للناس، وتفقدوا معرفة أحوالهم واصطناع المعروف
إليهم.

وقيل له: لم صار البدن أشد ما يكون التهاباً يوم شرب الدواء فقال: لأن
البيت أشد ما يكون تغيراً يوم كنسه.

وقال: كونوا من المسيء المدغل، أخوف من المكاشف لأن العلل
الظاهرة أهون مداواة من الباطنة.

وقال ثلاثة أشياء تورث الهزال: شرب الماء على الريق⁽¹⁾، والنوم على غير
وطاء، والكلام برفع الصوت.

وقال: الجسد يعالج على خمسة أضرب: ما في الرأس بالغرغرة، وما في
المعدة بالقيء، وما في البدن بالإسهال، وما بين الجلد بالعرق، وما في
العمق وداخل العروق بإرسال الدم.

وقال: الأبدان إذا لم تكن نقيّة كلما غدوتها ازدادت رداءة، وكذلك النفس
العليلة الرديئة بالقياس إلى أغذيتها أعني الحكمة.

وقال: أربعة تهدم البدن: دخول الحمام على الشبع، والجماع على

(1) أ: ح. ن: كثيرة.

الشبع، وأكل القديد الجاف، وشرب الماء على الريق.

وقال: إِنَّ المحبَّة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشاكلهما في الحمق لأنَّ العقل يجري على ترتيب فيجوز أن يتفق فيه إنسان على طريق واحد، والحمق لا يجري على ترتيب، فلا يجوز أن يقع به اتفاق بين اثنين.

وقال: ليس معي من فضلة العلم إلا علمي بأنِّي لستُ بعالم.

وقال: اقتنوا بالقوت وانفوا عنكم الحاجة ليكون لكم قُرْبى إلى الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ الله سبحانه غير محتاج إلى شيء فكلُّما احتجتم أكثر كنتم منه أبعد، واهربوا من الشرور وذروا المآثم واطلبوا من الخيرات الغايات.

وقال: ينبغي للمرء أن يكون في دنياه كالمدعو إلى وليمة إذا أتته الكأس تناولها، وإذا جازته لم يرصدها، ولم يقصد لطلبها، كذلك يفعل بالمال والأهل والولد.

وسئل عن أشياء قبيحة، فسكت عنها، فقيل له: لِمَ لا تُجيب عنها؟ فقال: جوابها السكوت عنها.

وقال: الدنيا غير باقية فإذا أمكنَّ الخير فاصنعوه، وإذا عدتم ذلك فحمدوا⁽¹⁾ وأذخروا من الذكر أحسنه.

وكان يقول: العلم روح، والعمل بدن، والعلم أصل والعمل فرع؛ والعلم والد والعمل مولود؛ وكان العمل لمكان العلم ولم يكن العلم لمكان العمل.

وكان يقول: العمل خادم العلم والعلم غاية.

وقال: إعطاء المريض بعض ما يشتهي أنفع من أخذه بكل ما لا يشتهي.

وقال: العلم كثير، والعمر قصير فخذ من العلم ما بلغك قليله إلى الكثير.

(1) وكذا في «أ»، ولعل الصواب: فاحمدوا.

وقال عند وفاته: خُذُوا جامع العلم مني: من كثر نومه، ولانت طبيعته، ونديت جلده طال عمره؛ والإقلال من الضَّارِّ خيرٌ من الإكثار من النافع.

وقال: لو خُلِقَ الإنسان من طيبةٍ واحدةٍ لم يمرض لعدم الضدِّ. وقال لعليُّ بن أبي طالب: أنا وأنت والعلَّةُ ثلاثة فإن اعتنيت بالقبول غلبنا العلَّةُ لأنَّ الإثنين يغلبان الواحد.

وحكايته مع ابن الملك العاشق لزوجته أبيه وجسَّ نبضه مشهورة. قال: العشق طمَعٌ يتولد في القلب وتُجمَعُ فيه موادُّ من الحرص، فكلُّما قويَّ ازداد اللجأُ وشدةُ القلق وكثرةُ السهر فحينئذٍ يحترق الدم ويستحيل سوداء، وتلتهبُ الصفراءُ وتنقلب إلى السوداء؛ ومن طغيان السوداء فسادُ الفكر ونقصانُ العقل ورجاءُ ما لا يكون وتمنيُّ ما لا يتمُّ حتى يؤدي إلى الجنون، فربُّما قتل العاشق نفسه أو مات غمًّا وقد يصلُّ إلى معشوقه فيموتُ فرحاً.

30- أخبار أوميرس الشاعر وشيء من حكمه وآدابه

وكان أقدمَ شعراء اليونانيين وأرفعهم منزلةً عندهم، وكان يجري عندهم مجرى امرئ القيس في شعراء العرب، وكان زمانه بعد زمان موسى، عليه السلام، بنحو خمسمائة وستين سنة، وله جيَّكُم كثيرة، وقصائد حسنة جليلة، وجميع شعرائهم الذين أتوا بعده على مثاله احتذوا، ومنه أخذوا وتعلَّموا، وهو القدوة عندهم، وأسر وأتى به المقسم لبياع، فسأله بعض من أراد ابتياعه، فقال له: مِنْ أين أنت؟ فقال: من أبي وأمي، فقال له: أترى أن اشتريك؟ فقال بعد لم تشتريني، أمشير في مالك جعلتني، فاشتراه بعضهم، فقال له: لأي شيء تصلح؟ فقال: للحرية. وأقام في الرُّقُ مُدَّةً وعق بعد ذلك، وعاش عمراً طويلاً، وكان معتدل القامة، حسن الصورة. أسمر اللون، عظيم الهامة، ضيق ما بين المنكبين، سريع المشية، كثير التلقُّف، بوجهه آثار

(1) الففطي، ص: 47.

جلدي، هذاراً مولعاً بالسُّب لمن تقدّمه، مزاحاً مداخللاً للرؤساء، مات وله مائة وثمانون سنة.

ومن القدماء الكبار الذين يحترمهم أفلاطون وأرسطو⁽¹⁾ من العلماء العظماء في إعلاء المراتب وكان أرسطو لا يفارق متكأة ديوانه ويستدلّ هو ومن تقدمه وتأخّر عنه بشعره لما كان يجمعه من الحذق في قول الشعر مع إتقانٍ للمعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي فمن بديع قوله الأخير في كثرة الرؤساء.

وقيل له متى تمسك عن مديح فلان فقال إذا أمسك هو عن إحسانه وقيل له تكذب في شعرك فقال يُرادُ بالشعر الكلام الحسن وأما الصدق فعند الأنبياء وهو أول من أبدع⁽²⁾ الشعر في يونان بعد موسى عليه السلام بتسعمائة وإحدى وخمسين سنة وظهر ثاليس الملطي بعده بقريب من أربعمائة سنة.

آداب أوميرس الشاعر

قال: العاقل من عقل عن الذمّ لسانه، والمشورة راحة لك وتعبٌ على غيرك والعتاب حياة المودة هبّ ما أنكرت لما عرفت وقارن أهل الخير تكن منهم ويأين أهل الشر تبّ عنهم ومن أكثر من شيء عرف به.

وقال: الكريم هو الذي فكره أبداً نحو الواجب وإذا رأى الواجب فعله من قبل ورود الملّة التي توالته⁽³⁾.

وقال: افضل الدنيا حسن اللقاء⁽⁴⁾.

وقال: طول الحدة تميّت الحيل والحيل فوائد الفكر والوجه ينبيء عن

الضمير.

(1) أ. ح. ن. : وغيرهما.

(2) أ. ح. ن. : بتسعمائة.

(3) أ. ح. ن. : تروته.

(4) أ. ح. ن. : النما.

وقال: عادة الصمت تورث العبي.

وقال: اللجاجة تسلب الرأي والخفة تسلب البهاء. وقال: اللحظ أدل على الضمير من اللفظ.

وقال: العجب ممن يمكنه الاقتداء بالله سبحانه فيعدل إلى الاقتداء بالبهائم يعني العدل.

وقال: لا ينبغي لك أن تفعل ما إذا عيرك به إنسان غيرك غضبت لأنك إذا فعلت ذلك كنت أنت الشاتم لنفسك.

وقال: إن رجلاً من الحكماء كسر به المركب في البحر فوقع إلى ساحل جزيرة فعمل شكلاً هندسياً على الأرض فرآه قوم فمضوا به إلى ملك تلك الجزيرة فأنعم عليه فكتب إلى سائر البلدان: أيها الناس إقتنوا ما إذا كسر بكم المركب في البحر سار معكم وإذا صلحتم بقي معكم وهي العلوم الصحيحة والأعمال الصالحة.

وقال لابنه: أقهر شهوتك فإن الفقير من الحظ إليها.

وقال: إحلم نسد ولا تعجب فتمتن. وقال: الإنسان الخير أفضل من جميع ما على الأرض من الحيوان، والإنسان الشرير أخس وأوضع من جميع ما على الأرض من الحيوان. وقال: الحكمة هي أن تدرك صورة العلم بالعمل.

وسئل عن مراتب الرجال فقال: هم ثلاثة موسوم بخير، وموسوم بشر، وغافل لا يعرف بخير ولا شر.

وقال: الدنيا دار تجارة فالويل لمن تزود منها للخسارة.

وقال: كثرة المفاوضة تُمجِّقُ القدر. وقال: صون النفس بعد بذلتها مروة.

وقال: إفراطُ مقدمة الجراءة قوةٌ نفس من ظفر بالحدِّ العداءُ وآلةُ الرئاسةِ سعة الصدرِ.

وقال: الدنيا دارٌ مَنْ نال مراتبها لم يفرح ومن فقد الرئاسة منها كان حقيراً
وقال: مَنْ يعلم أنَّ الحياةَ لنا مستعبدَةٌ، والموتَ معتقٌ أثرَ الموتِ على الحياةِ، وهذا كلامٌ نفيسٌ وهو خلاصةُ الفلسفةِ وثمرةُ الحكمةِ.

لأنك إذا علمت حكم هذه الحياة وشأنها وجميع ما هو علاقةٌ عليها علمت أنها قيد وأن صاحبها مسجونٌ وأن الفكاك من هذه القيود والراحة من هذا السجن إنما هو بالموت الذي هو التحول من حالٍ إلى حالٍ ومن مكانٍ إلى مكانٍ، وإنما استبشع هذا الاسم من لا درية له بالفلسفة ولا خبرة له بالحكمة، وإنما يعرف ما يرى ويسمع دون ما يُستبان، ويعقل لا جرم إذا ذكر له الموتُ حال وجزع وانتفض وفزع، ولو كان للحمارِ مثل عقله لكان هذا العارضُ فيه أموى، ولكان به أولى، ولولا نقص اللسان لما حط نفسه إلى حال الحمارِ فيما لو لحقه لكان مثله، ومتى ارتفع هذا النفسُ رفع نفسه إلى حرمٍ علوي شريف مُستنيرٍ باقي دائمٍ، وتطاول إليه وتشبه به واحدٌ يهديه، وامتنى لما يكون مُبلغاً له إلى محله ومُشرفاً به على حاله، ولن يزول هذا النقصُ إلا عن واحدٍ بعد واحدٍ في دهرٍ بعد دهرٍ، فلا تعجب من إنكار من يُنكر قولنا في التهاون بالموت فله شركاء ومعه قرناء، وإنما كلامي مع أهل العقل واليقظة والخير والجِدِّ والعزمِ فأما من قد ألهاهُ العزُّ والمالُ والنعمُ والجاءُ والذهبُ والفضةُ والمقارُ والضيعةُ والسريرةُ والغزلُ والصبابةُ والنظرُ والتحيلُ والمدحُ واللعبُ فإنه عما نقوله ونسطره أعمى أصمٌ ميتٌ مدعى حياً وغائبٌ مدعٍ حاضراً، ومرجومٌ يُحب مغبوطاً.

وقال: العقلُ نَحْوَان: الطبيعي والتجاري، وهما في التعاونِ بمنزلةِ الماءِ والأرضِ للنبات والأثمارِ، ومن لم يحسنْ تديرَ هذينِ النَحْوَيْنِ من عقل الطبيعة، والتجربة واستعمالها والاستمئانةِ بهما في أموره لم يكمل في العلم

والأدب والحكمة والعمل الصالح، وكما أن النار تذيب الصامت بخاصة وتمكن من العمل فيه⁽¹⁾، وكذا العقل يخلص الأمور ويفضلها، ومن لم يكن له هذان النحويان من العقل فيه موضع فإن خير أموره قصر العمر.

وقال: إن بهرام واقع الزهرة فتولدت منهما طبيعة هذا العالم.

وقال: الزهرة علّة التوحيد والاجتماع، وبهرام علّة التفرق، والتوحيد ضد التفرق، وكذلك⁽²⁾ صارت الطبيعة ضدّاً يركب وينقص ويؤخذ ويفرق؛ هذه مقطعات شعره ارفع عن عمرك ما يحزنك؛ إن أمور العالم⁽³⁾ تعلمك؛ كل ربح يكون من ظلم فهو جالب مضرّة؛ كلما يمتاز في وقته يفرح به؛ إن أحسنت الصبر على الأعراض كنت سعيداً؛ من أحسن إليه فلم يذكر كان غير الشكور؛ إن الزمان يبين الحق وينشره؛ من لم يهتم بمعاشه لم تحسن أخلاقه⁽⁴⁾.

إن العقل من احتمل المصائب احتمالاً شديداً فهو رجل؛ إن الله تعالى ينتقم من الأشرار؛ كثيراً ما يدخل الضرر على الناس، بتركهم المشورة؛ لا تعدل أحداً قبل أن تفحص عن أمره؛ لا تدع الأشياء الظاهرة وتطلب ما ليس بظاهر؛ إن الأدب يؤنس كل شيء.

إهرب من مشورة الرجل الشرير؛ إذا أنالتك مضرّة فإنك كنت أهلها؛ قد تعلم مذهب الرجل من كلامه. الرجل العادل ليس هو الذي لا يظلم بل الذي يقوى على أن يظلم فلا يفعل. إن معرفة الأمور الحسية بشي؛ فاضل؛ لا ينال الناس شيئاً من المكروه بغير سبب. إن الذي يهرب من القتال فيرجع فيقاتل لرجل؛ الرجل الخير لا يتخفّض للخير أبداً. محبوب المال ليست لهم

(1) أ: ح. ن.: وتخلصه.

(2) أ: ح. ن.: لذلك.

(3) أ: ح. ن.: العلم.

(4) أ: ح. ن.: يدا كنز خير عظيم.

حرية؛ الرجل الشقي يعيش بالمني؛ إن القول الحسن دعا الغضب؛ كل من حسنت حاله أحبه الأصدقاء وبالعكس تعرتب الأصدقاء منه. الرجاء غالب على الفراغ من الناس. إن العمر هو الذي يعمر صاحبه بالفرح. جميع الناس تدنيهم معرفتهم بأنفسهم كما بدنيهم إليه؛ من استعمل العدل في عمره تكون آخرته آخرة صالحة.

كن رزيناً واتخذ الأصدقاء بالرزانة. عمر محتاج إلى عمر غيره ليس بعمر. إن المرأة تقصر عمر الرجال. إن لم يكن لك امرأة عشت عمراً صالحاً. زينة كل امرأة سكونها. بالمرأة الصالحة يسلم المنزل. الضحك في غير وقته ابن عم البكاء. الأرض تلد كل شيء يسترده الشيخ الفاسق في غايه رداه البحث. من تزوج فانه سيندم. المرأة العادلة هي سلامة العمر. وجود المرأة الخيرة ليس هو سهل. تدفن المرأة خير من أن تزوج بها. المرأة مطبوعة على الإفراط في النفقة. تزوج بالمرأة لا بجهازها. إن الناس يتزوجون بالجهاز لا بالنساء. الطبيعة لا تطلق الرئاسة للنساء. إذا أردت التزويج فانظر إلى الجيران والأصحاب. المرأة لا تشير بشيء فيه صلاح البتة. الأحمق يضحك وإن لم يكن شيء يضحك منه. المرأة تملق فتأخذ منك شيئاً. المخطيء في الشيء مرتين ليس بحكيم. إذا سقطت شجرة احتطب كل من أراد. الأشرار تجزع من الحكيم. ينبغي أن تكون المحبة صادقة لا بالكلام.

وقال: إذا أعطيت صاحب البحث قليلاً أخذت منه كثيراً. إذا عدلت أعانك الله تعالى. الرأي من الجنان جنان. إن المرأة مولاة من تزوج بها. أطلب الشرف والفضيلة وأهرب من الذم والرذيلة. الإنسان أقدر الحيوان على الحيلة. إذا كان مذهبك العدل استعملت السنة. إن البحث عسر الوجود. إهرب من الرجل الفاسق في جميع عمره. السكوت يوجب الإقرار. ليس شيء أرعى من الملوك وإن كان خيرهم. النعمة عين ترى كل شيء. الخير يكثر في الناس من استعمال النعم.

إن الحكماء يفكرون في الأمور بالليل. إصبر على الحزن والمضرة صبراً

شديداً. انتقم من الأعداء نعمة لا تضرُّك. كن حسن الجراة ولا تكن متهوراً. أعدُّ أبداً ما يُحتاج إليه لوقت كبرك. إن الجوع والفقر يقطعان العشق. العشق مع الشبع لا مع الجوع. الرجلُ الخيرُ محبُّ قُلِّ ما يجدُ الأمانةَ في النساءِ. الرجاءُ غلب على كثيرٍ من الناس^(١). من يرى رأياً رديئاً ويفعلُ فعلاً حسناً. إذا لم تُصدق الأعداء لم تنلك مضرّة. إن الله تعالى سميعٌ لدعاء الحق. إن كانت لنا أموالُ صارت لنا أصدقاء. من صاحب السكوت يُستهان به. عبد المنزل هوربُ المنزل وحده. من الناس من يبغيضُ المحسن إليه. إذا كنت ميتاً فلا تذهب مذهب من لا يموت. إن كنت ميتاً فاعمل عمل من يموت. الصالح من الناس حسن الظن عند الشدائد. وجودُ الحكمة لا يكون إلا بعقل. لن يكسب الإنسان الحسنَةَ إلا بالتعب. يحسن عيشك إن فهرت غضبك. إن ذوي الألباب يختارون الموت على الحياة الرديئة. إن غيرَ الرجلِ تفسد المنزل. إذا تزوجت فاطلبِ المرأةَ التي تعينك على الأمور. إن الحياة اللذيذة لا تنهيًا للفاجر الشره. من حاول إفساد امرأةٍ مزروجةٍ فهو خارجُ من الحرية.

إن البطن إذا شبع قليلاً، وأكثر الهرب من الخلق الرديء، ومن الريح القبيح أما أن لا يتزوج أو يتزوج فيصونها الزمان على أخلاق الناس، أما أن لا يلعب بالردي ويحتمل ما يأتي البحث. السكوت أمثلُ من القول بما لا ينبغي. إنَّ الحمق يجلب السوء على الناس. إن الطبيعة كوت جميع الأشياء بإرادة الرب سبحانه. المادة آله من لا يفعل شيئاً من الشر فهو الإلهي، يريدُ بالإلهي الشريف كالملائكة الوالدين آلهة كبار عند من يعقل. الحسد غالبُ على أكثر طباع النساء. أحسنُ على من يقدرُ على منفعتك. مساعدة الأشرار على فعلهم كفرٌ بالله عز وجل.

(١) أ. ح. ن. : ومن الناس.

31 - أخبار سولون واضع شرائع أثينس

كذا خلف سُولون بن اكسكا سطيديس الحكيم كُتُباً كثيرةً فيها علمُ الصالحاتِ ممتلئةٌ من المواعظ، وهو جَدُّ أفلاطون لأمِّه، وكان من أهل أثينا من مدينة الحكماء في الزمان الذي انتقل المُلْك إليها. وهو واضع الشرائع لهم التي نقض بها نواميس دارقون المارق، ولم ينقض النواميس التي جاءتهم من قويليكس، ووضع كتاباً فيه الأشعارُ المنشطَةُ إلى مناصرة الحروب، يحرّضهم به على قتال الأعداء لحاجةٍ كانت إلى ذلك.

وكان سولونُ أحد الحكماء السبعة الذين كانوا في وقتٍ واحدٍ، وهم: ثاليس وسولون وبيطاقوس وبارياندروس وجيلون وقيلاولوس وبيلس.

وانكر قومٌ على بيطاقوس وبارياندروس، وجعلوا مكانهما أنسيمايدوس الأقريطي وأباريس الأسفوني، وقيل إنهم تسعة، وأضافوا إليهم أناخارسيس الذي من سقونيا وموسى الذي من حيفا، وإنما حسبوا سبعةً فأسقطوا منهم الاثنين لما أذكّره. وهو أن أحداً وقفوا بصيادٍ فدفعوا إليه منقوشاً ليلقي شبكته في الماء⁽¹⁾ فأصعد طربنوداً من ذهبٍ فاز مع الصياد عليه، ومنعهم إياه، واحتجّ عليهم بأنه، إنما باعهم سمكةً، ولم يبيعهم طربنوداً من ذهبٍ، واحتجّوا عليه أنه شرط على نفسه أن ما يطلع لهم بختهم، فلما طالب المشاجرة اتفقوا على أن يأتوا إلى الله عز وجل، فلما أمرهم انقذوه، فأوحى إليهم أن ينطلقوا إلى أحد الحكماء السبعة، ويقبلوا حكمه فيه، فأتوا بالطربنود بدءاً إلى ثاليس فوجّه به إلى بيلس الحكيم.

وأخبر بأن قال هو أحكم مني، فبعثه بيلس إلى الحكيم الثالث، فأرسله الثالث إلى الرابع فلم يزل كل واحدٍ يرسله إلى الآخر حتى جاز على السبعة الحكماء، فردّه السابع إلى ثاليس، فأجاب بأن يجعل في هيكल الله تعالى،

(1) أ. ح. ن.: فما أصعدته في بختهم كان لهم، فأخذهم منهم وطرح شبكته في الماء.

فجعلوه في هيكَل قولون الذي بداليس، فصارت سابقَةُ الطربنود للبيعة الحكماء الذين مرَّ على أيديهم، فأما الآخران اللذان لم يتفقا معهم في هذا المعنى فأفردوا بفضيلة ثاليس.

وذكرَ عن سولون أنه كان لينا، لطيف الكلام، حتى كساه أهل ابياس المفرج، وسار إلى مصر، ولبث بها حيناً، وسمع فيها من الكهنة حكماً كثيرة جداً، وتعلَّم منهم أشياء غامضة، وكان يقول: لا يزال المرء متعلماً أبداً، وتوفيَ بأرض غُزيرة هارباً في ولاية لِسِينطَاطوس⁽¹⁾، وكان أبيض، أشقر، أزرق العينين، أقى الأنف، مستطيل اللحية، خفيف العارضين، خميص البطن، منحني الكتاف، حلو المنطق، قوي اللسان، على ذراعه الأيمن خال كبير، مات وعمره سبع وثمانون سنة، وكان نقش خاتمه على ما حكاه أبو الموفز: من وذلك لشيء زال بزواله.

آداب سولون

قيل له: كم عمرك؟ فقال: الوقت الذي أنا فيه. وفي رواية أنه قال: ليلة واحدة. وكان من سنته أن لا يياشر أجساد الأحرار أجساد الإماء مخافة أن يكون الأولاد هُجناء؛ ومن سنته: إذا فرضوا للفارس أن يتفقدوا وقاره على فرسه، ويستعمل في الحرب من ثلاثين سنة إلى ستين، ثم بعده يستعمل في الحرس؛ وإذا أذنب الرجل رُفع إلى السلطان فثبتت ذنوبه في الشهر والسنة واليوم الذي يُذنب فيه، ثم إذا رُفع عليه شيء بعد ذلك نُظر في ذنوبه ومناقبه، فإن فضلت مناقبه على ذنوبه خُلِّي عنه، فإن نقصت عنه يقتل. وقال: إذا أردت أن تعرف الخراء فاعرفه فيمن يُطعمك ويعصيك.

وقال: ليكن صديقك من خالفك في الهوى وأطاعك على الرأي.

وقال: عظموا ولا تنكم واحذروهم ليحذركم من تكون عليهم فيطيعونكم.

(1) أ. ح. ن. : وكان جداً لأفلاطون الحكيم من جهة أمه.

وقال: يستعمل الكذب عند الضرورة كما يستعمل الدواء. وسأله رجلٌ
ليشير عليه بالزواج أم لا، فقال: أيهما فعلت ندمت.

وقال: من أراد أن يكون حكيماً فليعرف كيف الصناعة الفكرية حتى يعرف
صواب طريق الفكرة ومذهب سلوكها إلى علم الأمور، فإذا عُرف ذلك أبصر
من أين تثبت الأمور ومن أين لا تثبت فإذا وصل إلى هذه المرتبة حصلت له
صناعة⁽¹⁾ الصناعات العلمية حتى يستجمع عنده الأوائل ويعرفها، ثم هو يقوى
بالفكرة، ويستنبط بما ظهر ما خفي، وعنده صواب طريقة السلوك بالتفكير،
فغاية الحكيم معرفة صناعة الصناعات كما ذكرنا، وينبغي للناظر في
الصناعات التي تقدّمت الحكماء في نظمها ورسمها أن يكون نظره فيها بحذق
طريقة القياس المصيب، لا بمعرفة تلك الأشياء لأنفسها فاعرف هذه
الطريقة.

وقال: العالمُ مصنوعٌ على أن يمدَّ بعضه بعضاً ويستمدُّ بعضه من بعض،
والغاية المطلوبة في ذلك البقاء الدائم.

وقال: ليس بين الخالق والمخلوق فصلٌ بالزمان إنما هو في العلة
والمعلول، وعلةٌ سبب الموت في العالم بقاء الكل.

وقال: كلُّ علمٍ آمَنك من خوفٍ مكروهٍ فهو كنزٌ من الكنوز. وقال: كلُّ
صانعٍ ينفي عن نفسه بالعلل العقلية فهو المستحقُّ لنسبة تلك الصناعة إليه
ولكل صناعةٍ صانعٌ فيلسوف.

وقال: في العواقب يُستفاد علم التجارب.

وقال: من صنع خيراً فليَتَجَنَّبْ خلافه وإلاَّ دُعِيَ شريراً.

وقال: فعل الجاهل في خطابه أن يَدُمَّ⁽²⁾ نفسه، وفعل الأديب أن لا يَدُمَّ
نفسه ولا غيره.

(1) أ. ح. ن.: فهو في علمه بصواب طريقته الفكرية يحتاج في النظر في أوائل الصناعات.

(2) أ. ح. ن.: غيره وفعل طالب الأدب أن يلم.

وسُئِلَ: أيُّما أحمد في الصبي: الحياء أم الخوف؟ فقال: الحياء لأن الحياء يدلُّ على عقلٍ والخوف يدلُّ على لومٍ.

وقال لابنه: إذا أردتَ أمراً فلا يجمع به هوك، واستشر فلان الرأي يصدق والمشورة ترشد.

وسُئِلَ: ما أصعبُ الأشياء على الإنسان؟ فقال أن يعرف نفسه ويكتُم سرَّهُ، وفي نسخة أخرى أن يعرف عيب نفسه وأن يُمسكَ عما لا ينبغي له أن يتكلَّم به. وكان له نواميسٌ حسنةٌ وسننٌ شريفةٌ، منها أن الحكيم لا يشرب إلا دُونَ السكر، وإذا مات الملك لا يخرج في السوق، ويُترك ثلاثة أيام، وإذا تولَّى الملك كذلك إلا أنهم يشتغلون باللذات فرحاً به.

وقال: أصعبُ الأشياء أن تعرف نفسك، وتكتم سرَّك، وتمسكَ عما لا ينبغي أن يتكلَّم فيه، وطالب ثار الدنيا جاهلٌ، لأنه لانهائية له.

وقال: الذي هو أحدٌ من السيف لسانُ الرجل الفصيح.
وقال: أنفعُ الأمور وأقرُّها لأعينهم القناعة والرضى، وأشقُّها عليهم وأمضُّها الشدة والسخط، فإن أفضل ما يصيبه الإنسان السرور الذي هو ثمرة كلِّ فائدة تصل إليه، وإنما يكون نيلُ السرور⁽¹⁾ بالقناعة والسخط ولا السرور والحزن.

وقال: أحسنُ ما عوشر به الملوك البشاشة وتخفيفُ المونة وقلةُ الخلاف.
وقال: المالك للشيء هو المسلطُ عليه، فمن أراد أن يكون حُرّاً فلا يهوى ما ليس له وليهرب منه ولا صار له عبداً.

وقال: لا يضبطُن الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة.

وقال لبعض تلامذته: دع المزاح فإنه لقاح الضغائن.

وقال: ليس فضائل الرجل ما ادَّعاهَا لنفسه لكن ما نسبها الناس إليه من أفعاله التي تظهر لهم منه.

(1) أ. ح. ن.: والخير والرضا وكان الحزن بالشر والسخط ولا تجتمع القناعة.

وسُئِلَ عن الجواد فقال: من جاذ بماله وصان نفسه عن مال غيره.

وقال: ليس بِحُرِّ الغافل عن صديقه لأنَّه إن كان فاضلاً فاتته صحبته وإن كان سفياً حمى جانبه من السفهاء وارتاضَ باحتماله.

وسُئِلَ لم لا تذكر في سُبُكِّ عقوبة من قتل أباه؟ فقال لم أظنَّ هذا شيئاً يكون.

وسُئِلَ كيف تُتخذُ الأصدقاء؟ فقال: أن يكرموا إذا حضروا ويحسن ذكركم إذا غابوا.

وقال: النفس الفاضلة ترتفع عن الحزن والفرح لأنَّ الفرح إنما يعرض إذا نظرت إلى محاسن شيء دون مساوئه، والحزن بأن ترى مساوئ شيء دون محاسنه، والنفس الفاضلة تتأمل كلية الشيء فتساوى فضائله ووراثته في هذا العالم، فلا تغلب عليها إحدى هاتين الحالتين.

وقال: الذي يطلب شيئاً ليس له نهاية جاهلاً، والله تبارك وتعالى ليس له نهاية؛ وأصيب بابنه فجعل يبكي، فقال له رجل: وما ينفعُ البكاء؟ فقال: فمن هذا أبكي. وكان لا يستحل أن يدخر أكثر من قوت يوم واحد.

وقيل له: إن الملك يُبغضك، فقال: وأي ملك يحبُّ ملكاً هو أغنى منه.

32 - أخبار زينون الأكبر

ابن طالوطاغورس، وكان من أهل الفاطيس، وتميز كلام الأصغر عن كلام الأكبر متميزاً، وكان له من التلاميذ أسادرقلس بن قوما سدووس بن كباطيس، وكان أنباذوقلس مُتولياً لدرس زينون بعده، وكان⁽¹⁾ زينون مدعي رأي السبعة الذين يسمون معاريقي، وكان زينون كامل الأدب، شديد الحماية، وخلف كتاباً واحداً في علم الطبيعة، وكان عارضاً مارساندس في

(1) أ. ح. ن.: بعده وكان.

كلامه وقوله موافقاً لرأي زينون وغرضه، وكان مذهبهما مذهب نوع الغوامض، وكان لاوفينوس⁽¹⁾ السوفسطائي تلميذاً لزينون الحكيم، واجتمع هو وبرلعليمطس المظلم وأبناذوقلس وثاليس وفرغورس⁽²⁾ وسقراطيس وذو مقراطيس على عهد زينون الحكيم، وكان في عهده دياغورليس المارق، وكان مقيماً بمدينة أطيقي، فلما تمادى في النفاق والكفر والتعطيل طلبه السلطان والحكماء ورؤساء أطيقي ليقتلوه، وبذل السلطان وهو يضارب الأركون، وأمر فنودي في الناس؛ مَنْ قدر على ديوغورليس ليس الذي من سيلون فقتله فجائزته بدرّة، فبلغه ذلك، فرحل إلى أرض أحيانا إلى مدينة اسمها بالين فسكنها.

وحدثت حروب بين أهل أطيقي وأهل الأموسا، وطالت، فاشتغلوا بالحرب عنه، توفّي بعد ذلك أربعاً وخمسين سنة.

وأصيب له بعد موته كتابٌ مكتوبٌ بلغة أهل أفريقيا مملوءاً مباحث⁽³⁾ في الأمور الإلهية، وكان زينون شديد العصبية عظيم الأنفة لأهل خاصته، وكان له أصدقاء وأخوان بمدينة سوزواقوسا، اعتدى عليهم بالوحوش الأطيقي فآزمع على حتفهم، فبلغ ذلك زينون، وانتهى إليه قصّتهم فأنجدهم بفرسانٍ وبمنفسه وبسلاحٍ كثير، وتوجّه إليهم وهم غافلون، فبلغ خبره إلى بالوحوش، فجمع جنده، وسار إلى محشوده، فهجم عليه حتى أخذه، فأمر به أن يعذب عذاب من خالف السلطان، فأبدى من نفسه الشجاعة والصبر، وجعل بالوحوش يتهدّده ويتراعه بأشدّ إن هو لم يُطعه وطاع أصحابه، فقال له: اعلم يا هذا، أنه لا طاعة لشيء من المكاره أن يضطرني إلى العمل بشيء من القبائح وأصبرُ وأتجلّدُ ولا ينل⁽⁴⁾ بأصحابي، ونقول عنهم ما يُجديهِ السبيلُ إلى قتلهم

(1) أ: ح. ن.: لاوفينوس.

(2) أ: ح. ن.: وطوريرقليطس.

(3) أ: ح. ن.: مباحث.

(4) أ: ح. ن.: أحد من أخواني بسوء إنما أراد بالوحوش أن يسترد لهمجلاً بأصحابه.

لأنَّ أهل سورواقوسا لما هاجوا على بالوحوش وقواهم زينون بالرجال والسلاح طلبه وأخذه لأنَّه توهم عليه طلب الرئاسة، فلما ألح عليه عضَّ زينون على لسانه فقطعه ومضغه ورمى به إلى بالوحوش مؤنساً له ممَّا سألَه من النقول على أصحابه، فبسط العذاب عليه إلى أن مات، ولم يُقرَّ بأنَّ أحداً كان شريكاً له ولا معيماً له على إعطاء السلاح، وطلب الحرب، وقال مرتجزاً بشعره وهو يُعذَّبُ: ما أخرج الفضيلة في أمورٍ كثيرةٍ إلى معونة سعادة البحث.

وكان زينون رجلاً معتدل القامة، أخشن الأنف، حسن الصورة، على خدِّه خالٌ، أدهج العينين، عظيم الهامة، معتدل اللحية، سريع الالتفات، رافعاً رأسه إلى السماء، كثير الكلام، ذا أدبٍ كثيرٍ، حلو النطق، رزين العقل، بطيء الحركة، إذا مشى لا يُلحقُ⁽¹⁾ يوجد بيده عصا تُثنى كصورة المقص، مفصصٌ بعاجٍ وزمرّدٍ، مات وله ثمانٍ وسبعون سنة.

آداب زينون

ما ترك قول أرسطو لنا سبيلاً إلى متّفعٍ به هنا، ولا تنعم بلذّة، ولا يرغب في بقائه ما فصل جوابه على الموت على حرايبنا وإن كنا له غير حذرين إلّا كفصل ما أصل من نفسه ونفسنا عنها من قربانها من الحرص والشهوة والغضب كما بقي حدث لنا من الجراة على الموت حدث له.

وقال: الموت راحة، ونظر إلى إنسانٍ قد صرف همته إلى صنّعه فقال له: إن لم تهلك الصنعة أهلكته عنه.

وحكي عنه أنَّهُ قال لتلاميذه: إن ذهب منكم شيء فلا تقولوا ذهب منّا، ولكن قولوا رددناه، لأنّه لو كان لكم لكنتم مالكيه منذ كنتم بل متّعوا به إذا كان عندكم، والإنسان الساكن في الدار إذا نزل فيها فهي له بيت، وإذا خرج منها فهو غريب منها.

(1) أ. ح. ن.: بسرته.

وقال لتلميذ له : أكثر من الإخوان فإنهم شقاءً للنفوس .

وقيل له : ما النوم ؟ قال : راحةً من التعب وملأثم للموت .

وقال : لا ينبغي للرجل أن يتزوج امرأةً حسنةً ، فإنه يكثر عُشاقها وتزهو على زوجها .

وقال : النوم موت قصيرٌ والموت نومٌ طويلٌ .

وقال له بعض الملوك : عِظني ، فتناول شربةً ماءٍ وقال : لو مُنِعَتْ هذه ، وعُظِمَ عطشُك ، بماذا كنت تشتري فقال بنصف⁽¹⁾ مُلكي . قال فما الفخر في مُلكٍ لا يساوي شربةً ماءٍ .

وقال محبةُ المال بدءُ الشرور ، وذلك أن سائر الشر معلّقٌ بمحبةِ المال . وجاءه رجلٌ فأعلمه أن ابنه قد توفي ولم يكن له ابنٌ غيره . فقال : لم تذهب عليّ إنما أنا ولدتُ ولدًا ميتًا لا غير ميتٍ .

وقال : لا تخف موت البدن ولكن خف موت النفس . فقيل له : لم قلت ذلك والنفس لا تموت . فقال : إذا انتقلت النفس الناطقة من حدّ النطق إلى الحدّ البهيمى ، وإن كان جوهراً لا يبطل فإنها قد ماتت من العيش العقليّ .

ورأى فتىً على شاطئ النهر مهموماً محزوناً على الدنيا ، فقال له : لو كنت في غاية الغنى ، وأنت راكبٌ في البحر وسط اللجة ، وقد أشرفت أنت ومالك على الفرق ، هل كانت غايَتك إلا النجاة بنفسك ؟ فقال له الفتى : نعم ، قال : وكذلك لو كنت ملكاً ، وقد أحاط بك عدوٌ ، ومن يريدُ قتلَكَ ، هل كانت غايَتك إلا النجاة ؟ قال : نعم ، قال زينون : فأنت الملك وأنت الذي نجوت من البحر ، فاقنع بما أنت عليه وتعزّ . قال : فتعزى ذلك الفتى بما سمع من قوله ووعظه⁽²⁾ .

(1) أ : ح . ن . : قال لو شربتها وعسر خروجها بماذا كنت تشتري فقال بنصف ملكي .

33 - أخبار الإسكندر ذي القرنين

هو ابنُ فيلبس الملك ابن افطس الملك، وكان ملك فيلبس سبع سنين، وكان سبب قتله أن رجلاً من عظماء أصحابه يُقال له فلوس عشق امرأته أم الإسكندر فراسلها واستمالها فامتنعت عليه فعمل على أن يقتل فيلبس^(١)، فأرسل فيلبس عسكرياً مع رجلٍ من أصحابه لمحاربة سريطيون بن فيلاطوس، لأنّه كان قد عصاه وبعث عسكرياً آخر مع ابنه الاسكندر إلى مدينة سفراقوس لمحاربة أهلها لعصيانهم أيضاً فلما رأى فلوس تفرق عسكر فيلبس عنه طمع فيه وأزمع على قتله، فجمع من وافقه على غرضه من الرجال، ووثب على فيلبس، فضربه ضربات كثيرة بالسيف، ومنعه الناس عنه، فسقط فيلبس وقيد، وهاج أهل البلد وجيشه وافتتن البلد.

ووصل الاسكندر في ذلك الوقت، فسمع الجلبة، فسأل عن حال الناس فأخبره بحال أبيه، فدخل مسرعاً، فوجد أباه مشرفاً على التلّف، ووجد أمّه أسيرة في قيد فلوس، فهم أن يضربه بسيفه، وخشي على أمّه لتشبّه بها، فقالت له: لله تعالى اقله ولا تتوقف بسبي، فضربه الاسكندر بسيفه حتى قارب التلّف، ثم تركه صريعاً، ومضى إلى أبيه وبه رمق، فقال له قم أيّها الملك، فخذ السيف واقتل عدوك، وخذ ثارك بيدك، فقام فيلبس، فقتل فلوس، ثم مات فدّنه الاسكندر ومليك بعهده.

وكان فيلبس يؤدّي إلى دارا بن داراب ملك الفرس من البيض المعمول بالذهب في كلّ سنة عدداً معلوماً، ووزناً مقدراً إتاوة يحملها إليه ويستكف بها أذاه، وكان قد أسلم ابنه الاسكندر إلى ارسطاطاليس، ووصاه بتعليمه وتأديبه، فعلمه وثقّفه^(٢) فكان غلاماً له همّة وذكاء وعقل ونفس شريفة.

فلما حضرت فيلبس الوفاة أحضر ابنه الإسكندر، وجدد له البيعة، وتقدم

(١) أ: ح. ن. : وأذبه.

بعقد الاكليل على رأسه، وأجلسه مجلس الملك، ودخل عليه القوادّ والجنود، فسلموا عليه سلام الملوك، ثم دعا أرسطاطاليس وسأله أن يعهد إلى ابنه عهداً بحضرته داعياً له إلى مصلحته، وعزّ للملك عن فراق الدنيا، فأجابه إلى ذلك وكتب له العهد الذي أوّلّه: ليس الأمر بالخير بأسعد من المطيع ولا المتعلم بأسعد من المعلم، وهو عهد موجود في أيدي الناس، واشتدت عليه، ثم قضى نحبّه.

فقام الاسكندر في الناس، فقال أيها الناس إنّ ملككم قد مات وليس لي عليكم ولاية ولا إمارة، وإنّما أنا رجل منكم أرضى بما رضيتم، أدخل فيما دخلتم، لا أخالفكم في شيء من أموركم، فقد عرفتم ذلك مني في حياة والدي وإنّي آمركم بتقوى الله عزّ وجلّ والتمسك بالطاعة ولزوم الجماعة^(١)، فملككم أطوعكم لرّبّه تعالى، وأرفقكم بالعامّة، وأعناكم بأمروركم، فقد عرفتم ذلك مني، وأرحمكم لمساكينكم، وبذلّ نفسه في صلاحكم، ولا تشغله الشهوات عنكم، وتأمّنون شرّه وترجون خيره، ويأشرون قتال عدوكم؛ وهي خطبة طويلة.

ولما سمعوا قوله تعجبوا منه ومن رأيه ونظره فيما تنظر فيه الملوك قبله، فقالوا له: قد سمعنا قولك، وقبلنا مشورتك ونصحك لعامتنا، وقد ولّيناك أمرنا، فعش الدهر علينا ملكاً مسلطاً، لا نرى أحداً من أهل الدنيا أحقّ بالملك منك.

ثم قاموا إليه فبايعوه ووضعوا التاج على رأسه، ودعوا له بالبركة، فقال لهم الاسكندر: قد سمعت ثناءكم عليّ وسروركم بتخليكم إياي عليكم، وأنا أسأل الذي وهبنا منكم المحبّة وأثبت في قلوبكم^(٢).

ثم كتب إلى عمّال مملكته وصاحب كل ناحية: من ذي القرنين

(١) أ. ح. ن.: طاعني أن يلهمني العمل بطاعته ولا تشغلني بشيء من شهوات الدنيا وزيتها عن صلاحكم.

الماقدوني، إلى فلان بن فلان: الله تعالى ربّي وربكم، وخالقني وخالقكم،
وخالق ما نرى من السموات والأرض والنجوم والجبال والبحار، وقذف في
قلبي معرفته، وأسكنه خشيته، وألهمني حكمته، ودلّني على عبادته، واستحقّق
ذلك عندي بما أبدى به وتصيره إياي من البشر الذين يتخيّر منهم النجباء،
ويصطفى منهم الأصفياء، فله الحمد على ما تقدّم إليّ من إحسانه وحسن
صنعه، وإليه أرغب في تمامه.

وقد علمتم ما كان عليه آبائنا وآباؤكم من عبادة الأوثان دون الله عز وجل،
وأنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع، ولا تبصر، وإنه ينبغي لمن عرف وعقل أن
يستحي لنفسه من عبادة وثن أو صورة يتخذها، فانتهروا وارجعوا إلى معرفة
ربكم تعالى، واعبدوه ووحدوه فإنه أولى وأحقّ بذلك من هذه الحجارة.

وهي خطيئة طويلة، وكتب إلى جنده يعرفهم بسيرته ومقصده، وينهضهم
إلى قتال عدوهم، وإلى الدعاء إلى التوحيد والعدل، فمن خالفه وخالفهم في
ذلك حاربوه.

ونفذت كتبه إليهم، فتحرك أهل مملكته فاجتمعوا إليه مستعدين فأمر لهم
بالأرزاق، ورتب الرجال، فأروا من جزالة رأيه وسمو همته وسماحة نفسه،
وتركه الاحتصاص بالأموال دونهم شيئاً لم يروه من غيره مع تواضعه وحسن
خلقه وقربه من المساكين والضعفاء، ورحمته لهم، وشدة غضبه في باب الله
تعالى، وعظيم هيئته، فتقرر في نفوس الناس أن سيكون منه أمر عظيم، فلما
ملك وقوي واستقامت له الأمور، بعث إليه داراً يطالبه بأداء ما جرى الرسم
بأدائه من الإتاوة.

فكتب إليه الاسكندر إنّي قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك
البیض، وكان اليونانيون في الحين الذي ملك فيه الإسكندر طوائف كثيرة لا
يجمعهم ملك واحد، فجعل الإسكندر يعرف ملوك قومه حتى جمعهم وملك
عليهم، وهو أوّل من جمع اليونانيين على ملك واحد، ثم نازعته نفسه إلى

غزو ملوك المغرب جميعاً، فغزاهم وظفر بهم، وملك المغرب بأسره⁽¹⁾ ثم سار إلى الشام، وسار منها إلى أرمينية.

وبلغ دارا خبره، وكتب إليه: من دارا الملك إلى أهل طبرس، أما بعد، فقد بلغني خروج هذا اللص المارد في من جمع من اللصوص بين أظهركم، فخذوا أصحابه، فاخذفوا بأسلحتهم ودوابهم في البحر وأتوا إليّ باللص رئيسهم، فإن ذلك يعجزكم لجلدكم وحزمكم وكيدكم، وإنما هذا غلام رومي حقيّر، فما عذركم عندي إن أخرتم ذلك؟

ثم إن ذا القرنين خرج حتى نزل⁽²⁾ نهر أسطوخوس، فبلغ ذلك دارا، فكتب إليه: من دارا ملك الملوك، ملك الدنيا الذي يضيء مع الشمس إلى ذي القرنين اللص، أما بعد، فقد علمت أن ملك السماء جعلني ملك الأرض، وأعطاني الرفعة والتصرف والعز والكثرة والقوة، وقد بلغني أنك جمعت لصوصاً، وأخذت نهر أسطوخوس لتفسد في أرضي، وعقدت التاج وملكت نفسك، وهذا لعمرى من سفه الروم معروف، فارجع إذا نظرت⁽³⁾ إلى كتابي هذا غير مؤاخذ بسفهك، فإنك غلام حقيّر ليس مثلي جازاك، وابق على نفسك وبلادك، وإلا فلست أول مشؤوم على بلاده، وقد بعثت إليك تابوتاً مملوئاً ذهباً لتعلم كيف كثرته عندنا، وقوتنا به على من نريد، ولكن لتعلم أنك عندي عدلها وعدل سمس، لتعلم أن عندي عُدَّة كثيرة⁽⁴⁾ وقوة لأنك صبي.

ووجه بالكتاب مع رسله، فلما وقف عليه الاسكندر أمر بهم فكثفوا وجردوا، ودعا بالسيف كأنه يريد قتلهم، فقالوا: يا سيدنا من رأيت من

(1) ثم سار إلى مصر وبنى الإسكندرية في السنة السابعة من ملكه على البحر الأخضر وسماها باسمه.

(2) خرج نزل حتى: «كذاء في داء»، والصواب: ما أثبتناه.

(3) أ. ح. ن. : الروم.

(4) عُدَّة كثيرة: «كذاء في داء» والصواب: عُدَّة كثيرة.

الملوك قتل الرُّسل، هذا لم يفعله أحدٌ قبلك، فقال لهم الإسكندر: إن صاحبكم يزعم أنني لُصٌّ، ولستُ ملكاً، وأنا أفعلُ بكم فعل اللصوص، فلا تلوموني ولوموا صاحبكم الذي عرضكم لي وأنا لُصٌّ، فقالوا له: يا سيِّدنا إن صاحبنا لم يمرِّفك، ونحن قد رأيناك، وعرفنا ما أنت عليه في نفسك وفضلك وكرمك، فاردد علينا نفوسنا، وامننْ علينا، فإننا نخبرُ دارا بما رأينا، ونكون من شهودك، فقال: أما إذا (١) فإنِّي قريب عند الخضوع بعيدٌ عند التعزُّز، فحلُّ وثاقهم ودعا لهم بالطعام فأكلوا.

وكتب إلى دارا: من ذي القرنين بن فيلبس الملك إلى الذي يزعمُ أنه ملك الملوك، وأن جنود السماء هائنة، وأنه إلهٌ وضوء الدنيا، دارا بن دارا، أما بعد، فكيف يحسنُ ممن كان يضيء لاهل الدنيا كإضاءة الشمس أن يهاب إنساناً حقيراً ضعيفاً عبداً مثل ذي القرنين، فلا تظنُّك يا هذا إلهاً، ولكنك إنسانٌ مُشرَّفٌ أُملي لك فطغيت، ولا ترى أن الله تعالى يُولي الملك والغلبة من يشاء، وإنسانٌ ضعيفٌ طاغٍ تسمي باسم الإله الذي لا يموت، ولكن حقٌ له أن يغضب على من تسمي باسمه وتسلط على عبده، وكيف يكون إلهاً من يموت ويبلى ويذهب سلطانه، وينزل دُنياه لغيره، ولكنك الذي من ضعفك، وأنت لا تطيقُ مناولة ذي القوة والبأس والنجدة، وأنا سائرٌ إليك لقتالك ولأفئك بمثل من يلقي به الملك الذي كُتب عليه الموت، لأنني إنسانٌ الموت في عنقي، وأجلي آت، ولا أرجو النصر إلا من إلهي الذي خلقتني، عليه توكلتُ وإياه أعبدُ بكثرة ما أوتيت من الذهب يظهرني عليك، فقد أعلمتني في كتابك بكثرة ما أوتيت من الذهب والفضة والكنوز ما بنا إليه حاجة، فلا يخلفني عن طلبه حيث كان، وبعثت إليَّ بدريةً وكوةً (٢) وتابوت ذهب؛ فأما الدرَّةُ فإنني سَوَّطُ بعثني الله عليكم لأذيقكم بأسه، وأكون لكم ملكاً ومؤدباً وإماماً؛ وأما الكثرةُ فإنني أرجو أن يجمع الله لي ملك الأرض باجتماع الكثرة

(١) أ. ح. ن.: خضعتُم وصالَّتمُ فإنِّي مجيكم ومشفقكم لتعلموا عظمي ورحمتي.

(٢) أ. ح. ن.: كثرة

في يدي؛ وأما التابوت فإنه طائرٌ عجيبٌ ورسوخٌ في نصرِ الله إِيَّايَ عليك لأنَّ التابوت خزانةٌ من خزائنك مملوءةٌ ذهباً، فهذه علامةٌ تحوّل خزانة من خزائنك إليّ، وأما السمسم فعدّد كثيرٌ، ولكنه لئِن المجسّنة، مأكولٌ، ليست فيه كراهةٌ ولا زكايّة، وقد بعثتُ إليك من خردلٍ بغيرِ فَنَقْ طعمه واعلم أنّك علوت في نفسك، وسطوت في سلطانك، فظننت أنّك أربعتنا بما ذكرت من غرّتك، وأرجو أن يُضعفك الله تعالى^(١) وأن يظهرني بثقتي به، وتوكّلي عليه والسلام.

وختم كتابه، ودفعه إلى الرّسل، وأمر لهم بالذهب الذي كان دارا بعث به إليه.

فقدم عليه رسله؛ وقد واقع ذو القرنين خليفه دارا بأذربيجان فهزمه، فقدم على دارا مهزوماً، وأمر الإسكندر بقتلى فارس فدفنها.

ثم ارتحل إلى الجبل فافتتح به مدائن كثيرة، وفرض لبعض أهلها، فاتّبعوه، وارتحل إلى جبل طواس، ثم إلى مدينة فيلا ثم إلى مدينة قوم ايليون ثم مضى إلى ماقدونيا، وكان رجوعه لأجل جمع أمّه، فوجدها قد برأت، فسكنت نفسه لذلك، وارتحل إلى يَدَلَا فغلقوا الأبواب، فأمر بإحراقها بالنار، فنادوه: ياذا القرنين، إنّنا لم نغلقها لقتالك، ولكن خفنا أن يبلغ دارا أنا فتحناها لك فيها فيهلكنا، فقال لهم: افتحوها فلّني غير داخلها حتى ينصرني الله عزّ وجلّ على دارا فلا تخافوا، فقد علمتم وفائي بعهدي وصنعي إلى من دخل في طاعتي، ففتحوا له الأبواب، وأخرجوا الطعام والعلوفات، وارتحل منها إلى اسطيدوس وقطيداء، وهما على البحيرة المتّنة، ثم ارتحل منها إلى فيدطوس ثم ارتحل إلى الناس.

ثم رحل حتى أتى دارا، وكانت لهم وقعةٌ عظيمة التحموا فيها من طلوع الشمس إلى انتصاف النهار، وسالت الدماء سبل الأودية، واشتغل أصحاب

(١) أ. ح. ن.: ويضعك بقدر ما رفعت من نفسك حتى يتسلم بك أهل الأرض.

دارا بالغنائم، وثبت الماقدونيين على حالهم، فلما نظروا إلى جهاته ورؤسائه أصحابه وخيار أعوانه قد بادوا وأكثر من بقي جبريغ أو مشغول بنهب تخفّف في خاصته هارباً، واحتوى ذو القرنين على ما خلف، وأسر خلقاً كثيراً هارباً، فكان فيمن أمير ابنه⁽¹⁾ وابنته وامرأته، وسار دارا هارباً حتى وقع على نهر كبير قد صار أعلاه جليداً، فعبر عليه واتبعه أصحابه، فانخسف بهم الجليد، ففرق أكثرهم، وسلم دارا، ومضى حتى دخل بيت الهند عائداً بها من ذي القرنين، ثم دبر رأيه وأمره، فقال: ما هي أقرب إلى النجاة من الدخول في أمان الإسكندر، فإنه كريم المقدرة، وافي العهد، فكتب إليه كتاباً يستعطفه ويتذلّل له ويسأله أن يرحمه، ويبعث إليه بابنه وابنته وصاحبته، ووعد أنه يعطيه مافي كنوز فارس وخزائن آبائه، فلما قرأ الاسكندر كتابه نهض بأصحابه نحوه، وبلغ دارا اقبال الاسكندر إليه، فخرج هارباً فيمن بقي من أصحابه إلى ملك الهند⁽²⁾، ولحقه الإسكندر.

فلما تراءى الجمعان والتقوا وثب بدارا صاحبه ووزيره ليقتلاه ليحصل بذلك الحرمة عند الإسكندر، فعاتبهما دارا، وذكرهما جميلة وإحسانه إليهما، وأن لا يسفكا دمه لغيرهما، فإن ذا القرنين ملك، وإن تقرّبتما إليه يقتلي لم تسلما لأن الملوك تأخذ بثأر الملوك، فضرباه بسيفيهما حتى وقع عن فرسه، وأدركه ذو القرنين قبل أن يقضي فتزل عليه ووضع رأسه في حجره، ونفض التراب عن وجهه، ووضع يده على صدره، ثم قال وعيناه تدمعان: يادارا قم من مصرعك وكن ملكاً على أرضك، وإلهي يا ملك لأمكنك ولأمكنك ولأردن عليك ما أخذت منك، ولا عينك على عدوك، وإني لنادم منك لاني طعمت من طعامك أيام حياتك، كأنني رسول، فقم غير مؤاخذ منك بما سلف، ولا تجزع عند حلول البلاء من غيرهم فإن أهل النعمة والبلاء أصبر على البلاء من غيرهم، وأعلمني من فعل هذا بك لانتقم لك منه، فقال دارا

(1) أ. ح. ن. : واته.

(2) أ. ح. ن. : نور.

وعيناه تدمعان، وقد وضع يد ذي القرنين على وجهه وهو يقبلها^(١): يا ذا القرنين لا تتكبر ولا تتجبر ولا ترفعن نفسك فوق قدرتك، ولا تركنن إلى الدنيا، فقد رأيت ما أصابني، ولك في عبرة أنت مكتف بها، فاحذر مصرعي، وتوق ما صيرني إليه المقدار، واحفظني في أمي فصيرها أمك في المنزل، وامراتي فصيرها بمنزلة أختك، وقد زوجتك ابنتي رُوشنك، ثم وضع يده على فيه فمات، فأمر الإسكندر بدارا فغُيِلَ بالمسك والعنبر وكُفِّنَ بالثياب المنسوجة بالذهب.

ونادى المنادي في الروم والفرس، فاجتمعوا مشتملين بالسلاح، فكتبهم كتاب، وصفهم صفوفاً، ثم أمر بعشرة ألف رجل مسلحة أن يمشوا أمام سريره، قد استلوا سيوفهم، وعشرة ألف خلفه^(٢) عن شماله، ومشى ذو القرنين في مقدم سريره، ومعه عظماء الروم وفارس وساداتها، وسارت الكتاب والصفوف، ومشي الرجال على مراتبها، حتى انتهوا إلى حضرته، فجلس الإسكندر عندها، وأمر بدفنه فدفنوه، وأمر بالقبض على قاتلي دارا فأخذوا وصلبوا عند قبره، فلما رأى ذلك رجال الفرس ازدادوا له محبةً، فأمر جنوده أجمعين أن يمرّوا بين المصلوبين رجلاً رجلاً، ثم بعث إلى رُوشنك أعلمها ما كان من وصية أبيها ومسألته له أن يتزوجها، وعرض عليها ذلك، فأجابته، فأمر لها بمال فجهزت وحملت إليه، ثم خلف على فارس أحاداراً وصيرة مكان أخيه، وملك على مملكة فارس تسعين ملكاً، وهم ملوك الطوائف.

وأحرق كُتُبَ دين المجوسية، وعمد إلى كتب النجوم والطب والفلسفة، فنقلها إلى اللسان اليوناني، وأنفذ إلى بلاده، وأحرق أصولها، وهدم بيوت النيران، وبنى مدينةً بالمشرق، ونقل إليها الناس من البلدان بأهاليهم

(١) أ. ح. ن.: ويقول.

(٢) أ. ح. ن.: كذلك عشرة آلاف من يمينه وعشرة آلاف عن شماله.

فأسكنهم إياها، وسماها مرجالوس، وهي مدينة مرو، وبني مدناً كثيراً.
ووصل إلى الاسكندر في مسيره لمحاربة ملوك الأمم كتاب أمه روقيا فقراه،
فإذا فيه :

من روقيا أم الإسكندر الضعيف المتأله^١ الذي بقوة الباري تعالى يقوى
وبقدرته فخر وبعزته استعلى، يابني، لا تدع العجب قلبك فإن ذلك
مُردبك، ولا تدع للعظمة فيك مطمعا فإن ذلك يضمك، يابني، ذلّل نفسك
واعلم أنك عن قليل تتحوّل عما أنت عليه، يابني، إياك والشح فإنه يُزري
بك، يابني، انظر الكنوز التي جمعتها والأموال التي حوتها، فعجل حملها
عليّ مع رجل مفرد على فرس جواد.

فلما ورد عليه كتاب أمه جمع من كان معه من الحكماء، فسألهم عن
معنى ما كتبت إليه، فلم يجد ذلك عندهم ولا عرفوا ما أرادت، فدعا مكاتبه،
وقال: أتعلم في كل ما جمعناه، فاحصر عدته، واكتب ببلاغة، وبين فيه
المواضع التي أودعناه ثم ختمه، وحمل رجلاً على فرس جواد، وقال له:
امض بهذا الكتاب إلى أمي؛ ثم قال: إنما سألتني أن أبعث إليها بعلم ما
اجتمع عندي من المال والمواضع التي أودعته فيها.

ثم ارتحل إلى فور ملك الهند، فسار شهراً في أرض مجهولة وعرة
وحال، وكتب إليه: من ذي القرنين ملك ملوك الدنيا إلى فور صاحب الهند،
أما بعد، فإن إلهي الله الذي لا إله إلا هو الذي أئيدني بنصره، وأعزني
بالفتح، وعلاني بالقهر للأعداء؛ ومكن لي في البلاد، وبعثني نعمة على من
كفر به وجحد، فإني أدعوك إلى إلهي وألهك وخالقني وخالقك وخالق كل
شيء، ورب كل شيء أن تعبد ولا تعبد غيره، فإنه قد استحق ذلك منك بما
قد ملّك به على أهل ناحيتك، وفضّلك على نظرائك من الملوك، وأقبل
نصيحتي وابعث إليّ بالأصنام التي تعبد وأد إليّ الخراج تسلم مني وإلا فاني

(1) أ. ح. ن.: إلى ابنها الإسكندر.

أقسم بالهي لاطان أرضك، ولاهتكن حرمتك، ولأخرين بلادك، ولاجعلنك حديثاً، وقد رأيت ما صنع إلهي بدارا، وكيف أعانني عليه، فلا تعدل بالعافية شيئاً واغتنمها.

فأجابه بجواب فيه جفاء وغلظ، فزحف إليه الإسكندر، وقد أعد ملك الهند الفيلة والسباع الضارية على القتال، فرأى الإسكندر من ذلك ما هاله، وليس يدري كيف وجه المحاربة، وسأل أصحابه فلم يجد لذلك حيلة عندهم، ففكر ملياً؛ ثم أمر بجمع الصناعات التي⁽¹⁾ معه، فصنعوا له أربعة وعشرين ألف تمثال على صورة الفيلة على بكرات بحديد مجوفة، وملاها حطباً وفحمًا، وصفها صفوفاً، والبسها السلاح، وأضرم في داخلها النيران، وزحف فور إلى الإسكندر بالرجال والفيلة والسباع، فبادرت الفيلة إلى تلك التماثيل يظنونها أناساً فلوت خراطيمها عليها فالتهمت النار فيها فأحرقتها، وكذلك السباع فولت جميعاً على الإديار فطحت جنود فور وقتلتهم.

وحمل ذو القرنين وأصحابه بعقب ذلك، وقاتلهم إلى الليل، فلم يزالوا كذلك عشرين يوماً حتى تفاقموا، وكثر ذهاب أصحاب ذي القرنين، فخاف وأشفق، ونادى: يا فور ليس ينبغي للملك أن يورد جنده موارد الهلكة وهو يقدر على دفعها، وقد نرى فناء أصحابنا، فما يدعوننا إلى هذا؟ فقال: نقتل أنا وأنت فمن قتل صاحبه غلب على مملكته.

فأعجب ذلك فور لأنه كان عظيم الخلقة، وكان ذو القرنين حقيراً، فمشيا جميعاً والصفوف قائمة، واستل سيفيهما، وأقبل فور مبتدراً، فلما قرب من ذي القرنين سمع في عسكره صيحة رابعة، فالتفت لينظر ما هي، فاغتنمها الإسكندر فضربه على كتفه بسيفه، فصرعه ووقع عليه، فلما رأى جنود فور هلكته أقبلوا على القتال تأسفاً وحزنًا وحنقاً بأشد ما يقدرون عليه، فناداهم ذو القرنين: على ماذا تقاتلون وقد قتل ملككم؟ فقالوا: لا نزال نقاتلك حتى

(1) وكذا في هامش، والصواب: الذين.

نرد مورده، ولا نلقي بأيدينا إليك تحكّم فينا بالقتل، ولكن نموت كراماً؛ فقال لهم الإسكندر: من وضع السلاح فهو آمن، فوضعوا السلاح، فكفّ عن القتال.

ودخلوا في سلمه فأحسن إليهم، وأمر بجسد فور فطُيَّب وكُفِّنَ وفُجِّلَ به ما يفعل بالملوك من الكرامة، وأخذ أمواله وما كان في أرضه من ذلك، ومن السلاح، وقيل إنهما لما التقيا قال له الإسكندر: أستمعن عليّ وأنا أضعف منك؟ فغضب فور، وقال: بمن؟ فقال له: بالفارس الذي خلفك؛ فالتفت فور، فزرقه بمزراق، فذبحه، فضالحوه، ثم خرج عليه ابنه، فقتله محاربة، ثم سار إلى البرهماتيين لما بلغه من علمهم، وجمعهم. فلما بلغهم مجيئه أنفذوا إليه جماعة من علمائهم، وكتبوا: من البرهماتيين البشر إلى ذي القرنين، إن كنت إنما أتيت لقتالنا فليس عندنا ما تقاتلنا عليه، فارجع فلنا مساكين، وليس لنا إلا الحكمة⁽¹⁾ فارغب إلى الله تعالى ولا دُنْيا تعطيكها.

فلما قرأ كتابهم، أمر أصحابه بالوقوف، وسار إليهم في عصية يسيرة، فلما دنا منهم رأى قوماً عراةً مساكنهم المطال والمغاور، وأبناؤهم ونساؤهم يجتنون البقل، فسألهم، ومثرت بينه وبينهم محاورات ومسائل كثيرة من الحكمة، ثم قال: سائلوني لعاميتكم؛ فقالوا: نسألك الخلود لا نريد غيرَه؛ فقال: كيف يقدر على الخلود لغيره من لا يقدر عليه لنفسه زيادة ساعة في عمره. هذا لا يملكه أحد؛ فقالوا له: إذا كنت تعلم هذا، فما تريد من قتال هذا الخلق وإبادتهم وجمع كنوز الأرض وأنت مفارقها؟ فقال لهم: لم أفعل هذا من قبل نفسي، ولكن ربي بعثني لإظهار دينه وقتل من كفر به، أما تعلمون أن أمواج البحر لا تتحرك حتى تحركها الريح، فكذلك أنا لو لم يبعثني ربي لم أبرح من موضعي ولكني مطيعٌ لربي عز وجل منقادٌ أمره حتى يأتيني أجلي وأفارق الدنيا عرباناً كما دخلتها، ثم انصرف عنهم.

(1) أ. ح. ن. : بلا أموال الحكمة ما ينال بالقتال فإن كانت الحكمة طلبك من قبلنا..

وقيل إنه صالح أهل الهند على الخراج في كل سنة، وحمل كأس البد إليه، وأخرج الشيخ الحكيم إليه، فأعطوه ذلك، وكان الكأس من خشب يجذب الماء كجذب المغناطيس الحديد، فإذا وُضع في مفاضة لا ماء بها جذب الماء كجذب المغناطيس الحديد حتى يمتلئ فلا يحتاج صاحبها إلى استصحاب الماء في المفاويز والصحاري، والبد صنم تعبده الهند تزعم أنه إنما ملئ الكأس من أحل عبادتهم له.

وكتب إلى معلّمه أرسطاطاليس يخبره بعجائب ما رأى في بلاد الهند، ويستطلع رأيه فيما يفعله من سياسة أمره وتديره للبلاد والأمم.

ثم توجه إلى الصين، ومضت بينه وبين ملكها مكاتبات ومراسلات كثيرة استقرّ آخرها على أن أنفذ إليه ملك الصين بخبره بطاعته وإذعانه إلى قوله، ويبحث إليه بتاج وقال: أنت أحقّ مني، وأنفذ إليه من هدايا الصين من الذهب والفضة والجواهر والمسك والعود والسيوف والسروج وغير ذلك شيئاً عظيماً.

ثم قدم وفد الصين عليه، فوصّاهم ووعظهم، وأمرهم بلزوم السنن الواجبة العادلة، وكتب لهم عهداً أبقاه في أيديهم يعملون عليه في سيرتهم وانصرف عنهم، ودوخ بلاد الشرق كله، الترك وغيرهم، وبنى المدن فيها، وبنى السد، وملك الملوك ولأهم من قبله، وجعل عليهم الإتاوة يؤدّي كل واحد على ما يحتمل حاله في كل سنة وعمل العجائب؛ وتوجه منصرفاً إلى المغرب، وذكروا أنه كان فيما نظر المنجمون فيه من نهاية انقضاء ملك الإسكندر أن آية ذلك أن يموت على أرض من حديد تحت سماء من ذهب، فبينما هو يسير ذات يوم إذا رُفع رُعافاً عظيماً، فاهله الضعف حتى مال عن فرسه، فنزل بعض قواده، فترع درعه وفرشها له وظلله من الشمس بترس من ذهب.

فلما رأى ذلك قال: هذا أوان مني، فدعا بكاتبه، وقال: خفف على

بعض ما نزل بي بكتابٍ أوجهه إلى أمي، فلإذا فرغت منه فاقراه عليّ قبل موتي فإنني أظن عن قليل سينزل بي، وكان الكتاب المعروف الذي أوله: من العبد بن العبد الإسكندر رفيق أهل الأرض بجسده قليلاً، ومجاور أهل الآخرة بروحه طويلاً إلى أمه روقيا الصفيّة الحبيبة التي لم يتمنّع بقربها في دار القرب، وهي مجاورته غداً في دار البعد. . إلى آخر الكتاب.

وكان بدء مرضه بقومس، واشتدّ بشهرزور ومات بروسقاد، وكان قد وصّى إلى جثته^(١) ويجعل في تابوت من ذهب، ويحمل إلى الاسكندرية فيواري هناك، ففعل ذلك، وحمل على مناكب العظماء والحكماء والأشراف والملوك والوزراء والأمراء وسائر طبقات الناس، ويلقبه^(٢) ذو القرابة من أهله الأخصّ فالأخصّ، ثم قام زعيم القوم، فقال: هذا يومٌ عظمت العبرة فيه، وكشف للملك عنه، وأقبل من شره ما كان مذبراً وأذبر من خيريه ما كان مقبلاً فمن كان باكياً على ملكٍ فليترك، ومن كان متعجباً فليتعجب.

ثم أقبل على الحكماء فقال ليقلّ كل امرئٍ منكم قولاً يكون للخاصّة معزياً وللعمامة واعظاً، ففعل ذلك، فقال ميلاطوس: خرجنا إلى الدنيا جاهلين، وأقمنا فيها غافلين، وفارقناها كارهين.

وقال زينون الأصغر: يا عظيم الشأن ما كنت إلا ظلّ محابٍ اضمحلّ إلى أطلٍ فما يحسّ لملكك أثر، ولا يعرف له خبر.

وقال افلاطون الثاني: أيها الساعي المقتصب، جمعت ماخذلك، وتولّيت ما تولّى عنك، فلزمتك أوزارُة، وعاد على غيرك مهنؤه وثماره.

وقال فوطس: ألا تتعجبون ممن لم يعظنا اختياراً حتى وعظنا بنفسه اضطراراً.

(١) أ. ح. ن.: تكفن.

(٢) وكذاه في وه، ولعلّ الصواب: تلقاه.

وقال مطرر: قد كُنَّا بالأمس نقدر على الاستماع ولا نقدرُ على القول،
واليوم نقدرُ على القول فهل نقدرُ على الاستماع.

وقال ثاون: انظروا إلى حلم النَّائم كيف انقضى وإلى ظلِّ الغمام كيف
انجلى. وقال ثيوس: قد أَمَاتَ هذا الشخص كثيراً لئلاَّ يموت، فمات، فكيف
لم يدفع الموت عن نفسه بالموت؟.

وقال حكيمٌ: طوى الأرضَ العريضة فلم يقنع حتى طُوي منها في ذراعين.
وقال آخرُ: ما سافر الإسكندرُ سَفْراً بلا أعوان وآلٍ وعُدَّةٍ غير سفره هذا.
وقال آخر: ما أدعنا فيما فارتَ واغفلنا عمَّا عانيت.

وقال آخر: يؤذينا بكلامه كما أذانا بسكوته. وقال آخر: من شدة حرصه
على الارتفاع انحطَّ كلُّهُ.

وقال آخر: الآن تضطربُ الأقاليمُ لأنَّ مُسكنها قد سكن.

وحُجِّلَ تابوتُهُ إلى الاسكندرية، فلما قُرِبَ من البلد أمرت أمُّهُ أن يتلقوه
بأحسن هيئة، ففعلوا ذلك، فلما أدخل التابوتُ عليها قالت: العجبُ يا بني
لمن بلغت السماءَ حكمته، وأقطار الأرض ملكهُ، ودانت له الملوكُ عنوةً،
كيف هو اليوم نائم لا يستيقظ، وساكِتٌ لا يتكلَّمُ؟ فمن ذا يبلغ الإسكندرُ عني
فيعظم حناؤهُ مني وتجوّد منزلتُهُ عندي، فإنه قد وعظني فاتعظتُ، عزّاني
فتعزّيتُ وصبرتُ، ولولا أني لاحقةٌ به ما فعلتُ، فعليك السلام يا بني حيّاً
وهالِكاً، فنعم الحيُّ كنت ونعم الهالك أنت.

وحضرها الحكماء ونطقوا بالحكمة والموعظة كما نقل من سلف، ثم
أمرت بالتابوت، فدفن بالإسكندرية، ثم صنعتُ طعاماً كما أمرها الإسكندر
في كتابه، وأحضرت له النساء، فلما وُضع الطعامُ بين يديها أقسمت عليهن
أن لا يأكل من طعامها امرأةٌ دخل بيتها الحزنُ وأصابتها مصيبة.

فلما سمعن ذلك أمسكنَ عنه وقلن: كلُّنا دخل بيوتنا الحزنُ؛ فقالت

زوقيا: مالي أرى النساء حيارى؟ إني أظن أن البلاء والحزن قد دخل عليهن أجمعين مثلما دخل عليّ، قد ولت الدنيا عني، وهذا السوء ركني، وأذعنت لحلول الزوال، والدوام لبارئ الكل الحي الذي لا يموت ولا يزول ولا يفنى، وكل مُرضعة فللموت تُربي وللغناء تغذي، وإلى التكل تصير، فما العوض من فراق الحبيب وثمره القلب ومنى النفس، ما أرى في الدنيا وطناً ولا مقراً بعد هلاكه إلا إني أهيئ مع الوحوش إلى أن يكبرني البارئ بالحق بدار الحبيب.

وملك وله تسعة عشر⁽¹⁾ سنة، وكان مدة ملكه سبعة عشر⁽²⁾ سنة وكسراً، منها تسع سنين محارب، وثمانين سنين مطمئن بغير حرب، وغلب اثنتين وعشرين أمة، وثلاث عشرة عشيرة من عشائره، ويُقال إنه في ذهابه من المغرب إلى المشرق طاف الدنيا في ستين، ولم يلبث بعد غلبه لدارا غير ست سنين وكسراً، وكانت عدّة جيوشه ثلاثمائة ألف وعشرين ألفاً المعاتلة سوى الاتباع، وكان الاسكندر أشقر، أنمش، أزرق، لطيف الخلقة، مات وله ست وثلاثون سنة.

وكان لا يشبه أباه ولا أمه في الصورة، وكانت عيناه مختلفتين، إحداهما شديدة الزرقعة⁽³⁾، والأخرى إلى أسفل، وكانت أسنانه دقيقة حادة الرؤوس، وكان وجهه كوجه الماء الأسد، وكان شجاعاً جريئاً على الحروب، منذ صباه، وأوصاه والده أن يستمع كلام معلّمه، فقال: إني لم آت ههنا لاسمع لكن لأفعل.

وقيل له بم نلت هذه المملكة العظيمة على حداثة سنك؟ فقال: باستمالة الناس، أما الأعداء فتصيرهم أصدقاء، وتعاهد الأصدقاء بالإحسان إليهم.

(1) و (2) وكذا في داء، والصواب: تسع عشرة سنة - سبع عشرة سنة.

(3) أ. ح. ن.: والأخرى تميل إلى السواد وإحداها تنظر إلى فوق.

وقال ما أقبح بالإنسان أن يقول ما لا يفعل وما أحسن الفعل ابتداءً قبل القول .

وقال: إن تفعل ما لا تقول أحسن من أن تقول ما لا تفعل .

وقال: أحسن إن أحببت أن يحسن إليك .

وسأل حكيمًا: بماذا يصلح الملك؟ فقال: بطاعة الرعية وعدل السلطان .
وقصد قومًا لمحاربتهم، فحاربه النساء، فكف عن محاربتهن، وقال: هذا جيش إن غلبناه، لم يكن لنا فيه فخر، وإن غلبنا كانت الفضيحة آخر الدهر علينا .

وقال لوزير له أقام معه مدة فلم ينهه عن مجتنب: لا حاجة لي في خدمتك، فقال: ولم؟ قال: لأنني إنسان، والإنسان لا يفقد أخطاءه فإن كنت لم تقف مني على خطأ فانت جاهل، وإن كنت وقفت فسترته فانت غاش .

ومر على قوم يشربون فتوهموه مزاحاً كان يالفهم، فصبوا عليه⁽¹⁾ فلمّا تبين لهم أنه الاسكندر جزعوا جزعاً شديداً، فقال: لا تجزعوا فإنكم ما فعلتم هذا بي وإنما فعلتموه بصاحبكم .

وقال: قتلت أرضاً خابرتها، وقتلت أرضاً جاهلها .

وقال: ما نلت في ملكي شيئاً أحب إلي من أني قدرت على المكافاة بالإساءة فلم أفعل .

ودخل على الإسكندر فقير فقال: مر لي بعشرة آلاف دينار؛ فقال: ليس هذا قدرك؛ فقال: فقدرك أيها الملك، فأمر له بها .

وقال: لولا العلم ما قامت الدنيا ولا استقامت المملكة .

ولمّا أيقن بالموت دعا بكاتبه، وأملى عليه كتاباً غير الأول: الله الكافي من عند الإسكندر المستولي على أقطار الأرض بالأمير، وهو اليوم رهينها إلى

(1) أ: ح. ن.: ماء .

روقيا أمه الرحيمة الحبيبة التي لم يتمتع بالقرب منها، السلام عليك، الطيب الزاكي، إن سبيلي يا أمي سبيل من قد مضى من الأولين، وأنت ومن يتخلف بعدي بالآثر، وإنما مثلاً في هذه الدنيا كالיום الذي يتبعه ما يتبعه، فلا تأسفي على الدنيا، فإنها غارة لأهلها، والعبرة في ذلك ما قد عرفت من الملك، فليس حيث لم يجد سبيلاً إلى المقام معك ولا تخلفي⁽¹⁾، فتذرعي الصبر، وانفي الجزع من قلبك، وتأسّي بالمصائب، فإن كل أحد يصيبه مصيبة، فاستعيني به على أمرك إلى أن تمضي لثأبك، فإن الذي أصير إليه خير مما كنت فيه وأروح، فأحسني إلي وإلى نفسك بقبول العزاء، والسلام على من اتبع الهدى. وأمر بختم الكتابين وانفاذهما إلى أمه مبرأ.

ويُروى أن ملك الصين أجاب الإسكندر بالطف جواب، وأنفذ رسولا وخادماً وجارية وطعام يوم ودست ثياب⁽²⁾، فتحير الإسكندر، وقال⁽³⁾: هذا هدية مثلي لمثلي، فجمع الفلاسفة، فسألهم، فقال له واحد: إنه يرى أنه لو ملكت الأرض وكفاك جارية تطوؤها وثوب تلبس وخادم يخدمك، وطعام تأكله، فما الحاجة إلى ما تصنع؟ فقال: لقد وعظني بعظة كافية، وتركه.

وكان يقول عند موته يبابل: رب أنلني رضاك، فكل ملك باطل سواك، حتى قضى، فأودع في تابوت من ذهب حتى لا يمس جلده التراب، إجلالاً له، وسر الوزير موته وقاد الجيوش والخزائن حتى انتهى به إلى الإسكندرية، وأخرج التابوت فوضعه في البلاط لتمام اثنتين وثلاثين سنة عاشها في الدنيا، ملك منها اثنتي عشرة سنة.

وقيل: إن بعض عبيده سُمه فقتله، وأظهر للوجود والحاضر موته، وقال: كل واحد من الحكماء يرثيه، أشار بذلك الوزير.

(1) أ: ح. ن. : علي.

(2) أ: ح. ن. : فتحير.

(3) أ: ح. ن. : لبس.

وقيل: لَمْ لَا تَكْثُرُ الْكَنُوزُ؟ فقال: أصحابي هم الكنوز، فأكثرها فيهم ولا أكثرها في البيوت.

وقال لرجلٍ تَسْمَى الإسكندر، وكان كثيراً ما يهزم⁽¹⁾: إِمَّا أَنْ تُغَيِّرَ اسْمَكَ أَوْ تَتَقَلَّ عَنْ فِعْلِكَ، وَوُجِدَ فِي عِضْدِهِ صَحِيفَةٌ فِيهَا: قَلَّةُ الْاِسْتِرْسَالِ إِلَى الدُّنْيَا أَسْلَمَ، وَالْاِتِّكَالُ عَلَى الْقَدْرِ أَرْوَحُ، عِنْدَ حَسَنِ الظَّنِّ تَقَعُ الْعِبرُ، وَلَا يَنْفَعُ لِمَا هُوَ وَاقِعٌ التَّوَقُّي.

وسأله رجلان من أصحابه أَنْ يَقْضِي بَيْنَهُمَا، فقال: الْحَكْمُ يَرْضِي أَحَدَكُمَا وَيَسْخَطُ الْآخَرَ، فَاسْتَعْمَلَا الْحَقَّ يَرْضِيكُمَا جَمِيعاً.

وحكى يوماً فلم يسأله أحد فقال: لَا أَعُدُّ الْيَوْمَ مِنْ عَمْرِي.

وقال الإسكندرُ لجلسائه: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ أَنْ يَأْتِيَ فَبِئْشاً فِي مَنْزِلِهِ مِنْ أَهْلِهِ وَفِي غَيْرِهِ مِمَّنْ يَلْقَاهُ وَحَيْثُ يَسْأَلُ فَمَنْ نَفْسِهِ، وَإِلَّا فَمَنْ اللَّهِ، وَرِشَاوَر⁽²⁾.

فقال: إِنْ رَسُولُ أَرْسَطُو قَدِمَ عَلَى الْإِسْكَانْدَرِ، فَمَكَتْ طَوِيلًا لَا يَنْكَلِمُ، فَقَالَ لَهُ الْإِسْكَانْدَرُ: إِمَّا أَنْ تَقُولَ فَاسْمَعْ، وَإِمَّا أَنْ أَقُولَ فَتَنْصِتْ، فَقَالَ: التَّخْيِيرُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ الْحَكِيمُ؟ فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ جَدُّ فِي الْجِهَادِ وَلَقَدْ كَانَ حَذِرًا مُسْتَعْدًّا، قَالَ: مَا بَلَغَ جَدُّهُ؟ قَالَ: عَيْنُهُ لَا تَسْكُنُ وَلَا تَطْرُقُ، وَلِسَانُهُ لَا يَنْفَرُ، الدُّنْيَا عِنْدَهُ كَالْفَيْحِ وَالدَّمُ. قَالَ: كَيْفَ عَمِلَ فِي الرُّعْيَةِ بَعْدِي؟ قَالَ: أَنْارَ الْقُلُوبَ الْمَظْلَمَةَ فِي الصُّدُورِ الْخَبْرَةَ، وَكَثَّرَ فِيهَا الْحِكْمَةَ، وَأَمَاتَ فِيهَا الْجَهَالََةَ.

قال: فَمَا لِبَاسُهُ الْبَاطِنُ؟ قَالَ: الْفَكْرُ الطَّوِيلُ وَالتَّعَجُّبُ الدَّائِمُ.

(1) أ. ح. ن. : فقال له.

(2) أ. ح. ن. : الحكماء في أن يسجد له كالآله فنهاهم وقال لا سجود لغير باري الكل ويحق له السجود على من كساه بهجة الفضائل.

قال: بَمَ ذاك؟ قال: من أهل الدنيا كيف اغتروا بها، ومن أهل التجربة كيف وثقوا بها.

قال: فمن أيهم كان أكثر تعجباً؟ قال: من مصروعها كيف عاودها، ومن ملوبها كيف راجعها، ومن الذي مات أبوه كيف رجاء البقاء، ومن باقياها كيف فرح بما ليس بدائم، ومن فقيرها كيف حزن على فوت ما يشقى به الغني.

قال: فمن أيهما كان أشد تعجباً؟ قال: من جميعها سواء، وذلك أن هذا فرح بما ليس له، وهذا حزن على قوت ما يشقى به الغني كيف لم ينله، فأحب أن يثقل ظهره وهو خفيف الظهر، وأحب أن يكسر همّه وهو قليل الهمّ والغمّ، وأراد أن يكون في تعب ونصب وهو مستريح، وإنما يكفيه من الدنيا ما يسدّ جوعه ويذهب ظمأه ويستر جسمه.

قال: أهو في دوام الملوك للملك أظهر سروراً أم في زواله؟ قال: بل في دوامه.

قال: ولم ذلك والدنيا ليست من شأنه؟ قال: للقدرة على إظهار الحكمة في سلطانه والاستمعان من إفاضة العلم وإشاعته، وتقريب الحكماء والعلماء، وأخذ الرعية، بالأدب العائد بالخير ودك الأجر في تبصير أهل الجهالة، وحمل الناس على الهدى والسيرة الفاضلة والقوة على رفض الدنيا⁽¹⁾ ورفض غلبتها عند تكاثرها وتواترها، فإن الدنيا لم تغلبه في نفسه، ولم تورطه في فجاجها، ولم تمدّه بحلاوتها وأنواع خدعها وزخارفها المهوية وأسباب غرورها التي يسرع إليها أهل الجهالة الذين لا يفكرون في عواقب⁽²⁾. له ازداد منها نفوراً.

قال: كيف كانت هيئته للموت وخوفه على الوقوف على محاسب النفوس.

(1) أ. ح. ن.: ورفض الشهوات وترك الملهيات عند القدرة عليها والتمكّن منها والامتناع عنها.

(2) أ. ح. ن.: الأمور ففهر الدنيا ولم تقهره وضبطها ولم تضبطه ولكنها كلما لمت.

وديأيها؟ قال: كان إلى الموت مشتاقاً ولما بعده مرتجياً.

قال: ولم ذلك؟ قال: لأنه افتدى نفسه بالدنيا، وفك رهنه بالبر، وباع نفسه بالآخرة، فسمى الحكيم لآخرته، فاشتري النعيم الباقي بالنعيم المنقضي، وصار الموت عنده نجاة من الحبس لا يسلبه الموت شيئاً مما قدم من الخير وتزوّد من الحساب.

قال: فما أغلب طباعه عليه؟ قال: الرحمة لكل أحد، والكف عن الأذى لكل أحد، والاحسان إلى كل أحد، والتوقير لأهل العلم والحكمة، وبذل فوائد الخير للمستفيدين، وشكرهم على تعلم الحكمة والاستفادة.

قال: كيف تركت أهل البلاد؟ قال: استل الجهل سيفه وأفلت من إساره وعز بعد ذلك، ودهماؤهم على العلماء والحكماء والصالحين فأذلوهم وهجروهم، فانقطعت مراد العقول، وضربت النفوس، ودخل الحزن عليها، مقتدرون فنحن مقتدرون من أيدي الجهال متشرون في عيش كدر، فبكي عند ذلك الإسكندر، وقال: ضاربنا وجهلنا في طلب هذه الدنيا الغرارة، وصابر العلماء^(١). . . زهدوا فيه، وزهدوا فيما رغبنا فيه، وأعقبهم فعلهم سروراً، وأعقبنا فيما زهدوا فيه وزهدوا فيما فعلنا حزنًا طويلاً، فأصبحنا نرني لأنفسنا، ونغبطهم ونبكي لأنفسنا ونفرح لهم، فالويل والثبور لمن سكنت منه الدنيا، وجمع ما جمع فيها، ولم يدرك الآخرة.

وقال أيضاً: من أراد هذا العلم فليستأنف لنفسه خلقاً آخر يعني يجب أن لا يتبع المحسوسات والأموار المعتادة.

وقال: نظر النفس هو العلاج للنفس، هو العناية للنفس وردع النفس^(٢) هو العلاج للنفس، وعشق النفس للنفس هو المرض للنفس.

وقيل: أي شيء أصعب عملاً؟ فقال: السكوت.

(١) أ. ح. ن. : وجهدوا في رفضها، وأبوا أن يقبلوها ولما نرفضها ورغبنا فيها. . .

(٢) أ. ح. ن. : للنفس.

وسُئل عن الأشياء التي بها يصيرُ فيلسوفاً، فقال: ثلاثة: فقر وطبيعة وعناية.

وقال: الإنسان مضطرب في صورة مختار.

وسأله الإسكندر أن يصير معه إلى بلاد آسيا، فقال: لا أحبُّ أن ألزم نفسي العبودية وأنا حرٌّ.

ولمّا عزم على حرب دارا أتاه المعلم زائراً ومودعاً وقد كان غاب عنه مدةً فأراد أن يُجزل له العطاء، فسأل الخازن عن ما في بيت المال، فقال: خمسمائة ألف دينار، فقال: تدفع إليه الجميع فلنني عليّ محاربة هذا الرجل فإن غلبنا⁽¹⁾ ففي مال دارا ما يفي بحاجتنا.

وقيل: إنّه كان يحاور الإسكندر في كلِّ يومٍ ويقسمه أربعة أقسام: الأول يناظره في العدل، والقسم الثاني يناظره في الحكم، والثالث في الشجاعة، والرابع في العقّة.

ولمّا عزم على الخروج إلى أقاصي الأرض عرض عليه الخروج معه ثانياً، فقال: نحلّ جسمي، وضعفتُ عن الحركة، فلا تزعجني، قال: فأوصني بشيء يرفع قدري ويحييني إلى رعيتي، فقال: تعلّم العلم واعمل به، واستببط ما يحلو بفكرة السامعين ويعذبُ على السنة الذاكرين، تنقّاذ لك الرعية من غير حرب.

وقال: النفس ليست في البدن، بل البدن في النفس لأنها أوسع منه، وأبسط قطعة من الرسالة الذهبية. ولمّا دخل الإسكندر بلاد الهند ورأى بيت الذهب استحسنته فكتب إلى أرسطو يخبره بذلك فأجابه أرسطو: أمّا بعد فلنني رأيتُ الفلسفة على طول الرؤيّة وإجالة الفكرة، أيها الملك، أمراً شريفاً متعالياً صاحباً بالإلهة قد يزيد فضلها ظهوراً يرقبها إلى النظر في جميع

(1) أ. ح. ن.: فهو احترّ إذ كان معلماً وإن غلبنا.

الخلايق وإجهادها في ذِكِّ حقائقها، وإنها لم تخبر عن هذا الأمر لعظمه وارتفاعه عند ملوك جميع الصناعات عنه، ولم يرَ لنفسها بأنها ليست أهلاً لهذه الفضيلة بل رأت معرفة الحقَّ كُلَّه مشكلة لها جميلة بها.

ولمّا لم توصل إلى البلد السمائي وبلوغ ما هناك بمحاورة الأرض وما عليها بالجند الحافي النمل كما هم قوم اللوذانيين الذين حادَتْ عقولُهم، لكن النفس بمخالفة الفلسفة والنهوض بما نقدت بعقلها وَلَجَتْ لنفسها طريقاً سارت فيه غير شاقٍ ولا مجتَرٍّ، ثم عمدت إلى ما يتباين ويتفرّق من الأشياء فجمعت في فكرتها، فخرزته هناك، فتسهّلت عليها معرفة الأمور كُلِّها إذ تتأمّل بعين لطفها الأمور الإلهية، وتنهى عنها الناس جوداً منها بمطاياها الكريمة، واقتداراً على الأفعال الجميلة، فكَذلك كُلُّ من اجتهد في تعبٍ بلدٍ أو نهرٍ أو جسرٍ به جبلٌ كما فعله القدماء من الخراب، مورهُون⁽¹⁾ ووصف الأرض لم يكن أهلاً أن يتعجب⁽²⁾ منه، وفخامة أمره في نفسه بما أدرك من الفطن الصغيرة التي نزلت عنده بمنزلة العظائم أعشى أبصارهم عن الفضائل المشهورة، أعني أجزاء العالم، فلو أحاطوا تعلّيمه لانقطع تعجبهم ممّا سواه، وكان صغيراً لا خطر له إذا قيس بشرب هذا، وأمّا نحن فمشتون جوهر كُلِّ شيء وحركته، وأنا أسألك أن تشارك هذا العلم الذي ينزل الفلسفة منزلتها ويرفعها عن منزلة الصنعة لنهجٍ يمسك من مواهبها النقية وأقسامها المغبوبة. وكان يوصي أصحابه: جودوا على أقربائكم وأكرموا إخوانكم، وأحسنوا إلى المنقطعين إليكم.

وكان ينادي على باب الإسكندر في كُلِّ يوم ثلاثة أصوات، يا معشر الناس، التمسك بطاعة الله عزَّ وجلَّ أحسن من الوقوف على المعصية وأسلم، فاحذروا، فإنَّ الطاعة تجدي، والمعصية تُردي.

كتبْتُ أمَّ الإسكندر إليه: احذر طبيبك من السمِّ، فدعاه وأمره أن يأتيه

(1) وكذا في «د» كلمة غير واضحة.

(2) أ: ح. ن.: من بل أبهرهم لنفس رؤيته.

بشرية من الدواء، فتناولها من يده اليمنى ورفع إليه الكتاب بيده اليسرى، وقال: إقرأه لتعرف كيف يفنى بك.

ودخل على الإسكندر رجلٌ فقيرٌ في أصحاب الحوائج، فاستحسن منطقته، وكان رث الكسوة، فقال له الاسكندر: ليكن حُسنُ ثوبك كحُسن منطقك، فقال: أيها الملك، أما الكلام فأقدر عليه، وأما الكسوة فأنت أقدر عليها، فأمر، فخلع عليه، وأحسن إليه. عزل الإسكندر عاملاً له من عمل نفيس، وولاه عملاً خسيئاً، فقدم عليه بعد حين، فقال له: كيف رأيت عملك؟ فقال: أيها الملك، ليس بالعمل الكبير ينبل الرجل، ولكن الرجل هو ينبل عمله وإن كان خسيئاً بحسن السيرة وإنصاف الرعية، فاستحسن ذلك منه، وولاه من أجل أعماله.

وسمى إلى الإسكندر ساعٍ برجلٍ من أصحابه، فقال له: تحب أن يُقبل قولك على أن يُقبل قولٌ من سمعت به فيك؟ قال: لا، فقال: فكف عن الشرُّ ليكف الشرُّ عنك.

ووقف يوماً على ديوجانس، فقال له: ما تخافني؟ فقال: أيها الملك، أنت خيرٌ أم شريرٌ؟ قال: بل خيرٌ، فقال: فما لخوفي من خيرٍ مغنيٍ بل الواجب عليّ محبته.

وأحضر إلى الإسكندر⁽¹⁾ بمستانس الخطيب، فخطب على الناس، فأغرب الخطبة وطولها، فزبره الإسكندر، وقال: ليس حسن الخطبة بحسب طاقة الخطيب لكن بحسب طاقة من يسمها.

وأخبر الإسكندر أن رجلين طلبا ابنةً بعض الحكماء، أحدهما غنيٌ والآخر مسكين، فدفعاها إلى المسكين، فسأله الإسكندر: لم فعلت ذلك؟ فقال له⁽²⁾

(1) لمي فامر بصلبه، فقال: أيها الملك تلصصت وأنا له كاره، فقال: تصلب الآن وانت له أشد كرامةً بين يدي الإسكندر.

(2) أ. ح. ن.: الغني كان أحق بلا أدب يحفظ ماله، والمسكين كان أديباً يُرجى له الغنى.

الغنى آفة، فلذلك أثرته على الغنى.

وسأل الإسكندرُ حكيماً: بَمِ يَصْلُحُ الملك؟ قال: بطاعة الرعية له، وعمله بالسنة والعدل فيها.

سأل الإسكندرُ فراطس: فراطس، أي رجل يصلح أن يكون ملكاً؟ قال: إما حكيماً يملك أو ملكاً يلتمس الحكمة.

وذكر للإسكندر أن أخوين جاهدا في الحرب، وأن أحدهما قال للآخر: ترى الملك يعرف أنا جئنا وهو غائب؟ فأجابه أخوه: إن كان الملك غائباً عن ما يجب لنا فلنا لا نغيب عما يجب للملك، فأمر بالإحسان إليهما واجتزال الصلة لهما.

قال البيون البطريق للإسكندر: معنا من الأسارى خلق كثير، وهم أعداؤك، فلم لا يسترقون؟ قال له: لا أحب أن أكون ملكاً للعبيد وأنا ملك الأحرار.

سأل الإسكندرُ فراطس: ما الذي ينبغي للملك أن يلزم نفسه؟ قال: يفكر ليله فيما فيه مصلحة رعيته ويُنفذ ذلك بالنهار.

وسمع الإسكندرُ رجلين من أصحابه يختصمان، وكل واحد منهما يهتكُ صاحبه، وكانا قبل ذلك متصافيين، فقال لجلسائه: ينبغي للرجل إذا آخى مصافياً أن يتوقى مفاسده ولا يترسل إليه فيما يفشيه.

وسأل فورس⁽¹⁾ للإسكندر، إذا سألت الحكماء عن شيء فلسني، فلأنني لا أعجز عن الجواب، قال: فما الذي يتنفع به الرجل عند الكبير؟ قال: المال، فأعجب به.

وسأل الإسكندرُ فورس الحكيم: أين الشعر من الحكمة؟ قال: إن أردت الملق وحلاوة الكلام فالشعر، وإن أردت صحة الكلام وصدقه فالحكمة لأن الملق والحق مر.

(1) أ: ح. ن.: الملقى.

غضب الإسكندرُ على بعض الشعراء، فأقصاه، ففرَّق ما له⁽¹⁾ في أصحابه
ثلاثاً يشفعون فيه.

بلغ الإسكندرُ موتَ صديقٍ له، فقال: ما يحزنني موته كما يحزنني أنني لم
أبلغ من برِّه ما كان أهلهُ مني فأجابه فيلمس، فقال أيها الملك ما أشبه قولك
بقول ما يحزنني موتي كما يحزنني من الإظهار⁽²⁾ لبأسي وبلاتي للعدو.

دخل مائتر الملهي على الإسكندر، فقال: مُر لي أيها الملك⁽³⁾ على
قدري، ولتكن عطيتك على قدرك، فأمر له بعشرة آلاف دينار.

سأل الإسكندر جلساءه، بأي شيء يكتبُ الشواب؟ فقال له ديوجانس:
بأفعال الخيرات، وإنك لتقدر أيها الملك أن تكتسب في كلِّ يومٍ واحدٍ ما
تكتسبه الرعيةُ في دهرها.

سأله الإسكندرُ حكماء الهند: لم صارت السنُّ والشرائع قليلةً في
بلدكم؟ قال: لإعطائنا الحق من أنفسنا وبعدها ملوكنا علينا.

سأل الإسكندرُ حكماء بابل: أيهما أبلغ عندكم الشجاعة أم العدل؟ قالوا:
إذا استعمل العدل أغنى عن الشجاعة.

فدَوَّنَا قصَّةً في بعض الكتب تحكي على نهجٍ آخر، وذلك أن أباه كان
رجلاً يقال له فيلبسوس من أهل مدينة يُقال لها مقدونية، وكان من أهل بيت
الملك أفضى ذلك إليه وراثته عن أبيه، وكان رجلاً عقيماً، لا يولد له، فاشتدَّ
ذلك عليه وعلى أهل مملكته مخافة أن يحدث عليه حدثٌ، فيذهب ذكره،
ولا يكون له عقب، فكثُر لذلك همُّه، لأنَّ الملك لم يكن فيهم قديماً، فجمع
أصحاب النجوم ومن له علمٌ بالحساب، وكلُّ من يظنُّ عنده معرفة، فسألهم

(1) أ. ح. ن.: في الشرِّ قبل له قد بالغت في عفوته أيها الملك فقال نعم إقصائي إياه لجرمه
وتفريقي ماله...

(2) أ. ح. ن.: تأسى حيث أصابته الطعنة وهو يجرده بنفسه ويقول:

(3) أ. ح. ن.: بعشرة ألف درهم، فقال: ما أيسر ما طلبت، قال: سألت أيها الملك...

له النظر في أمره، فأجمعوا على أنه مسترزق ولداً يكون له، فسراً بذلك وبهج له، وجعل يترقب الوقت الذي وقَّت له، وجعل يتوقَّى أن يقرب من نسائه إلا ذات الحبِّ والجمال، فمكث حيناً، ثم إنه ذات ليلةً خلا بنفسه وعرضت له فكرةٌ في زوال العالم، وما الناس فيه من وشك الرحلة منه، فبينما هو في ذلك إذ رأى حيَّةً عظيمةً قد توسَّطت البيت معه، فأرعبه ذلك وأذهله عن ما كان فيه من الفكرة، ثم سمع صارخاً يقول: يا فيليغوس⁽¹⁾. قد وهب لك غلامٌ يحيي ذكرك، ويقومُ به نسلُك، ثم توارت عنه الحيَّة، فقام من ليلته، فواقع أخصَّ نسائه، فحملت من ليلتها، فلم تنزل مصونةً حتى ولدت غلاماً، فسماه الإسكندر، فنشأ نشأً حسناً حتى بلغ سبع سنين، فطلب له المعلمين والمؤدِّبين.

وكان مجتمع الحكماء وأهل الأدب في مدينة أثيناس أرسطو الفيلسوف، فكتب إليه الملك كتاباً نسخه:

أما بعد فإنه لو كان بالمرء غناء عن الطرق المحمودية والسبل المرشدة والفحص عن ذلك، وطلبه من مواضعه لكان الأولون المتقدِّمون حذروا بترك ذلك، ولم يكن عمارة ولا أدب ولا ملُك ولا مقدرة، وأحقُّ الناس أيها الحكيم. بطلب ذلك، والمعانة له والدَّأب في طلبه والاجتهاد في ذلك من كان بأمور الناس معيناً وللقيام بأحوالهم وصلاً⁽²⁾ متضمناً، فستكمل بمعرفة ذلك الخطية عليهم والذب عنهم والمنع من عدوهم والنظر في مصلحتهم، وقد أجهدتُ نفسي إذ كنت المتولِّي لذلك، القائم به، وفي واجب حقٍّ أهل مملكتي عليّ ومن كنتُ لأمره متقلداً، وبه قائماً أن أقوِّي له حسن النظر وجميل الاحتياط حتى يكون ذلك لي باقياً وأن أودع قلوب الناس بعد المفارقة لهم من جميل الذكر ما يبقى، قد وهب لي ولداً امتحنته من صفه بالعلامات

(1) أ: ح. ن.: فيليس.

(2) أ: ح. ن.: وصلاتهم.

التي وصفها الكهنه فيه، فوجدته هو الذي يتولى هذا الامر بعدي، وأرجو أن يكون ذلك، وأحييت أن ينال ذلك بغاية العلم به والمعرفة له ولصلاح تدبيره، فيكون متمسكاً بالذين قائماً بحنو الرئاسة ورضى الناس عنه بما يظهر من رفيق سياسته، ومحمود رئاسته، فيبلغ من ذلك مبلغاً محموداً يتحدث به، ويبقى ذكره، أنه ينبغي لمن كان في مثل هذا المحل أن يصرف نفسه في منفعة رعيته، ويودعهم من جميل فعله بهم ما ينبغي له، فإن من يذكر بحسن الأثر وصواب التدبير فذكره غير دائر، وقد من الله تعالى على أهل هذا العصر بك أيها الحكيم لعلمك وقديم أثرك وكثرة تجاربك، فأردت لك لهذا الامر الجليل، ورأيت إيداعك هذا المصون، وسألتك توفيقه⁽¹⁾ على ما فيه مصلحة الرعية على حقها كما يصح للرعية رعايته، فتول هذا الامر الجسيم بعدي واعقد ذلك له في أعناق نظرائه، وتقدم فيه بعد التوفيق.

فكتب إليه أرسطو جواب كتابه هذا:

أما بعد، فإن كتاب الملك العظيم ذكره، العالي قدره، وصل إليّ بأعظم السرور وأفضل البهجة لعظيم الرأي الذي وفق له الملك الظاهر فضله، المنتشر كرمه، وفهمت ما ذكر من الكهانة، وما وضعت به ابن الملك، ولعمري إنه على ما وصفته للملك وجدته سيبلغ ملكاً إلى ملكه، ويستفيد سلطاناً إلى سلطانه، وجنداً وأعاوناً وبلداناً ويستحمل الناس على سنة القسط وحق العدل.

فإنه وإن كان يجب على الملك النظر في الأمور الغامضة والفحص عن جميع ذلك حتى يصح عنده فيتفقد أمره على ما عُرِفَ منه، حتى تصح له أمور العامة، فإنه يجب على العامة والفحص حتى تصح ويجمعوا للملك الحق الذي له عاينهم ضرورة.

وقد قال إقليدس: إنه لا ينبغي لأهل الحكمة أن يمنعوها طلابها، فإن منع

(1) أ. ح. ن.: حتى يشاكل كل واحد منهم صاحبه، ويصح للراعي الرعية..

ذلك كان بمنزلة من منع من الماء الظمان إليه، وكذلك أيضاً لا ينبغي أن تعرض على من لا يطلبها، فيقل قدر الحكمة، ويستخف بها، ويحق لها أن يكون ذلك بمنزلة من يعرض على الريان من الماء العذب المالح.

وقد عرف الملك حال مدينة أثيناس وأن آباءك المحمود أثرهم، الذين كانوا أسسوا العلم فيها وتقدموا فيه بكتاب وضعوه⁽¹⁾ فإنه متى صار الأمر إلى خلافها دثر ذكرهم، واضمحل الاسم الذي شرفوا به، ولعمري كاد أن يدخل الخلل ذلك الموضع حتى حسن نظر الملك في ذلك، وكثر تفقده، وأقره بإقامته على ما لم يزل، وقد قال أمبروس الشاعر أن الحكمة تريد خلاص موضع لترسخ في العقول وتفهم، وقد أجبتك أيها الملك المحمود إلى الذي سألتني، وامتدحت به عند أهل الحكمة ورجوت أن يكون مسدداً، وأن يكون المشار إليه بهذا الأمر حقيقاً لما يؤمل له من سعادة الجد وإظهار الرشد، وبعد أيها الملك، فإنه لم يكن بأثيناس أحد يوازيه في القدر، فإن فضل المذاكرة عزيز زيادة عند من يريد الحكمة وثبات المعرفة، وهنا قوم ليس لنا عن اجتماعهم معه غنى لرسوخ الحكمة وثبات المعرفة، ففي سعادة جدك أيها الملك، وما مكن لك دليل على زيادة ذلك لك أولاً وآخرأ.

فلما وصل الكتاب إلى فيليبوس الملك حمد ذلك من الحكيم ثم دعا بالقواد وأهل النجدة والبأس وأهل القدر يعقد لابنه البيعة في أعناقهم وإطراء ذكر نفسه عندهم، وجدد لهم العطايا والمواهب، وكتب إلى جميع عماله وأعماله، فأكد ذلك عليهم، وصححه، ثم كتب إلى أرسطو يعلمه ذلك، ووجه إليه بالإسكندر ابنه إلى أثيناس فقبله أرسطو⁽²⁾ بأحسن نمو، وبلغ أحسن المبالغة، ونال من العلم والفلسفة ما لم يبلغه أحد من أقرانه ولا من أهل

(1) أ. ح. ن. : عند ميروغس رئيس الكهنة بأن لا ينقل الجلم منها وأن تكون هي معقل ذلك وموضع.

(2) أ. ح. ن. : أحسن قبول وقصد نحوه حتى بلغ الغلام حيث ظن به ورجا أن الخلف الصالح بعد أبيه فأقام بذلك خمس سنين ينسى ..

زمانه، ثم إن أباه اعتلَّ علةً خاف منها على نفسه.

فكتب إلى أرسطو يعلمه ذلك وسأله القدوم عليه بابنه ليجدّد العقد الذي عَقَدَ له، فلمّا وَرَدَ الكتابُ على أرسطو قدم عليه بالإسكندر، وقد زينه من العلم بأحسن زينة، فدخل على الملك، فأمر بتقديم مجلس أرسطو، وأحسن المكافأة له على ما كان منه في ابنه.

وجمع أهل العلم وأولي المعرفة ففاتحوه، فأروا أنّه قد بلغ الغاية، فقال له الملك: أرجو يا بني أن تبلغ من ما يؤمل لك وتُرجى فيك من سعادة الجدّ، وتكون المستحقّ للقيام بأمور الناس كقيام آبائك تحتاً وعطفاً ورأفةً، ثم جدّد له البيعة، وتقَدّم بعقد الإكلييل على رأسه، وأجلسه مجلس الملك، ودخل عليه القوّاد والجنود فسلموا عليه بسلام الملوك.

ثم دعا أرسطو، فقال له: الحمد لله الذي جعلك أهلاً لما أتاك من العلم، ولأياه أسأل الزيادة لك من الحسنی، وشكر له وأعلمه موقعه منه ثم سأله أن يعهد إلى ابنه عهداً يخصّه به يكون عوناً وداعياً إلى مصلحته، ويكون عزاءً للملك من فراق الدنيا فأجابه⁽¹⁾ من المطيع له ولا المعلم أقلّ انتفاعاً بالعلم من المعلم له، ولا الناصح بأوفى بالمديح من المنصوح له متى قبل؛ إن أفضل ما أنت تارك هواك على ما أنت قضيت من لذّته والسرور به، كفصل ما يقسم الناس من معاشتهم في الدنيا؛ وإنّ الله عزّ وجلّ الوهاب لم يرض لنفسه من الناس إلّا بمثل الذي رضي لهم به منه، فإنّه رحمهم وأمرهم بالتراحم وصدّقهم، وأمرهم بالتصادق وجاد عليهم، وأمرهم بالجدود وعفا عنهم، وأمرهم بالعفو فليس قابلاً منهم إلّا مثل ما أعطاهم، ولا آذناً لهم في خلاف ما أتى إليهم، فاعط، وليت أمره من رأفتك ورحمتك وعفوك ما يرغب⁽²⁾ مؤمراً؛ واعلم أنّه لا شيء لك إلّا ما نلت من جميل الذكر ورضوان

(1) أ. ح. ن. : إلى ذلك وبدا بأن قال : ليس الأمر بالخير بأسعد به

(2) أ. ح. ن. : في مثله موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك أعطيت.

الخالق، وإنك إن وثقت به، وقال: شرٌّ من دونه وأن تتق بغيره لا تدفع عن نفسك ولا يدفع عنك دافعٌ، وأعلم أنك⁽¹⁾ غير هاد بهم وأنت ضال، وكيف يقدرُ الأعمى على أن يهدي البصيرَ، والفقير على أن يقنَى والذليل على أن يعزّز؛ وأعلم أنه ما استصلح المستصلحَ غيره إلاّ بصلاح نفسه، ولا أفسدَ المفيدُ سواه إلاّ بفساد نفسه، فإن رعيّتَ في صلاح من وليت أمره قائدًا باستصلاح نفسك، وإن أردتَ دفع العيوب عن غيرك فطهّر منها قلبك، فإنك لا تقدرُ على تطهير غيرك وقد دنستَ نفسك كبعد الطيب من إبراء غيره من دائه مثله، ولا يزيّنك رأيك، إنك إذا أحسنت القول دون الفعل فقد أبلغت إلى السامعين منك دون أن يصدّق قولك فعلك ويحقّق سريرتك علانيتك؛ وأعلم أنك مطبوعٌ على أخلاقٍ مختلفةٍ منها حسناتٌ ومنها سيّئاتٌ، فأعدى أعدائك لك سيّئات أخلاقك⁽²⁾ وتدارك ببعض ما قابل غضبك بحلمك وجهلك بعلمك، ونسيانك وغفلتك بفكرك، ونظرك، وأعلم أنه ليس أحدٌ أصلح للناس من أولي الأمر إذا صلحوا، ولا أفسدَ لهم ولا أنفسهم أحدٌ إذا فسدوا، فالوالي من الرعية، مكان الروح من الجسد الذي لا حياة له إلاّ به وبموضع الرأس من الأبدان الذي⁽³⁾ لا بقاء لها إلاّ معه فبالوالي مع فضل منزلته من الحاجة إلى اصلاح الرعيّة مثلما بالرعية من الحاجة إلى اصلاح الوالي، وقوّة بعضهم وبعد الوالي من القدرة على استصلاح⁽⁴⁾ نفسه مع استيثار الرعية كبعد الرأس من القفا بعد هلاك سائر البدن، غير أنه أجدرُ باستصلاح الرعيّة واصلاح الوالي الفاسد لفضل قوّته عليها ووهن قوته عنه.

وقد قال أميروس الشاعر: إن الأئمة يصلحون بفضلهم، ولا يصلح الأئمة إلا موتهم؛ وأحذرُك الحرص، فأما ما هو مصحبك ومصلح على يديك

(1) أ. ح. ن. : مصلح رعيّتك وأنت فاسد، ولا مرشد لهم وأنت عار ولا ..

(2) أ. ح. ن. : ولولي الأشياء بك حسنات أخلاقك، فقابل بعض أخلاقك ..

(3) وكذا في هاء، والصواب: التي ..

(4) أ. ح. ن. : استصلاح زيادة في قوة بعض ووهن بعض ..

فالزهد؛ واعلم أن الزهد باليقين، واليقين بالبصر، والبصر بالفكر، فإذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن يكرمها بهوان الآخرة، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل بلغة، وقد قال أميروس الشاعر: كُلُّ ضِدِّ مُخَالَفٍ ضِدِّهِ، ولا خير في شيء يزول ويذهب، اتهم أخلاقك السيئة فإنها إذا اتصلت بها حاجتها من الدنيا كانت كالحطب للنار وكالماء للسّمك، وإذا عزلتها عنها وحلت بينها وبين ما⁽¹⁾ انطقت كانطفاء النار عند فقدان الحطب، وهلك كهلاك السمك عند فقدان الماء؛ إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنه من لم يكن له قناعة فليس المال مغنيه وإن كثر.

وقد قال أميروس الشاعر: لا مال يكفي عند ترك القناعة، ولا خير في المرء إذا لم يكن قنعاً، واعلم أنه من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها أنه لا يصلح منها جانب إلا بفساد الآخر، فلا سبيل في صاحبها إلى عز إلا بإذلال، ولا إلى الاستغناء إلا بالافتقار؛ واعلم أن الدنيا ربما أصيبت لغير حزم في الرأي ولا فصل في الدين، فإن أصبت حاجتك منها وأنت مخطيء أو أدبرت عنك وأنت مصيب فلا يستخفك ذلك إلى معاودة الخطأ ومجانبة الصواب؛ لا تضرن على الناس بما ترغب فيه، ولا تأت إليهم ما تكره أن يؤتى إليك، وقاتل هواك، واقصر رغبتك، واكفّف شهوتك واستاصل الحقد من قلبك، وطهر من الحسد جوفك، واقبض إليك أملك، فإن بسط الأمل مقساة القلب ومشغلة عن المعاد، ولكن مما تستعين به على إطفاء الغضب علمك بأن الزلل لا يخلو منه أحدٌ وبه وقع صاحبك، ولعلّ عدواً لك حمّله على ذلك فإن أطعت هواك في أخيك⁽²⁾ ومكّته من نفسه فما أحقّ أن تعصى من طاعتك له هلكة، ومعصيتك له سلامة، وهو هواك، ولعلّك يا إسكندر ترى أن عقوبتك تنكيك عن الذنب أو زيادة في الأدب، فإن هممت بذلك فما صدق نفسك ضميرك وسيرتك دون ظاهرك وعلائيتك، وانظر يا جميل الذكر شفاء

(1) أ: ح. ن. : ما تهوى.

(2) أ: ح. ن. : الذي أتى على يديه الذنب إليك قد أشمت عدوك بك وظاهرته على أخيك.

الغضب، فإنَّ الغضب مُرٌّ، والمرُّ لا تجتنى منه ثمرة حلوة، فإن كنت تريد بعقوبتك إيَّاه إصلاحه لك ولنفسه، وجميل الذكر وإن يُنزع عن ذلك الذنب فإنك بالغ بالحرمان والوعيد والجفاء بعض ما يغنيك عن شدة الصلوة وعظيم العقوبة.

ولا ينبغي أن تستعمل سيفك فيمن تكفي فيه بالسُّوط، ولا سوطك فيمن
تكفي فيه بالحبس، ولا تسرع إلى حبس من تكفي فيه بالجفاء والوعيد فإنَّه
بحسب اختلاف أحوال المذنبين وتفاوت أحوالهم يجب أن تكون العقوبات
وإن استوت الذنوب؛ واعلم أنَّكَ متى نلت مظلمةً أو فرطت منك عقوبةٌ فإنَّ
الذي أتيت إلى نفسك من ذلك أشدُّ من الذي أتيت إلى المعاقِبِ إذ لم يكن
يستحقُّ عاقبه، ولا الصلاح وحده قصدت بما قال الذي أتيتَ إلى نفسك من
ذلك أشدُّ من الذي أتيتَ إلى نفسك من ذلك أشدُّ من الذي أتيتَ إلى
المعاقِبِ إذا لم يكن تحن عاقبه ولا الصلاح وحده قصدت بها، فتأَنُ في
أمرك، واجهد أن تنال بسوطك وعقوبتك من كان بريئاً، ولا يسلم منك من
العامة من لا يصلح إلّا عليها، واحذر الشهوات، وليكن ما تستعين به على
كفِّها عنك، إلَّا أنَّكَ تعلم أنَّها مذهلة لعقلك مهجنة لرايك شائنة لإعرضك،
شاغلة لك عن عظيم أمرك، وأنها لعبٌ، وإذا حضر اللعبُ غاب الجدُّ، ولا
يقوم الدين ولا تصلح الدنيا إلَّا بالجدِّ.

فإن نازعتك نفسك إلى الشهواتِ واللذاتِ واللهو فإنها ترغب بك إلى شرٍّ منزلةٍ وأدناها وأخسها وأسقطها، وأرادت بك خلاف قوام السنّةِ فغالبيها أشدَّ المغالبة، وامتنعْ منها أشدَّ الامتناع وليكن مرجعك منها إلى الحقِّ، فإنك متى تركت شيئاً من الحقِّ فلا تتركه إلا إلى الباطل، ومهما تركت من الصواب فإنما تركته إلى الخطأ، فلا تدهن هواك في اليسير، فتنطمع منك في الكثير، ولا ترخيّنْ درعك بمفارقةٍ صغيرٍ من الخطأ، فإن لكل عملٍ ضارّةً، ومتى تعود نفسك القليل تعدل بك إلى الكبير، فلا تطلب لك عمراً في غير نفع، ولا تضيعْ لك مالاً في غير حقٍّ، ولا تصرف لك قوّةً في غير عناء، ولا تعدلْ لك

رأياً في غير رشد⁽¹⁾ مستغاد سواه .

فلأن كان لا بد من اشتغال نفسك ببلية فليكن في محادثة العلماء ودرس كتب الفلسفة والحكمة، فإنه ليس سرورك بالشهوات بالغاً منك مبلغاً إلا ركباً بك على ذلك، ونظرك فيه بالغ منك مبلغه، غير أن ذلك يجمع لك عاجل الغي وخامة العقابة، فإن أسعد الناس بهواه أدركهم⁽²⁾ الرشد به .

وأيّك والفخر بعلمك بالذي منه كنت⁽³⁾ ذا نظير مع حملك في البطن . وكونك مما كُوت منه، وتركبك من الأشياء التي شأن كل مركب منها الإخلال والانتقال من حال إلى حال، والتموى الذي إليه نصير حتى تكون بعد الوجود فقيداً، وبعد النمو منحللاً إلى العتو والفخر إذا كانا عنك رابلين .

وأيّك والكذب فإن الكذاب لا يكون إلا من مهانة نفسه وسخافة رأيه وجهالة منه بعواقب مضرة الكذب عليه، واعلم أن أقل ما يتزل بالكذاب إذا عُرف به أن يقول فلا يُصدق، وهو صابر، ولا يحكم وهو غير جاهل، ولا يبرأ وهو نظيف، ثم يصير في البعد من نفسه والانحياز عن قصده بمنزلة من أراد الشرق فتوجه إلى الغرب؛ وقد قال أوميرس الشاعر: ليس شيء أدنى من الكذب، ولا خير في المرء إذا كان يكذب، واعلم أن سرعة إئتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كسرعة اختلاط الماء بالبحار، ويُعدُّ الفجرة من الائتلاف وإن طالت معاشرتهم كبعيد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلافها .

واعلم أن صلاح الأعوان والوزراء بصلاح الملك، فكن بصلاح الأعوان والوزراء، أعني منك عنده من لاصلاح عنده، فإن الجوهر خفيف المحمل مزيد الثمن، والحجارة فادحة لمحامليها، قليل ثمنه عناؤها، ثم اجتهد أيضاً

(1) أ. ح. ن. : فليكن بالحفظ لما أوتيت من ذلك والجد فيه وخاصة في العمر الذي كل شيء .

(2) أ. ح. ن. : السرور وتمام : لسعادة وخلاته جمع لك .

(3) أ. ح. ن. : ومعرفتك بالذي إليه نصير فلا سبيل لك إن كنت . . .

في ابتغاء صالح، أظنَّ العمال الأعمال، فإنَّ العامل من الملك بمنزلة السلاح من المقاتل، فإذا فقد الوالي أعمال الصدق فقد نزل به ما ينزل بالمقاتل إذا لقي أعداء بلا سلاح، وليكن رأس العمل به أن تعلم الناس أن معروفك لا يوصلُ إليه إلا بمعونتك على الحق، وتوطنُ أهل الباطل ومن يُفسد في الأرض أنفسهم منك على العقوبة الفادحة، فإنَّ بذلك يقومُ ملكك وتعدُّ حكيماً، وبعد فإنِّي لست آمنُ عليك الزلُّل في الأمور بعد، وعُميت عليك الاجتهاد، ولا يثبتُ العذرُ إلا بشدَّة الاجتهاد ودرك الصواب، فإذا أشكلت تلك الأمور وعُميت عليك فليكن مفزعك فيها إلى العلماء، فإنَّ أدنى غايات الفعل الذي يصلح عليه أمر الوالي أن يكون عنده من الرأي ما يعلم فضل العالم على الجاهل، خطر المرزية إذا وردت عليه.

وقد قال أفلاطون: من سبرَ عقول العقلاء بعقله استبان به من الأمور مثل الذي يُستبانُ به من المصاييح في ظلمة الليل، فلعلَّك رايتُ أن يُريك أحداً من الناس يزديرك لاقتباس منهم أو بسخف بأمرك عندهم، فإنَّ عرض هذا بقلبك فاطرحه أشدَّ الأطراح، فإنَّ الذي تسعدُّ به من العلم وتفوز به من مخالفة الجهل أفضل لك نفعاً وأعظمُ خطراً من أن يُعاده شيء سواه، مع أنَّ الناس فيك رجلان: عالمٌ يزيدك طلب العلم عنده فضلاً، أو جاهلٌ لا يرغب في موافقته؛ واعلم أنه ليس من أحدٍ يخلو من عيبٍ ولا من حسناتٍ، فلا يمنعك عيبُ رجلٍ من الاستعانة به فيما لا يفضي به فيه عيبه إلى ما تكره ولا يحبسُك ما فيه من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه؛ واعلم أن كثرة أعوان السوء أضُرُّ عليك من فقد أعوان الصدق؛ واعلم أن العدل ميزان الله تعالى في أرضه، وبه يؤخذ الضعيف من القوي والمحقُّ من المبطل، فمن أزال ميزان الله تعالى عن ما وضع بين عباده فقد جهل أعظم الجهالة، وأغوى أشدَّ الإغواء، واعتزَّ بالله أشدَّ العزة، واستعن على أمورك بحبلين منهما تألف الأهواء، والآخرى الثبَّت في الأمور، وإياك والتأخير لأمورك والتواني عنها أو فيما يحدث منها، فإنَّك إن فعلت ذلك كثرت عليك،

ثم لم تجد لك بمباشرتها بُدأً، أو بقدحك إن وكلتها إلى غيرك، وتضيع، وإنما الأمور كلها أمران: صغير لا ينبغي أن تباشره، وكبير لا ينبغي أن تكلِّه إلى غيرك، ومتى باشرت صغار الأمور شغلتك عن كبارها، وإن صيرت كبارها إلى غيرك أضعت أكثر مما حفظت، وأفسدت أكثر مما أصلحت، واسأل الله تعالى الذي اختار العدل لنفسه، وأمرنا بالقيام به في خلقه أن يُلهمك وأن يجعلك من أهله وحملته، والقوام في عبادته وبلاده آخر العهد.

ثم إنَّ الملك اشتدت علته وثقل جهداً، فقال له أرسطو: أيُّها الملك المحمود، قد جمع الله عزَّ وجلَّ لك من حسن الذكر وجميل الصواب ما تستحقُّ به كرامة ما أنت صائرٌ إليه، وهذا سبيلُ الأبرار المتألهين، ثم قضى نحبهُ.

وأفضى الأمرُ إلى الإسكندر، فساس أحسن سياسة وأوفقها، وفُتحت له الدنيا، وكان لا يخلو أرسطو من مبرِّه ومشورته حتى مات بابل بعد أن دانت له الأرض أربع عشرة سنة، وقيل دُفن بحمص، وبُني عليه قبة، وتفرَّق الملك بعده في فارس وملوك الطوائف الاسكاسية⁽¹⁾ والروم، وانقضت الأمور إلى أن خرج أردشير من بابل من آل ساسان، فجمع الممالك؛ والدنيا دُول، والمال⁽²⁾ عارية، والبانى مُغتربٌ بمن سلف، فسبحان من لا يدخل ملكه التغيير، وهو الله الحقُّ؛ وتشاور الحكماء في أن يُسجد له⁽³⁾ كالآله، فنهاهم، وقال: لا سجد لغير باري الكل، ويحقُّ له السُّجود على من كساه بهجة الفضائل؛ وأغلظ له رجلٌ من أهل بيته، فقام إليه بعضُ قواده ليقابله بالواجب، فقال له الإسكندر: دَعُهُ لا تنحطُ إلى دِيابته ولكن ارفعه إلى شرفك.

وقال: يجب على أهل الحكمة أن يُسرعوا إلى قبول اعتذار المذنبين

(1) وكذا في هـ.

(2) وكذا في هـ. ولعلها: الأمل.

(3) له: سقطت من هـ. وهي زبالة يقتضها السياق.

وبسطوا عن العقوبة. وقال: سلطان العاقل على باطن العقل أشدُّ تحكُّماً من سلطان السيف على ظاهر الأحق.

وقال: مَنْ أراد أن ينظر إلى أفعال الله تعالى مجردةً فليُعيث عن الشهوات.

وقال: إن نظم جميع ما في الأرض شبيه بالنظم السماوي لأنها أمثال له تحق.

وقال: النظر في المراة يُري رسم الوجه، وفي أقاويل الحكماء يري رسم النفس.

وقال: السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه لأننا إذا عرفناه أطرنا يومه وأطلنا نومه.

وقال: استقل من كثير ما يعطى واستكثر قليل ما تأخذ، ولا تجعل الشحيح أميناً ولا الكسلان صفيّاً، لأنه لا عفة مع شح ولا أمانة مع كفر.

وقال بعضهم: كنّا عند سَير المنجّم، فادخلنا أيها الملك بستاناً له في الليل، ونظر في النجوم، فجعل سير يُشير إليها بيده، ويسير حتى سقط في بئر، فقال الملك: من تعاطى علم ما فوقه بليّ بهجل ما تحته.

وقال: ما أَلطف قبولُ هبولى هذه التفاحة لصورتها وأفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الأصناع الروحانيّة من تركيب بسيطٍ وسيطٍ مركّبٍ حُسنت بمثل العقل لها بل ذلك دليلٌ على إبداع مُبدع الكل لها.

34 - أخبار بطليموس⁽¹⁾

كان بطليموس رجلاً مقدّماً حاذقاً بصناعة الهندسة والنجوم، وصنّف كتباً جليلة منها كتاب يعرف بماغاسطن، ومعناه العظيم، الثّام، وعُرب فقيّل له: المجسطي، وهو الذي أخرج علم الهيئة والموسيقى والحساب، وكان مولده ومنشؤه بالإسكندرية العظمى من أرض مصر، ورصد بالإسكندرية في زمن

(1) الفهرست، ص: 327 وابن جليل، ص: 35 والقفطي، ص: 95.

أديانوس الملك وغيره، وبنى على أوصاد أبرخس الذي رصد بها برودس، ولم يكن بطليموس⁽¹⁾ اسم له كما يسمّى الرجل بكسرى وقيصر⁽²⁾.

وكان مُعتدِّلَ القامة، أبيض اللون، تامُّ الباع، لطيف القدم، على خدّه الأيسر شامة حمراء، كثُ اللحية، أسودها، مفلجُ الثنايا، صغير الفم، حسن اللفظ، حلو المنطق، شديد الغضب، بطيء الرضى، كثير التنزُّه والركوب، قليل الأكل، كثير الصيام، طيب الرائحة، نظيف الثياب، مات وله ثمان وسبعون سنة. قيل بطليموس وجالينوس كانا في زمن أديانوس في سنة تسع وعشرين وستمائة وخمسة ألف.

وبعد وفاته بسنة ظهر أردشير بابك ودقيانوس؛ وأصحاب الكهف في هذا التاريخ كانوا وانتهبوا وخرجوا في زمن ثاودوسوس الثاني، وكان سنة أحد وأربعين وتسعمائة وخمسة ألف.

آداب بطليموس

قال: ينبغي للعاقل أن يستحي من ربّه إذا اتصلت فكرته في غير طاعته.
قال: العاقل من عقل لسانه إلّا من ذكر الله عزّ وجلّ، والجاهل من جهل قدر نفسه.

وقال: رضى المرء على نفسه مقترن بسخط الله تعالى.
وقال: كلّما قاربَ أجلًا فازدّد لله تعالى عملاً.
وقال: الحكمة لا تحلّ قلبَ الأحمق إلّا وهي على ارتحال.
وقال: أدبُ المرء قرين عقله وشفيع له عند الناس.
وقال: ما مات من أحياء علماء ولا افتقر من ملك فهماً⁽³⁾ العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم.

-
- (1) أ. ح. ن. : ملكاً من الملوك البطالسة كما ظنّ قوم وإنما بطليموس
(2) ح. م. : يفرق هنا المؤلف بين بطليموس الملك ويطليموس الحكيم وقد أظهر ابن جلدجل
أنهما واحد، ص 36.
(3) أ. ح. ن. : وقال،

وقال: الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر من اللسان.
وقال: أشد العلماء تواضعاً أكثرهم علماً، وكما أن المنخفض أكثر البقاع ماءً.

وقال: نعيم الجهال كرياض المزابيل.
وقال لا تناظر إلا منصفاً، ولا تحب إلا مسترشداً. ولا تودع سرّك إلا حافظاً.

وقال: من أحب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً. وقال الدار الضيقة الهيم الأصغر.

وقال: افرح بما لم تنطق به من الخطأ أكثر من فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب.

وقال: إذا غضبت فلا يمتد غضبك إلى الإثم واعف إذا لم⁽¹⁾ ترك الانتقام جوراً أو عجزاً.

وقال: الشيب آخر مواعيد الفناء.

وقال: قلوب الأخيار حصون الأسرار.

وقال⁽²⁾: الكاتم للعلم غير واثق بالإصابة فيه.

وقال: من قبل عطاءك فقد أعانك على البرِّ والكرم، ولولا من يقبل الجود لم يكن من يجود.

وقال: الأمل رفيق مؤنس إن لم ييلغك فقد استمتعته.

وقال: ألا من يذهب⁽³⁾ أنس الجماعة.

وقال: كما إن البدن إذا لم ينفعه سقم لم ينفعه طعام ولا شراب، كذلك القلب إذ عقله حب الدنيا لم تنفعه المواعظ.

وقال: ما راحمت الدنيا على أمر مستور إلا كشفته.

(1) أ. ح. ن.: يكن.

(2) أ. ح. ن.: وقال، أبدى القول يمك أهد النفوس

(3) أ. ح. ن.: وحشة الوحلة والخوف يذهب.

وقال: أعظم الناس قُدراً من لم يبالِ في يد مَنْ كانت الدنيا.

وقال: الناس اثنان: بالغ لا يكفي ومجدُّ لا يبلغ.

وقال: من زاد أدبه على عقله كان كالرَّاهي الضعيف من كثرة الغنم.

وقال: عبدُ الشهوات أذلُّ من عبد الرُّقِّ.

وقال: أعدلُ الناس من أنصف عقله من هواه.

وقال: الشفيعُ جناحُ الطالب.

وقال: ليس شيءٌ أحسن عند الله تعالى جزاءً من إذا كافيتُ المُسيءَ بالإحسان إليه مع دوام الإساءة منه إليك.

وقال: الأعمال في الدنيا تجارةُ الآخرة، والموتُ بابُ الآخرة، ولا يفلحُ حاطبُ الشرِّ.

وقال: لاتخرجُ النفسُ من الأملِ حتى تدخلَ بابَ الأجلِ.

وقال: العلمُ بما في الثواب عند المصيبة يُنسي المصيبة.

وقال: النفسُ الجاهلةُ أعدى عدوِّ لصاحبها. وقال: النيةُ أساسُ العمل، والعملُ سفيرُ الآخرة.

وقال: الجمالُ في اللسان، والفقرُ من الإخوان.

وقال: المرضُ حبسُ البدن، والهَمُّ حبسُ الروح.

وقال: النفسُ أغلبُ عدوِّ.

وقال بطليموس: ما أحسن بالإنسان أن يصبرَ عما يشتهي، وأحسنُ منه أن لا يشتهي إلّا ما ينبغي.

وقال: الحكيم هو الذي إذا صُلِّق صبر لا الذي إذا قُذِفَ كظم. وقال:

لأن لا يستغني الإنسان عن الملك أكرمُ من أن يستغني به.

وقال: العلمُ في موطنه كالذهب في معدنه لا يُستنبطُ إلّا بالتعب، والكريمُ

يُحب تخليصه بالفكر ثم يخلصُ الذهب بالنار.

وقال: دلالة القمر في الأيام أقوى، ودلالة الشمس والزهرة في الشهور أقوى، ودلالة المشتري وزحل في السنين أقوى.

وقال: نحن كائنون في الزمن الذي مالى⁽¹⁾ بعد، يعني المُعاد، فإنَّ الكون والوجود الحقيقي هو ذلك الكون والوجود في ذلك العالم. وسمع جماعة من أصحابه حول بئر دُفن بدقول فيه، فهزَّ رماً ليعلموا أنه سمع فتباعدوا عنه قيد رمح ويقولوا ما أحبوا.

35 - أخبار مهادر جيس

كان اسم اللون، أصهب الشعر، طويل اللحية، كبير الأذنين، عظيم الرأس، صغير العينين، نازل الجسم، كثير الصمت حلوا المنطق، متأنياً في كلامه، حسن الثنايا بيده عصاً على رأسها صورة هلال؛ مات وله ثمانون سنة فَمِنَ كلامه: باسم ولي الحكمة، منتهى الانعام والرحمة، وغاية الطول والإحسان الواجد بكلِّ الزمان، الذي جاد بالخير بفضلِهِ وجعل الشكر سبب الزيادة من عطاياه ومواهبه، والكفر تمحيق ما لِرزقه ومُنته.

وقال: أمران يستصلح به المرء دنياه أدبٌ تقوم به نفسه واجتهاد تحسُن به عيشته، وأمران يحتاج إليهما لمعاده: عقلٌ يُعرَفُ به حظُّه، ونزاهةٌ يقهر بها شرههُ.

وقال ظهور الهيبة من الولاة حَسَمُ لبواثق الاشرار والبُغاة.

وقال: كرمُ الحساب عونٌ على تثير الادب.

وقال: الغنى نزاهةُ النفس وملك الهوى.

وقال: جليَّةُ المروءةِ صونُ المرءِ نفسه، وقمعةُ لهواه، وثمرة ذلك ما يكتسب من حسن الثناء، وفضل المحبة، وإحمادِ العاقبة.

وقال: استوجب الشكر من رجب درعهُ وقهر حلمه غضبه.

(1) كذا في هـ، ولعل الصواب: تال.

وقال: الصمتُ مع فقدِ الخطأ في حسنه أفضلُ من النطقِ المُصيبِ في غير أوانه.

وقال: كفاك من عقلك ما أوضح لك سبيل رشدك من غيِّك. فقال: أولى الأشياء بالصون والتكرمة علماً استُجمع به حظُّ الدنيا والآخرة.

وقال: من جاد لك بمودتيه جعلك عديل نفسه.

وقال: من حُسنت نيته فقد استقامت طريقته، ومن لانت كلمته استحق من الجميع محبته؛ خيرُ ما أنعمت من معروفك ما ابتدأت به من غير مسألة.

وقال: كم من أدب قد أهمل بسوء صيانتِه، وكان جالباً حتف صاحبه.

وقال: جماع ما في الدنيا من مكاسب المروءة اعتقاد موثة أهل الدين والمروءة.

وقال: لا يوجبُ العاقلُ صدقَ المحبةِ إلا لأولي الوفا.

وقال: استصلح نفسك بعقلك واجعلْ أدبك بمنزلة⁽¹⁾ تدركُ بها ما انتشر من أمرِك.

وقال: اللطف مسالمةٌ عدوك وإن كنتَ واثقاً بتأييدك وقهرِك، وآفة النجدة عدمُ الرؤية، وآفة العلم فقد الحلم والمروءة.

وقال: التماس ما لا يدركُ عناءٌ ومشقةٌ، كذلك تقويم الجاهل توهينٌ للعقل وأتعابٌ له.

وقال: كما إن الأدب والعلم من السعادة كذلك الحلم والتواضع جماع البرِّ وسبب للدركِ حسنِ المنزلة.

وقال السعيدُ من قمع بالصبر شهوته ودبر بالحزم أمره.

وقال: من ساء طبعه تنغصت معيشته وعظمت مصيبته.

وقال: من نسب في الأموال لم يعلم العموم.

وقال: الروح المتواضعُ كمدنيةٍ عليها سورٌ حصينٌ.

(1) أ: ح. ن.: مرات (مرة).

36- أخبار غريغوريوس المتكلم على اللاهوت

كان راهباً نصرانياً، وكان مطراناً بانطاكية، ثم صار بطركاً بها، وله مصنفات في الحكمة⁽¹⁾.

وقال: إجعل الله تعالى بدءاً أمرك، وكما ربح العيش العُمر يوماً بيوم، اعرف كل شيء واختَر أفضله؛ ما أردى الفقر، وأشر منه الغنى الرُديء. إذا كنت تحسن⁽²⁾ فاعلم أنك بالله تعالى متشبه، أطلب خير إلهك فتكون صالحاً، اضبط حسدك، واربطه بالقيد، الجَم غضبك لئلا تقع خارجاً من عقلك مساوئ. نظرك، وليكن لسانك ميزاناً، إعمل غلفاً لأذنيك لئلا تكون ضحكة، اتخذ العلم سراجاً بميشك، إجمع لا تظن بنفسك⁽³⁾ غير ما أنت فإنك هالك، اعقل كل شيء، واعمل الذي ينبغي، واجعل نفسك غريباً، واكرم الغريبة، إذا طاب سيرُ سفيتك فاحذرِ الفرق، عند ذلك ينبغي أن يُقبل كل ما جاء من الله تعالى بشكر، عصا الصديق أفضل من كرامة الشرير، ثابر على باب الحكماء، فأما الأغنياء فلا، احتمل شتمةً يسيرةً تحمد كثيراً، احفظ نفسك ولا تفرح بسقطة، أجزر الموهبة أن لا تحسد فالزُلل أن تكون حسوداً، إذا قويت على احتمال عسف شاتمك فادق النظر فيما يتولد لك من العُجب بشنائك. وكان يفرح ويحزن بشتى رجلٍ من الأفاضل له، فقيل: لم ذلك؟ فقال: أفرحُ لأنني أشتَم بلا جرم وأحزن لرجلٍ نبيلٍ كيف يزُل؛ إذا كانت لك كلمة حكمة فاقض بها إلى دليلٍ ولأَضع يدك على فيك الدُهر، تُلهب شهاب المصباح ومجاورة النساء تُلهب⁽⁴⁾ بالدنيا أسرعُ إليه ضرباتُ الأعداء؛ النبات يهترئ لقرب الماء، والشهوة تعظمُ بكلام المرأة؛ الحسد يبذد العلم، والحلم يجمعه. الكرامة تطفئ الحقد.

(1) أ. ح. ن.: وقال من نسب في الأموال لم يعلم العموم، وقال: الزوج المتواضع كمدبنة عليها سور حصين.

(2) أ. ح. ن.: الأمور.

(3) أ. ح. ن.: فتهلك.

(4) أ. ح. ن.: نار الشهوة، ومن أحب الحد وسلم من لسان العدو ومن يلبس..

37 - آداب باسيليوس

معناه: الملك. قال: من القبيح أن تحترز من أغذية البدن كيلاً يكون ضاراً ولا تحترز من أكثر العلم وهو غذاء النفس حتى لا يكون باطلاً ضاراً.

وقال: من القبيح أن يكون الملاح لا يطلق سفيته مع كل ربح، ونحن⁽¹⁾ نطلق أنفسنا مع كل سائحة من غير بحث ولا اختبار.

وقال: إنه من القبيح أن تطلب في صحة كل علم ما تنفع به وتقبل علم ما عن صحته.

وقال ينبغي لمن علم أن البدن للنفس كالآلة للصانع أن يطلب كلما يصير البدن أنفع وأوفق لأفعال النفس التي فيه، وأن يهرب من كل ما يصير البدن أنفع وأوفق لأفعال النفس غير نافع ولا موافق لاستعمال النفس له.

وقال: إن كان من القبيح إذا ركبنا الخيل أن لا تكون تجربها وتديرها لكن هي تكون التي تجري وتديرنا، فأقبح من ذلك أن يكون هذا البدن الذي ألبسناه هو الذي يجري بنا ويديرنا لا نحن نجريه ونديره.

وقال: إن كان من القبيح إذا كان البدن سمحاً بأوساخ بثياب نظيفة فأقبح من ذلك أن تكون النفس دنسة بأوساخ العيوب ويكون البدن مزيناً من خارج. وقال: إن كنا نعى بجميع أعضاء البدن وخاصة بالأشراف منها فبالحرى أن نعى بجميع أجزاء النفس وخاصة بالأشراف منها، فبالحرى أن نعى بشيء وهو العقل.

وقال: كما إن الذين يستعملون حواس البدن فقط يمنهم من الغضب الخوف من الملك المحسوس إذا وقفوا بين يديه كذلك يجب على من يستعمل الحواس النفسانية أن يمنعه من الغضب الخوف من الملك المعقول الذي هو واقف بين يديه دائماً. وقد رأى إنساناً سميناً فقال: ما أكثر عنايتك برفع سور حبسك.

(1) تقرب من الله من غير بحث.

وقال: ينبغي لك إذا دبرْتَ إنساناً يريد بذلك صلاحه أن لا يتشكّل بشكل من تريد أن تتقم منه من عدو ولكن ينبغي أن يتشكّل بشكل المريض للطبيب.

وقال: كما تكون سيرتك في المجالس والمحافل والمجامع كذلك ينبغي أن تكون في الخلوات.

38 - إقليدس الصوري⁽¹⁾

وهو أول من تكلم في العلوم الرياضية وأفرده علماً نافعاً في العلوم، متقناً للخواطر، ملقحاً للفكر، وكتابه معروف باسمه، وقيل إن عِلْمَ هذا الكتاب وإبراهيمه كان موجوداً قبل إقليدس، والقديما تكلموا على هذه العلوم قبل وجود إقليدس بزمان، والذي فعله إقليدس أنه جمع علوم هذا الكتاب من مواضع متفرقة، وربّتها وهذبها وأصلحها، وتصرّف فيها بالزيادة والنقصان، فصار نسبه كتاباً مشهوراً وبهذا العلم معروفاً.

وقال له رجل: لا آلو جهداً في أن أفقدك حياتك، فقال: وأنا لا آلو جهداً في أن أفقدك غضبك.

وقال: من أراد أن يكون محبوبه محبوبك وافقك على ما تحب فصرتما متفقين على محبوب واحد.

وقال: الأمور جنسان أحدهما يُستطاع خلعه والمصير إلى غيره، والآخر توجه الضرورة فلا يُستطاع الانتقال عنه والاهتمام، والأسف على كل واحد منهما غير سائغ في الرأي، فإن كانت الكائنات من المضطرة فما الاهتمام بالمضطّر وإن كانت غير مضطرة، فلمَ الهمُ فيما يجوز الانتقال عنه؟

وقال: كل فائت وجذت عوضاً منه وأمكنك اكتساب مثله، فما الأسف على فوته وإن لم يكن منه عوض ولا يُصاب له مثل، فما الأسف على ما

(1) الفهرست، ص: 325: إقليدس بن نوفطرس.

لا سبيل إلى مثله وإذا لم يبق العاقل بشيء من أمور الدنيا فيقتصر على ما لا بد منه ويترك ما منه بد.

39 - أخبار لقمان الحكيم

المذكور في القرآن العظيم، كان أسود اللون حبشياً، جنسه من النوبة، وكان منشؤه وتعليمه وتهذيبه ببلاد الشام، ومات بها، وقبره بمدينة الرملة من أعمال فلسطين، كان ساكناً في أكوخ في هذا الموضع، وكان من موالي العارية الأولى بالشام، وكان في زمن داود النبي ﷺ، وفي رواية أخرى كان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم، فقال له: ألسنت الذي كنت ترعى الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: ما بلغ بك إلى ما أرى؟ قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة والصمت عما لا يعنيني.

وقال آخر: كان لقمان أسود معضلاً غليظ الشفتين، مصطك الركبتين، فكان لرجل من بني إسرائيل اشتراه بثلاثين ديناراً ذهباً، وكان مولاه يلعب بالنرد ويخاطر عليها، وكان على بابه نهر جارٍ، فلعب يوماً على أنه إن قمره صاحبه شرب الماء الذي في النهر أو يفتدي منه، وإن قمر صاحبه فعله مثل ذلك، فقام سيد لقمان، فقال له القامر: إشرَبْ ما في هذا النهر وإلا افتد منه، قال: احتكم، فقال: عينك أفقاهما أو جميع ما تملك، فقال: أمهلني يومي هذا، قال: ذلك لك، فامسى كثيراً حزناً إذ جاء لقمان وقد حمل حزمة حطب على ظهره، فسلم على سيده، ثم وضع ما معه، وكان سيده إذ رآه عبث به، وسمع منه الكلمة بعد الكلمة من الحكمة، فتعجب منه، فلما جلس إليه قال لسيده: مالي أراك كثيراً حزناً؟ فأعرض عنه، فقال له الثانية، فأعرض عنه، فقال له الثالثة، فأعرض عنه، فقال له: أخبرني، فلعل لك عندي فرجاً، فقص عليه القصة، فقال لقمان: لا تغتم، فإن لك عندي فرجاً، قال: وما هو؟ قال: إذا قال لك الرجل إشرَبْ ما في هذا النهر، فقل له:

أشرب ما بين الضفتين أو المد الذي يجيء به، فإنه سيقول لك: إشرَب ما بين ضفتي النهر، فإذا قال لك ذلك، فقل له: احبس عني المد حتى اشرب ما بين الضفتين، فإنه لا يستطيع أن يحبس عنك المد، فتخرج مما ضمنت له، فطابت نفسه.

فلما أصبح وجاءه الرجل، فقال له: قم⁽¹⁾ أشرب ما بين الضفتين أو المد؟ قال: لا ما بين الضفتين، فقال: احبس عني المد⁽²⁾ فخصمه بذلك، فكف عنه، فأكرم لقمان وأعتقه.

وكان ذلك أول ما ظهر للناس من حكمه، وكان يختلف إلى داود⁽³⁾ سنة، وداود يتخذ درعاً وذلك أول ما بدأ في صنعها، فلم يسأله لقمان، ما هذه، ولا أخبره داود عليه السلام حتى فرغ منها، فصَبَّها داود على نفسه، ثم قال بالسريانية: زرداطا باكشرا⁽⁴⁾ يعني: درع حصين ليوم قتال، فقال لقمان: الصمتُ حكم⁽⁵⁾، وقليل فاعله، وكان قبل ذلك لم يمدح نفسه قط، ولم يُزكَّها، وقال له مولاة وقد ذبح شاة: إئتني بأفضل كل شيء فيها، فأتاه بالقلب، فقال: إئتني بشر ما فيها، فأتاه بالقلب.

وروي أنه لما هدأت العيون المقاتلة نودي لقمان أيسرك أن تكون خليفة في الأرض؟ قال: إن خيرَني ربي فسمعاً وطاعة، وإن خيرَني اختر العاقبة. قيل: وما عليك أن تكون خليفة⁽⁶⁾ تقضي؟ قال: إن أقض بالحق فبالحري أن أنجو، إن أخطئ أخطئ طريق الجنة، ولأن أكون في الدنيا مهيناً ذليلاً أهون من أن أكون فيها قوياً عزيزاً، ومن باع الآخرة بالدنيا خسرهما جميعاً.

(1) أ. ح. ن. : واشرب ماء النهر قال:

(2) أ. ح. ن. : حتى أشرب ما بين ضفتين.

(3) أ. ح. ن. : إلى داود، ويفتش عن الحكمة فاختلف.

(4) أ. ح. ن. : القرآن.

(5) أ. ح. ن. : خير.

(6) أ. ح. ن. : في الأرض.

قال: فرضي الله سبحانه ذلك من قوله، فأرسل الله تعالى إليه ملكاً، فغطه بالحكمة غطاءً، فأصبح وهو أحكم أهل الأرض، وكان يغشى داود لحكمته، فيقول له داود: هنيئاً لك يا لقمان، أوتيت الحكمة، ووقيت الفتنة، وكان الأمر الذي فيه داود عليه السلام قد ألقى إلى لقمان فأبى أن يقبله، ورأى داود عليه السلام الناس يخوضون ولقمان ساكت، فقال ألا تقل يا لقمان كما يقول الناس؟ قال: لا خير في الكلام إلا بذكر الله تعالى، ولا خير في السكوت إلا بالفكر في المعاد، وإن صاحب الدين إذا فكر فعليه السكينة، وشكر فتواضع، وقنع فاستغنى، ورضي فلم يهتم، وخلع الدنيا فنجى من الشرور، ورفض الشهوات فصار حراً، وتفرد فكف الأحزان، وطرح الحسد فظهرت له المحبة، وسمت نفسه عن كل فاني، فاستكمل العقل وأبصر العاقبة، فأمن الندامة، ولم يخف الناس، فلم يخفهم، ولم يذنب إليهم فسلم منهم، فالناس منه في راحة، وهو من نفسه في تعب.

قال: صدقت يا لقمان، وأعجب به وشاع ذكره.

وقال داود لللقمان بعدما كبرت سنه: ما بقي من عقلك؟ قال: لا أنظر فيما لا يعني ولا أتكلف ما كفيته، وكان مولى لقمان الذي أعتقه، أعطاه مالا كثيراً، فبارك الله تعالى لللقمان في ذلك المال، فكثرت، وبسط لقمان يده في الخير، تصدق، وسلف من استسلفه، ولا يأخذ على ذلك رهناً ولا كفيلاً، فإذا دفع المال إلى الرجل قال: تأخذه بأمانة الله تعالى، وتؤديه إلى عام قابل هذا الحين، فيقول نعم فيدفعه إليه، فجعل الناس يأخذون منه ويردون عليه، فبارك الله تعالى له في ماله وثمره.

ويروى أن لقمان أوتي الحكمة وبسط له في الدنيا، فقدمها، واعتزل الناس وشرورهم، فنزل فيما بين الرملة وبيت المقدس، لا يخالط الناس حتى لحق بالله عز وجل، فكان مما وعظ به ابنه باران أن قال له: يا بني، عليك بالصبر واليقين ومجاهدة النفس، واعلم أن الصبر فيه الشرف والشفقة والزهادة والشرق، فإذا صبرت عن محارم الله تعالى، وزهدت في الدنيا،

وتهاوَّنت بالمصائب، ولم يكن شيء أحب إليك من الموت، وانت تترقبه.

إي بني، عليك بالخير، واحذر الشر فإن الخير يطفئ الشر، إي بني، كذب من قال إن الشر بالشر يطفئ، فإن كان صادقاً فليوقد ناراً إلى جنب نار، ولينظر هل تطفئها، ولكن لا يطفئه إلا الخير كما يطفئ الماء النار.

ويروى أن لقمان قال لابنه: يابني مر بالمعروف وإنه عن المنكر، واصبر على ما أصابك، وتهاون بالمصائب، وحاسب نفسك قبل أن تسبق إليها، واعرف العثرة فإنك إذا عرفت العثرة لم تفرط في أمرك.

إي بني، أكثر ذكر الله عز وجل، فإن الله تعالى ذاكراً من ذكره.

إي بني، ليكن ذنوبك بين عينيك وعملك خلف ظهرك.

إي بني، فر من ذنوبك إلى الله تعالى ولا تستكثر عملك.

إي بني، أطع الله عز وجل، فإن من أطاع الله تعالى كفاه ما أهمله وعصمه من خلقه.

إي بني، لا تركن إلى الدنيا، ولا تشغل قلبك بحسنها، فإنك لن تخلق لها، وما خلق الله تعالى خلقاً أهون عليه منها لأنه لم يجعل نعمها ثواباً للمطيعين، ولم يجعل بلاها عقوبة للعاصين.

يا بني، لا تفرح بطول العافية، واكتم البلوى فإنه من كنوز البر، واصبر عليها فإن ذلك ذخراً لك في المعاد⁽¹⁾.

إي بني، أصبر من الطعام، وامتلء من الحكمة.

إي بني، جالس الحكماء وأرض بقولهم تزدد حكمة.

إي بني تكلم بالحكمة عند أهلها، وعليك بمجالسة أهل الذكر فإنها حياة للعلم، وتحدث في القلوب خشوعاً.

إي بني، اقصد الحاجة ولا تنطق بما لا يعينك، ولا تكن مضحاكاً من غير

(1) أ: ح. ن.: إي بني أرض باليسر واقنع بما رزقت، ولا تملن عينك إلى رزق غيرك فإن ذلك يردك.

عجب ولا مشاء في غير ادب، وكُنْ لَيْنَ الجانِب، قريب المعروف، كثير التفكير، قليل الكلام إِلَّا في الحق، كثير البكاء، قليل الفرح، ولا تمازُخ، ولا تُصاحب، ولا تُمار، وإذا سَكَتْ فاسكُت في تفكير، وإذا تكَلَّمْتَ فتكلِّمْ بحكمة.

إي بُنَيَّ، عليك بالصمت، فَإِنَّكَ تحمدُ عنه، فما ندمتَ على السكوتِ قطُّ، ورُبُّما تكلمتَ فندمتَ. يابُنَيَّ، لا يكنِ الذِّبْكَ أَكْبَسَ منك إذا انقضى الليلُ خفق بجناحيه، وصرخ إلى الله بالتسبيح، وإياكَ والغفلة، خَفِ الله تعالى، ولا تعلم من نفسك، ولا تغترَّ بقول الجاهل، إِنَّ في يديكَ لولُؤَةً، وأنتَ تعلمُ أنها بعرَةٌ.

إي بُنَيَّ انتفع بما علَّمَكَ الله فَإِنَّ العالمَ ليس كالجاهل، وأنَّ خيرَ العلم ما نفع، وإنَّما ينفع الله تعالى بالعلم من اتبعه، ولا يتنفع به من علمه فتركه.

إي بُنَيَّ، أعلمُ الناسَ بالله تعالى أشدُّهم له خشيةً، إي بُنَيَّ، تعلمُ الخيرَ وعلمه، وأعلمُ أَنَّ الناسَ بخيرٍ ما بقيَ الأوَّلُ حتى يعلمَ الأخير، وإنَّما كلامُ المعلمِ كالينابيعِ يحتاجها⁽¹⁾ الناسُ بالتواضع أعلمهم بالله وأحسنهم له عملاً، وأعلمُ أَنَّ من نورِ الإيمانِ قلبه نطقُ بالحقِّ لسانه فيستنفع به وينفع الله تعالى به غيره، ومن أنطقَ الله تعالى بالحقِّ لسانه فلم ينتفع به كان خراب دينه في لسانه، فَإِنَّ الرجلَ لِيُفْسِدَ بالكلمة الواحدة، كما يكون من الشرارة الصغيرة النار العظيمة الفساد.

إي بُنَيَّ، إِنَّ الفاحشَ البذيءَ الشقيَّ إن تحدَّثَ فضحَّه لسانه، وإن سَكَتَ فضحه العيُّ، وإن عملَ أساء، وإن فعلَ ضاع، وإن استغنى بطلَّ وإن افتقرَ قنط، وإن فرحَ أشرَّ، وإن حزنَ أسر، وإن قدرَ أفحشَ، وإن قُدِرَ عليه فهو مهينٌ، وإن سألَ ألحَّ، وإن سئلَ بخل، وإن ضحك شقق، وإن بكى خار،

(1) أ. ح. ن. : يوماً هذا ويوماً هذا فيجمعون بها عليك بالتواضع لأن أخلف الناس...

وإن زجرَ عنف، وإن ذُكرَ غضبٌ، وإن أعطى من، وإن أُعطيَ لم يشكر، وإن أسررتَ إليه خانك، وإن أسرُ إليك أتهمك، وإن كان دونك همزك، وإن كان فوقك قهرك، وإن صحبتَه عناك، وإن اعتزلته لم يدعك، لا حكمته يعنيه ولا حُكم غيره ينفعه، ولا يستريح من الزجر، ولا يستريح زاجره، ولا ينقضي تعليمه، ولا يفرح معلّمه، ولا يسُرُّ به أهله، ولا يفتُر عنهم حزنه، إن كان أكبرهم غنى من دونه وإن كان أصغرهم غنى من فوقه، ولا يرشدُ إن أرشد، ولا يطيع إن أَمَرَ، ولا يسعدُ من عاشره، ولا يسلم من اعتزله، ولا يصيبُ إن قال، ولا يَفقهُ إن قِيلَ له، ولا يقتصدُ في الرجاء، ولا يصبرُ في البلاء، لا يقفُ في المسألة، لا يفعل المعروف، لا يشكرُ لأحدٍ، لا يدعُ الغش، لا يقبلُ من ناصح ثقة وإن لم يوافق الحكماء، ويعجبه علمه وإن أحد يوافق العلماء يرى أنه محسنٌ، وإن كان مسيئاً يرى عجزه كُيساً وشره خيراً وتفريطه حزمًا وجهله حلمًا، بما أحبَّت نفسه آخذٌ وما كرهته تاركٌ، وإن وافق الحقُّ هواه مدحه وامتدح به، وإن خالف الحقُّ هواه أكذبه ورمى به، وإن احتاج إلى الحقِّ سألَه، فإذا سئلَه منعه، وإذا حضر أهلُ الحقِّ ساعدهم، وإذا تغيب عنه كان في الباطل، إذا جالس العلماء لم يتخشع، ولا ينصت لهم، فإذا جالس من دونه فخر عليهم، وضحك منهم، يقول الحقُّ ويخالفه بالعمل، يأمر بالبرِّ وهو فاجر، ويأمر بالحقِّ وهو مبطل، يأتي إلى الناس بما لا يرضاه لنفسه، يدلُّ على الإحسان ويجتنبه، وينهي عن السوء ويتبعه، يأمر بالحزم وهو مضيعةٌ لا عليه، يتفقهُ لغير الدين، يتعلّم لغير العمل، يتبع الدنيا بعمل الآخرة.

إن كنت عالماً تكبرُ وأنف أن يتعلّم، وإن كنت جاهلاً سخر منك ولم يُعلّمك، إن كنت قوياً عتقك، وإن كنت ضعيفاً عجزك، وإن كنت غنياً سَمَاكَ طاغياً، وإن كنت فقيراً سَمَاكَ مُضيعةً، وإن كنت حريصاً على الخير سَمَاكَ مُكلفاً، وإن كنت بطيئاً سَمَاكَ متصنعاً لا جرم ولك وإن أُعطيْتَ سَمَاكَ مبذراً، وإن مسكت قال بخيلاً، وإن لُنت للناس وتقرّبت منهم قال: ما أشدُّ تملُّقك، وإن اعتزلتهم قال: ما أعظمك.

فمثل الأحق كالثوب البالي إذا رقعت من جانب تخرق من الجانب الآخر، كالزجاجة لا تشعب، ولا تترقع؛ واعلم يا بني أن من أخلاق الحكيم السعيد الوقار والسكينة والبر والعدل والحلم والرزانة والإحسان والعلم والعمل والحذر والحزم والورع والمعروف والعفو والتواضع، إن تكلم تكلم بعلم، وإن صمت صمت عن حلم، إن قدر ورع، وإن بغى عليه غفر، وإن سأل لم يخلف، وإن سُئِلَ لم يبخل، وإن قال قال بعلم، وإن قيل له فقه، وإن علم علم من دونه، وإن تعلّم أحسن المسألة، وإن أحسن إليه شكر، وإن استطاع أن يحسن أحسن^(١) أنساً بالله، فإن جالس من فوقه في العلم سأل، وإن جالس من دونه في العلم علّمه، إن أسررت إليه لم يخنك، وإن أسر إليك أمنك، إن أعطاك لم يمن عليك، وإن أعطيتك شكر، يرضى للناس ما يرضى لنفسه، يقتصد في الغنى، ويعف في الفقر، لا يلهيه عن الله المال، ولا يشغله عنه المسكنة، يتنفع بعلمه، يسمع ممن وعظه، لا ينازع من فوقه، ولا يحقر من دونه، ولا يطلب ما ليس له، لا يضيع ماله، ولا يقول ما لا يعلم، ولا يكتم علماً عنده، يتجاوز عن حقه، لا يبغض الناس أشياءهم، الناس منه في راحة، ونفسه منه في عناء، يحمل نفسه على الحق إن أحببت، وإن كرهت منهم، دأبه على دينه، يتعظ بموعظة الواعظ، سريع إلى الخير، بطيء من الشر، قوي في العمل، ضعيف عن المعاصي، قليل العلم بالشهوات، عالم بالقربات إلى الله تعالى، ذو المعروف في ماله، المتعفف فيما ليس له هو في الدنيا كالغريب، همه معادته ومتقلبه، يأمر بالمعروف ويفعله، ينهى عن الشر ويحجته، يوافق سره علانيته وقوله فعله.

يَابُنَيَّ، تفهم الحكمة وأخلاقها كلها، واجعلها لك شغلاً، وفرغ نفسك لها، وقر عيناً إذا جمعتها، واعلم أن الحكمة لا تصح إلا بالدين واللين، وأن

(١) أ. ح. ن. : وإن أسىء إليه عفا.

اللَّيْنِ جَرَابُ الْحِكْمَةِ، وَأَنْ مِثْلَ الْحِكْمَةِ بِغَيْرِ تَدْيِيرٍ بِمَنْزِلَةِ مَالٍ فِي يَدَيَّ غَيْرِ خَازِنِهِ أَبَاحَهُ سَارِقاً وَوَجَدَهُ مُعْزِزاً أَوْ كَمِثْلٍ غَنِمٍ تَرَوُّحَ إِلَى غَيْرِ زُرِّيَّةٍ أَبَاحَهَا الدُّنْبُ وَجَدَهَا ضَائِعَةً فَالْكَلْهَا، وَتَعَاهَدُ مَعَ ذَلِكَ لِسَانِكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللِّسَانَ بَابُ الْحِكْمَةِ فَإِذَا ضَيِّعْتَ الْبَابَ دَخَلَ مَنْ لَا تَرِيدُ أَنْ يَدْخَلَ، فَإِذَا حَفِظْتَ الْبَابَ حَفِظْتَ الْخَزَانَةَ ^(١) وَمَلِكٌ لِّسَانُهُ إِذَا رَأَى لِقَوْلِهِ قَرَاراً تَكَلَّمَ، وَإِنْ لَمْ يَرِ قَرَاراً صَمِتَ ^(٢)؛ أَكْرَمَ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا تَضِيعُهَا عِنْدَ مَنْ تَهَوَّنَ عَلَيْهِ وَلَا تَبْخُلَ بِهَا عَلَى مَنْ يَرِيدُ حِفْظَهَا.

إِي بَنِي، إِنْ اللِّسَانَ مِفْتَاحُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَاخْتِمْ عَلَى فَيْكِ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ كَمَا تَخْتِمْ عَلَى ذَهَبِكَ وَفَضْلِكَ، طَوْبَى لِمَنْ يَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا وَلَمْ يَنْدَمْ يَوْمَ الْحِسَابِ.

يَابَنِي، لَا تَضِيعَ مَالَكَ وَتُصْلَحَ مَالُ غَيْرِكَ، فَإِنَّ مَالَكَ مَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، وَمَالُ غَيْرِكَ مَا تَرَكْتَ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، إِي بَنِي، إِنَّ الدُّنْيَا لَا خَيْرَ فِيهَا إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ مِنْهُمَا رَجُلٌ سَبَقَ مِنْهُ عَمَلٌ سَوْءٌ، فَهُوَ حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَتَدَارَكَهُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ لِيَعْفُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ سَيِّئَاتِهِ، وَرَجُلٌ يَطْلُبُ الدَّرَجَاتِ فَهُوَ يَسَارِعُ فِيهَا.

إِي بَنِي، أَحْزَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا رَجُلَانِ: رَجُلٌ أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرْقاً فِي الدُّنْيَا وَذِكْراً، فَهُوَ يَلْتَمِسُ شَرَفَ الْآخِرَةِ وَذِكْرَهَا، وَرَجُلٌ قَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَصَبَرَ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، وَأَحْسَنُ عِبَادَةِ رَبِّهِ تَعَالَى.

إِي بَنِي، إِنَّهُ مَنْ يَرْخَمَ يُرَخِّمَ، وَمَنْ يَصِيحُ يَسْلَمُ، وَمَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ يَغْنَمَ، وَمَنْ يَفْعَلُ الْبَاطِلَ يَنْدَمَ، وَمَنْ يَكْرَهُ الشَّرَّ يَعْصِمُ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِسَانُهُ يَخْصِرُ.

يَابَنِي، اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهَا أَوْشَكَ الدَّعَاءِ صَعُوداً إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ اسْتِجَابَةً.

يَابَنِي، اقْبَلِ الْمَوْعِظَةَ وَإِنْ اشْتَدَّتْ عَلَيْكَ، وَوَيْلٌ لِمَنْ سَمِعَ فَلَمْ يَنْفَعَهُ

(١) أ. ح. ن. : لَنْ مِنْ.

(٢) فَإِذَا اسْتَظْلَمَ مَنْ يَرِيدُ الْحِكْمَةَ لِلَّذِينَ جَاهِدُوا، وَإِنْ اسْتَظْلَمَ الشُّفَهَاءُ بَصَمَتْ.

السمع، ولمَنْ علم فلم ينفعه العلم، وويل لمن عيى له فاستحب العمي على الهدى، طوبى لمن انتفع بعلمه، واستمع القول فأتبع أحسنه.

يأبني، اجعل همك فيما كلفت، ولا تجعل همك فيما كفيت، لا تهتم للدنيا فتشغلك عن الآخرة

يا بُني، كن قريباً من الناس، سهلاً، فإن الله تعالى يحب كل سهل الخلق، طلق اللسان بالخير، وهو رأس أخلاق الصالحين.

يأبني، إذا أنعم الله تعالى عليك زد في شكرك له وتواضعك وإحسانك إلى مَنْ هو دونك؛ يا بُني دَعْ عنك كُلَّ ما تعتذر منه إلى الناس، واقبل عُدْرَ من اعتذر إليك، لا تعجب بما تعمل وإن كثر فإنك لا تدري أيقبل الله تعالى منك⁽¹⁾ غيره، ولا تستطل على الناس، ولا تنقصهم حقهم، ولا تكن ظالماً، واجتنب دعوة المظلوم، ولا تمدن عينيك إلى زهرة الدنيا، ولا تطلب قضاء كل زينة من الدنيا، ولتكن همك في ما يقربك من الله تعالى.

إي بُني، أحب في الله وابغض في الله، ولا تُداهن أهل المعاصي.

يأبني تقرب إلى الله تعالى، بحب أوليائه، وببغض أهل المعاصي.

يأبني ما عندك أفضل من العقل، وما تم عقل امرئ حتى تكون فيه عشر خصال: الكبر منه مأمون، والرشد منه مأمول، يصيب من الدنيا القوت، وفصل ماله مبذول، التواضع أحب إليه، الدُّلُّ أحب إليه من العز، لا يسأم من طلب العفة طول دهره، لا يترم من طلب الحوائج قبله، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل الكثير من نفسه، والخصلة العاشرة وهي التي ساد بها مجده، وعلا قدره، ويرى أن جميع الناس خيراً منه، وأنه شرهم فإنما الناس رجلاين: رجلٌ خيرٌ منه⁽²⁾ وأدنى، قال: لعل هذا ينجو،

(1) أ. ح. ن. : أولاً يا بُني، لكل شيء آفة، وآفة العمل العجب، لا تراء الناس ما يعلم الله منك.

(2) أ. ح. ن. : وأدنى فهو متواضع للرجلين إذا رأى خيراً منه وأفضل.

وأهلك أنا، ولعل هذا سره⁽¹⁾ باطن ولم يظهره، وذلك خير له، ويرى ظاهره، وذلك شر لي فهناك استكمل العقل، وساد أهل زمانه⁽²⁾.

يأبني، الصبر على المهالك من حسن اليقين، وغاية الشرف، والسؤدد، وحسن العقل، فمن حسن عقله غطى عيوبه، وأصلح مساوئه، ورضي عنه مولاه.

يأبني، استعذ بالله من شر النساء، وكن من خيارهن على حذر، فإنهن لا يسارعن إلى الخير بل هن إلى الشر أسرع⁽³⁾، واستعذ بالله من شر القضاء.

يأبني، اتخذ الله تعالى تجارة تأتيك الأرباح بلا بضاعة.

يأبني، علم الجاهل مما علمت، والتمس من علم العامل ما علمت، ولا تصحب السفه فتحسب مثله، ولا تطمئن إلى دار أنت اليوم فيها حي وغدا ميت.

يأبني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله تعالى يحيي القلوب بذكر الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل السماء⁽⁴⁾.

قال ابراهيم ابن آدم: بلغني أن قبر لقمان بين مسجد الرملة وموضع سوقها اليوم، وفيها قبر سبعين نبياً ماتوا بعد لقمان كلهم أخرجهم بنو إسرائيل والجأوهم إلى الرملة وأحاطوا بهم فماتوا كلهم جوعاً، فتلك قبورهم فيما بين مسجد الرملة والسوق.

وقال الحسن: بينا لقمان في عريش له فقدر مضجعه، وابنه جالس بين يديه، وقد نزل به الموت، فبكى لقمان، فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبة، أجزعاً من الموت أو حرصاً على الدنيا؟ فقال: لا واحدة منهما، ولكن أبكي على ما أمامي من شقة بعيدة ومقادمة حقيقة، وعقبة كزود، وزاد قليل،

(1) أ. ح. ن.: وأفضل ورجل شرته مضى أن يلحق به وإن رأى شراً منه.

(2) أ. ح. ن.: ولكل عمل كمال، وكمال العبادة الورع واليقين.

(3) أ. ح. ن.: يا بطني ليس غنى مثل صحة الجسم نولا غنى مثل طيب العيش.

(4) أ. ح. ن.: وقال الحسن إن لقمان اتخذ عريشا برملة السلام وهي يومئذ غير عامرة فكان فيها حتى كبرت سنة وأدركه الموت.

وحمل ثقيل، فلا أدري أيحط ذلك الحمل عني حتى أبلغ الغاية أم يبقى علي فأساق معه إلى نار جهنم، ثم مات رحمه الله عز وجل.

وقال لابنه: يا بني، أتى الله عز وجل ليكرموك، وقيل للقمان: أي الناس أعلم؟ فقال: من أخذ من علم الناس إلى علمه، ثم قال له ابنه: فأبي الناس أغنى؛ وقد قالوا الغنى من المال؟ قال: لا، ولكن الغنى من العلم الذي إن احتجج إلى ما عنده وجد وإن استغنى عنه كفى نفسه.

وقال لابنه: يا بني، اختر المجالس على عينيك، فإذا رأيت مجلساً يذكر الله عز وجل، فاجلس فيه، فإن الرحمة تنزل عليهم، فلعل رحمة تصيبك معهم، يا بني لا تجلس في مجلس لا يذكر الله تعالى فيه، فإنك إن كنت عالماً لا ينفعك علمك، وإن يك بك عي يزيدك عيأ، وإن يطلع الله تعالى عليهم بسخطه يصيبك معهم، يا بني استحي من الله تعالى بقدر قربك منه، وخف من الله تعالى بقدر قدرته عليك، وإياك وكثرة الفضول، فإن حسابك غداً يطول ولا يراك الله تعالى عندما نهاك عنه ولا يفقدك من حيث أمرك به.

وقال: السؤال نصف العلم، ومدارة الناس نصف العقل، والقصد في المعيشة نصف المؤنة. وقال: كما يحول العدو صديقاً بالصلة، فكذلك الصديق يجعل بالجفوة عدواً.

وقال: عجز القول يخبر عن العقل فانظر ما تقول.

وقال: ما كتمته من عدوك فلا تظهره على صديقك.

وقال: الإنكأ على الله تعالى أروح، وقلة الاسترسال إلى الناس أحزم، وجزاء من كذب أن لا يصدق، ولا تحدث من يخاف تكذيبه، ولا تسأل من تخاف منعه، ولا تبع ما لم تقدر على اتخاذه، ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا تقدم على أمر تخاف العجز عنه.

وقال اجتنب مصاحبة الكذاب، فإن الجثت إليه فلا تصدقه ولا تعلمه أنك تكذبه فسيقتل عن ذلك، ولا يقتل عن طبعه.

يَابُنَيَّ، لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس، فالموضع الذي تُرفع إليه خير من الموضع الذي تُحط عنه.

يَابُنَيَّ، أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه لك حظ وله عليك حق، ولا تُخل قلبك من ذكر الله تعالى، وفضل ذكر الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه.

يَابُنَيَّ أرض الخالق بسخط المخلوق، يَابُنَيَّ لا تأخذك في الله لومة لائم، يَابُنَيَّ عليك بصلاتك التي فرضت، فإن مثل الصلاة ومثل التسبيح مثل السفينة في البحر، إن سلمت سلم من فيها، وإن هلكت هلك من فيها.

يَابُنَيَّ إن داراً لا يأتي عليك يوم ولا ليلة إلا ظننت أنك مفارقها لا منفعة بها، فانظر لنفسك ما تريد، تزود منها، ولا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه، ممتعة.

يَابُنَيَّ، لا تكسل فإنك إن كسلت لم تؤد حقاً، ولا تضجر فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق فإنه ليس من عبد يمتنع من حق إلا فتح الله تعالى عليه باباً من الباطل فأعطى فيه أمثاله.

وقال: حُسن النية من العبادة، وحسن الاستماع من الحكمة، وسوء الخلق من اللؤم، وحسن الخلق من الكرم، وحسن الجواب من العلم.

يَابُنَيَّ من بالغ في الخصومة أثم ومن قصر عنها خُصِمَ. يَابُنَيَّ، إفعل الخير، ولا تأتِ الشر، فخير من الخير فاعله، وشر من الشر من يفعله.

وقال: إذا أرسلت في حاجة فارسل لها حكيماً، فإن لم تجده فاذهب أنت بنفسك.

يَابُنَيَّ، لا تأمن من كذبك أن يكذب عليك، ونقل الصخور من مواضعها أيسر من أن يفهم⁽¹⁾؛ يَابُنَيَّ، كل أمر حدثك به نفسك مما لو ظهر على

(1) أ. ح. ن. : من لا يفهم.

لسانك استحييت من الناس، فاخرجه من قلبك، فالله أحق أن تستحي منه،
ولئلا والمراء فإنه يدعو إلى سفك الدماء، وعند إراقة الدماء تكون الهلكة
والبور.

يأبني إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه فإن أنصفك وهو مغضب وإلا
فاحذره.

يأبني، إن غلبت على الكلام فلا تغلبن على السكوت، وكُن على أن
تسمع أحرص منك على أن تقول.

وقال: اعتزلوا شرار الناس تسلم لكم قلوبكم وتستريح أبدانكم وتطيب
أنفسكم.

وقال: الصبر صبران صبر على ما تكره فيما ينوك من الحق، وصبر تحب
فيما يدعوك إليه الهوى.

وقال: اشكر لمن أنعم عليك وانعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعمة
إذا كفرت، ولا زوال لها إذا شكرت.

وقال: أوضع الأخلاق احتيال الصديق وإضاعة السر والثقة بكل واحد
وكثرة الكلام فيما لا يعني وطالب الفضل من اللثام.

وقال: خلطان أعيت الحيلة فيها: إدبار الأمر إذا أقبل وإقباله إذا أدبر.

وقال: ومن المراء إعلانه قبل أحكامه.

وقال: الشريف إذا ترهّد تواضع والوضيع إذا ترهّد تكبر.

وقال: المراء مفتاح اللجاج، واللجاج مفتاح الإثم.

وقال: أكثر المكاره ما لم تحتسب.

وقال: يابني، لا يغلب عليك سوء الظن فإنه لا يترك بينك وبين حبيب
صلحاً.

وقال: العقل بلا أدب كالشجرة العاقرة، والعقل مع الأدب كالشجرة
المثمرة.

وقال: طلاقاً الوجه بالسرور، واطهاراً المكاسرة، وبذل التحية، وخفة الروح في المعاملة، وترك العصية داعية للمحبة في البرية.

40 - جالينوس الطبيب⁽¹⁾

ليس في لغة اليونانيين حرف الجيم، فيكون بلغتهم غالينوس، ومعناه ساكن.

كان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة، وبعد أبقرات بنحو ستماية سنة، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف.

كان أحد الأطباء الثمانية المتقدمين والمرجوع إليهم في صناعة الطب والذين هم رؤوس الفرق ومعلمي المعلمين، وأولهم، وهو الذي سائر الأطباء المتقدمين من نسله، اسقيليوس الأول وهو الأول من الثمانية، والثاني غورس، والثالث قس، والرابع برماكيلس، والخامس أفلاطون، والسادس اسقيليوس الثاني، والسابع أبقرات، والثامن جالينوس، وهو خاتم الأطباء الكبار، ولم يجرء بعده من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه، وكان زمان مولده بعد زمان المسيح عليه السلام بدوين⁽²⁾ مائتي سنة؛ وصنف كتاباً كثيرة صغاراً وكباراً نحو أربع مائة كتاب، والكبار منها عظام جداً، كثيرة البسط والشرح، ومن هذه الكتب ستة عشر كتاباً، وهي التي تدرس لمن يريد علم الطب، وكان أبوه يعنى به العناية البالغة، وينفق عليه النفقة الواسعة، ويجزي المعلمين الجراية الكثيرة، ويحملهم إليه من المدن البعيدة.

وكان مولده ومنشؤه بفرغامس⁽³⁾ من بلاد آسيا.

(1) الفهرست، ص: 347؛ وابن جليل ص: 141؛ والقفطي، ص: 122؛ اصيعة، ص: 109.

(2) وكذا في واه. ولعلها تصحيف من الناسخ. والقرب ما تكون: بنحو من. (المحقق).

(3) أ. ح. ن. : برغاموس.

وسافر إلى أثينية ورومية والإسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العلم ،
وتعلّم من أرمينيس الطّب ، وتعلّم من جماعة مهندسين ونحاة وخطباء الهندسة
واللغة والنحو وغير ذلك ، ودرس الطّب أيضاً على امرأة اسمها فلاويطرًا وأخذ
عنها أدوية كثيرة ولا سيّما ما تعلق بعلاجات النساء ، وسافر إلى مصر ، وأقام
بها مدة لينظر عقايرها ، ولا سيّما اللاهوت في بلد ، سُيوط من أعمال
صعيداها .

ثم خرج متوجّهاً نحو بلاد الشام راجعاً إلى بلده ، فمرض في طريقه ،
ومات بمدينة تُسمّى بالفرماء على البحر الأخضر في آخر أعمال مصر .

وكان جالينوس من صغره متهيّئاً للعلم البرهاني ، طالباً له ، شديد الحرص
والاجتهاد والقبول للعلم ، وكان بحرصه على العلم يدرس ما علّمه المعلّم
في طريقه إذ انصرف من عنده ، حتّى يبلغ إلى منزله ، وكان الفتيان الذين كان
معهم في موضع التعليم يلزمونه ويقولون له : يا هذا ينبغي أن تجعل لنفسك
موضعاً ووقتاً من الزمان تضحك معنا فيه وتلعب ، فربّما لم يُجيبهم لشغله بما
يتعلّمه ، وربّما قال لهم : ما الداعي إلى الضحك واللعب ؟ فيقولون : شهوتنا
لذلك ، فيقول لهم : والسبب الداعي إلى ترك ذلك وإشاري العلم بغضي لما
أنتم عليه ، ومحبتّي لما أنا فيه فكان الناس يتعجبون منه ويقولون : لقد رزق
أبوك مع كثرة ماله وسعة جاهه ابناً حريصاً على العلم .

وكان أبوه من أهل الهندسة ، وكان مع ذلك قداحاً ، وكان جدّه رئيس
البحارين ، وكان جدّ أبيه مساحاً .

ودخل جالينوس رومية في المرّة الأولى التي رأى فيها ابتداء ملك
انطونيوس الذي ملك بعد إديانوس ، وصنّف كتاباً في التشريع لبواسوان
المظفر الذي كان والياً على الروم عندما أراد أن يخرج من مدينته إلى مدينة
يقال لها نطولوماليس ، وسأله أن يزوده كتاباً في التشريع ، وصنّف أيضاً في
التشريع مقالات وهو مقيم بمدينة سميرتا عند ماليس معلّمه الثاني بعد

ساطروس تلميذ فوانيطوس، ومضى إلى فورينوس بسبب أسبابٍ أُخرى، وكان مذكوراً لينواطيس يقال له اسقيانوس.

وسار إلى الإسكندرية لما سمع أنَّ هناك مذكورين من تلاميذه فوانيطوس ومن تلاميذه يوقيسانوس، ثم رجع إلى موطنه فرغامس من بلاد أثينة، ثم سار إلى رومية، وشرح بروميّة قدام بوانيسوس، وكان يحضره دانيا لوديموس⁽¹⁾ الدمشقي الذي قد أُلِّه في ذلك الوقت ليعلم الناس في أثينة في مجلس عام علوم الحكمة على رأي المشائين، وقد كان يحضرهم الذي كان يتولّى في مدينة⁽²⁾ وهو سرهوس بولوس فإنه في أمور الحكمة كلّها أولى بالقول والفعل جميعاً.

وذكر جالينوس في بعض كتبه أنه دخل إلى الإسكندرية في أوّل دفعة، ورجع عنها إلى فرغامس موطنه وموطني آبائه من أرض اليونانيين، وعمره ثمان وعشرون سنة. وذكر في موضع آخر أنه كان رجوعه من رومية إلى بلاده، وقد مضى من عمره سبع وثلاثون سنة، ودُكر أنه احترق له في المدينة التي كانت فيها خزانة الملك كتباً كثيرةً وأثاثاً⁽³⁾ له قدر، وكان بعض النسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس، وبعضها بخط أنكساغورس وأندوماخس، وصُحِّح قراءتها على معلّمي الثقات وعلى من رواها عن أفلاطون، وسافر إلى مدني بعيدة حتى صُحِّح أكثرها.

ودُكر أنه كان فيما احترق له كتاب روفس في الدرياقات والسموم وعلاج المسمومين وتركيب الأدوية بحسب العلّة والزمان، فإن من غيرته عليه كبه في ديباج أبيض بفراء أسود وأنفق عليه جملة كثيرة؛ وكان ملوك اليونانيين يذلّون الطرق الصعبة ويضمون الأعماق ويقطعون الجبال الشاهقة، ويزيلون

(1) أ. ح. ن.: الفيلسوف من فرقة المشائين والإسكندر الأفروديسي.

(2) أ. ح. ن.: الرومية.

(3) وكلاء في داء. والقصوب. كُتبت كثيرةً وثلاث (بالرفع).

الخوف ويعقدون الجسور والقناطر ويننون الأسوار المنيعة ويجرون المياه ويشقون الأنهار ويستعلون بقمع الأعداء وفتح البلدان، وكانت عنايتهم مصروفة إلى تدبير الملك لا إلى لذات البدن، وكانت لهم عناية بالعلوم والطب.

وكان لكل واحد منهم رجال مرتبون⁽¹⁾ في كل بلد لالتقاط الأدوية التي في ذلك البلد وانقاذها إليه مختومة لئلا يتم فيها حيلة ولا غش، فإذا وصلت إلى الملك وجربها الحكماء أذاعها في بلده ورعيته لينفعهم بها؛ وكان جالينوس أسمى اللون، حسن التخاطيط، عريض الكتفين، واسع الراحتين، طويل الأصابع، حسن الشعر، محب الأغاني والألحان وقراءة الكتب، معتدل القامة، ضاحك السن، كثير الهزبر، قليل الصمت، كثير الأسفار، طيب الرائحة، نقي الثياب، يحب الركوب⁽²⁾ واليسرة، مداخلاً للملوك والرؤساء، مات وله سبع وثمانون سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة.

آداب جالينوس

قال⁽³⁾: علم من لا يعقله ولا عقل من لا يستعمله.

وقال: من رغب عن الحقائق نافس في العظائم.

وقال: لئن واحلُم تنبَل ولا تكن معجباً فتمتنهن.

وقال لتلاميذه: من نصح في الخدمة نصحت له المجازات.

وقال: الهم فناء القلب، والغم مرض القلب، ثم بين ذلك فقال: الهم بما يأتي والغم بما فات.

وقال: العليل الذي يشتهي أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي.

(1) أ. ح. ن. : في الطرق.

(2) أ. ح. ن. : والتزوه.

(3) أ. ح. ن. : لا ينفع.

وقال: من عود من صباه القصد في التدبير كانت حركات شهواته معتدلة، فأما من اعتاد أن لا يمنع شهواته منذ صباه ولا يمنع نفسه شيئاً مما تدعوه إليه فذلك يبقى شرهاً، وذلك أن كل شيء يكثر الرياضة في الأعمال التي تخصه يقوى ويشند، وكل شيء يستعمل السكون يضعف.

وقال: من كان من الصبيان شرهاً شديد القحة فلا ينبغي أن يطمع في صلاحه البتة، ومن كان منهم شرهاً، ولم يكن وقحاً فلا ينبغي أن يؤنس من صلاحه.

وقال: الحياء خوف المستحي من تقصير يقع به عند من هو أفضل منه.

وقال: يتهيأ للإنسان أن يصلح أخلاقه إذا عرف نفسه، فإن معرفة الإنسان نفسه هي الحكمة العظمى، وذلك أن الإنسان لإفراط محبته لنفسه بالطمع يظن بها من الجميل ما ليست عليه على أن قوماً يظنون بأنفسهم أنهم شجعان كرماء، وليسوا كذلك، فأما العقل فيكاد الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه، وأقرب الناس إلى أن يظن بنفسه ذلك أقلهم عقلاً.

وقال: العادل من قدر على أن يجور فلم يفعل، والغافل من عرف كل واحد من الأشياء التي في طبيعة الإنسان معرفتها على الحقيقة.

وقال: العجب ظن الإنسان بنفسه أنه على الحال التي يجب أن يكون عليها من غير أن يكون عليها، وقال: كما أن من ساءت حال بدنه من مرض حتى تُفسد ضياغاً بل يلتبس أن يصحح بدنه وإن لم تعده صحة تامة، فلذلك ينبغي لنا أن لا نمتنع من أن تزيد أنفسنا صحةً على صحتها وفضيلةً على فضيلتها، وإن كنا لا نقدر على أن نلحقها نفس الحكيم.

وقال: يتهيأ للإنسان أن يسلم من أن يظن بنفسه أنه أعقل الناس إذا فقد غيره امتحان كل ما يفعله في كل يوم ويعرفه صواب فعله من خطئه استعمل الجميل وطرَح القبيح. ورأى رجلاً تعظمه الملوك لشدة جسمه، فسأل عن أعظم ما فعل، فقالوا: إنه حمل ثوراً مذبحاً من وسط الهيكل حتى أخرجه

إلى خارج، فقال لهم قد كانت نفس الثور تحملهُ ولم يكن له في حمله فضيلة.

وكان جالينوس رجلاً فاضلاً بعيدَ الهمزِ مُوسراً يُوقِرُهُ كل من نظر إليه، وكان مسكنهُ بمقدونية من مدن اليونانيين، وكان الملكُ في عصره يقياس بذُ ملك أرض اليونانيين وعدل فيهم، واختصَّ جالينوس وعرف فضله وقدمهُ على نظرائه وأهل زمانه، وأظهر للناس فضله وأطلق لجالينوس التورع، ووضع عنه مارام من غيره من الأطباء وأهل المعرفة من تعاهد الملوك وخدمتهم.

وكان ببلاد المغرب ملكٌ جليلٌ يسمَّى باز قد خضع له جميعُ ملوكِ أطرافه وسلموا إليه الرئاسة، وأذعنوا له بالسَّمع والطاعة فبرص بعض نسائه فاغتمُ لذلك، ولم يكن لأهل المغرب من معرفة بالطَّب⁽¹⁾ فشكا إلى بعض وزرائه ما لحقَ بعض نسائه من العلّة، وأظهر الجزع، فقيل له في ذلك: إن في اليونانيين في مملكة نيقاس⁽²⁾ الملك أن ينفذ إليه جالينوس ساعة ما يردُّ عليه كتابهُ، فإنه متى أخر ذلك خربُ مملكته بحوافر خيله، فلما وردَ عليه كتابهُ اغتمُ وقلق، ودعا جالينوس وخلا به وواقفه على كتاب باز وأظهر جزعاً واكتئاباً لذلك، وقال لجالينوس: أما أن تغيب عني فلا أقف على مكانك في مملكتي أو امتنع عليه وأحاربه وبذلتُ نفسي ومملكتي دونك، فقال جالينوس: إن مخالفة هذا الملكِ مما يدعو إلى الفساد، وإهراقِ الدماء وركوب الغدير، وأنا أسرعُ الناس إتياناً إلى هذا الملك الجبار ويأمنُ الملكُ من شره، فأحبُ الملك باز بأنك قد أنفذت لي إليه، فليكن إحسانهُ إليّ بحب ما استحقّه، وعرفه منزلتي عندك، فكتب يقياس ذلك كلّه وكتب إليه: إنا معاشير ملوك اليونانيين، وإن كنا مطيعين للملكِ باز فإننا عبيد الأطباء وتحت أمرهم، وهم مالكو أبداننا، وخادمو أرواحنا وليس في الأقاليم كلُّها من يتقدّم جالينوس في

(1) أ. ح. ن.: ولا بالطبيب.

(2) أ. ح. ن.: من له معرفة بمختلف الملل ومداواتها، يقال له جالينوس، فلمر إلى نيقاس..

صناعة الطَّبِّ، وليست له رغبة في ما يملكه معاشِر ملوك الأرض، فإن رأى الملك أن ينظر إلى جالينوس بعين ما يستحقُّه، فإذا استغنى عنه لم يفجعني باعتقاله عنده بل يطلق له الرجوع إلى وطنه فقد نشأ في هواء، وغداً متى حيل بينه وبين ذلك انتفض بركبته ففعل وختم الكتاب، فهض جالينوس نحو باز الملك مكرماً.

فلما ورد عليه، وجده جباراً ذا نخوة ويطش، قليل الرِّفق بعيداً من الإنسانية والأفعال الجميلة، همته الأمر والنهي والسيف، فأنزل جالينوس^(١) بساحة الملك شهراً يروح ويغدو فلا يصل إليه، ويرجع إلى منزله فلا يجد ما يتغذى به إلا الذي يتغذى به الصيادون.

فلما كان بعد شهر دعاه الملك فحضر، ووقف بين يديه، وقال له بالترجمان: ما صناعتك؟ فقال: حفظ الصحة ونفِّي العلَّة قبل استحكام المادَّة، فقال له الملك: إن لنا عليلاً قد استحال لونه الأسود إلى البياض، وساءنا ذلك، فهل أنت معيذ لونه إلى السَّواد^(٢)؟ فقال الترجمان: ظهرت في سنة واستحكمت في السنة الأخرى به، وهذه السنة الثالثة، فقال جالينوس: قد كنتُ سمعتُ بمقامي بساحة الملك، إن من سيرته أن من نظر إلى نسائه فُقِئت عينه، فشددتُ عيني اليمنى، وأظهرتُ أنها معيوبة لا أبصرُ بها، ثم قلت للترجمان: أعلم الملك أن الطبيب لا يصلُ إلى علاج العليل إلا بعد النظر إليه، فلما أبلغه الترجمان ذلك غضب وقال: إن ذلك سيرتنا فإن كنت راضياً بذلك فعالج، فقلت: إن معي حيلة أنظرُ إلى العليل من حيث لا تقع عليه، فاعجب ذلك الملك وقال: إن فعلت ذلك فأنت فاضل.

فأخذتُ معي امرأة كانت معي، وأقمْتُ المرأة خلفَ ظهري حيث لا أرى

(١) أ. ح. ن.: في منزل بعض الصيادين فبقي جالينوس.

(٢) أ. ح. ن.: تعرف الملك من العليل عليلاً يرد في مدة ويتهي في مدة ويَزول في مدة.

وجهها إلا في المرأة وهي قاعدةٌ مع الملك فأبصرتُ وجهها بصرًا شافياً وقد كان بقي على وجهها نقطٌ بيضٌ مختلطةٌ بالسواد، والجارية حبشيةٌ، فقلتُ للترجمان: قد أبصرتُ علتها وأنا أعالجها حتى يزول ذلك عنها.

فسرُ الملكُ بذلك، ومال إليَّ وأمر لي كلَّ يومٍ برغيفٍ من مائدته أتقوَّتُ به، فأتخذتُ طلاءً لصبغِ البياض من البهق، فطليتُ وجهها فزال البياض وعاد إلى السواد كما كان، وازداد الملك لي حباً، ومال إليَّ كثيراً، وأمرني بحضور مائدته، فكنتُ أحضر وأرى عليها كلَّ ضارٍ مُسَقِّمٍ يضادُّ البدن، وقد نشأوا على ذلك، وكنتُ أجتنبُ أكلَ ما يكون على مائدته، فقال لي ما لك لا تأكل؟ فأقول: هذا يُحْدِثُ عِلَّةً كذا، وهذا الآخرُ كذا، وكنت في خلال ذلك أعرُفُ الملك ضرر ما يتناوله، فيصعُبُ عليه ذلك، ويقول لندمائه: إني قطعتُ هذا الرجلَ عن وطنه، وقد ساءَ ذلك، وهو يكايِدُنِي ليمنعني عن شهواتي، فلاكلنُ جميع ما أشتهي رغماً له.

فوردَ بعضُ ندمائه على جالينوسَ على سبيل النصيح، قال جالينوس: فاستشعرتُ الخوفَ منه وكنتُ أحتملُ الدُّلَّ وأقاسي الجهد، ويُقيم مع الرغيف الذي كان يُحمَلُ إليَّ، وكان الملك مشغولاً بالصَّيد، يغيَّبُ الشهر والشهرين، فلا يسأل عني، ولا يراني، ولا أراه، فحضرتُ يوماً مائدته، وجعل يأكلُ شيئاً ضاراً، فمنعته عن ذلك، فقال لي: ما يجلبُ أكلُ هذا؟ فقلت: الجذام، فمدَّ يده عناداً وشرهاً، واستوفى منه، ثم قال لي: على رغمك يا جالينوس آكلُ هذا⁽¹⁾ أيها الملكُ يجبُ حقُّك عليَّ، ومن وجوبِ حقك أن أوقفك على علاماتٍ تظهرُ في بدن الإنسان قبل حلولِ العِلَّةِ بسنةٍ أو بستين أو ثلاث، وإني مُثَبِّتٌ لك دستوراً يكون في خزانتك تذكُرُني به بعد موتي، فألَفْتُ مقالةً في أسباب العللِ الواقعيةِ وأوقاتها وابتدائها وانتهائها واستحكاكها والأوقات التي تنهياً معالجتها فيها، وتقدمة المعرفة بالعللِ السليمة والمهلكة والسريعة

(1) أ. ح. ن. : قلت:

الموت والبطيخة، وخصصت علامات على الجذام، لأن بدنه كان متهيشاً لذلك، فعرفته استعداد بدنه لقبول الجذام لأكل اللحم الغليظة كثيراً وإدخال الطعام على الطعام.

فإذا كان بعد سنة فترت شهوته واعتراه كسل ونوم وثقل بجذعه في الأطراف، فإن استدرك بما ينفض بدنه ويلطف غذاءه رُجي له الصلاح، وإن غفل عن ذلك وأتى عليه حول آخر ابتدا شعره يرق وتناثر وتغير حماليق عينيه، وتقلص أظفاره، فإن استدرك بالعلاج تهيأ رده إلى حال الصحة، وإن غفل عن ذلك استحكمت عليه علّة الجذام، فعسر عند ذلك علاجه، وأيس منه؛ وأودع هذه المقالة خزانة الملك، واحتال جالينوس حيلة تُنجيه من تلك الناحية، فصنع وجهه أسود وتمحل بخروج رفقة إلى بلاد اليونانيين، وهرب معهم، فلم يقف الملك على أمره إلا بعد مدة، ولم يبال بعينه وبحضوره استهانة به وكرامية لشخصه.

فسلم جالينوس ووقع إلى أرض اليونانيين، ونزل مدينة ليست من مملكة نيقاس، وأتى على باز بعد مفارقة جالينوس ستانٍ أو ثلاثة، فوجد العلامات التي كتبها له جالينوس في علّة مقلعات الجذام في نفسه، وكنمها إلى أن تناثر شعر حاجبيه، وتقلصت أظفاره، فقام من سريره، وترك ملكه، وساح في الأرض متكرراً يطلب مدينة اليونانيين، فوافى مقدونية متكرراً لا يعرف فسال عن جالينوس، فقيل: إنه قد استوطن مدينة كذا من مملكة فلان الملك.

فاخذ باز سبيلاً إلى تلك المدينة فوجد⁽¹⁾ الملك إلى أن خف عنه الناس، ثم دنا منه فقال لي: سرّ لا يجوز إذاعته، فهل أنت مصغٍ إليّ، فخلا به جالينوس، فتعرف إليه باز الملك، وعرفه جالينوس، فرقه إلى منزله، ووكل به من يتفقد ويتماهده ويغذيه بالغذاء الموافق، ويداويه، فبقي سنة، وعالجه حتى نبت شعره، وصلحت حاله، ثم عالجه سنة أخرى، وحماه عن كل ضارٍ

(1) أ. ح. ن.: جالينوس في مرتبة يقعد للناس إليه عالم منهم فجلس.

إلى أن عاد صحيحاً سليماً، ثم سلمه إلى بعض تلامذته ممن وثق به، وحمل الملك على مركوب وزوجه زاداً وولداً يخدمه ونفقةً، وردّه إلى مملكته سرّاً من غير أن وقف على مكانه، فلم يشعر أهل مملكته⁽¹⁾، إبنين. فلما فارق الملك قبض الابن الأكبر على مملكة أبيه إلى أن عاد باز إلى المملكة، فلما استقرّ باز في مملكته جهّز هدايا ومراكب وعبيداً وجواهر.

وكتب إلى جالينوس كتاباً بالشكر وما أولاً وسأله قبول ما أنفذه إليه وكتب إلى نيقاس الملك يتقيه ويحذره إن مملكتي لك وأنا أخوك وعضدك، ولا فرق بيني وبينك في الملك إذ سمحت لي بمثل جالينوس الجليل الفاضل الذي ليس له شبه في الأنعام، وحاجتي العظمى لديك أن تحمل على نفسك المصير إلى مدينة كذا، فقد كتبت إلى فلان الملك لها أن يسأل جالينوس المتأهل لكل فضيلة الرجوع إلى وطنه وهواء مدينته التي نشأ فيها، ويكتب جواب كتابي منها وقبول ما أنفذهت إليه وأتحفته به من عرض الدنيا مما لا قيمة له ولا قدر له عنده، فإن لم يجبك والعياذ بالله إلى الرجوع إلى وطنه⁽²⁾ إن شاء الله، وانفذ إلى نيقاس أيضاً هدايا وجواهر، وردّ التلميذ مكرماً ممولاً غنياً إلى جالينوس.

فلما ورد الكتابان على جالينوس ونيقاس استبشرا بذلك، وخرج نيقاس نحو ذلك الملك الذي جالينوس عنده وتشقّع بالملك إلى جالينوس، فأجابهما إلى ذلك، وانصرف إلى وطنه، ولم تزل المكاتبات تجزي بين باز الملك ونيقاس وجالينوس بلطف وهدايا ورُسُل إلى أن اعتلّ باز الملك، واتصل الخبر بجالينوس، فقال لنيقاس: إني قد عزمْتُ على الشخوص نحو باز، فإنه قد اتّصل لي أنه عليل فتجهّز، وساعده نيقاس الملك، وطوّيا المراحل إلى

(1) أ. ح. ن.: إلا وقد هجم باز الملك صحيحاً سليماً وقد ظهرت أخلاقه وتادب بأدب اليونانيين وتخلّق بأخلاقهم وقد كان باز خلف في أهل مملكته

(2) أ. ح. ن.: أوجبت على نفسي المصير إليه في شردمة من أصحابي وخواصي والشفيع بكامله إليه وبمعرفة الذي أهدها إلي. في الرجوع إلى وطنه.

أن بلغا مملكة باز فنزلا من المدينة على منزل، فجاءهم صاحب ذلك المنزل، فبحث عنهم، فقال له جالينوس: بلغ الملك نزول جالينوس هذا المنزل، فقال له صاحب المنزل: تعني جالينوس سيد الملك ومولاه، فقال له جالينوس متبسماً: جالينوس طبيب الملك، فغاب الرجل عن حضرته وأبلغ تلك الرسالة.

فتباشر الملك والناس بمرور جالينوس، وقد كان الملك باز أبلاً من علته، فركب في خاصته وأمر الخيل أن يتبعه، واستقبل جالينوس فرحاً مبتهجاً، فلما نظر جالينوس فلم يتمالك أن نزل، فركب الخيل كلها واستقبله جالينوس ونيقاس الملك، واعتنقا ساعة ثم التفت فأبصر نيقاس، فقال الملك لجالينوس: مَنْ هذا الذي شيعك وساعدك أيها الفاضل؟ فقال: المعتد بك، الطائر بجناحك، الناشر لفضلك أيها الملك نيقاس الملك، فعانقه الملك واستبشر بقدومه، ودخلوا المدينة في زينة وهيئة وجلالية، فأنزلهما الملك في دار مملكته، ولم يفارقهما أسبوعاً، ثم أكرمهما والطفهما.

وتشفع نيقاس إلى جالينوس أن يقبل من الملك أحد ابنه ليعلمه ويتلمذ له، وكان اسمه علوقن، فاجاب جالينوس إلى ذلك وقبله وزوج نيقاس فعلقته ابنته من علوقن وأقاما عند الملك شهراً، فأعد الملك لهما الخلع والجوائز والألطف في كل يوم، ثم انصرفا، وشيعمهم الملك بنفسه وخاصته منازل مبتهجاً بهما، وسلم علوقن إلى جالينوس بجماعة من الخدم والمماليك، ورد على نيقاس الملك مئداً كثيرة بالقرب من مدينة⁽¹⁾ قد تغلب عليها، وأمر أن لا يرد أمر نيقاس في جميع مملكته ويُنفذ أمره كما ينفذ أمر باز الملك، فوصلوا إلى البلاد، وتقدم نيقاس فبنى قصراً لعلوقن وابنته، وجعل علوقن ولي عهده، ولزم علوقن جالينوس فخرجه حتى برز في الطب في مدة يسيرة.

واعتل نيقاس الملك علّة حادثة، واشتعل قلب علوقن وساطنه، واغتم

(1) أ: ح. ن. : كان.

لذلك، وحضر جالينوس، واتفقا أن تلك العلة قاتلة، فقال له جالينوس: أوصر أيها الملك بما تشاء قبل الموت، فقال نيقاس: من يخلف مثل باز الملك وابناً مثل علوقن وأخاً مثلك فهو مُستغنى عن الوصية، وقضى نحيبه، وكتب علوقن إلى أبيه بيعته، وعرفه أن له ابناً راجحاً يصلح لسياسة الملك، فكتب إليه باز أن تسلّم المملكة إلى ابن نيقاس⁽¹⁾، وبحليها وحللها وجهازها وخدمها مع ثقات من أهله، ولحق علوقن بأبيه باز بعد أن فرغ جالينوس من تخرجه، وودّعه وداع الوالد للولد، فسُرّ به باز الملك، وبما صادفه من تخرجه على جالينوس، وابتهج بمكانه وبما وجده عليه من الفهم والمعرفة، وجعله وليّ عهده، والله أعلم بالصواب.

وقال جالينوس: العلم لا يمنع الرزق، والأدب لا يردُّ الحظّ، وهما إليّ أن يكونا سبباً للرّزق وطريقاً إلى الكسب وعوناً على الشرف أقرب!

وقال: أما الفضيلة، فكلُّ الناس بالطبع تشّاق إليه⁽²⁾، وأما الطريق المؤدّية إليها فشاقة، قليل من يصبر عليها.

وقال: ما دخل الرُّمّان بطناً فاسداً إلاّ أصلحه، ولا دخل التمر جوفاً صالحاً إلاّ أفسده. وقال: أنواع الموت أربعة: موتٌ طبيعيٌّ كالهرم، وموتٌ عرضيٌّ من آفةٍ تُصيب البدن، وموتٌ برضىٍ وشهوةٍ كالذي يقتل في نفسه، وموتٌ يكون بغتةً وهو موتُ الفجاءة.

ولنختّم تاريخ أفضل الأطباء بذكر الأحوال التي تتعلّق بالطبّ ومبدئه. واعلم أن يحيى النحوي الإسكندراني الذي كان في زمن عثمان ومعاوية وكان يُطيّبهما أحياناً.

وقال: إنَّ أوّل من أظهر الطبّ بمدينة قواسقليوس الأوّل من مدينة قوهي

(1) أ. ح. ن.: وزوج اختاً كانت لعلوقن من ابن نيقاس، وخرج هو بأهله نحو باز الملك وانقد بابه إلى ابن نيقاس.

(2) وكذا، في «أ». والصواب: إليها (المحقق).

مدينة أبقرات، وهو الذي استخرج الطب بالتجربة، وكان بينه وبين ظهور جالينوس خاتم الأطباء ثمانية أطباء: اسقليوس الأول، وغورس، وميسي ورمانيديس وأفلاطون الطبيب واسقليوس الثاني وأبقراط الثاني وجالينوس، وكانت المدة التي بين ظهور اسقليوس الأول إلى وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسمائة وستين سنة، منها الفترات بين كل واحد من هؤلاء الأطباء منذ وفاته إلى ظهور الآخر أربعة آلاف وثمانمائة وتسع وثمانون سنة.

من ذلك منذ وقت وفاة اسقليوس الأول إلى ظهور غورس ثمانمائة وست وخمسون سنة، ومنذ وفاة ميسي وإلى ظهور رماليديس سبعمائة وخمس وثلاثون سنة، ومنذ وفاة رمانيديس وإلى ظهور أفلاطون سبعمائة وخمس وثلاثون سنة، ومنذ وفاة أفلاطون وإلى ظهور اسقليوس الثاني⁽¹⁾ وإلى ظهور أبقراط ستين سنة، ومنذ وفاة أبقراط وإلى ظهور جالينوس ستمائة وخمس وستون سنة.

وعاش اسقليوس الأول تسعين سنة، منها صبي قبل أن تفتح له القوة الإلهية خمسون سنة، وعالم معلّم أربعون سنة، وعاش غورس سبعاً وأربعين سنة، منها صبي متعلّم سبع عشرة سنة وعالم يعلم ثلاثين سنة، وعاش ميسي أربعاً وثمانين سنة، منها صبي متعلم أربع وستون سنة، وعالم معلّم خمس عشرة سنة، وعاش رمانيديس أربعين سنة منها صبي متعلم خمس وعشرون سنة، وعالم معلم خمس عشرة سنة، وعاش أفلاطون ستين سنة، منها صبي متعلّم أربعون سنة وعالم معلم عشرون سنة، وعاش اسقليوس الثاني مائة وعشر سنين، منها صبي متعلم خمس عشرة سنة، وعالم يعلم تسعون سنة، وعطل خمس سنين، وعاش أبقراط خمساً وتسعين سنة، منها صبي متعلم خمس عشرة سنة، وعالم معلم خمس وسبعون سنة وعطل خمس سنين، وعاش جالينوس سبعاً وثمانين سنة، منها صبي متعلّم ست عشرة سنة، وعالم

(1) أ. ح. ن. : ألف وأربع مائة وعشرون سنة، ومنذ وفاة اسقليوس الثاني .

معلّم أحد وسبعون سنة. ولكل واحد من هؤلاء الأطباء الأصول تلاميذ علّموهم هذه الصناعة، وخلفوهم بعدهم لثبات ذكركم، وكانت تلاميذهم من الأولاد والتلاميذ، من العصبة والأقارب لا من أولاد الغرباء لأنّه كان بينهم عهدٌ ومواثيق أن لا يعلّموا هذه الصناعة غريباً على ما عهده أسقليوس الأول إليهم، فإن أسقليوس هذا خلف من التلاميذ مائتي ولدٍ وغيره من القرابة ستّة نفرٍ: ماغيس وسفراطون وآخر ميسيس الطبيب ومهراريس المكذوب عليه المرور سببُ الكذب أنّه لحق سليمان بن داود عليه السلام لأنّ بينهما الوف من السنين وصور مدرس وميساوس، وقيل: إنّ هذا هو المكذوب عليه، وكان كل واحد من هؤلاء يتحل رأيي أستاذه هو أسقليوس وهو رأيي التجربة، لأنّ الطب إنما حصل لهم بالتجربة⁽¹⁾ وقواها وخلف من التلاميذ ولد وقريب سبعة: مرقس وجروجيس وماسطيس وبولس وماهانس وأسقواطيس الأول وسيفورس وكل واحد من هؤلاء يتحل رأيي أستاذه في التجربة.

فلم يزل الطب يجري من هؤلاء على السداد إلى أن ظهر أسقليوس الثاني فنظر في الآراء القديمة فوجد أن الذي ينبغي أن يعتقد هو رأي أفلاطون، فانتحله، فلما توفي خلف من أهل بيته من التلاميذ ثلاثة نفرٍ، وهم: أبقراط بن أبرقلس، وماغاريس، وأورجس، فلم تمض مُدّة أشهر حتى توفي ماغاريس ولحقه أورجس، وبقي أبقراط وحيد دهره كامل الفضائل عالماً بسائر الأشياء التي بها يضرب المثل، أعني الطب والفلسفة، إلى أن بلغ به الأمران عند الغاية.

وقوى صناعة القياس والتجربة تقويةً عجيبةً لا يتبيهاً الطاعن أن يحملها، وعلم الغرباء الطب وجعلهم أشباه أولاده، لأنّه خاف أن يفنى الطب من العالم، وخلق من التلاميذ من آل أسقليوس، أما من أولاده مالوس ودراقن ومالانارسا ابنته، وكانت أفضل من ابنه. ومن أولاد أولاده: بقراط بن

(1) أ. ح. ن.: لم يزل الطب يتقل من هؤلاء إلى من علّموه حتّى ظهر غورس ونظر في رأي التجربة.

باسلوس بن بقراط، وبقراط بن دراقن بن بقراط، ومن التلاميذ القرباء والغرباء خلقٌ كثيرٌ مثل بالاون، وماسرجس ومستانوس ويولولس، وهو أجلُّ تلاميذه وخليفته، وبافينسون، وأسطات، وسادس، وغورس وسيطوس من أهل بيته وماكليس.

ولم يزل الطبُّ ينتقل من هؤلاء الأطباء إلى من علّموه إلى أن ظهر جالينوس. وكان في الفترة التي بين أسطيرس وبين غورس سورندون، وماربوس وسادياس، وسنبارس وسقروقس الأول وسقلوس وسموليس وانطيماخس وفرميچون وأغاييس وإبراقلس وأسقوروس. وكان في الفترة بين أفلاطون وأسقليبوس الثاني مثل، والاقراغيطي وماسطيوس الطبيب وإقليدس وفوديفوس وإبراقلس الأول واندراماخس القديم وأفلاغورس وماجيس وسطن وسيفوروس وغالوس وطيطاس وامروقلس ويونا الطبيب.

وكان في هذا الوقت من الفلاسفة فوياغورس. وديوفيلس وبارن وأبناذقليس وأقليدس وساوري وطيمانائوس وأنكسماونس وديمقراطيس فإنه لحق بقرط وهو مع أستاذه، وأسقليوس وياسليس. وكان في الفترة التي بين بقراط وجالينوس، سقليوس الطبيب المفسر يكتب بقرط وأنقيلالوس الأول الطبيب لسوقس وأرسيسطراطس الثاني القياس. وقيل الثاني غالوس وسريرفطوس صاحب العقاقير وسقالس المفسر لكتب أبقرط ومايطانس المفسر لهذه الكتب وغاغولس ومغنيس الحمصي، وأندراماخس القريب، وسوساخس الاثيني وروفس الكبير وأومرمولوقوس، وأريجانس صاحب النبض ودياسقورندس الأول المفسر لكتب بقرط وساقريطس العامل للمعجونات، ومساوس ومارس الجبلي.

وكان قد وقع إليه كتابٌ من كتب باسلس الأول الذي كان يقول: إن الطب حيلة. وكان بقي بعد إحراق كتب الحيل فانتحله وقال: لا صناعة غير صناعة الحيل أعني الطب، وأراد فساد الناس عن اعتقاد القياس والتجربة. ووضع كتباً كثيرة أخذها من ذلك الكتاب.

فلم يزل مع الأطباء يقبلها بعضهم ويردّها بعضهم حتى ظهر جالينوس فناقضه وأفسدها عليه، وأحرق ما وجد منها، وأبطل صناعة الحيل أعني الطب وأراد إفساد الناس عن اعتقاد القياس والتجربة، ووضع كتباً كثيرة أخذها من ذلك الكتاب فلم يزل مع الأطباء يقبلها بعضهم ويردّها بالكلية افريظن وامافرس وجاريكسانس وأورساسيس وماريطس وفافولوس ومارقس ورغالس وهرمس الطبيب وبولانس وماجونار جلکس وهؤلاء الاثنا عشر طبيباً الذين أولهم أفرايظن، عاصد بعضهم بعضاً في تأليف الأدوية لمنفعة الناس تشبهاً لهم بالبروج الاثني عشر.

وقيلس الذي لا يخطيء في علاج، وديمقراطيس وماقولس ومارقس ويركاليس وهرمس الطبيب وبولانس الثاني الطبيب وأفروسيس وانكسافطراطيليس وافرودونيس ويطلميموس الطبيب وسقراطيس الطبيب ومادقيس العاشق للعلوم وسوش وساندراطوس التام، وفوريس قاذح العين، ودياسقورندس العين صاحب النفس الزكية، النافع للناس المنفعة الجليلة، السائح في البلاد، المقتبس لعلوم الأدوية المفردة من البراري والبحار والجزائر، المصور لها أبعاداً لمنافعها.

فلما صحت له بالتجربة ووجدها غير مختلفة أثبتتها وصورها وعنه أخذ جميع من جاء بعده وبه يقولوا على جميع ما احتاجوا إليه من الأدوية المفردة، وبلاديبوس المفسر لكتب بقراط وفلافيط امرأة طيبة، وجالينوس أخذ عنها أدوية كثيرة وعلاجات شتى وخاصة في أمور النساء. وأسقلنادوس وسوانوس الذهبي وارقلس الطرايطي، وأدوميس الملك، وساروس القليطي، وسالس الحمصي، وكسافوا برجس، وفرطانس، وديوجانس الطبيب، وذوالس الكحال، واسقليداس البلاذري، وبقراطيس الجوارشي، وآلون، وأريوس الطرسوسي⁽¹⁾، وفيلوس الطرسوسي الذي له معجون الفلونيا، وعاموس

(1) أ. ح. ن. : ومن الحراني ومودوقس الأثني وإبراقلس الهادي ويطروس وفودادس وباقراطس العين ردي وإبطامطروس وأريوس الطرسوسي.

المصري، وطوطوسوس الإسكندراني واليس، وسقورس المطلع لأن الأدوية كانت تطاوعه فيما يستعملها. وثانون وآران الحراني، وجميع هؤلاء أصحاب أدوية مفردة، وجالينوس أخذ منهم كتبه في الأدوية المركبة، ومن كان في هذه الفترة من الفلاسفة زينون الكبير، وزينون الصغير، واقراطس المنطقي وأدمون المستوفي وأغلوقن النصيبي وسقراط، وديمقراط، وأرسطاطاليس، وناوفرستس، وأوديثموس وفافامس، وأخروسييس، وديوجانس الكلبي، وفيلاطس، وفيماطوس، وأسقليوس، وأرميس الرومي معلم جالينوس، وأغلوقن المُجِب لجالينوس، والإسكندر الملك، والإسكندر الأفروديسي، وفرفوريوس السادري وابرقليس الأفلاطوني، واسطفانس المصري، ورامس. ومن وفاة جالينوس وإلى سنة تسعين ومائتين للهجرة، فالأطباء في هذه الفترة: اصطفن، وجليسيوس وأنفيلالوس، ومارسوس، فهؤلاء الأربعة الإسكندريون، وهم الذين فسروا كتب جالينوس وجمعوها واختصروها، وطيماموس الطرسوسي وميس الإسكندراني، وأصطفن الحراني، وسمري الملقَّب بالهلال لكثرة ملازمته منزله لاشتغاله بالتأليف وأرناسوس، وقولس، وأرسالوس القوابلي لمشاورة القوابل إياه، في أمور النساء وبباسقورندس الكحال، ومافالس الاثيني، وأفرويطس الاسكندراني، وينطس وهو من الحذاق في سائر صناعات الطب، ومارسوس الرومي وأرون وزومانك.

ومن الفلاسفة المذكورين ناسطيوس وفرفريوس الصوري، ويحيى النحوي، ودرانوس وأنفيلالوس، وأموسوس، وقولوس، وأفروطوخس وأدونيس وماعارالس ررلي⁽¹⁾ وفيادوس الاثيني، وأدي الطرسوسي. فجملة السنين من وقت أسقليوس الأول إلى سنة ست وتسعين للهجرة.

(1) وكذا، في «أ» وهي واضحة ولا مفهومة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نريد أن نضم إلى تواريخ القدماء تواريخ الحكماء المتأخرين من
الإسلاميين وبعض فوائدهم.

41 - حنين بن اسحق⁽¹⁾

المترجم، كان أول من فسر اللغة اليونانية ونقلها إلى السريانية والعربية،
ولم يوجد في هذه الأزمنة بعد الإسكندر اعلم منه باللغة العربية واليونانية.
وكان في عهد المأمون والمعتصم بغدادى المولد، نشأ بالشام، وتعلم بها،
وكان يدخل بيع النصارى، ويتعبد على قوانين شريعة المسيح⁽²⁾ وتفل في
الصُور التي فيها، وقال: هذه بدعة لا يجوزها الشرع والعقل، وكيف يجوز
نصب الصُور في موضع يُعْبَدُ فيه الله تعالى الذي هو منزَّه عن الصورة
والهيئة، فحبه الجائليق مُلَّة في داره، فصنَّف في حبه المسائل المنسوبة
إليه، وفسر كتب أرسطو وأفلاطون، ثم اعتذر إليه الجائليق فما قبل عذره وما

(1) الفهرست، ص: 1352 البيهقي، ص: 16 وابن جليل، ص: 168 وابن أبي أصيبعة،
ص: 257 والقفطي، ص: 171.

(2) أ. ح. ن.: قد حل على عادته يوماً في البجة فرأى فيها الصورة...

عاد إلى البيعة واشتغل بنشر العلوم وقال: كل زمان يلائم علماً وعادةً وصنفاً من الإنسان.

وقال: من خاف شقاوة الدنيا ما اكتسب سعادة المعقبين.

42 - ابنه اسحق⁽¹⁾

كان من ندماء المكتفي بالله تعالى، وقد دعاه يوماً لاختار طالباً ليجعل ابنه وليّ عهده، فقال له: هذا لا يتم أمره ويصلح للخلافة: وقال: تأملتُ طالع المكتفي بالله فوجدتُ صاحبَ عاشره في ثالث طالعه، فعلمتُ أن الأمر بعده لأخيه. وكان كما قال: فجلس بعده المقتدر. ولإسحق تصانيف كثيرة، وكان الغالبُ عليه الأحكام والطب.

قال للوزير العباس بن الحسن: إن من تصدّى لحفظ الناس ذكرته الألسن بالمدح والذم، فاجتهد أن تكون ممدوحاً في ذلك، لا بحسب أغراض الناس.

وكان اسحق ممن حُسِّن إسلامه، وقد أشركه المكتفي في بيعته ابنه ومع وزيره العباس. سأل اسحق بن حنين أباه: ما الذي تشير عليّ أن أقرأ من الكتب وأن أجعل غرضي معرفته في شيء بيده بحسب ما أعلم من عنايتك لي ومن تهيو طبيعتي لقبول العلم؟ فقال حنين: ما أعلم أشدَّ ضرورةً منك إليه إلا ما أملك الحكيم الأول بتعرّفها، وهي التي أنت بها مشارك للباري جل ثناؤه، ومنفصل عن البهائم وهو الذي تسميه العرب نطقاً، واليونانية لوعس مشتق من لوعس أي بالقول، فقال إسحق: فإذا كانت الكتب في هذا القرن كثيرة، فارشدني إى كتاب أبديء به، فقال حنين كتاب فاطيغوريوس، فقال إسحق: فلم اخترت كتاب فاطيغوريوس، ولم اخترت الذي للحكيم أرسطو؟

(1) الفهرست، ص: 356؛ البيهقي، ص: 18؛ القفطي، ص: 180؛ أصيبعة، ص: 274.

قال حنين: أما كتاب فاطموريوس فلأنه ابتداء هذا العلم، وأما الذي للحكيم فلأن غيره ليس بموجود في هذا الوقت. ولو كان غير هذا الكتاب موجوداً في هذا المعنى وهو كتاب أرخوطس لاخترته لك. وكان أرخوطس من شيعة فيثاغورس هو المبتدئ لأكثر حكمة اليونانيين، وعنه أخذ سقراط وأفلاطون وأقليدس وإيلوس وأرسيمدس وبطلميوس وسائر الحكماء والمهندسين.

43 - حُبَيْش الطبيب⁽¹⁾

كان من الأطباء المتقدمين، والمهندسين، وله تصانيف كثيرة في الطب ومصنفات في المعالجات⁽²⁾ كلامه: الكذب رأس كل بلية، من ترك الحقد أدرك معالي الأمور..

قال: مَنْ كَرُمَتْ نفسه لم يكن إلا بالحكمة أنسه.

44 - ثابت بن قرة الحراني⁽³⁾

كان حكيماً كاملاً في أجزاء علوم الحكمة، وكان من الصابئين، وهو جدُّ مُحَمَّد بن جابر بن سنان صاحب الرصد، وكان المعتضد يكرمه، ومن إكرامه له أنه طاف معه في بستان له ويده على يد ثابت، فانتزع يده بغتة من يد ثابت، ففزع من ذلك ثابت، ثم قال له: يا ثابت أخطأت حين وضعت يدي على يدك وسهوت، فإن العلم بعلو ولا يعلى فهذه غاية إكرامه له.

وكتاب الذخيرة له هو نادر في الطب، فإن الصابئي قال: رأيت ثابتاً في النوم واستغدت منه نُكْتَةً ذهبت عني وبعد حين تذكرتها وهي أنه (-) وثابت

(1) الفهرست، ص: 355، البيهقي، ص: 19، الففطي، ص: 177.

(2) أ. ح. ن. : فمن.

(3) الفهرست، ص: 331، البيهقي، ص: 20، الففطي، ص: 115، أصيبعة، ص: 295.

هو أصل ما تجلّد للصابئة من الرئاسة ببغداد بحضرة الخلفاء، ولم يكن في زمانه من يماثله في جميع أجزاء علوم الفلسفة، وله أرساؤٌ حسنةٌ للشمس ولما حبس الموفق المعتضد في دار ابن بلبل، تقدم اسماعيل بن بلبل إلى ثابت أن يدخل إليه ويؤانسه، وكان يدخل إليه كل يوم ثلاث مراتٍ يحادثه ويسأله ويعرفه أحوال الفلاسفة، وأمر الهندسة والنجوم وغيره به المعتضد ولطف محله فلما خرج من حبسه، قال لبدر غلامه: أي رجل أفدنا بعدك، فسأله عنه فقال: ثابت. ولما تقلد الخلافة أقطع ضياعاً جليلاً وكان يجلسه بين يديه كثيراً، ويكون بدر والوزير قائمان⁽¹⁾ وهو جالس.

أبو الحسن ثابت بن قرّة الحراني

كان من الصابئية، وله سوى براعته في الأوائل رأس مال كثير، ورياسة عظيمة في الصابئة. وقد رأيتُ عدّة كتبٍ مُصنّفةٍ في مذاهبهم هي عند تميم الآن، وقد بلغ من جلالة قدره، وعظم محله في العلم أنه جعل كالمتوسط بين يحيى، وبين برقلس. وله كلامٌ طويلٌ تشتمل عليه دسوت كاغد.

45 - أبو عثمان الدمشقي

سعيد بن يعقوب، هو من مقدمي الأفاضل، ونقله كتب الأوائل، ومن له سبق في ذلك بعد حنين وابنه ثابت بن قرّة. وكان فصيحاً باللغة العربية واليونانية، معتمد النقل.

من ترجمته: المتواضع، من طلاب العلم، أكثرهم علماً، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً. وإذا أبصرت العين الشهوة عمي القلب عن الاختيار، ومن نظر إلى الموت بعين الأمل رآه بعيداً، ومن نظر إليه بعين عقله وجده قريباً.

(1) «كذاه في «أه». والصواب: قائمتين.

وقال: العقل صفاء العقل والجهل كدرهما، وهو من أطباء بغداد المذكورين، وكان منقطعاً إلى علي بن عيسى الوزير والممارساتان.

46 - محمد بن زكريا الرازي

كان في بدء أمره صائغاً، ثم استعمل علم الأكسير فرمدت عيناه بسبب الحدة التي في العقاقير، فذهب إلى طبيب ليعالجه فقال: لا أعالجك حتى آخذ منك خمس مائة دينار فدفعت إليه ذلك فقال: هذا هو الكيمياء لا ما اشتغلت به، فترك الأكسير، واشتغل بالطب حتى نسخت تصانيفه تصانيف من قبله من الأطباء المتقدمين.

قال ابن سينا في حقه: هو المتكلف الفضولي الذي من شأنه النظر في الأبوال والبرازات، وقد صدق في ذلك لأنه بلغ الغاية في المعالجات الطبية. وتكلم بالعوراء والخبائث فيما سوى ذلك.

قال: السموم ثلاثة، أكل الشواء المغموم واللبن الفاسد والسّمك المتن، ولمحمد مصنفات كثيرة جداً، ومولده ومنشأه بالري، وقرأ الطب على⁽¹⁾ ابن زين الطبري.

قال القاضي ابن صاعد: إن الرازي لم يتوغل في العلم الإلهي ولا فهم غرضه الأقصى فلذلك اضطرب رأيه، وانتحل آراء سخيفة خبيثة، وذم أقواماً لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم.

وكان ينتقل في البلدان، وكان شيخاً كبير الرأس مسطحه، وكان يجلس للتعليم بعظمة فيجلس دونه التلاميذ، ودون التلاميذ تلاميذ.

وكان كريماً متفضلاً باراً بالفقراء والإعلاء. وكان يجري عليهم الجرايات

(1) أ. ح. ن. : علي.

السواسية، ولم يفارق المدارج والنسخ، وكان في بصره رطوبة⁽¹⁾ البلخي، جوالاً في البلاد، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة، وكان الرازي فطناً ذكياً مجتهداً في جلة أوقاته⁽²⁾ والتطلع والفكر في ما دونه الأفاضل، ومن شعره:

لعمري ما أدري وقد أذن البلى بعاجل ترحالي إلى أين ترحالي
وأين محلُّ الروح بعد خروجه من الهيكل المنحلّ والجسد البالي

47 - علي بن الطبري⁽³⁾

كان من كبار مدينة مرو، وله همة رفيعة وعلم بالإنجيل والطب. وابنه كان حكيماً كاملاً يعرف ذلك من كتابه المعنون بفردوس الحكمة. وله مصنفات كثيرة.

48 - ابن بابا بن سوار بن بهنام⁽⁴⁾⁽⁵⁾

وبهنام كلمة فارسية مركبة من كلمتين وهي به ونام أي اسم الخير. وكان خبيراً بالنقل، وقد نقل كثيراً من السرياني إلى العربي، وقرأ الحكمة على يحيى بن عرى⁽⁶⁾. وكان في نهاية الذكاء والفطنة، وبلغ في الطب إلى غاية قبل له محمود الأرض، وكان ملك محمود عظيماً، وكان إذا دعاه الفقير مشى راجلاً. وقال له: جعلت هذا المشي كفارة لمروري إلى أهل الفسق

(1) أ. ح. ن.: لكثرة أكل البقلاء، وكان يقول إنه قرأ الفلسفة على البلخي وكان...

(2) أ. ح. ن.: بالإجتهاد.

(3) الفهرست، ص: 354، الففطي: 231، البيهقي، ص: 22، أصيبعة، ص: 414.

(4) الفهرست، ص: 323، أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهنام، أصيبعة، ص: 428،

البيهقي، ص: 26، الففطي، ص: 164.

(5) أ. ح. ن.: أبو الخير الحسن البغدادي.

(6) أ. ح. ن.: عدي.

والجلبيرة، فإذا دعاهُ سلطانٌ ركبَ في زِيِّ العظماءِ بالمماليك الترك والخيول الجياد مع الهيبة والوقار، ووفَّى صناعته حقَّها بالتواضع للضعفاء، وبالتعاطف على العظماءِ.

وهذا كان طريق بقراط وجالينوس وجميع الحكماءِ. فمنهم من تواضع فلزم الزهد والتعاون، ومنهم من أظهر من حكمته ما ظهرت به محاسن الحكمة.

وحكى ابن هندٍ وكان زعيمُ الفرقةِ النافيةِ للطبع: تُعادي استاذي ابن الحجاز وتُعري العامريةَ، فاشتكى الزعيمُ رأسه إلى استاذي فقال له: ضَعْ تحت رأسك الكتاب الذي نفيت فيه فعل الطبيعة لتشفى وأبى أن يعالجه.

وهو بغدادى المولد، وقد حمّله إلى خوارزم شاه مأمون بن محمد بن خوارزم شاه، فلما استولى محمود بن سبكتكين على خوارزم حمّله إلى غزنة وعرض عليه الإسلام فأبى.

وعمر حتى جاوز المائة، ومُرُّ يوماً بمعلمٍ في مكتبٍ يقرأ (السم أحسب الناس أن يتركوا)، فوقف وبكى ساعةً، ومُرُّ فرأى في منامه تلك الليلة النبي ﷺ وهو يقول له: يا أبا الخير مثلك مع كمال علمك يقبح أن تنكر نبوتى، فأسلم على يده ﷺ.

فلما انتبه من منامه أظهر الإسلام وتعلم الفقه على كبر سنّه، وحفظ القرآن وحسّن إسلامه، وقد حكم له أبو ربحانٌ بنَكْتةَ قاطمةٍ فدعاهُ السلطان محمود يوماً وبعث إليه مركوبه، فمرَّ على سوقِ الحَقَّافين⁽¹⁾ فنفرت الدابةُ فأهلكته.

قال ابن سينا في بعض كتبه: فأما أبو الخير فليس من عداد هؤلاء، ولعلَّ الله تعالى يرزقنا لقاءه فيكون إما أفاد وإما استفاد وبعض الناسخين يكتب، فأما أبو نصر وهو غلطٌ لأن أبا نصر مات قبل ولادة أبي عليّ بثلاثين سنةً، وقد

(1) أ. ح. ن. : لعارض.

أعطاه السلطان ناحيةً يقال لها ناحية خممار، ونُسِبَ إلى تلك البقعة، وله تصانيف كثيرة في أجزاء علوم الحكمة⁽¹⁾ مقالةً في الوفاق بين رأي النصارى والفلاسفة، ومقالةً في الإيضاح عن رأي القدماء في البارئ تعالى، وفي الشرائع وجودَ فيها. ومقالةً في السعادة، وله غيرها كتبٌ كثيرة في فنون.

ورأيتُ له رسالةً إلى الوزير الأمين أبي سعيدٍ فيها كلماتٌ شافيةً، وكتاب خلق الإنسان، وقد حلَّ فيه كثيراً من رموز الأوائل. وقيل له بقرط الثاني، وحقُّ له ذلك لأنَّ النبي ﷺ سماه عالماً. وسُئِلَ ابن سوارٍ عن ما فيه الناس من السيرة وما هم عليه من الاعتقاد. أحقُّ كله أو أكثر أو باطلٌ كله أو أكثره؟ فقال: المسألة هائلةٌ والجواب هينٌ.

قيل: فأفدنا أفادك الله، فإنَّ تكيَّةَ العلم لا تبرح ولو اختلفت عليها الدلاء، وكثُرَ على حافاتها الوراد فقال: صدقتم إعلموا أنَّه إذا لحظ استيلاء الطبيعة عليهم وعليه أثارها فيهم من الرأي المعتقدِ والسيرة المؤثرة، فأكثر ذلك باطلٌ لأن سلطان العقل في بلاد الطبيعة غريبٌ، والغريب ذليل وإن لحظ حكم العقل وما يجب به ويليق بجوهره، ويحسنُ مضافاً إليه فأكثر ذلك حقٌّ كان الملحوظُ رأياً أو سيرةً أو عادةً أو خلقيةً، وعلى حسب هاتين العلتين يكون القضاء ويقع الحكم، والحق لا يصير حقاً بكثرة معتقديه، ولا يستحيل باطلاً بقلة متحليه وكذلك الباطل.

49 - متى بن يونس⁽²⁾

المترجم، كان حكيماً نصرانياً، وشرح كتب أرسطو، وله تصانيف في المنطق وغير ذلك. ومن كلامه: السعادات ثلاث، نفسانيةٌ وبدنيَّةٌ وخارجيَّةٌ، فالنفسانية هي العلوم الحقيقيَّة ويتبعها الأخلاق للمحمودة، والفضائل والسيرة

(1) أ: ح. ن.: فيها.

(2) الفهرست، ص: 422، البيهقي، ص: 28، الفنطقي، ص: 323.

الحسنة، والبدنية كمال الأعضاء وجودة التأليف والتركيب، والخارجية حسن اكتساب الدنيا وتحصيلها وإنفاقها في وجهها على ما يوجهه العقل والشرع ولا تجتمع تلك السعادات لأحد إلا في النادر.

50 - محمد بن جابر الحراني البتاني⁽¹⁾

صاحب الرصد المشهور بعد أيام المأمون، وكان عارفاً بتفاصيل أجزاء الحكمة، وقد أنفق أموالاً في الرصد، وبتان قرية من قرى حران وإليها يتسب.

51 - الشيخ الفاضل محمد بن محمد الفارابي⁽²⁾

ويعرف بأبي نصر الفارابي، وكان أبوه قائد جيش، وأصله فارسي، وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام، وأقام بها إلى حين وفاته، وكان مجتنباً عن الدنيا مقتنعاً بالقليل منها يسير سيرة المتقنين.

وقيل: إنه كان في أول أمره ناظوراً بدمشق دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع إلى آراء المتقدمين، وكان ضعيف الحال.

حكى أنه كان بالليل يسهر للمطالعة والتصنيف يستضيء بقنديل الحارس، وبقي كذا مدة حتى اشتهر وكثرت تلاميذه، وصار أوحده زمانه.

واجتمع بسيف الدولة بن حمدان فأكرمه إكراماً عظيماً، وعظمت منزلته عنده، وكان له مشيراً.

وقيل إنه لم يقبل من سيف الدولة كل يوم إلا أربعة دراهم ينفقها على أصحابه، لم يعتن بمسكن ولا ببيهة ولا بشيء من أمور الدنيا.

(1) الفهرست، ص: 338، البيهقي، ص: 29، الففطي، ص: 280.

(2) الفهرست، ص: 311، البيهقي، ص: 30، الففطي، ص: 277، أصبغة، ص: 603.

وقيل إنه كان في أول أمره قاضياً، فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك وأقبل على تعلم العلوم.

وقيل: إن سبب قراءته الحكمة إن رجلاً أودع عنده كتب أرسطو فنظر فيها، فصادت منه قبولاً عظيماً فتحرك إلى قراءتها حتى أتقنها روح الله تعالى دنسه، وهو من فاراب تركستان، وهو الملقب بالمعلم الثاني ولم يكن أفضل منه⁽¹⁾.

وقيل الحكماء أربعة، إثنان قبل الإسلام وهما أرسطو والإسكندر، وإثنان في الإسلام وهما أبو نصر وأبو علي.

وكان بين وفاته وولادة أبي علي ثلاثون سنة. وكان أبو علي تلميذاً لتصانيفه.

وفي كتاب أخلاق الحكماء أن ابن عباد بعث إلى أبي نصر هدايا وصلات واستحضره واشتاق إلى ارتباطه.

وأبو نصر يتعفف وينقيض ولا يقبل منه شيئاً حتى ضرب الذُّهر ضرباته، ووصل أبو نصر إلى الري وعليه قباء ومسحٌ وقلنسوة بلقاء، وكان انطُ قصيراً على هيئة بعض الأتراك. وكان الصاحب يقول ومن أرشدني إلى أبي نصر أو دعاه إلي أعطيتُ مالا أغناه، فانتهاز أبو نصر الفرصة حتى دخل مجلس الصاحب مُتَنَكِّراً وكان المجلس غاصاً بالندامى والظرفاء وأرباب اللهو، فأضافوا الجرم إلى البواب ورموا إليه أسهم العتاب واستهزا بأبي نصر كل من كان في المجلس وهو يحتمل الأذى حتى اطمأنت أنفسهم بمجالسته وأنساهم الشراب ذكره. ودارت الكؤوس ومالت الرؤوس وحمل أبو نصر مزهراً واستخرج لحناً مع وزن نوم المستمعين فصار كل واحد منهم كالذي يغشى عليه من الموت. وقيل: كانت معه آلة قد أعدها لهذا الشأن، وكتب على

(1) أ: ح. ن: من حكماء الإسلام.

البربط قد حضر أبو نصر الفارابي واستهزأتم به فنومكم وغاب ثم خرج أبو نصر من الرِّيِّ متكرراً متوجهاً تلقاء بغداد، فلما أفاق الصباح ونَدَمَاؤُهُ تَعَجَّبُوا من حذقه في صناعة الموسيقى وتأسفوا على فوات منادته، ثم قال الصباح: أديروا الكؤوس على اسمه لعلَّ الزمان يرده علينا، فلما حمل المطربُ العود قال: أيها الصباح قد كتب ذلك الرجل شيئاً على مزهري، فلما نظر إليه الصباح وعرف أنه أبو نصر شقَّ جيبه واستغاث وجهز أعوانه في طلبه.

وكان كالفارط العنزي فلم يجد له أثراً ولا استمع له خبراً، وبقي بقية عمره متأسفاً على فوات منادته وانغفلة عن معرفته وأين من المشتاق عتقاء مغرب.

وقيل إنَّ أبا نصر كان يرتحل من دمشق إلى عسقلان فاستقبله اللصوص فقال لهم: أنا أبو نصر خذوا ما معي من الدواب والأسلحة والثياب وخلوا سبيلي: فأبوا ذلك وهموا بقتله، فلما صار مضطراً ترجل وحارب حتى قُتل مع مَنْ معه.

ووقعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع، وتطلَّبوا اللصوص ودفنا أبا نصر وصلبوه على قبره.

قال أبو نصر الفارابي: ينبغي لمن أراد الشروع في الحكمة أن يكون شاباً صحيح المزاج متأدباً بأداب الأخيار، قد تعلَّم القرآن واللغة وعلوم الشرع أولاً، ويكون عفيفاً صدوقاً معرضاً عن الفسوق والفجور والغدر والخيانة والمكر والحيلة ويكون فارغ البال عن مصالح معاشه مقبلاً على أداء الوظائف الشرعية غير مخلٍّ بركنٍ من أركان الشريعة ولا بادٍ من آدابها معظماً للعلم والعلماء ولا^(١) يكون لشيء عنده فهو حكيم زور ولا يُعَدُّ من الحكماء.

وقال: من لا يهذب علمه أخلاقه في الدنيا لا يسعد نفسه في الآخرة.

(١) أ. ح. ن.: قدراً لا للعلم وأهله ولا يتخذ عمله لأجل العرفة ومن كان بخلاف ذلك

وقال: تمام السعادة بمكارم الأخلاق كما أن تمام الشجرة بالثمرة.

وقال: من رفع نفسه فوق قدرها صارت نفسه محجوبة عن نيل كمالها، وله أشعار حسنة حكيمة منها قوله:

لما رأيت الزمان ناساً وليس في الصحبة انتفاع
كلُّ رئيسٍ به ملالٌ وكلُّ رأسٍ به صداعٌ
كرمتُ نفسي وصنتُ عرضاً به عن الذلة امتناعٌ
أشربُ مما اقتنيتُ راحاً لها على راحتِي شعاعٌ
لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماعٌ
واجتني من حديث قومٍ قد أقفرت منهم البقاع

رأيت⁽¹⁾ في انتخاب الصَّوانِ أنها للشيخ أبي علي رضي الله عنه. وله أيضاً:

أخي خلَّ حيزاً ذا باطل وكن للحقائق في حيزٍ
فما الدار دار خلودٍ لنا ولا المرء في الأرض بالمعجز
وهل نحن إلا خطوط ونقشٌ على كرةٍ وقعٌ مستوفز
ننافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
مُحيط السموات أولى بنا فكم ذا والتزاحم في المركز

ما يلوم⁽²⁾ جسمي عن لقائكم إلا قلبي إليكم شيقٌ عجلٌ

وكيف يفقد مشتاقٌ يُحرِّكه
فإن نهضتُ فمالي غيركم وطرٌ
وكيف ذاك ومالي منكم بدلٌ
وكم تعرّض في الأقوام قبلكم
إليكم الباعشان: الشوق والأمل
يتسابقون على قلبي فما وصلوا

(1) أ: ح. ن.: حاشية.

(2) «كذاه» في «أ». ولعله سقط بعض الكلام إذ إن وزن صدر البيت ليس على البحر البسيط كما هو في عجزه.

52 - أبو سليمان⁽¹⁾

محمد بن مشعر البُستي ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن زهرون الزنجاني، وأبو أحمد النهرجوري والعوفي⁽²⁾ وزيد بن رفاعة فهم حكماء اجتمعوا وصنّفوا رسائل إخوان الصفا، وألفاظ هذا الكتاب للمقدسي أبو سليمان محمد بن مشعر البُستي المعروف بالمقدسي له الرسائل الأحدي والخمسون المُسمّاة رسائل إخوان الصفا، وكلها مشحونة بالأخلاق وعلم اللحام، وهي موجودة فيما بين الناس قد تداولتها الأيدي.

قال: [ولما نظر فيها أبو سليمان المنطقي قال: تغنوا وما أغنوا، ونصبوا وما وجدوا وحاموا وما وردوا، وغنّوا فما أطربوا، وأنسجوا فهلهلوا، ومشطوا فقلقلوا.

قال: أبو الحسن علي بن أساس العوفي وهو من اخوان الصفا: البيضة صارت رطبةً لغلبة الماء والهواء والنار عليها، ونقصان طبيعة الأرض⁽³⁾، ولذلك يطير الطائر والمادة الترابية فيه أقل، ولذلك لم تخلق له الاسنان والقرح من البياض. والصفرة غذاؤه والحضانة في الطائر معينة للقوة المولدة.

وقال: من لم يكن خيراً متخلفاً بأخلاق الحكماء فلا خير لأحد في علمه.

وقال: اجمل لنفسك من حسن الظنّ بالناس نصيباً مفروضاً.

وقال: الفضائل مبدأ الخيرات والرذائل أساس الشرور.

وقال: بالمشورة تضاف العقول إلى عقل واحد على العمل. خيرٌ من الإشكال بعد الإقدام عليه⁽⁴⁾.

(1) البيهقي، ص: 35: أبو سليمان محمد بن مشعر، والقفطي أيضاً: ابن مشعر.

(2) البيهقي والقفطي: العوفي وليس العوفي.

(3) أ. ح. ن. : صفرة البيض تشبه طبيعة الهواء، وبياضها طبيعة الماء.

(4) [—] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

53 - أبو عبد الله الناطلي

كان حكيمًا عالمًا مُتخلِّقًا بأخلاقٍ جميلة، وزعم ابن سينا أنَّ والده ارتبطه واستفدتُ منه قوانين المنطق، وانتهيت إلى غوامض تعجُّب الناطلي منها، فلمَّا انتهيتُ في تعلم الرياضات إلى المعطيات والمخروطات، قال لي: استخرج هذه الأشكال من ذاتك ثم اعرضها عليّ، وكان يستفيدُ بسبب هذه الوساطة مني⁽¹⁾، وله رسالة في علم الأكسير ولا يذكره ابن سينا في مصنفاته إلَّا في كتاب المقتضيات⁽²⁾.

قال: عليك بالبحث عن جوهر النفس الشريفة ولا تدخُرْ ما تخافُ عليه، والعاقلُ لا يختارُ عرفان الحقِّ على الحقِّ.

54 - يحيى النحوي الديلمي⁽³⁾

هو غير النحوي الإسكندراني أبو علي الملقب بالطريق، كان من القدماء نصرانيًّا فيلسوفًا وقال له أبو علي في حقِّه: هو المموه على النصراني لأنَّه صنَّف كتاباً ردُّ فيها على أفلاطون وأرسطو حين همت النصراني بقتله، وأكثر ما أورده الغزالي في التهافت من تلك الكتب، وقيل له: محبُّ التَّعب، لكده في طلب العلوم وتحقق ما هيأه الأشياء، وله تصانيف كثيرة ومنه أخذ الطب⁽⁴⁾ خالد بن يزيد بن معاوية، القليل الذي كان يدعيه من مغالطة هذا الشأن، وكان نصرانيًّا فنُقم عليه. شرح كتب أرسطو فهموا به، فأظهر لهم مخالفته في الأصول وتفاذى منهم بعمل كتابه الذي نقض به مذاهب الحكيم، وفي الكتاب الذي ردُّ فيه على أبرقلس، ووصل إليه منهم من العطايا على هذين

(1) أ: ح. ن.: وله رسالة لطيفة في وجود وشرح اسمه وهذه الرسالة دالة على أنه كان مبرِّزاً في الإنهيات.

(2) أ: ح. ن.: المقتضيات السبعة، ب: المقتضيات.

(3) البيهقي، ص: 29.

(4) أ: ح. ن.: خالد بن يزيد بن معاوية، وقيل يحيى النحوي الإسكندراني، وكان في أيام معاوية وعثمان، واشتغل بكتب الأوائل وتبحر فيها من الفلسفة والطب.

الكتابين بضع⁽¹⁾ عشرة ألف دينارٍ لا يستبدع ذلك، فقد أعطى يحيى بن خالد البرمكي أماناً على نقله كليلة ودمنة إلى شعرٍ نحو ذلك، وعطيات الخلفاء بمثل هذا كثيرة.

55 - يعقوب بن إسحق الكندي⁽²⁾

كان مهندساً خائضاً غمرات العلم، وله تصانيف كثيرة وقد جمع في بعض تصانيفه بين الشرع والمعقولات، وقيل: كان يهودياً ثم أسلم⁽³⁾، وقيل: كان نصرانياً وكتابه في المناظر في غاية الحسن، وقد ارتبطه المعتصم وكان أستاذ ولده أحمد بن المعتصم.

قال الكندي: لو أفسد أحدٌ أحسنَ أعضائه كان مذموماً، وأشرف الأعضاء الدماغُ ومنه الحسُّ والحركة وسائر الأفعال الشريفة، ومستعملو السكر يدخلون الفساد على أدمغتهم، ومتى توالى السكر على بدنٍ مرضٍ دماغه واشتدَّ ضعفه وبُعد عن القوة المظهرة للأفعال الإرادية والنفسانية.

قال: خذ ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافيات: إعلم أن اليقظة التي لنا بالحس هي النوم والحلم الذي لنا بالعقل هو اليقظة ويغلبه الحس علينا، حكماً أن الأمر بخلاف هذا. ولأفغلب العقل على الحس ينصدع لك الحق في هذا الحكم، فإذا وضح هذا ينبغي أن تتقصى من الحس. وإن ظننا أن اليقظة من ناحيته وتلبس بالعقل، وأن ظننا أن الحلم من ناحيته.

وقال الملك أبو جعفر وعنده جماعة من الحكماء منهم أبو سليمان: إننا لم نجد من فلاسفة الإسلام على كثرتهم من يقوم في أنفسنا مقام سقراط وأفلاطون وأرسطو. ف قيل له: ولا الكندي فقال: إن الكندي على غرارته،

(1) ح. ن. سح.

(2) الفهرست، ص: 315، البيهقي، ص: 41، أصبغة، ص: 285.

(3) ح. م.: يقول المؤلف أن الكندي كان يهودياً أو نصرانياً أما ابن جليل فيقول: شريف الأصل بصري، كان جده وَلَّى الولايت لبني هاشم، وقال ابن أبي أصبغة: الكندي ينسب العرب وأحد أبناء ملوكها وكان أبوه أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد. (ص 285).

وجودة استنباطه، رديء اللفظ قليل الحلاوة متوسط السيرة، كثير الغارة على حكم الفلاسفة وثابت الزم للمعطب وأشدّ اعتناقاً لهذا الفن، وجميع الناس يتقاربون بعدهما ولهما سبق.

وجرى عند ثابت ذكرُ فيثاغورس وأصحابه وتعظيمهم العدد الذي لا يفهم معناه فقال: إن الرجل وشيعته أجلُّ قدراً وأعظمُ شأنًا أن يقع لهم سهوٌ وخطأ في معرفة الأمور العقلية، فيجوز أن يكون قد وقفوا من طبيعة العدد على سرائر لم تنته إليه لانقراضها.

وقال: من ملك نفسه ملك المملكة العظمى، واستغنى عن المؤن، ومن كان كذلك ارتفع عنه الذمُّ وحمده كل أحدٍ وطاب عيشه، وله شعرٌ منه:

أناف الذنابي على الأروُس فغبيضُ جفونك ونكسِ
وصايل سوادك واقبض يديك وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك فانسح العُلُو⁽¹⁾ وبالوحدة اليوم فاستأنس
فلن الغنى في قلوب الرجالِ وإن التعمُّز في الأنفس

[وأبويوسف يعقوب بن أسحق الكندي أول من تخرج من المسلمين في الفلسفة وسائر أجزائها من المنطق والطبيعات والرياضيات والإلهيات، مع تبحره في علوم العرب وبراعته في الآداب من النحو والشعر، وكان يعرف الطب والنجوم وأحكامها، وضروباً من الصناعات والمعارف التي قل أن تجتمع في إنسان واحد، وفهرسة كتبه تزيد على دسيت كاغد، وكان أستاذ أحمد بن محمد المعتصم، وباسمه عمل التزكية، وإليه كتب يحلّ رسائله وأجوبة مسائله، وهو أول من أحذق هذه الطريقة التي أخذها من جاء بعده من الإسلاميين، وإن كان قد تقدّمه من ارتفع اسمه وحسنت حاله في أيام المأمون الذين كان جلهم نصارى، وتصانيفهم تجري على الرسم القديم]⁽²⁾.

(1) أ. ح. ن. : للؤلؤ.

(2) [—] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

وقال: المسترسل موقى والمتحIRON ملقى.

وقال: إن النظر في كتب الحكمة أعياد النفوس الناطقة.

وقال: إن أفلاطن قاس الشهوة التي للإنسان بالخنزير، والقوة الغضبية بالكلب، والقوة العقلية بالملك، قال: فمن غلب عليه الشهوة فهو خنزير، ومن غلب عليه الغضب فهو كلب، ومن غلب عليه العقل فهو ملك، وإذا كان ملكاً فهو قريب التشبه من الله تعالى لأن الأشياء التي يوصف بها الباري تعالى وتضاف إليه هي الحكمة والقدرة والعدل والخير والجميل والكرم والإحسان والتفضل والإنعام.

وقال: الإنسان لا يكون ذا فضل إلا بأن تكون هذه الفضائل فيه، وله، وجلية فيه، وحاصلة لديه، وغالبة عليه، فقد بان من هذه الجملة أن عواقب الناس إلى هذه المصحوبة بين الكون والفساد المستصحبة إلى هناك، أعني على طريق الرأد والعناد.

قال⁽¹⁾ بعض القائلين بالناسخ الأنفس ثلاثة: نفس مالكة وهي الناجية، ونفس سالكة وهي الراحية، ونفس هالكة وهي التي لا حال لها، فتذكر ثمة.

قال: فأما أفلاطن فإنه قال: إن مسكن الأنفس العقلية إذا تجردت كما قالت الفلاسفة القدماء خلف الفلك في عالم الربوبية حيث نور الباري تعالى، وليس كل نفس تفارق البدن تصير من ساعتها إلى ذلك المحل لأن في الأنفس ما يفارق البدن وفيها دنس وأشياء حسنة، فعنما ما يصير إلى فلك عطارد فتقيم فيه مدة، فإذا تهذبت ونقت ارتفعت إلى كوكب كوكب فتقيم مدة فإذا صارت إلى الفلك الأعلى ونقت غاية النقاء وزالت أدناس الحس ارتقت إلى عالم العقل وجازت الظل وصارت تفكر في الأشياء قليلها وكثيرها، كعلم الإنسان بأصبعه الواحدة وصارت الأشياء كلها مكشوفة وبارزة، فحينئذ يفوض

(1) ح. ن. : ولهذا التلث قال.

الباري تعالى إليها من سياسة العالم أشياء تلتذُّ بها وتفعّلها والتدبير لها.

56 - أبو زيد البلخي⁽¹⁾

كان من حكماء الإسلام وُصّحائه وبلغائه، وله تصانيف كثيرة في كلِّ فن: كتاب الأمد الأقصى، وكتاب الإبانة عن علل الديانة.

وقال: لا بدُّ من الموت فلا تخف منه وإن كنت تخاف ممّا بعد الموت فاصلح شأنك قبل موتك وخف سيئاتك لا موتك.

وقال: الشريعة الفلسفة الكبرى، ولا يكون الرجل متفلسفاً حتى يكون مُتَعَبِّداً مواظباً على أداء أوامر الشرع.

وقال: الدواء الأكبر هو العلم.

57 - أبو الفرج بن الطيب الجاثليق⁽²⁾

كان أبو علي يذمّه ويُهجّن تصانيفه، ويقول في المباحث: من حقّ تصانيفه أن تُردَّ على بائعه، ولعلّ ذلك كان لتحاسيد يكون بين أهل العصر. وأبو الفرج كان حكيماً بغدادياً، وكان⁽³⁾ تصنيف لطيف في كمية الأعمار، وكان عالماً بالرومية واليونانية⁽⁴⁾، وأبو علي يعترف بتقدّمه في الطب، ويعترض على بعض رسائله في الطب. وكان يقول: كلامه غير فصيح، بعضه سقيم، وبعضه مستقيم، فهو من المستطرفين، لا من أصحاب الصناعة، وله كتاب في علل الأشياء يدلُّ على أنّه كان حكيماً، وبينه وبين أبي عليّ بون بعيد، وأبو عليّ كان مؤذياً مهجناً، وفي بعض الكتب أن أبا عليّ دخل على الحكيم

(1) الفهرست، ص: 153، البيهقي، ص: 42.

(2) البيهقي، ص: 43. أصيعة، ص: 323.

(3) أ. ح. ن. : حكيم ملء إهابه داخل بيت الحكمة، من بابه، وتصانيفه كثيرة وله

(4) أ. ح. ن. : والعبرية.

أبي عليّ مسكويه والتلاميذ حوله، فرمى أبو علي إليه جوزة. وقال: بين مساحة هذه الجوزة بالشعيرات، فرمى ابن مسكويه إليه أجزاء في الأخلاق، وقال: أما أنت، فاصلح أخلاقك أولاً حتى أستخرج مساحة الجوزة. وليس الذم والتهجّن من دأب الحكماء المبرزين بل تقرير الحق، ومن قرر الحق استغنى عن تهجين أهل الباطل، صاننا الله تعالى⁽¹⁾ مسائل إلى أبي علي، فأجاب عنها أبو علي واعترض على تلك الأجوبة أبو ريحان، وهجّنه وهجّن كلامه وخاطبه بما لا يخاطب به العوام فضلاً عن الحكماء، فلما تأمل أبو الفرج الأجوبة والأسئلة. قال: من يحلّ الناس يحلّوه ناب عني أبو ريحان.

وكان أبو الفرج الذي يقول: أنا من أولاد قولوس، وكان قولوس ابن أخت جالينوس، ولما بعث الله تعالى المسيح كان جالينوس شيخاً عاجزاً، فبعث إلى عيسى عليه السلام ابن أخته قولوس، واعتذر إليه، وقال: أنا محبوس بالهرم. وكتب إلى المسيح كتاباً، وكان المسيح عليه السلام يقرأ ويكتب، ومضمون الكتاب: يا طيب النفوس ونبي الله، ربما عجز المريض عن خدمة⁽²⁾ الطبيب بسبب عوارض جسمانية، وقد بعثت إليك بعضي قولوس ليعالج نفسه بالأداب النبوية والسلام. فلما وصل قولوس إلى المسيح عليه السلام أكرمه، وصار من الحواريين، وكتب المسيح عليه السلام إليه: يا مَنْ أنصف من علمه، الصحيح لا يحتاج إلى الطبيب إلا في حفظ صحته، والمسافة لا تحجب النفوس والسلام. وأدعت النصراني أن قولوس صار بعد شمعون الصفا نبياً.

58 - أبو القاسم الكرمانى⁽³⁾

كان حكيماً عالماً جرى بينه وبين أبي علي مناظرات أدّت إلى مشاجرة

(1) أ: ح. ن. : وقد بعث أبو ريحان...

(2) أ: خلعت.

(3) الیهقي، ص: 48.

لزمها سوء الأدب، ونسب أبو علي إلى قلة العناية بصناعة المنطق، ونسب
الكرماني أبا علي إلى المغالطة، وكتب هذه المناظرة أبو علي إلى الوزير
الأمين أبي سعيد الهمداني الذي صنف لأجله الأضحوية، ومن كلامه:
الطبيب بخادم البدن صح المريض أو هلك.

وقال يوماً لأبي علي: لا تقرّر ما عندك بتهجين ما عند غيرك، فإن الحق
لأبلج والإنصاف لم ينعدم.

59 - أبو حامد أحمد بن إسحق الاسفرازي⁽¹⁾

الحكيم المتقي، والفيلسوف المبرّز، له تصانيف في الرياضيات
والمعقولات وكلامه في تصانيفه مبعج الإعتناء له، ولا يشينه ضعف، ومن
كلامه: العلم بالله يكون باللفظ اليسير، فأما اللفظ الكثير فدلّيل على عدم
العلم به.

وقال: المظلوم الذي لا يظلم مُستجاب الدعوة.

وقال: لا تبالح في إفراط البشاشة والهشاشة فإن ذلك من السخف كما أن
قلّة الكلام من الكبر.

60 - أبو الوفا البوزجاني⁽²⁾

بلغ المحلّ الأعلى في الرياضيات والحساب وكان حميداً الاثر نقياً
الحسب قانعاً بما عنده.

(1) البيهقي، ص: 83.

(2) الفهرست، ص: 341، البيهقي، ص: 84.

61 - بطليموس الثاني أبو علي بن هيثم⁽¹⁾

كان عالماً بالرياضيات والمعقولات وتصانيفه أكثر من أن تُحصى، وله في الأخلاق رسالة لطيفة ما سبقه لها أحد، وصنّف كتاباً بين فيه الحيلة في أجزاء نيل مصر عند نقصانه في المزارع، وحمل الكتاب وقصد القاهرة مصر، ونزل في خانٍ فلما ألقى عصاه قيل له: إن صاحب مصر الملقب بالحاكم على الباب يطلبك، فخرج ومعه كتابه. وكان أبو علي قصير القامة، وكان على باب الخان دكانٌ فصعد أبو علي على الدكان، ودفع الكتاب إلى الخليفة، وصاحب مصر راكبٌ حماراً مصرياً مع آلاتٍ مفضضة فلما نظر صاحب مصر في الكتاب، قال له: أخطأت، فإن مؤنة هذه الحيلة أكثر من منافع الزرع، فأمر بهدم الدكان ومضى، فخاف أبو علي على نفسه وهرب حين جَنّ الليل. وأقام بالشام عند أميرٍ من أمراء الشام، فأدّر عليه ذلك الأمير، وأجرى عليه أموالاً كثيرة، فقال أبو علي: يكفيني قوتٌ يومٍ بيومٍ، ويكفيني جارية وخادمٌ، فما زاد على قوت يومٍ إن أمسكته كنت خازنك، وإن أبعته⁽²⁾ وكنت وكيلك، فإذا اشتغلتُ بهذين الأمرين فمَنْ الذي يشتغلُ بأمرٍي وعلمي، فما قبل بعد ذلك إلا قوت يومٍ ولباساً متوسطاً. وقيل: إن الحاكم كان له ميلٌ إلى الحكمة فسمع بفضيلة أبي علي، وكان يسكن الشام، وكان يشاقق إليه، وبلغه أيضاً أنه قال: لو كنتُ مصر⁽³⁾ لعملتُ في النيل عملاً يتفجع به إذا نقص فاشتدَّ اشتياقه إليه.

وانفذ له سرّاً شيئاً من البر، وسأله المصير إليه فسار، ولما قُرب من القاهرة خرج الحاكم إلى لقائه وأكرمه وأنزله وبرّه ثم طلب منه ما كان يقوله في معنى النيل، فخرج ومعه جماعة من معاونين، يدور ديار مصر حول النيل، فرأى

(1) البيهقي، ص: 85، القفطي، ص: 165، أصبغة، ص: 55.

(2) ب: أنفقته.

(3) ب: بمصر.

آثار الأوائل من العمارات الهائلة والهندسة المنيفة، ورأى الموضع الذي في الصعيد العالي في النيل، وتحقق أن الذي تصوّره كان فاسداً لا يمكنه خروجه إلى الفعل، وأنه ليس أقدر على ذلك من الأوائل ولو كان ممكناً لفعلوه، فخجل من ذلك واعتذر إلى الحاكم في ذلك، فعذره وولاه بعض الدواوين، ثم تحقق كون الحاكم سفاكاً للدماء بأضعف الأسباب، وخاف منه وأظهر الجنون فقيده في داره، وأدخل ماله تحت الحجر فلم يزل كذلك حتى مات الحاكم، فأظهر العقل والتعفف وانعزل قريباً من الجامع إلى أن توفي.

وقد قصده من أمراء سمنان أمير يقال له سرخاب⁽¹⁾ متعلماً فقال له: أريدك منك كل شهر مائة دينار أجرة، فبذل له ذلك، وأقام عنده ثلاث سنين، فلما عزم الأمير على الإنصراف قال له أبو علي: خذ أموالك بأسرها فلا حاجة لي إليها، وأنت أخرج إليها مني عند هودك إلى مقر ملكك، وإني قد جربتُك بهذه الأجرة، فلما علمت أنه لا خطر ولا موقع للمال عندك في طلب العلم، بذلت مجهودي في تعليمي وإرشادي، واعلم أنه لا أجرة ولا رشوة ولا هدية في إقامة الخير، ثم ودّعه وانصرف، وكان أبو علي متعبداً ورعاً زاهداً معظماً لأوامر الشريعة.

وقال: في بعض رسائله: تخيلنا أوضاعاً ملائمة للحركات السماوية، ولو تخيلنا أوضاعاً أخرى ملائمة أيضاً لتلك الحركات لما كان منعه مانع لأنه لم يقدّر البرهان على أنه لا يمكن سوى تلك الأوضاع آخر مناسبة لهذه الحركات، وطول الكلام وهي آخر تصانيفه.

وعرض له إسهال دموي، وكان كلما تناول شيئاً من القابضات، قاء، فيش من نفسه، ثم قال: ضاعت الهندسة وبطلت المعالجة وعلم الطب، ولم يبق إلا تسليم النفس إلى خالقها وبارئها. ثم توجه إلى القبلة بعد ما قاسى الإسهال أسبوعاً.

(1) ب: سرحان.

وقال: إلبك المرجع والمصير، ربّ عليك توكلت وإليك أنيب ومات رحمه الله تعالى. ومن كلامه: الإنسان مجبور على أن يتباعد ممّن دنا منه، ويدنو ممّن تباعد عنه. موعظة الحكماء وإن قلت منفعة عظيمة، واعلم أن ابن الهيثم والكندي والرازي لهم المصنّفات الكثيرة⁽¹⁾، ولابن الهيثم رسالة لطيفة بيّن فيها أن جميع الأمور الدنيوية والاخرية هي نتائج العلوم الفلسفية.

62 - أبو سهل الكوهي⁽²⁾

كان في ابتداء أمره يلعب في الأسواق بالقوارير، فأذركته عناية أزلية فبرز في علم الحيل والانتقال والأكسر المتحركة، وصار مشاراً إليه، وتعلّم الأدب على كبر سنّه، وصنّف الكتب واختلف إليه للاستفادة، وكان جميل الهيئة. ومن كلامه: إن اعتذر إليك معتذراً فقابله بوجهٍ طلقٍ إلا أن تكون قطيعة غنم.

63 - ابن الأعلمي⁽³⁾

هو بغداديّ المنشأ والمولد وكان شريفاً من أولاد جعفر الطيار، وبه شرف، فصنّف الزيج المنسوب إليه واتفق المهندسون على أن زيجه أصح وأقرب إلى التحقيق، ولكنه ألقى زيجه بالماء فلم يوجد منه إلا نسخة سقيمة، وكان عالماً بالهندسة وأجزائها وعارفاً بالقانون الفياغوري من الموسيقى، ومما نُقِلَ عنه وإن كانت أخلاقه أخلاق المجانين قوله: كُنْ إما مع الملوك مكرماً وإما مع الزهاد متعبداً. وهذا كلام رصين حوله من الحكمة حصن حصين لكنه رمية من غير رام.

(1) ب: متفة.

(2) الفهرست، ص: 341، البيهقي، ص: 88، القفطي، ص: 351.

(3) البيهقي، ص: 90، القفطي، ص: 235.

64 - أبو الفرج بن الحسين بن هندو⁽¹⁾⁽²⁾

وكان أديباً فاضلاً حكيماً من تلامذة أبي الخير بن سوار، وله مصنفات كثيرة. وذكر في كتاب المفتاح أنَّ متكلماً في جوارنا صنف⁽³⁾ كتاباً في إبطال علم الطب، وحثَّ تلامذته على درسه، فعرض له صداع، فبعث بقسرية إلى أبي الخير، فقال أبو الخير لرسوله: قُلْ له: ضع تصنيفك بقسرية في إبطال علم الطب تحت وسادتك، فإنه لا حاجة لك إلى الطبيب والطب فما عالجه أحدٌ من الأطباء حتى اعترف بطلان كلامه ومزق تصنيفه وتاب، ثم عالجنه وشفاه الله تعالى.

وقال أبو الفرج: قلت له يوماً:

قال ﷺ: العلمُ علمان علم الأبدان وعلم الأديان، فقدم علم الأبدان لأن العبادات إنما تصدر عن صحة جسمه وثبات عقله.

قال الله تعالى: ﴿ولا على المريض حرج﴾. وقال: وإن كنتم مرضى. وقال: فمن كان منكم مريضاً. ومعالجات النبي (ﷺ)، معروفة. وجمعه واحدٌ من الأطباء وصنف منه كتاباً فاستغفر المتكلم.

وقال: كان واحد من المتكلمين في جوارنا عرض له خناق، فعدته، فقال لي: ما تنفعني من طريقي الطب؟ فقلت: ماء الشعير الفاتر مع ماء الرمانين، وزيت التوت وخلُّ الجوز وماء الهندباء مع فلوس الخيار شنبّر وفصد القيصال وغير ذلك، فقال: ما يضُرني؟ قلتُ: ما فيه حرارة. قال: كيف يكون العسل المصفى والعصيدة التمرية؟ فقلتُ نعوذُ بالله، فيه هلاكك. فقال لتلامذته: إني أخالف رأي الأطباء عقيدةً ومذهباً، ولا غفر لي إن خالفتُ عقيدتي وأطعتُ

(1) أ: ح. ن. : هندي.

(2) البيهقي، ص: 93: الحكيم الأديب أبو الفرج علي بن الحسين بن هند، أصيبه، ص:

429.

(3) البيهقي، ص: 93: وصف...

طبيعاً. ففُتت من عنده فتناول ذلك فمات قبل غروب الشمس. وكتاب
المفتاح نافع جداً، وكان من كبار السادة بالرِّي. ومن كلامه: كن قوياً عند
الجُدْ ضعيفاً عند الهزل، وإنما المرء حيث يجعل نفسه. وله أشعارٌ حسنة.

وقال في الحث على الحركة والسَّعي:

خليلي ليس الراي ماتريبان فشانكُمَا اني ذهبتُ لشانِي
خليلي لولا أن في السَّعي رفعة لما كان يوماً يدأبُ العمراني

وفي النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة:

ما للمعيل والمعالي إنما يسمو إليهنَّ الوحيدُ الفاردُ
فالشمس بحساب السماء فريدة وأبو بناتِ النعش فيها راكدُ
قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم وخادع النفس إن النفس تنخدع
قد ضيع قلبي على مقدار جهم فما الحب لسواهم فيه مُتسع

وفي عز الكمال:

فإذا رأيت الفضل قسارنه الغنى فاعلم بأن هناك نصاً خافياً
فأنه أكمل قدره من أن يرى لكماله ممَّن تراه ثانياً

65 - أبو سهل المسيحي⁽¹⁾

كان حكيماً استولى عليه الطب وتصانيفه في الطب كثيرة مفيدة. وقد ارتبطه
خوارزم شاه مأمون بن محمد، ومولد أبي سهل بجرجان ونشأ وتعلَّم ببغداد
وصُنِّف لخزانة خوارزم كتاباً لطيفاً في التعبير. وكان نصراني الملة لا يحضر بيع
النصارى ويتعبَّد في منزله. وكان يقول: كيف أعدل عن حكم المسيح والنار

(1) اليهقي، ص: 95؛ أصيعة: 436.

نازلة في كنيسة القيامة^(١) ٩٠. وقصة تلك النار أن الليلة التي رفع فيها المسيح إلى السماء ليلة النصف من نيسان، وفي هذه الليلة في كل سنة ينزل نارٌ من الأثير بحيث يراها الناس وتُشعلُ قناديل القيامة من غير أن تكون كوة ولا فُرجة في سقف ذلك البيت بل تغوص النار في سقف البيت من غير أن تحرق الخشب ثم تُوقد السرج والمشاعل فإذا طلع الفجر انطفأت وقد صنّف يحيى بن عُدي كتاباً بين الأمر الطبيعي في ذلك.

66 - أبو زكريا يحيى بن عدي^(٢)

كان حكيماً كاملاً من أفضل تلامذة أبي نصر وله تصانيف كثيرة وشرح كتب أرسطو ولخص مصنفات أبي نصر.

قال: ينبغي أن يصفو اللفظ الذي يجرد نحو الأشياء الأولى التي هي كثيرة بالأسماء والتعريف عند الاستعمال. فواحدة بالحقائق والدُّوات فإن هذا النظر إذا صفا وتم كفى مؤنة عظيمة وكان أمراً عزيزاً.

[وكان كثير الاشتغال والتحقيق والتصنيف والبحث والإشتغال لا يسريح ليلاً ولا نهاراً، وكان يسكن بغداد ومات بها]^(٣).

67 - بهمن يار بن المرزباني^(٤)

تلميذ أبي علي، كان مجوسي الملة غير ماهر في كلام العرب وكان من بلاد أذربيجان. والمباحث التي لأبي علي أكثرها مسائل بهمن يار، وكان يبحث عن غوامض المشكلات ومن كلامه: العقل أنيس في الغربة.

(1) البيهقي، ص: 97، الفياضة (وليس القلمعة)، وكذا في النسخة ب: القيامة.

(2) الفهرست، ص: 322، البيهقي، ص: 97، الفطحي، ص: 361، أصيبعة: 317.

(3) [غير موجود في النسخة ب].

(4) البيهقي، ص: 102.

قال: اللذات العقلية شقاء لا يعقبها داء وصحة لا يلزمها سقم؛ من تعلم العلوم العقلية ولم يتخلف بأخلاق أربابها كان جاهلاً بحقائق العلوم. كل حكيم طلب زيادة على حاجته من المال فليس له علم الحكمة، وليس له ذوقها، واعلم أنه لا بد من المقدور. ومات بعد موت أبي علي بثلاثين سنة.

68 - أبو منصور الحسين بن طاهر بن زيلة⁽¹⁾

أصفهاني الأصل والمولد من خواص تلامذة أبي علي ومن بطانته، وقيل كان مجوسي الملة، ولم يتحقق ذلك، وكان عالماً بالرياضيات، ماهراً في صناعة الموسيقى، وله اختصار الطبيعيات الشفا، وشرح رسالة حي بن يقظان وكان قصير العمر، مات في سنة أربعين وأربعمائة، بعد موت أبي علي باثنتين وعشرين سنة، ومن كلامه: لا تفكر في الأمور المستقبلية فإنك لا تدري ما يأتيك منها وما لا يأتيك.

69 - أبو عبيد عبد الواحد الجوزجاني⁽²⁾

الفقيه كان من خواص أبي علي وندمائه وخدمه وهو الذي أعان أبا علي على جمع كتاب الشفا، وفسر مشكلات القانون، وشرح رساله حي بن يقظان، ولم يوجد في تلامذة أبي علي أقل بضاعة منه، وقيل كان في مجلس أبي علي شبه مريد لا شبه تلميذ مستفيد، ومن كلامه: معرفة الإنسان وتلك عجزه عن كمال معرفة الله تعالى غاية علم الإنسان وتلك معرفة برهانية.

70 - أبو عبد الله المعصومي⁽³⁾

كان أفضل تلامذة أبي علي وصنف له رسالة في العشق، ولما اعترض أبو

(1) البيهقي، ص: 99.

(2) البيهقي، ص: 100.

(3) البيهقي، ص: 102.

ريحان على أسئلة أبي علي وأسائه الأدب، امتنع أبو علي عن مناظرته،
فلجأ المعصومي عن اعتراضات أبي ريحان.

وقال: لو اخترت يا أبا ريحان لمخاطبة الحكيم الفاظاً غير تلك الألفاظ
كان أَلَيَقَ بالعقل والعلم. وصنّف المعصومي كتاباً في النارنجات^(2X1) وأعداد
العقول والأفلاك وترتيب المبدعات، وكان أبو علي يقول: هو في منزلة أرسطو
من أفلاطون. وقتله محمود بن سبكتكين فيمن قتل من الحكماء لجهله. ومن
أشعاره قوله:

حديث ذوي الالباب أهوى واشتهي كما يشتهي الماء المبرد شاربه
وأفرح أن القاهم في يديهم كما يفرح الماء الذي آب غائبه

71 - أبو الحسن الأنباري⁽³⁾⁽⁴⁾

كان حكيماً والغالب عليه الهندسة وكان عمر الخيامي يستفيد منه وهو يقرر
له المجسطي فقال بعضُ الفقهاء يوماً للأنباري: ما تدرس؟ فقال: أفسرُ آيةً
من كتاب الله تعالى، فقال الفقيه: وما تلك الآية؟ فقال الأنباري قوله تعالى:
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا⁽⁵⁾ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾؛ فأنارَ كيفية بنائها.

72 - اسماعيل الهروي⁽⁶⁾

كان حكيماً أديباً فاضلاً له أشعار وتصانيف في الحكمة وكان يدرس كتب

(1) أ. ح. ن.: في المفارقات وكذا في النسخة ب المفارقات.

(2) أ. ح. ن.: وكانت في الخزانة النظمية في نيسابور منها نسخة فأخذها جمال الملك من
نظام الملك ولا تدري أطلت بها المقاء أم أدركها الفناء وكان هذا الكتاب مشرقاً كافة
الحكماء.

(3) أ. ح. ن.: الأنباري.

(4) البيهقي، ص: 103.

(5) «كذاه في «أه» والصواب: «أفلم ينظروا...».

(6) البيهقي، ص: 104.

أبي نصرٍ ولا يخوضُ في تصانيف أبي علي وله تلامذة حكماء فضلاء يأتي ذكرهم إن شاء الله تعالى . وتشاجر يوماً مع خطيب هراة فقال له : أنا أدعو عليك بين الخطبتين ، فقال له تيقنت أن لا إستجابة لدعوتك لأنك تقول كلُّ جمعةٍ أصلح الله الأمير والله ما أصلحهُ .

73 - ميمون بن النجيب الواسطي⁽¹⁾

كان طبيباً فاضلاً حكيماً وسمعت أنه كان يحفظ المنطق والطبيعات والآليات من الشفا وقلما⁽²⁾ يخالطُ أرباب الجاه والمال وكان عامل هراة ظهيرُ الملك علي البيهقي يشتاقُ إليه وكان يتعزز عليه فإذا مرض الظهيرُ أو أخذ من أولاده أنزل الأتراك في داره حتى أزعجوه وصيروه مضطراً إلى رفع الحال مع العامل فعند ذلك يرتبطه ظهيرُ الملك حتى يُعالج مريضه ويجالسهُ مدةً وقيل كان واسطي الأصل حوزي المولد مقيماً بهراة .

74 - أبو الفتح كوشك⁽³⁾

كان حكيماً صاحب خاطرٍ قويٍ وكانت كُتبه في خزانة السلطان سنجر ، وكان مشغولاً بكتبه بسبب حسن الاعتقاد فيه ، وكان عارفاً بأجزاء⁽⁴⁾ .

ويحكى أنه كان بناحية بيهق علوي متكلم ، وكان أصله من نيسابور ، وكان يحفظُ ظواهر علم الكلام فحسب ، فدخل يوماً على الحكيم أبي الفتح والحكيم تخيل أنه من حذاق بيهق وفضلاتها فاستنطقه أبو الفتح فقرأ بطريق المطالعة فصلاً من ظواهر الكلام ، وأعاده ثلاث مراتٍ كما يكرّر المسائل في المدارس ، فعلم الحكيم قلةً بضاعته ومرتبته . فقال له : يا سيّد بم عرفت أنك

(1) البيهقي ، ص : 105 .

(2) أ : ح . ن . : كان .

(3) البيهقي ، ص : 106 .

(4) أ : ح . ن . : علوم الحكمة .

إنسان؟ فقال لم أقرأ هذا في كتابي فضحك الحاضرون وخرج السيد، وقال: هذا الحكيم يسألني عن غوامض المخروطات ويقول بم عرفت أنك إنسان وأنا متكلم لا علم لي بالمخروطات فقال له بعض الناس: ولا بالمبسوطات يا سيد.

75 - سهل النيلي النيسابوري⁽¹⁾

كان حكيماً فاضلاً، الغالب عليه علم الطب، وعلم وشرح مسائل حنين في مجلدات، عارفاً بأجزاء علوم المعقولات ومن شعره:

يأمن تكلف إخفاء الهوى جلدأ إن التكلف يأتي دونه الكلف
وللمجب لسان في ضمائره بما يجن من الأهواء يعترف

76 - أبو القاسم الحسن بن الفضل الراغب⁽²⁾⁽³⁾

كان من حكماء الإسلام وهو الذي جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه وله تصانيف كثيرة منها غرة التنزيل ودرة التأويل، وكان حظه من المعقولات أكثره.

77 - أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق⁽⁴⁾

نال في الحكمة وأجزائها مرتبة عظيمة، خصوصاً في الطب، وكان حسن السمائل، نيسابوري الأصل والميلاد، وهو الملقب بسقراط الثاني، وقيل:

(1) أ: ح. ن. : أبو سهل.

(2) أ: ح. ن. : أبو حسن.

(3) البيهقي، ص: 112. أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب، أصيعة، ص: 380.

(4) البيهقي، ص: 114. الحكيم أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي صادق المتطيب، أصيعة، ص: 461.

انتقل في آخر عمره إلى بعض متزهات نيسابور بقرية، ولزم مكانه، واختار الإنزواء، مدخل بعض الناس عليه، وبين يديه أطباق من الفواكه، فقال له: أنه لا فرق عندي بين هذه الأطباق والفواكه، فإن الفواكه تضرني، ففنت منها بالرائحة، وبطيب الهواء، فلا أشتهي تناول هذه الفواكه، وأرحت نفسي منها ودفع مضارها فإن المضرة ربما تنتهي إلى حد لا يدفع.

وكان حسن المعيشة فأصاب عميد خراسان محمد بن منصور قولنج أعيا دواؤه كل طبيب، فبعث إليه مركوبه وغلمانه وكلفه المصير إليه، والشمس في أول درجة من السرطان، وبين القرية وبين نيسابور اثنا عشر فرسخاً، فأذاه الحر وسرعة الحركة وجماع ذلك المركب والعطش، فقال لمن معه من تلامذته: نجا عميد خراسان، وهلك أنا، وكان كما قال. ثم عالج به فصنع ومرض أبو القاسم وسقطت قوته وقد نيف على الثمانين وقضى نحبه. وقيل إن السلطان بعث إليه خواصه ودعاه إلى خدمته. فقال: القنوع بما عنده لا يصلح لخدمة السلطان، من أكره على الخدمة لا ينفع بخدمته كالبازي الذي يكره على الصيد.

وبعث إليه سلطان غزنة إبراهيم مالاً عظيماً مع المحفة والمراكب، ودعاه إلى حضرته بالطائف. فقال: السلطان يطلبني لعلمي، فأنفق عليّ ماله لأنفق عليه علمي، وهذا بيع وشراء، والعلم لا يشتري ولا يباع، وما لي حاجة إلى قبول تلك الأموال، وإفاضة علمي على أهل بلدي أولى، فأننا أدعوا للسلطان بالخير وأريح نفسي من رق المنة. ومن كلامه: الطبيب الحقيقي من عالج بالفضائل نفسه ورأى مضرته في الرذائل ثم يهبط بعد ذلك إلى معالجة الأجسام، فمن لا يهبط من معالجة النفس إلى معالجة الجسد فهو أسفل السافلين. وقيل: إنه أدرك أبا علي بن سينا واستفاد منه.

78 - الأستاذ المختص أبو الحسن علي النسوي⁽¹⁾⁽²⁾

كان من حكماء الرِّي. عُمُرُ أكثر من مائة سنة وقواه سليمة إلا أن الضعف منعه عن المشي في الأسواق فلزم بيته، وقيل كان من تلامذة كوشيا وأبي معشر وفيه نظر إلا أنه كان من المعمرين؛ ومن كلامه: بالهمة العلية الصادقة ينال المرء مطلوبة لا بالكد، وكان يقول لتلامذته: كونوا أصحاب الصنائع ولا تكونوا ذواقين فإن الذواق لا يشبع.

79 - عضد الدنيا والدين ملك يزد⁽³⁾

كان ملكاً عالماً عادلاً⁽⁴⁾، وله كتاب سماه مهجة التوحيد، وكان يذُبُّ عن رأي أبي البركات، ويُقرِّرُ قوله في مسألة العالمية.

وكان متخلفاً بأخلاق الحكماء، وقال يوماً للخيامي⁽⁵⁾: ماتقول في اعتراضات أبي البركات على أبي علي؟ فقال الخيامي: إنه لم يفهم كلام أبي علي، وليست له رتبة الإدراك لكلامه، فكيف تكون له رتبة الإعتراض. فقال له الملك علاء الدولة: من المستحيل أن يكون حدس أقوى من حدس أبي علي، أم من الممكن. فقال: الخيامي ليس من المستحيل. فقال له الملك: ساواك عند غيرك، أنت تقول: ليست له رتبة الإدراك والإعتراض، وغلامي الدواتي يقول: له رتبة الإدراك والإعتراض والزيادة، فتكلّم بما يريد به كلامك على مملوك ولا تمل إلى سفاهة غلامي أقدر عليها منك، فتشوش الخيامي، فقال له الملك الحكيم: يُهَجَّنُ كلام غيره بالبرهان والجدل لا

(1) البيهقي، ص: 116، الأستاذ الحكيم المحقق أبو الحسن علي النسوي.

(2) أ. ح. ن.: وله الريح الفاتر، وكان حكماً مهنماً ذا أخلاق رضية.

(3) البيهقي، ص: 117. عضد الدنيا والدين علاء الدولة.

(4) البيهقي، ص: 117 رأيت به خراسان سنة 516 هـ.

(5) البيهقي، ص: 117، للإمام عمر الخيام.

بالسعة وبالوقية والبُهتان، فاطلب أعلى الدرجتين، ولا تقنع بأخس الرذيلتين. فقام الخيامي مُلجماً بالسكوت. ومن كلامه في مهجة التوحيد لا يكمل في صناعته التي تليقُ به فليس له أن يطلب صناعةً أخرى. فمن رضي بالناقص والنقصان صار محجوباً عن نيل الكمال في جميع الأحوال.

80 أحمد بن الطيّب السرخسي (1)(2)

أبو العباس مُمَنّ سما إلى الكندي، وعليه قرأ، وكان ماهراً في علوم كثيرة من علوم الفقهاء والعرب، جنيّ المقال، جيد القريحة، بليغ اللسان، مليح التصنيف، فاضلاً في النحو والشعر، وكان حسن العشرة مليح النادرة، خليعاً ظريفاً، وسمع الحديث فمن سماعه المعتمد قوله ﷺ إذا اكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء فعليهم الديات. وقوله ﷺ. أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة من يسب نبيّاً أو أصحابه أو أئمة المسلمين.

وتولى الحسبة ببغداد أيام المعتضد ثم ناداه وخُصّ، وكان يفضي إليه بأسراره ويستشير به في أمور مملكته. وكان الغالب على أحمد علمه لا اعتقاده.

وسبب قتله أنه أفضى إليه سرّاً في أمر القاسم بن عبد الله فبذّر غلام المعتضد، فأفشأه بحيلة من القاسم عليه فسلمه المعتضد لفح أبداً. وقال أحمد بن عيسى: أفلت جماعة من المظالمير من الخوارج وغيرهم، وأقام أحمد في الحبس رجاء السلامة، فكان قعوده سبباً لميئته، فأمر المعتضد القيّم بأبيات من يحب قتله ليستريح من تعلق القلب بهم، فأسهم ووقع المعتضد لقتلهم فقتل، وسأل عنه المعتضد فأخبر بقتله فلم يغضب.

(1) الفهرست، ص: 166، البيهقي، ص: 17، الفطفي، ص: 77.

(2) غير موجود بالنسخة (ب).

81 - عُمر الخيامي⁽¹⁾

نيسابوريّ الآباء والميلاد، وكان تلو أبي علي في أجزاء علوم الحكمة إلا أنه كان سَيِّءَ الْخُلُقِ ضيقَ المعطن. وقد تأمَّلَ كِتَاباً بِأَصْفَهَانِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فحفظه وعاد إلى نيسابور فأملأه فقولاً بِنَسَخَةِ الْأَصْلِ فلم يوجد بينهما كثيرٌ تفاوتٍ وله ضِيئةٌ بالتصنيف والتعليم، وله مختصرٌ في الطبيعيات ورسالةٌ في الوجود ورسالةٌ في الكون والتكليف، وكان عالماً باللغة والفقه والتواريخ، ودخل الخيام على الوزير عبد الرزاق، فكان عنده إمام القراء أبو الحسن الغزالي، وكانا يتكلمان في اختلاف القراء في آية، فقال الوزير: على الخبير سقطنا، فسأل عنها الخيامي، فذكر اختلاف القراء، وعلل كُلَّ واحدٍ منها، وذكر الشواذ وعللها، وفضل وجهاً واحداً. فقال الغزالي: كثر الله في العلماء مثلك، فإني ما ظننتُ أن أحداً يحفظ ذلك من القراء فضلاً عن واحدٍ من الحكماء، وأما أجزاء الحكمة من الرياضيات والمعقولات فكان ابن بجدتها ودخل حُجَّةَ الإسلام الغزالي عليه يوماً، فسأله عن تعيين جزءٍ من أجزاء الفلك للنقطة دون غيرها مع كونه متناسب الأجزاء، فطوَّلَ الخيامي الكلامَ وابتدأ من أن الحركة من مقولةٍ كذا وضنَّ بالخوض في محل النزاع، وكان من دأبه ذلك الشح المطاع حتى أذن الظهر، فقال الغزالي: جاء الحق وزهق الباطل وقام.

ودخل على السلطان سنجر وهو صبيّ وقد أصابه جدريّ، فلما خرج سأله الوزير، كيف رأيته وبأي شيءٍ عالجتُه؟ فقال: عمر الصبيّ مخوفٌ، فرفع خادمٌ حبشيّ ذلك إلى السلطان فلما برا السلطان بغضه وكان لا يحبُّه. وكان ملك شاه ينزله منزلة الندماء والخاقان شمس الملوك بنجاراً يُعْظِمُهُ غاية التعظيم، ويُجلِّسه معه على سريرِهِ، وحكي أنه كان يتحلَّلُ بخلالٍ من ذهبٍ، وكان يتأمَّلُ الإلهيات من الشفا فلما وصل إلى فصل الواحد والكثير

(1) البيهقي، ص: 119 الدستور الفيلسوف حجة الحق عمر بن ابراهيم الخيام، القفطي، ص: 243 عمر الخيام.

وضع الخلال بين الورقتين وقام وصلى واوصى ولم يأكل ولم يشرب فلما
صلى العشاء الآخرة سجد وكان يقول في سجوده: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تعلم أَنِي
عرفتك على مبلغ إمكاني فاغفر لي فَإِنَّ معرفتي إياك وسيلتي إليك ومات
رحمه الله تعالى . وله أشعارٌ حسنةٌ بالعربية والفارسية منها :

تَدِينُ لِي الدُّنْيَا بِلِ السَّبْعَةِ الْعُلَى	بِلِ الْفَلَكَ الْأَعْلَى إِذَا جَاشَ خَاطِرِي
أَصُومُ عَنِ الْفَحْشَاءِ جَهْرًا وَخَفِيَةً	عَفَافًا وَأَفْطَارِي بِتَقْدِيسِ فَاطِرِي
وَكَمْ غَضَبِي صَلَّتْ عَنِ الْحَقِّ فَاهْتَدَتْ	لِطَّرْقِ الْهُدَى عَنْ فَيْضِ الْمَتَاطِرِ
لَأَنْ صِرَاطِي الْمُسْتَقِيمَ بِصَائِرِ	نُصَبِّنَ عَلَى وَادِي الْعَمَى كَالْفَنَاطِرِ

وقال أيضاً :

إِذَا قَبِعْتُ نَفْسِي بِمِيسُورِ بُلْغَةٍ	يَحْصُلُهَا بِالْكَدِّ كَفًى وَسَاعِدِي
أَمِنْتُ تَصَارِيفَ الْحَوَادِثِ كُلِّهَا	فَكُنْ يَا زَمَانِي مُوْعِدِي أَوْ مَوَاعِدِي
وَمَقِينِي اتَّخَذْتُ الشُّعْرَ بَيْنَ مَنَازِلِي	وَقُوفِ مَنَاطِ الْفَرْقَدَيْنِ مَصَاعِدِي
أَلَيْسَ قَضَى الرَّحْمَنِ فِي حُكْمِهِ بَأَنْ	يُعِيدَ إِلَى نَحْسِ جَمِيعِ الْمَسَاعِدِ
إِذَا كَانَ مَحْصُولُ الْحَيَاةِ مَيْنَةً	فَسَيَانَ خَالًا كُلِّ سَاعٍ وَقَاعِدِ

وقال :

رَحَّبْتُ ذَهْرًا طَوِيلًا فِي التَّمَاسِ أَخٍ	يَرْعَى وَدَادِي إِذَا ذُو خُلَّةٍ خَانَا
فَكَمْ الْفَتْ وَكَمْ أَخِيْتُ غَيْرَ أَخٍ	وَكَمْ تَبَدَّلْتُ بِالْإِخْوَانِ إِخْوَانَا
وَقُلْتُ لِلنَّفْسِ لَمَّا عَزَّ مَطْلِبُهَا	بِاللَّهِ لَا تَأْلَفِي مَا عَشْتُ إِنْسَانَا

وقال :

أَظَلَّتْ رِيَّاحُ الطَّارِقَاتِ رَوَاجِدَا	أَمِ انْطَبَقَتْ مِنْهَا الْجُفُونُ رَوَاقِدَا
تَحَلَّلَتْ الْأَفْلَاكُ أَم رَأَتْ ذُورَهَا	فَصَبْرُنْ حَيَارَى قَدْ ضَلَلْنَ الْمَرَاثِدَا
كَأَنَّ النُّجُومَ السَّائِرَاتِ تَوَقَّفَتْ	عَنِ السَّيْرِ حَتَّى مَا بَلَغْنَ الْمَقَاصِدَا
فَفِي قَلْبٍ بَهْرَامٍ وَجِيبٌ وَرُوعَةٌ	وَكَيَّوَانُ أَغْشَى لَيْسَ يَرْعَى الْمَرَاصِدَا
لِذَاكَ تَمَادَتْ دَوْلَةُ اللَّؤْمِ وَانْبَرَتْ	بَنُو التُّرْكِ يَبْغُونَ السَّمَاءَ مَصَاعِدَا

وله :

ولو أعطاني الذمُّرُ اختياري بِحَسْبِ السُّرِّ مِنِّي وَالطُّوبَى
لَسِرْتُ عَلَى جَفَوْنِي كَيْ أَرْجِي لَدَى مَغْنَاكَ مِنْ عُمْرِي الْبَقِيَّةُ

وَإِذَا عُدَّ حُكْمَاءُ خِرَاسَانَ، فَالْخِيَامُ أَزْخَرَهُمْ بَحْرًا وَارْفَعَهُمْ قَدْرًا وَاطْوَلَهُمْ
فِي الرِّيَاضِيَّاتِ بَاعًا وَأَقْدَمَهُمْ فِي الْحَسَابِيَّاتِ أَنْفَاسًا.

وسئل في الحمام عن مَعْنَى الْمُعَوِّذَتَيْنِ وتكرار بعض الفاظها فسرده نحو
مُجَلِّدٍ فِي هَلَمٍ لَمْ يَبْعَثْ فِيهِ نَفْسُهُ فَمَا ظَنُّكَ بِالْحِكْمَةِ الَّتِي أَفْتَى فِيهَا
عُمُرُهُ...

82 - أبو المعالي عبد الله بن محمد الميانجي (1)

المعروف بعين القضاء، كان مِنْ تلامذة الخيامي، وتلامذة أحمد الغزالي
وخلطَ كلامَ السُّوقِيَّةِ بكلامِ الحكماءِ فَصْلِبَ بسببِ عداوةٍ كانتَ بينَهُ وبين
الوزير أبي القاسم الاسترابادي. [سببُ قتلِ عينِ القضاء أَنَّهُ كانَ يُسَمِّي اللهَ
تعالى بِأَسامي اصطَلَحَتْ عَلَيْهَا الفلاسِفَةُ مثلَ واجبِ الوجودِ وغيرِهِ، فَانكَرَ
عليه بِدِيعِ الْمُتَكَلِّمِ الهمداني، وقال: إِنَّ أَسامي اللهِ تعالى توقيفِيَّةٌ، فَصَنَّفَ
عَيْنُ الْقُضَاءِ رسالةً وَذَكَرَ فِيهَا أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتعالى مَعشوقُهُ أَسْمِيهِ أَيُّ اسْمٍ
أُرِيدُهُ] (2).

وقال: سرونتهى وماء نمامت خوانم يا أهو اقتلادة بدامت.

خوانم زين هرسة مكوي له كذا مت خوانم كزرشك فخواهم كي بنامت
خوانم. فلما وصلتِ الرِّسالةُ إلى البديع أغرى العوامَ حتَّى قتلوه رَحْمَةً اللهُ
عليه من شهيد.

(1) البيهقي، ص: 123. الميانجي.

(2) [—] الفقرة غير موجودة في النسخة ب.

83 - أبو حاتم المظفر الاسفرازي⁽¹⁾

كان حكيماً مُعاصراً للخيامي، وبينهما مُناظراتٌ، والمظفر عنه بعيدٌ والغالبُ على المُظفّر علم الهيئة والافعال، وكان رؤوفاً بالمستعبدین علی خلاف طبيعة الخيامي، وله تصانيفٌ كثيرةٌ في الرياضيات والآثار العلوية، وهو الذي عمل ميزان أرسيميدس الذي يعرف به الغش والعيار، وصرف عمره في ذلك فخاف خازن السلطان وهو خصٌ باسمه سعادة الخازن ظهور خيانتة في الخزانة بسبب هذا الميزان، فكسره وفَتَّت أجزاءه، فلما سمع المظفر مريضاً ومات أسفاً. ومن كلامه: نسبة اللذة العقلية⁽²⁾ كنسبة المتنسم إلى المقطم⁽³⁾.

84 - أبو العباس اللوكري⁽⁴⁾⁽⁵⁾

كان تلميذاً لبهمن يار، ومنه انتشرت علوم الحكمة بخراسان، وكان عالماً بأجزاء علوم الحكمة، دقيقها وجليلها، وعمي في شيخوخته، وكان من أرباب البيوتات بكورة مرو، وله ديوانٌ شعر، وكان يقول في آخر عمره: يشت من زيادة في علمي ومعرفتي فلا زيادة لي على ما حصلت وصرت عاجزاً بسبب الضعف، وعدم البصر، واشتقت إلى العقبى، كان يقول ذلك غير مرة حتى ظهر لمن حوله شدة شوقه إلى الآخرة فاتفق أنه تناول يوماً الرأس المشوي ودعاه بعض تلامذته إلى الحمام وكان ذلك سبب مرض موته، كان بعض تلامذته يعالجه وهو يقول له: خلني ورئي، فلان شفاني فله الأمر وإن أماتني فله الحكم، فانا لا أختار إلا ما اختاره الله تعالى، وشعره متين.

(1) البيهقي، ص: 125.

(2) أ. ح. ن.: الحبة إلى اللذة...

(3) البيهقي، ص: 126، المتنسم إلى المنظم.

(4) البيهقي، ص: 126.

(5) أ. ح. ن.: الكوكبي.

85 - السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْإِبِلَاقِي (1)

اجتمعت فيه الفضائل بأسرها العلمية والعملية، وله تصانيف كثيرة وكان مُصَنِّفًا، وكان مُبَارَكًا، حَسَنَ المعالجة، وكان مُقِيمًا بباخَرَز، ثم ارتبطه علاء الدين بن القمَّاح ببلخ، وقِيلَ في مصابف كوزخان، وهو من تلامذة أبي علي بن سينا، وقيل من تلامذة الخيامي، يصحح ذلك معرفة تاريخ علاء الدين بن القمَّاح.

86 - القاضي زين الدين عمر بن سهلان الساوي (2)

سرد الشريعة والحكمة في نظام وترك قضاء بلده ساوة، وأثر العزلة على الصحة، واختار العطلة على الشغل وتوطن بنيسابور، وتعلم بها وكان يأكل من كسب يده، ويرتقى بالنسخ، ويبيع كل نسخة من كتاب الشفا بمائة دينار من خطه.

وقال: أشكل علي شكل من المقالة العاشرة من أقليدس، فتمت فرايت في المنام شيخاً قيل أنه أقليدس النجار، فسألته عن الشكل، فقال: لي عُذ إلى شكل كذا من مقالة كذا، فلما انتهت، صليت، وتأملت الشكل فانحل معي. وله تصانيف كثيرة أحرق مع بيت كتبه ساوة.

وقال الظهير البيهقي: كنت اختلف إليه فأراه بحراً موجاً. قال وكتب إلي في رسالة: كن من الزمرة المنسلخين عن جلدة النسب واللقاب الواضعين عن اكتشافهم أوزاراً لأعقاب الناقصين عن أحوالهم عشرة الدهور والأحقاب. فهذه عادة قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها، من لم يخف الله خاف من كل أحد، ومن خاف الله لم يخف من أحد، وخافه كل أحد.

(1) البيهقي، ص: 132، أصيبة، ص: 459.

(2) البيهقي، ص: 132: الساوي.

87 - أبو الصُّلَيْبِ⁽¹⁾

أُمِيَّة بن أَبِي الصُّلَيْبِ من جُمْلَةِ المتقدِّمين في الحكمة والفلسفة، وله شعرٌ رقيقٌ وهو من مصر.

88 - أسعد الميهني⁽²⁾

كان مدرِّساً بنظامية بغداد، ومخطوطاً⁽³⁾ في دار الخلافة، وكُلِّما حضر دار الخلافة خرج التوقيع الأسمى، رُفِعَ إليه حضور أسعد الميهني، وكان من تلامذة اللُّوكْري، وله رسالة إلى ابن سهلان فيها: خذلان الأعوان عارٌ ومُؤاساتهم فضيلة.

89 - تاج الدين محمد بن عبد الكريم الشهرستاني⁽⁴⁾

له تصانيف كثيرة⁽⁵⁾، والمنهاج في الآيات، وكان يهجنُ رأي أبي علي في كتاب المنهاج والآيات.

قال: الظهيرُ قرأ عليّ من هذا الكتابِ فصولاً في منزل مرزقوان، فقلت له: يجبُ أن تبحثَ عن كل فصلٍ واعتراضٍ، فلم يساعد القول، وأزف الرحيل، وتصانيفهُ تزيد على عشرين مُجلدةً، وهو لا يسلكُ فيها سبيل الحكماء، وقد رأيتُ له مجلساً مكتوباً عقده بخوارزم فيه إشاراتٌ إلى أصول الحكمة فتعجَّبتُ منها.

قال الظهير البيهقي: وقد جمعتُ وإياه أبو الحسن بن حمويه في مجلسٍ،

(1) غير موجود في النسخة ب، الففطي، ص: 80.

(2) البيهقي، ص: 141؛ الإمام الأجل أسعد الميهني.

(3) البيهقي، ص: 141؛ محظوظاً.

(4) البيهقي، ص: 141.

(5) أ. ح. ن. : منها كتاب العيون والأنهار وقصة موسى والخضر.

وحضر أبو منصور العبادي، أحمد الليثي، وشهاب الدين الواعظ السفوماني، وغيرهم من الأفاضل، فقلت له حين ذكر أقسام التقديمات، أهذا التفصيل حقيقي أم غير حقيقي؟ فإنك تقول التقدم: إما بالذات، وإما بالطبع، وإما بالمكان، وإما بالزمان، وإما بالشرف وإما بالوجود.

فقال: فرق بين التقدم بالذات وبالوجود، وأخذ يقرر ذلك، وأنا أقول له: أنت تجيب عن مطلب ما في غير موضع النزاع، وتعرض عن مطلب أهل المركب، وأنا لا أسألك ولا أقول: ما الفرق بين ما بالذات والوجود، ولكني أقول: ما الفرق بين ما بالذات والوجود، ولكني أقول: لم قلت إن أجزاء الانفصال في حصر التقديمات محصورة، وهي منفصلة حقيقية.

فطال التكرار وانقطع بسبب التكرار الكلام وكان يُصَنَّفُ تفسيراً، وتأول الآيات على قوانين الشريعة والحكمة. فقال له الظهير: لا عدول عن⁽¹⁾ الصواب، والقرآن لا يفسر إلا بتأويل السلف والتابعين، والحكمة بمعزل عن تفسير القرآن خصوصاً ما كنت تأوله ولا يجمع بين الشريعة والحكمة، أحسن مما جمعه الغزالي، فامتلاً غيضاً ومات بشارستان مسقط رأسه، في شهر سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وكان مقرباً من سرير السلطان سنجر وصاحب سره.

90 - ابن التلميذ أبو الحسن

الطبيب البغدادي⁽²⁾. حكى الحكيم وأبو بكر بن عروة أنه دخل على ابن التلميذ يوماً، فلما عرف أني حصلت بعض علوم الحكمة غير درسه وأورد فيه من دقائق المنطق والحكمة ما عرفت أنه له وراء الطب غاية، وكان مرسومه ببغداد يزيد كل سنة على عشرين ألف دينار يتفق جميع ذلك على طلاب العلم.

(1) أ. ح. ن. : هذا.

(2) البيهقي، ص: 144، الفطلي، ص: 340، أصيعة، ص: 349.

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل البغدادي، مولده ومنشؤه ببغداد وكان حكيماً فيلسوفاً ومتكلماً فاضلاً وأديباً بارعاً وشاعراً مجيداً، وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة، ومن شعره ما قاله في الحكمة، وهذه القصيدة من جيد شعره وهي تدل على قوة إطلاعه في العلوم الحكيمية والأسرار الإلهية وبعضهم ينسبها إلى ابن سينا وليست له ولا لغيره:

بقربك أيها الفلك المدار	أفضد ذا المير أم اضطرار
مدارك قل لنا في أي شيء	ففي أفهامنا منك أنبهار
وما هذا الفضاء فهل فضاء	يسوى هذا الفضاء به تدار
وعندك ترفع الأرواح أم هل	مع الأجساد يذركها البوار
وموح ذي المجرة أم فريد	على لجج الدروع لها أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعاً	باجنحة قوايدمها قصار
وطوق في التحور من اللالي	هلالك أم يد فيها سوار
وشهب ذا الخواطف أم دبال	عليها المرخ يقدح والعقار
وترصيع نجومك أم حباب	تولف بينهما اللجج الغرار
نمد رقومها ليلاً تراعى	نهاراً مثل ما طوي الإزار
فكم يصفوها صدي البرايا	وما يضدى لها أبدأ غرار
نبارى ثم نخين راجعات	فتكنين مثل ماكنس الصوار
فينا الشرق بقديمها صعوداً	تلقاهما من الغرب انحدار
على ذا ما مضى وعليه يمضي	طوال منى وأعمار قصار
وأيام تفرقنا مداها	لها أنفاسنا أبدأ سفار
وأيام يقرّبنا شفاها	أعمارنا فيها شفار

(1) أصيعة، ص: 333.

ودهرَ ينشرُ الأعمارَ نشرًا
 ودنيا كُلُّها وضعتُ جنبنا
 هي العشواءُ ما خبطت هشيماً
 فمِنْ يومٍ بلا أمسٍ ليومٍ
 ومن نفسين في أخذٍ وردٍّ
 فكم من بعدٍ ما ألفتُ نفوسَ
 ألم تكُ بالجوارحِ أنساتُ
 فإن يكُ آدمُ أشقى بنيه
 ولم ينفعه بالأسماءِ علمُ
 فأخرجَ ثم أهبطَ ثم أودى
 فأدركه بعلمِ الله فيه
 ولكن بعدَ غفرانٍ وعفوٍ
 لقد بلغَ العدوُّ بنا مُناه
 وتُها ضائعينَ كقومِ موسى
 فبالك أكلةً ما زال منها
 نعاقبُ في الظهورِ وما وُلدنا
 وننتظرُ الرُزايا والبلايا
 ونخرجُ كارهينَ كما دخلنا
 فماذا الإمتنانُ على وجودٍ
 وكانت أنعماً لو أن كونا
 أهذا الذاءُ ليس له دواءُ
 تحبُّرُ فيه كلُّ دقيقي فهم
 إذا التَّكويرُ غَالِ الشمسِ غُنا
 ويُدلُّنا بهذي الأرضِ أرضاً
 وأذهلتِ المواضعُ عن بنينا

كما للغُصنِ بالورقِ إنتشارُ
 غداهُ من نوائبها ظُوارُ
 هي العجماءُ ما جرحتُ جُبارُ
 بغيرِ غدٍ إليه بنا يُنارُ
 لروحِ المرءِ في الجسمِ إنتشارُ
 جُسوماً عن مجائنها تُطارُ
 فلم بالقربِ عادلها ينفارُ
 بذنبٍ مالهُ منه اعندارُ
 وما نفعُ السجودِ ولا الجوارُ
 فتُربُّ الشافياتُ له شمارُ
 من الكلماتِ للذنبِ اغتفارُ
 يُغيِّرُ ما تلا ليلاً نهارُ
 وحلَّ بآدمَ وبنا الصفارُ
 ولا عجلُ أضلُّ ولا خوارُ
 علينا نعمةٌ وعليه عارُ
 ويذبحُ في حشا الأمِّ الحوارُ
 وبعدُ فبالوعيدِ لنا انتظارُ
 خروجِ الضَّبِّ اخرجهُ الوجارُ
 لغيرِ الموجدينَ به الخيارُ
 نُخَيِّرُ قبله أو نُستَنارُ
 وهذا الكر ليس له انجبارُ
 وليس لُعقَى جرحهم انسبارُ
 وغالَ راكبُ اللَّيلِ إنتشارُ
 وطوَّحَ بالسُّمواتِ انفطارُ
 لحيرتها وعُطِّلَتِ العشارُ

وغيشى البدر من فرقي وذهر
 وسيرت الجبال فكن كُثْباً
 فآين نبات ذي الالباب منا
 وآين عقول ذي الافهام منا
 وآين يغيب لب كان فينا
 وما أرض عصته ولا سماء
 وقد وافته طائفة وكانت
 قضاها سبعة والأرض مهداً
 فما لئمو ما اعلى ترقى
 ولكن كل ذا التهويل منه
 وله :

قالوا القناعة عز والكفاف غنى
 صدقتم من رضاه سد جوعته
 وله أيضاً :

خرجنا من قضاء الله خوفاً
 واشقى الناس ذو عزم توالى
 تضيق عليه طرق الهدى منها
 فكان فرارنا منه إليه
 مصائبه إليه من يديه
 ويقسو قلب راحمه عليه

واعلم أن قول الحكماء الأوائل إن الباري تعالى ساكن، وأن ذاته جوهر
 ثابت غير مغير، دائم الوجود، ومعنى قول من زعم أنه متحرك أنه دائم الفعل
 في القوابل سرمدى الفيض والإشراق على كل مستحق من غير بخل، وأما
 قولهم متحرك وساكن في العقل فمعنى من قال إنه ساكن أي أنه بالفعل من
 جميع الوجوه، ومعنى أنه متحرك أي أنه فاعل ومتفعل عما فوقه قولهم إن
 النفس متحرك إنها دائم الطلب للكمال من العقل الفعال.

وقال مالس: إن الجسم هو الذي لا يدثر كالفلكيات والجرم كثيف، وهو
 الذي يدثر، فالأول لطيف والثاني كثيف.

وقال: ووراء السماء عوالم مبدعة لا يقدّر المنطق أن يصف تلك الأنوار، ولا يقدر العقل أن يفك على ذلك الحسن والبهاء وهي مبدعة من عنصر لا يدرك غوره، ولا يتصر نوره، والمنطق والطبيعة والنفس تحته ودونه، وهو الذفر المحض من نحو آخره لا من نحو أوله، وإليه تشتق العقول والأنفس وهو الذي سمينه الديمومية والسرمد والبقاء في حد النشأة الثانية وظهر بهذه الإشارات أنه لما أراد بقوله الماء هو المبدع الأول أي هو مبدأ المركبات الجسمانية لا المبدأ الأول في الموجودات العلوية لكنه لما اعتقد أن العنصر الأول هو قابل كل صورة أي منبع الصور كلها ولم نجد عنصراً على هذا النهج، كل صورة أي منبع الصور كلها فثبت في العالم الجسماني له مثلاً لا يوازيه في قبول الصور كلها، ولم نجد عنصراً على هذا النهج مثل الماء، فجعله المبدع الأول في المركبات وأنشأ منه الأجسام والأجرام السماوية والأرضية جرياً على منهج الشرع وكذا نص التورية وإلى أمثاله يشير من يزعم أن المبدع الأول النار أو الهواء أو الأرض وأشباه ذلك لأن حكمهم مأخوذ من مشكاة النبوة.

92 - الحسن بن اسحق بن محارب القمي

ذكروا عن ابن العميد أنه كان يفتخر به ويقول: لو لم يخرج من بلدنا سواء لكان كافياً، وكان يقول: العشق هو الشوق إلى الاتحاد بالمعشوق. وحكي عن بعض الأوائل: لا شيء أنفس من الحياة ولا عين أعظم من إنفادها لغير حياة أبدية.

93 - الأستاذ أبو الفضل بن العميد القمي⁽¹⁾

كان قد أتى من الفضائل والمحاسن ما بهر به أهل زمانه حتى أذعن له

(1) ب: صاحب بن العميد.

العدو وسلم الحسود، ولم يزاحمه أحد قط فمن ذلك أنه كان كتب أهل عصره، وأجمع لأنه حافظ للغة والغريب، وله توسع في النحو والمروء، واهتدى إلى الاستقامات والاستعدادات وحفظ الدواوين من الجاهلية والإسلام، وكان يسمع الأبيات الحماسية فرد مرة فيحفظها، وكان في الهندسة والتعاليم الأبداني والمنطق وعلوم الفلسفة والإلهيات خاصة فما جسر أحد في⁽¹⁾ يدعيها بحضرته إلا أن يكون مستفيداً.

ولما رآه العامري بعد شرح كتب أرسطو ورواحه إلى بغداد، تحيّر، وكان وزيراً لركن الدولة بويه، وكان قليل الكلام نزر الحديث إلا إذا سئل، ووجد من يفهم عنه فيسط ويسمع منه ما لا يوجد عند غيره مع فصاحة وبلاغة، وكان لجودة حاله وأخلاقه إذا دخل عليه العالم أو صاحب⁽²⁾ سكت له وأصغى إليه واستحسن كل ما سمعه استحسان من لا يعرف إلا ما يفهم⁽³⁾ حتى إذا طاوله ووردت الشهور عليه من عنده واتفق أن يسأله عن شيء أو يجري بحضرته فرغب إليه في إتمامه تدفق حيثن مجراه وجاش خاطره وبهت من كان عند نفسه بارعاً في ذلك المعنى، وما أكثر ما خجل عنده المعجبون بأنفسهم بعد مدّه، واجزال العطاء، وكان عالماً بالحيل وأحوال الحروب، مع شجاعة وثبات جاش في الحروب. ومن خطه:

قال بعض الأوائل: قليل الخمر دواء وكثيرها داء، وهي بالمشايخ أليق منها بالشباب، ووحد بخطه: لما كان حدّ الشرب منها مجهولاً وجب بالنظر العقلي والتدبير الشرعي أن يمنع الناس لتلا يتجاوزوا الحد لأن الخمر كثير الشرّ وينوع الفجور، وباب مفتوح إلى كل بلاء، والعاقل من صبر بنفسه عنها وفدى مضارها بمنافعها.

(1) أ: ح. ن. : زمانه.

(2) أ: ح. ن. : فن.

(3) أ: ح. ن. : منه.

ملك سجستان .

قال أبو سليمان السُّجَري : كان الملكُ أبو جعفر⁽¹⁾ قوياً في علمِ السياسة لم يتصرف في غيرها، وله بصيرةٌ حسنةٌ، وكان قد أخذ نفسه بجوامعِ السياسة مع المروءةِ الظاهرةِ والعفافِ الغالبِ وضبطِ النفسِ عند عارض⁽²⁾.

وكان يُشَدُّ كثيراً بيتين ويتعجَّبُ من صحتَهما وجَوْدَتَهما وحسنِ بحثَهما، ويقول : لقد وفق هذا الشاعرُ، ولا أقولُ إنَّه شاعرٌ إلا من جهةِ النظمِ والوزنِ والقافية، ولكن أقول الحكيمُ :

فتى لم يتبع⁽³⁾ بعدما مضتُ بمن ولم يَمُطِّلْ وعيداً ولا وعداً
هواه له عبدٌ ولا يكْمُلُ الفتى إذا لم يكن يوماً هواه له عبداً
وكان يحفظُ من كلام اليونانيين ونوادرهم وسيرهم وأحوالهم ما لم يقدرُ
أحدٌ عليه وكان يقول : هذه قُرَاضَاتُ الذهبِ، وكالتبر الذي لم يسبك بعدُ
وكان يعجبه نوادرُ اليونانيين ويقول : إنَّ قوماً هذه فكاهتهم ومُؤانستُهُم
واستراحتُهُم ما يَظُنُّ بهم إذا أخذوا في الجدِّ واعتصروا قوَى غرائزهم بالقصدِ
ثم قال : إني لأستحسنُ شيئاً حكى عن ديمقراطيس أنه قال : السابحُ في
بحرنا لا ساحلَ له إلا هو . وكان يحفظُ جميعَ الفقرِ التي لأرسطو في السياسةِ
مما كتب إلى الإسكندرِ ومما شافَهُ به .

قال وكان يقول : قد انتهى الزمانُ إلى أمرٍ خارجٍ عن جميعِ ما وسمهُ ذلك
الحكيمُ لذلك الملك، وذلك أنَّ الناسَ قد خلَعُوا ربقةَ الدينِ الجامعِ
للخيراتِ العاجلِ والأجلِ، ونبذوا عهدَ العقلِ النَّاطِمِ لصلاحِ العامةِ والخاصةِ
وحلوا رباطَ الحياءِ الذي يكونُ التمتعُ من الفناء والتسرُّعُ إلى الرُّشَادِ وإنَّ زماناً

(1) أ : ح . ن . : صاحب صوان الحكمة .

(2) أ : ح . ن . : الهوى .

(3) «كذا» في «أ» . ولعله سقط بعض الكلام إذ إن وزن هذا الصدر ليس على الطويل كعجزه .

ينسلخُ أهلهُ من شعارِ الدين وحلبة العقل ورباطِ الحياء لغاية في الفساد ما
أعرفُ دواءَ إلا السيفَ الماجقَ .

قال: وما أحسن ما قال زيادُ، وكان من الرجالِ العرب: لقد فسَدَ الناس
فساداً لا يَصْلِحُهُم إلا السيفُ القاطعُ والسوطُ الواقعُ وسجنُ قايح⁽¹⁾ .

قال: وأنا أبقي قسمين من هذا الكلامِ فإنَّ الشرَّ قد غلبَ على كلِّ من
أكَلَ الطعامَ، والسلام .

وقال أبو سليمان: سأل الملكُ أبو جعفر ليلةَ جماعةٍ عنده منهم الأسفرازي
وابن حيان وطلحة وأبو تمام وغيرهم: لَمْ يُقَالَ في شائعِ الحديثِ⁽²⁾ ما عُطِسَ
عنده، فسكتوا، ثُمَّ قالوا: ما عندنا فيه شيءٌ لأنَّ هذا من آثارِ الطبيعةِ وهو تابعٌ
للأخلاقِ وما يزيدُ منها وما ينقصُ، ومثلُ هذا يبعُدُ عن عِلَّةٍ تامَّةٍ فقال: هذا
كله نفاقٌ وهربٌ فإنَّ الطبيعةَ لها أبدارٌ بمثلِ هذه الأشياءِ بحسبِ اطلاعِ النفسِ
عليها وتلويحها لها وسريانِ قواها منها وإلقائها فيمرُّ ذلك بالطبيعةِ فتُنْفِقُ اهتزازاً
له فيصيرُ ذلك كالشاهدِ على الشيءِ المزعمِ والأمرِ المقبلِ، فإن لم يكن هذا
على هذا فما انعقد وهم كلِّ سامعٍ للعطسِ في عرضِ حديثه إلا على هذا،
وكانَّ النفسُ قد أوْمانَتْ لِاتِّفَاقِ الواقعِ إلى هذا الفرضِ، ثم يكونُ حقُّ لهذا في
الثاني وباطله على الزيادةِ والنقصانِ والقوَّةِ والضعفِ .

قال: وكان يُكثِرُ من الضربِ فيما هو قائمٌ بينِ العامَّةِ ومعهودٍ في بعضِ
الخاصةِ .

وقال أفلاطون: الشرفُ ثلاثةٌ: شرفُ النفسِ وشرفُ الحكمةِ وشرفُ
الإباءِ .

وقال أبو سليمان: سمعتُ هذا من أبي جعفرِ الملكِ، قال⁽³⁾: شرفُ

(1) من هنا إلى آخر ترجمته غير موجود في النسخة ب .

(2) أ . ح . ن . : أصدق الحديث .

(3) أ . ح . ن . : مقبلاً لروايته أما . .

النفس فإنه يُفضي إلى بقائها، وأما شرف الحكمة فإنه يوضح السبيل إلى طلب هذا البقاء، وأما شرف الإباء وهو أحسن الثلاثة فإنه يزيد في قدر صاحبه زيادة تُفسده في باطن حاله بالكبر وتصلحه في ظاهر حاله بالتوقر وهذا الشرف الأخير بالإصلاح والعادة، وأما الشرف الأوسط فبالاجتهاد والإكتساب، وأما الأول فهو بالطبيعة أي بالواجب لأن شرف النفس لا يدخله الإصلاح ولا يحدث بالإكتساب وإنما يظهر ما هو واجب بالإكتساب.

قال: فقلتُ ليهنك أيها الملك فقد جمع الله تعالى لك هذا كله فانتَ الباين بالفضل والفرد بالكمال، والمشار إليه في العلم.

فقال: يا أبا سليمان فإني لا أواخذك بأن تغلط في وصفك ولكن أواخذك بأن تغلطني في وصفي بوصفك ويكفي للإنسان أن يكون مغروراً من نفسه، معتوياً بفضله، ساهياً عن رشدٍ وليس يحتاج إلى أن يكون صاحبه خائفاً عليه بجميل الثناء خادعاً له بزخرف القول.

وقال أبو سليمان فحُصرتُ عند كلامه هيئة له فانتدب أبو تمام النيسابوري فقال: أيها الملك إنا وإن انتهينا عما تنهانا عنه طاعةً لك وامثالاً لرسلك وطلباً للمكان عندك، فإننا ننطوي من إجلالك وتعظيمك ومعرفة ما وهب الله لك ولأوليائك ورعيتك بك على ما لا يفسره بيان ولا يشرحه وصف ولا يُضمرة فؤاد ولا يُلْمُ به وهم، ولو استعملنا الخطابة في نشر فضائلك على ما أوضحه أرسطو لكتنا عند بلوغ الغاية والوقوف على النهاية أعنى بكما، وليس إذا عجزنا عن هذه القاصية يحسن بنا أن نسكت عن تلك الدانية، دعنا أيها الملك حتى نتلذذ بوصفك ونشكر نعم الله علينا بك فقد أصبحت بلا ضدٍ مطاول ولا عدوٍ مُناضل، وأوضحت مناهج الحكمة بعد دروسها، ودعوت الناس إليها بعد نفورهم منها وجمعت حولك أبناءها وطلّابها ثم غمرتهم بإحسانك وطولك معيماً على اقتباسها، والله ما حملني وأبا سليمان على ما قلنا تملق ولا خداع لأن هذا ليس من هدينا وسيرتنا، ولو كان ذلك فينا لكان

علمنا بكساده عليك وسقوط متعاطيه عندك يمنعا عن ركوب سنامه وامتطاه
ظهره .

فقال الملك : نهيت أبا سليمان عن شيء قليل فأتيت أنت بما أوفى عليه ،
والله ما أردتُ بما قلتُ إلا حسم ضراوة النفس على هذه الأشياء التي إذا
وصلت إلى القلب عشتت وأفرخت وصارت بصاحبها إلى الفتنة لأن الإنسان
عاشق نفسه ، وكيف لا تُعشق وهو يجد بها كل لذّة ويقضي لها كل وطير
ويصل لها كل هوى وبهذا العشق واصلت النفس البدن وبه أطاع البدن النفس
ولولا هذا ما اتلفت المتعاديات فيه ، وما اصطلحت المتنافرات له ، وأن أمراً
يورث في أصل الخلقة بالطينة والصورة والشكل والهيئة ثم يُعنى بالمُشاكلة
والعادة والزُيادة ، ثم يُستحكم بالهوى والميل والمحبّة ، راسخ الأصل ممتد
الفرع ، عريض الفضاء ضليل الظل ، وإنما جئنا على التماس الحكمة وأكرهنا
على أحكام الشريعة لنعدل بأنفسنا بالغلط فيها ولا نُمكن غيرنا من الجناية
عليها بالخداع لها ، ونعود إلى كلامنا الأول فنقول من عديم شرف النفس لم
ينفعه شرف الحكمة ، لأن الحكمة لا تقلب الحمار إنساناً ، ولا تجعل
الشیطان ملكاً ، ولكنها فتنة للنفس وأريحية للروح ، وطمانينة للقلب ، وأنس
في الوحدة ، وطريق إلى الرشد ، وسد بين الإنسان والغبي .

وكتب الملك : كتب قيصر إلى كسرى بم انتظمت مملكتك واستقامت
رعيتك ؟ فقال : بشماني خصال : لم أمزل في أمر ولا نهى ، ولا أخلفت وعداً
ولا وعيداً ، وعاقبت للحزم لا للحقد ، ووليت العناء لا للهوى ، فاشتملت
قلوب الرعية من غير كره ، وسهلت الأذن من غير ضعف ، وعممت بالقوّة ،
وحسنت الفضول ، فلما قرأه قال : هذا يجب أن يُكتب بالذهب .

وقال أبو سليمان : يخرج منه كتاب في علم السياسة^(١) .

(١) أ : ح . ن . وقال الملك : حلل النفس ولا تغلّها ، فإن تغلّها يمج عليها : وتضلّلها
بحجب عنها ، وقال : الشريعة تنطوي على تنبيه نفس فاضلة : وجد نفس قابلة ، وتاديب =

95 - أبو بكر الحسن بن كردة القومسي

هو من قومية قرية من قرى أصفهان، كان كبير الطبقة في الفلسفة وهو تلميذ يحيى بن عدي، لازمه زماناً، وكتب لنصير الدولة، وكان حلّو الكتابة مقبول الجملة متوجّهاً في الآداب ومعرفة الأشعار وسائر العلوم العربية، وله بهذه الصنعة بعده أولاد وأخوه وغيرهم يتميزون بالفضيلة عن غيرهم.

وسئل عن معنى كَوْنِ الزمان أو المكان أو الإنسان أشرف من زمانٍ آخر ومكانٍ آخر وإنسانٍ آخر، فقال: هذا النوع بإضافة الزمان إلى سعادة شائعة فيه وخير عام وبركة فائضة وخصب عام وشريعة مقبولة، وخيرات معقولة، ومكارم مؤثرة من جهة شكل الفلك بما يقتضيه بعض⁽¹⁾، وكذلك المكان إذا قابلته جُزْم من هذه الأجرام الشريفة فأما الزمان الذي مفهومه مقدار حركة الفلك فليس فيه جزء أشرف من جزء وكذا المكان وكذا الإنسان لا شرف له على إنسانٍ آخر من حيث اتحد العام بكل واحد بل الشرف له بالكمالات العقلية والأعمال الصالحة.

96 - أبو علي أحمد بن مسكويه⁽²⁾

هو من أعيان الزمان، وقد صحب الوزير أبا محمد المهلب في أيام شببته، وكان من خواصه ثم اتصل بعد ذلك بخدمة الملك عضد الدولة، وصار من جملة الندماء والرسل إلى أن فارق الملك الدنيا ثم تخصصه بابن العميد

- نفس جاهلة، وقال السماع يرود الوصول إلى أسس بواسطة الطبيب في صناعته الجيدة، وكان رحمه الله محباً للحكمة ولأهلها كثير الفضائل لا يصير عن أهلها، كثير الإحسان إليهم ذا أخلاق شريفة وهمة عالية.

(1) ح. ن. : أدواره.

(2) القفطي، ص: 331: أصبغة، ص: 331.

وابنه أبي الفتح وبالمملك صمصام الدولة وكذلك تخصصه بابن العميد وابنه أبي الفتح وسائر الأكابر إلى وقتنا هذا، مما لا حاجة فيه إلى البيان، وله التصانيف الكثيرة في كثير من فنون العلم والحكمة، وله الأخلاق الكاملة والآداب الفاضلة، وله من الكتب النورس في علم الأوائل. وتعاليق حواشي كتب المنطق، وله كتب في جميع الرياضيات والطبيعات والإلهيات والحساب والصنعة والطبخ وتقرأ هذه الكتب عليه أيام مجالسه، وله كتاب المستوفى في الشعر فهو مختار الشعر ومجموعه المسمى أنس الفريد وحاو دان جود وله البلاغة والخط الحسن.

97 - أبو النفيس

كان أحفظ الناس لنوادير الفلاسفة وفقرهم ومُلحهم.

وقيل له كيف ترى الدَّهر؟ فقال: وهوباً لما سلب، سلوباً لما وهب، كالصَّبي إذا لعب.

وقال بعض الحكماء من الأوائل: المال⁽¹⁾ محبوبٌ من أجل البقاء في عالم الكون والفساد، والدين محبوبٌ من أجل البقاء في عالم البقاء والخلود ومتى ضعفت قوة النفس عن التمييز صار توهمها للبقاء أبداً في عالم الفناء علّة الاستكثار منه.

وقال: العجلة مذهلة، وفي اللجاج بغض، والعجب حيرة، وفي التواني فوات، وأنشد أبو النفيس:

في النفس والجسم إن فكرت معتبرٌ	بل دون ذلك ظلُّ الرأي والفكرُ
وجاز كل لبٍ في اتحادهما	وتلك عينٌ وهذا حكمه الأثر
إذا نظرت رأيت العينَ واحدةً	وثم صوبُ صفاءِ همِّ الكدر

(1) ب: الماء.

بذلك الفيض يرنو العقل مخترقاً
وتلحظُ المرء غايات الأمور به
يا ليت شعري إذا الأبدان أضمرها
هل للنفس النقلُ نحو عالمها
ليحصل الفوزُ في دارِ الخلود لها
أم تضمجُلُ كما قد بان هيكلُها
تلوي الشفاءُ بها حتى يعينها
هذا الذي صدتُ منه خواطرنا
تفرّد الله تعالى بالعلم الخفي
فليس يعشو إلى نار الهوى أحدُ

استار غيبٍ تجافى دونه البصرُ
من قبل مذهبه والغيب مستقر
يد البلى وحواسها التربُّ والمَدَرُ
كما يلعبُ نحو المركزِ الحَجَرُ
وتنتفي دونها الأفاتُ والغبر
فلا يحسُّ له وردٌ وما صدر
بخيُّتُ تبحثُ عن أولادها البقر
فليس يحلو صداها العلمُ والخبر
ولم يشركهُ في سره جنٌّ ولا بشر
إلا بتوفيقهِ إن كان يُعتبر

ثم قال: هذه بلايلُ الصدور وحسرات الأرواح ووساوس الكرام من هذا
السواد العامر للأرض للآفاتِ على مرِّ الزمان القديم والأعصر الأول، وكل
تعلق في نصابه وبخفرة مكره إلى مدى فطره وتتطاول بحوله وطاقته إلى ما
يناله بسكونه وحركته واستطاعته ولا دواء لهذه ولغيره أنجع من صنع الله الذي
من جادَ عليه به صحا ومن فاته ذلك منه سكرَ وذهل، وهب الله تعالى لنا من
العقل ما نعرف به أنفسنا ومن الأدب ما نتعاشرُ به بيننا ومن الكفاية ما نغني به
عن اماننا وكرمائنا، ومن الشكر ما نستحقُّ المزيدَ من ربِّنا، ومن الصبر ما
نتجرعُ به مرارةَ حياتنا بمنه وكرمه.

98 - إبراهيم بن عدي (صنو يحيى) (1)

كان أخصَّ خواصِّ أبي نصر الفارابي وملازماً له وله مصنفاتٌ كثيرة.

قال في بعضها: التقسيمُ هبوطٌ والتحليلُ صعودٌ، والتقسيمُ والتحليلُ
خادمانِ للحدِّ والبرهانِ، فخدمَةُ التقسيمِ تبيكُ الوسائطَ، وخدمَةُ التحليلِ

(1) اليهقي، ص: 109: صنو يحيى بن عدي.

بالانتقاد، كما أن حد الإنسان يحلل إلى حيوان وناطق.
وقال: كُلُّ محدود متصور، وليس كُلُّ متصور محدوداً.

99 - أبو الحسن علي بن أحمد الجوشني⁽¹⁾

من قدماء الحكماء.

وقال: القلم العقل، واللوح النفس، والفلك الاعظم العرش، والشوابت الكرسي، والأفلاك السبعة السموات، والأقاليم السبعة الأرضون وأعلى عليين العرش، وأسفل السافلين المركز.

100 - صاحب أبو محمد البخاري⁽²⁾

هو من تلامذة أبي سليمان السجري، وهو أفضل من اشتدت في علوم الإسلام عرأه وتأكدت في دقائق الحكمة قوته، ولكن دعواه تزيد زيادة غير محصورة على معناه، وله حفظ قوي وثائقه، وخاطر استحكت قواعده، وله تصانيف حسنة مفيدة.

101 - أبو البركات البغدادي⁽³⁾

كان ابتداء تعلمه أنه كان يسأل أبا الحسن السعدي هبة الله أن يعلمه فلم يقبل، لأنه لم يقرى اليهود فصادف بوابه، وكان يأتي ويجلس في دهليزه ويستمع البحث مدة فاتفق أنه حضر عنده يوماً وتلامذته يبحثون في مسألة، فوقفوا فقال أبو البركات:

(1) لم يرد اسمه في البيهقي أو القفطي.

(2) البيهقي، ص: 149.

(3) البيهقي، ص: 152؛ الفيلسوف أوحده الزمان أبو البركات بن ملكا (ن) الطبيب، القفطي، ص: 343؛ أصبغة، ص: 374.

العبدُ يستأذنُ الشيخَ أن يقول ما عنده، فلَئِنَّ له، فاجادَ في الجوابِ فسأل عن القصة، فأخبره الحال، فقال: مَنْ كانت هذه حاله لا يجوزُ منعه، وصار من خواصِّ تلامذتي. ومن شعره:

تنقُل عن دينِ آبائه ودينُهُم مذهب الشافعي

فأضحى بلا مالٍ في المعاش وعند المعادِ بلا شافع

وهو فيلسوف العراقيين، وله خاطرٌ وقادٌ، وعاش تسعين⁽¹⁾ سنةً شمسيةً، وأصابه الجُذامُ فعالج نفسه فصَحَّ وعِيِيَ وبقي أَعْمَى مدةً وقد اتهمه السلطان محمد بن ملكشاه بسوء علاجٍ وتدبير فحبسه مُدَّةً وفي شهور سنة سبع وأربعين وخمسمائة أصابَ السلطانُ مسعود⁽²⁾ محمد بن ملكشاه قولنج بعدما افترسه أسدٌ، فحمل من بغداد إلى همدان أبَا البركات فلما آيس الناس من حياة السلطان خاف أبو البركاتِ على نفسه، وماتَ ضحوةً، وماتَ السلطان بعد العصر، وحُملَ تابوتُ أبي البركاتِ إلى بغداد مع الحاج، ولما أخذَ أبو البركاتِ في مصافِ المُستَرشِدِ والسلطان مسعود، وقرب حينه أسلم في الحال⁽³⁾ وحَسُنَ إسلامه، وقيل إنَّهُ دخل على الخليفة، فقام جميعٌ من حضر إلَّا قاضي القضاة، فقال للخليفة إنَّهُ لم يَقُمْ لكوني ذميًّا فانا أسلمُ لئلا يستنقصني.

102 - بهاء الدين أبو محمد الخرقى⁽⁴⁾

كان من حكماء مَرُو، وله تصانيفٌ في التاريخ، وكان حسن الأخلاق، ومن كلامه: الرياضياتُ تسمى التعاليمَ الأربعة، وإنَّما كانت أربعةً لأن موضوعها الكمية، وهي إما أن تكون متصلةً أو مُنفصلةً، والمتصلةُ إما متحركةٌ أو ساكنة والمتحركةُ هي الهيئة، وغير المتحركةُ هي الهندسةُ، والمنفصلةُ إما أن يكون

(1) أ: ح. ن.: سبعين.

(2) أ: ح. ن.: بن محمد.

(3) أ: ح. ن.: وكان يهودياً فجا من القتل وخلع عليه السلطان...

(4) البيهقي، ص: 155.

لها نسبة تاليفية وهي الموسيقى أو لا تكون وهي الأعداد.

وقال: كمال النفس إدراك المعقولات، وجمالها الهندسة، والهيئة والموسيقى والهندسة صقال النفس.

103 - محمد الحارثاني السرخسي⁽¹⁾

طاف وساح ومسح أكثر الأقاليم بأقدامه متطلباً للحكمة البالغة، وكان في الأدب بَلُو الجوهري.

وقال الظهير: وقد جرى بيني وبينه كلام في أنه يجب أن يتقدم على التصديق تصوران أو ثلاثة.

وقال: وقد ذكرت ذلك في كتاب شرح النجاة من تصنيفي، ومن كلامه: الملك الحق والقيوم أول فكر العارفين، والآخر لا سفير أحسن من سفير العقل في الملكوت الأعلى، من انطبع في فص خاتم استعدادة نقوش الحقائق فقد ذاق اللذة القصوى.

104 - محمود السرخسي⁽²⁾⁽³⁾

كان والده وزير قيسر، وهو تركي استولى على خوارزم، وكان محموداً حكيماً أديباً فاضلاً، من تلامذة أبي البركات اليهودي، واستولى عليه نوع من السوداء، فذبح نفسه في بعض ليالي الشتاء بسكين القلم، ومن كلامه قبل موته: من أراد من الوهم مطابقة العقل في جميع الأحوال كان كسميع استخبر من أصم أو سمع أراد أن يسمع الأصم جميع ما يقوله السميع.

(1) البيهقي، ص: 160: محمد الحارثان السرخسي.

(2) أ: ح. ن.: الخوارزمي.

(3) البيهقي، ص: 161.

105 - أبو الفتح عبد الرحمن الخازن⁽¹⁾

كان غلاماً محبوباً رومياً لعلي الخازن المروزي، وحصل علوم الهندسة وكمل فيها، والمعقولات ما وافقت طبعه مع جهده في تحصيلها، وهو الذي صنّف الزيج المعتبر السنجري وجميع ما فيه من الأوساط والتعديلات، فيه بحث إلّا في تقويم عطارد في حال رجوعه، فإنّه موافق للرؤية والامتحان، وكان نقيّ الحساب⁽²⁾ عن الأطماع الخيسة.

وبعث إليه السلطان سنجر ألف دينار، فردّها، وقال: لا احتاجُ إليه وبني لي عشرةً دنائير، وكفّني كلّ سنةً ثلاثةً دنائير، وكيف وليس يتقي في تلك الدار إلّا سنور، وكان يأكل اللحم في كلّ أسبوع ثلاث مرات، ويتغذى⁽³⁾ بحرذقين. وبعثت إليه زوجة الأمير لآخي آخر بك⁽⁴⁾ ألف دينار فردّها أيضاً وكان يلبس لباس الزهاد، ولا يأكل إلّا طعام الأبرار، والحكيم الحسن السمرقندي من جملة تلامذته.

106 - محمد بن المعموري البيهقي⁽⁵⁾⁽⁶⁾

كان تلوّ بني موسى في الرياضيات، وكتب في المخروطات كتاباً ما سبقه أحدٌ إليه، وعمر الخيامي يعرفُ بتدوينه في تلك العلوم، واتفق أنه ارتحل إلى أصفهان بسبب الرصد الذي أمر ملكشاه، فبقي هناك إلى أيام السلطان محمد، ولما اتفق إحراق أصحاب الجبال والقلاع من الباطنية، وأقبل السلطان محمد على ذلك رأى المعموري تسير درجة طالعة متصلة بنحس.

(1) البيهقي، ص: 161؛ الففطي، ص: 396.

(2) ب: الجيب (وكذا في البيهقي).

(3) أ: ح. ن. : في كل يوم.

(4) البيهقي، ص: 163. زوجة الأمير لآخي أخور بك.

(5) أ: ح. ن. : أحمد.

(6) البيهقي، ص: 163. ب: محمد بن أحمد المعموري البيهقي.

وشعاع نحس، فخاف ذلك الاتصال، فخرج من دار السلطان ودخل دار بعض أصدقائه، وانزوى في زاوية بيته، فلما أخذوا باطنياً وجروهُ إلى موضع الإحراقِ علَبِ النسوان والصبيان السطوحَ للفرجة، فعبرت امرأة على سطح ذلك البيت الذي فيه المعموري ففضبت امرأةً وصاحت: معاشر الناس، في هذا البيتِ قرمطي، فدخلوا الدار وأخذوه وقتلوه، فلما أخرجوه مقتولاً عرفه أولياءُ السلطان، فلأموا العامة، ما نفع اللوم ولا الحذر من القضاء المحتوم، ولا تأخيرُ الأجل المُسمًى ولا المفر من العواقب.

107 - ظهير الدين عبد الجليل بن عبد الجبار⁽¹⁾

المفتي أبوه وعمه إمامان من فحولة الأئمة، واشتغل بتحصيل الحكمة طول عمره، وساعدته العلوم الرياضية مساعدةً جميلةً مع أنه فاز من المعقولات بحظٍ وافٍ، وله أخلاقٌ مهذبةٌ وزمانٌ وموقفٌ على الإفادة والاستفادة والعمل الصالح والرياضة وتلاوة القرآن.

108 - علي بن شاهك القصاري⁽²⁾

الضرير البهقي، أصابه الجدري وهو ابنُ تسع سنين فعمي وتعلّم القرآن وأصول الأدب وفروعه وحفظ الأذعية الكثيرة والأخبار، ثم اشتغل بتحصيل الحكمة بلا مرشدٍ ولا استاذٍ، وكان يقرأ عليه واحدٌ فصولاً من المنطق وهو يحفظه ويكرّره ويتفكر فيه حتى وقف على حقائقه، فحصل المنطق والطبيعي والإلهي، ثم اشتغل بالرياضيات وقرأ عليه واحدٌ شكلاً وهو يحفظه ويتخيّله حتى حصل له المقصود، وكذلك حصل الأعمال النجومية حتى كان يستخرج

(1) البهقي، ص: 169.

(2) البهقي، ص: 171.

الطوالع وَيَقُومُ الكواكب، وكان يهدي تقاويمه إلى الأركانِ وهذا من المعجائبِ
ومن لم يره لا يقبل خبره⁽¹⁾.

109 - أبو ریحان محمد بن أحمد البیرونی⁽²⁾

وبیرونُ مدينةٌ فی السند، وقیل: کان أسمر اللون، قصیر القامة، کثُ
الحمية أیضها، کبیر البطن، شیخٌ مُتوغلٌ فی السن، وكان من أجلاء

(1) من الجدید أن نذكر أن من المفکرین العرب من لم یؤمن بالتنجیم کطريقة للتنبؤ بالمستقبل
والخیر والشر نتیجة تأثير النجوم والكواكب علی الانسان ومن هؤلاء ابن سینا والفارابی
والکندی، فیذهب ابن سینا إلى أن تحول قول المنجمین بأثر الكواكب علی الناس من نفع
أو ضرر إنما هو قول هراء وقد أخذوه تقليداً من غیر برهان أو قیاس.

وكان الکندی أیضاً لا یؤمن بأثر الأبراج والنجوم علی مستقبل الانسان ولا یؤمن بما
یدعیه المنجمون فی التنبؤات القائمة علی حركات الكواكب رغم انه کان من البارزین فی
علم الفلك ورصد مواقیث الشمس وحركة النجوم.

كما أنکر الفارابی صناعة التنجیم وقال انه من الخطأ الکبیر ما یزعمه المنجمون أن
بعض الكواكب تجلب السعادة أو سوء الحظ ویقول ان ادعاءات المنجمین من الأمور
المشکوک بها مهما كانت قرابتها للمصلحة.

ویقول ابن حزم: لیس للنجوم تأثير فی أعمالنا ولا لها عقل تدبرنا به، الا إذا کان
المقصود انها تدبرنا طبعیاً کتدبیر الغذاء لنا، وتدبیر الماء والهواء، ونحو أثرها فی المد
والجزر، وتأثیر الشمس فی عکس الحر وتصفید الرطوبات، والنجوم لا تدلل علی
الحوادث المقبلة.

والخلاصة ان علماء العرب کانوا یرون فی الفلك علماً ریاضیاً منبثقاً علی الرصد
والحساب وعلی فروض تفرض لتحلیل ما یرى من الحركات والظواهر الفلكية.
الزيج وعلم الازیاج:

وهو من فروع علم الفلك وقد عرفه ابن خلدون فی مقدمته بأنه «صناعة حاسبية علی
قوانين عديدة فیما یخص کل کوكب عن طریق حركة وما أدى الیه برهان الهیة فی وصفة
من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغیر ذلك، یعرف به مواضع الكواكب فی أفلاكها لأی
وقت فرض من قبل حساب حركاتها علی تلك القوانين المستخرجة من کتب الهیة، ولهذه
الصنعة قوانین کالمقدمات والأصول لها فی معرفة الشهور والأیام والتاریخ الماضية وأصول
معرفة الأوج والحقیض والمیول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض
یضعونها فی جداول مرتبة تسهلاً علی المتعلمین وتسمى الازیاج...» (المحقق)

(2) البیهقی، ص: 72، أصیمة، ص: 459.

المهندسين وقد سافر في طلب العلم في بلاد الهند أربعين سنة، وصنّف كتاباً كثيرة، وله مُناظرات مع أبي علي، ولم يكن الخوض في بحار المعقولات من شأنه، فكلُّ مُيسّر لما خُلِقَ له، وزادت تصانيفه على حملٍ بغير، وكان مُوفقاً في هذا السعي المشكور، ويرون التي هي منشؤه ومونّده بلدة طيبة فيها غرائب وعجائب، ولا غزو فإن: الدُر ساكن الصّدْف.

ومن كلامه: سهولة الشيء وضُعوفه قلما يُطلق وإنما يضافان إليه بحسب اختلاف الأحوال فيسهل لها من جهة ويتعذر من أخرى.

وقال: مُداسة أخلاق الحكماء والعلماء تُحيي السُّنة الحسنة، وتُميتُ بدعة السُّنن الصالحة، علامات الخير والحق لكل يومٍ أمرٌ حاضرٌ ولكل غدٍ ما فيه. يحدث الأستاذ أبو ریحان البيروني: له في الرياضيات⁽¹⁾ السبق الذي لم يشق المحصورون غباره ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره، قد جعل الله تعالى الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة سحت له لواقح مُزنيها، واهتزت به مواقع نبتها، كم مجموع له رفرف على رَوْضِ النجوم طلّه، وترفرت على كبد السماء ظله، ويلغني أنه لما صنّف القانون المسعودي أجازهُ السلطان الشهيد بحمل فيك من النُقْرة، فردّه إلى الخزّانة فقدر الإستغناء عنه ورفض العادة في الإستغناء به.

وكان مع المشيخة في التعمير وجلالة الحال في عامة الأمور مُكبّاً على تحصيل العلوم مُتّصباً إلى تصنيف الكتب بفتح أبوابها ويخط شواكلها وإقرائها، ولا تكادُ تفارق يده القلم، وعينه النُظر وقلبه الفكر إلا في يومي النوروز والمهرجان من السنة، لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش من

(1) أ: ح. ن: وقيل كان أسمر اللون قصير القامة كث اللحية أبيضها...

بُلَغَةِ الطَّعَامِ وَعُلْفَةِ الرِّيشِ^(١) ثُمَّ هَجَرَاهُ فِي سَائِرِ أَيَّامِ السَّنَةِ عِلْمَ يَسْفَرُ عَنْ وَجْهِهِ قِنَاعُ الْأَمْكَالِ وَيَحْسُرُ عَنْ ذِرَاعِهِ كَمَا الْأَعْدَاقِ.

وَحَكَى الْقَاضِي كَثِيرُ بْنُ يَعْقُوبَ النُّورَازِي النُّحُوي فِي الدُّسْتُورِ عَنْ الْفَقِيهِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ عَيْسَى اللُّوْلُؤَانَجِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الرِّيحَانِ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ شَرَحَ نَفْسَهُ وَضَاقَ بِهِ صَدْرُهُ، فَقَالَ لِي فِي الْحَالِ: كَيْفَ قُلْتُ لِي يَوْمًا حَسَابَ الْحَدَثَانِ الْفَاسِدَةِ؟ فَقُلْتُ: تَعْفِينِي عَنْ ذَلِكَ. فَقَالَ: أَعَدُّ ذَلِكَ حَتَّى أَعْلَمَكَ الْجَذْرَ الْأَصْمُ الْمُنْطَقِي. فَقُلْتُ لَهُ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ.

فَقَالَ لِي: يَا هَذَا أَوْدُعُ الدُّنْيَا وَأَنَا عَالِمٌ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، أَلَا يَكُونُ ذَلِكَ خَيْرًا مِنْ أَنْ أُخْلِيَهَا وَأَنَا جَاهِلٌ بِهَا. فَأَعَدْتُ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَحَفَظَهُ، وَعَلِمَنِي مَا وَعَدَ وَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَأَنَا فِي الطَّرِيقِ إِذْ سَمِعْتُ الصُّرَاحُ، وَأَمَّا نِبَاهَةُ قَدْرِهِ، وَجَلَالَةُ خَطَرِهِ عِنْدَ الْمُلُوكِ، فَقَدْ بَلَغَنِي مِنْ حَظَوْتِهِ لَدَيْهِمْ أَنْ شَمْسَ الْمَعَالِي قَابُوسُ بْنُ وَشْمَكِيرٍ أَرَادَ أَنْ يَسْتَخْلِصَهُ لِصُحْبَتِهِ وَيَرْتَبِطَهُ فِي دَارِهِ، عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْأَمْرُ وَالطَّاعَةُ فِي جَمِيعِ مَا يَحْوِيهِ مُلْكُهُ وَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مُلْكُهُ فَأَبَى عَلَيْهِ وَلَمْ يُطَاوِعْهُ، وَلَمَّا سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ لَخَوَارِزْمِشَاهِ آوَاهُ فِي دَارِهِ وَأَنْزَلَهُ مَعَهُ فِي قَصْرِهِ.

وَدَخَلَ يَوْمًا خَوَارِزْمِ شَاهٍ وَهُوَ يَشْرَبُ عَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ فَأَمَرَ بِاسْتِدْعَائِهِ مِنْ الْحَجَرَةِ فَآبَظًا قَلِيلًا فَتَصَوَّرَ الْأَمِيرُ عَلَى غَيْرِ صَوْرَتِهِ وَرَامَ التَّزَوُّلَ فَسَبَقَهُ أَبُو الرِّيحَانِ إِلَى الْبُرُوزِ وَنَاشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ لَا يَفْعَلَ فَمَثَلَ خَوَارِزْمِ شَاهٍ بِقَوْلِ الْقَائِلِ: الْعِلْمُ مِنْ أَشْرَفِ الْوَلَاةِ يَأْتِيهِ كُلُّ الْوَرَى وَلَا يَبَالِي.

ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا الرُّسُومُ الدُّنْيَوِيَّةُ لَمَا اسْتَدْعَيْتُكَ، فَالْعِلْمُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى، وَكَأَنَّهُ

(١) مِنْ هُنَا إِلَى آخِرِ التَّرْجُمَةِ غَيْرُ مُوجُودَةٍ فِي النُّسخَةِ: ب.

سمع هذا مِنْ أخبار المعتضد لما طاف في البستان، وقد قال: جعل يده بيد ثابت بن قرة الحراني إذ جذبها دفعةً، وخلعها، فقال ثابت: ما بدا يا أمير المؤمنين؟ فقال: كانت يدي فوق يدك والعلم يعلو ولا يُعلَى [عليه].

ولما استبقاه السلطان الماضي بخاصّة أمره كان مفاوضه فيما يسُنح بخاطره من أمر السَّماء والنجوم. فيحكى أنّه ورد عليه رسول من أقصى بلاد التُّرك وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الجنوبي من دور الشمس عليه ظاهرة في كُلِّ دورها فوق⁽¹⁾ بحيث يطلُّ اللَّيْل فيسارعُ على عادته في التَّشدد في الدين إلى نسبة الرَّجُل إلى الإلحاد والقراطة على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات، حتى قال أبو نصر بن مسكان: إن هذا لا يذكرُ ذلك على رأي يراه، ولكنه عن مشاهدة تحكيه وتلا قوله تعالى: ﴿وجدها تطلعُ على قومٍ لم نجعلْ لهم من دونها ستراً﴾ فسأل أبا الرِّيحان عنه فأخذ يصفُ له ذلك على وجه الاختصار ويقرره على طريق الإقناع.

وكان السلطان محمود في بعض الأوقات يُخَيِّنُ الإصغاء ويبذل الإنصاف فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين⁽²⁾ السلطان. فأما السلطان مسعود فقد كان له إقبالٌ على علوم النجوم ومحبةٌ بحقائق العلوم. فخاوضه يوماً في هذه المسألة وهو سبب اختلاف الليل والنهار في الأرض. وأحبُّ أن يتضح له برهان ما لم يتضح له من ذلك بعيان، فقال له أبو الرِّيحان: أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين، والمستحقُّ بالحقيقة اسمُ ملك الأرض، فاخلقْ بهذه المرتبة إشارَ الإطلاق على مجاري الأمر وتصاريف أحوال الليل والنهار ومقدارها في عايرها، وصنّف له ذلك كتاباً في اعتبار الليل والنهار بطرقي تبعُد عن موضوعات المنجمين وتقرَّب بصورة من فهم مَنْ لم يرتضِ بها ولم يعتدَّ بها ولم يعتدَّها.

(1) أ. ح. ن.: الأرض.

(2) أ. ح. ن.: ابنه.

وكان السلطان الشهيد قد مَهَر بالعربية فسهل وقوفه عليه، وأجزل إحسانه إليه، ولذلك قَدْ صُنِفَ كتاباً في لوازمِ الحركتين بأمرو، وهو كتابٌ جليلٌ، لا يزيدُ عليه مقتبسٌ، أكثرُ كلماتِهِ عَنْ آيَاتِ مِنْ كتابِ الله تعالى، وكتابه المترجم بالقانون المسعودي يغني عن أثرِ كُلِّ كتابٍ في صَنَعَةِ تَنْجِيمٍ أو حسابٍ، وكتابه الآخر المنعوت بالدستور الذي صَنَفَهُ باسمِ شهابِ الدَّولَةِ أبي الفتح مُؤدود بن السلطان الشهيد مستوفي⁽¹⁾ المحاسن.

110 - أبو علي عيسى بن أحمد بن زرعة الفيلسوف⁽²⁾

كان حكيماً منطقياً كاملاً، وكان على دين المسيح، وهو آخرُ من يُرْتَضَى نقله لكتبِ الحكمِ أرسطاطاليس، البسائط والجوامع، وقد أثار الوهجَ فيما نقله من جوامع نيقولاوس وكتاب جالينوس في منافع الأعضاء وغيره من الكتب، ومِمَّا ترجمَهُ من كلامِ أرسطو قوله: الإنسانيةُ أفقٌ، والإنسانُ مُتَحَرِّكٌ إلى أفقه بالطَّبع، ودائرُ على مركزِهِ إلا أن يكون مؤوفاً بطبيعته، مخلوطاً بأخلاقٍ بهيميةٍ، وَمَنْ رفع عصاهُ عن نفسه وألقى حبلَهُ على غاربه وسَبَبَ هواهُ في مَرَعاهُ؛ ولم يَضِطْ نفسه عما يدعُوهُ إليه طَبَعُهُ، وكان لِبَنِ العريكةِ لِإِتِّبَاعِ الشهواتِ الرديئةِ، فقد خرجَ عن أفقه وصار أَرْدَلُ من البهيمَةِ بسوءِ إيثاره.

هذا آخرُ ما ترجمَهُ من هذا الفصل وهو كما ترى، وعظُ بحكمةٍ وإيقاظٍ برافةٍ، وتعليمٌ بنصيحةٍ، وإرشادٌ ببيانٍ، وهو كلامٌ في غايةِ الحسنِ، وكلِّ الأوائلِ والأواخرِ يأْمُرُونَ بهذا، ورُويَ هذا للحسنِ البصري ومنصور بن عمارٍ وصرامها⁽³⁾ وازادوا على ذلك، وقد اتفقتِ الأوائلُ⁽⁴⁾ كلها على إصلاحِ السيرةِ

(1) أ. ح. ن. : مرتب في.

(2) الفهرس، ص: 323، البيهقي، ص: 75، الففطي، ص: 245، أصيعة، ص: 318.

(3) وكذاه في «أ»، وهي غير واضحة.

(4) أ. ح. ن. : والأواخر.

وتصحیح الاعتقاد والسَّعي فيما أثمر وأجدى، وللإعراضِ عن كل ما شغل البال والهي وأثار الشهوة ليلبغ النفس غابتها، وتستعدُّ في عاقبتها، ولا يكون لها عكسٌ في هذا العالم، ولا تزدّد على ما قدْ خوَّف من ذلك كثير منهم.

ولهُ رسالةٌ في أنَّ علم الحكمة أقوى الدَّواعي إلى متابعة الشَّرع منها، من زعم أنَّ الحكمة تخالف الشريعة فهي مفسدةٌ لها مقدِّمةٌ غير كُليَّة، وتقريرُها أنَّ الحكمة مخالفةٌ للشريعة. وكل ما هو مخالفٌ للشيء مفسدٌ له، والكبرى غير كُليَّة فإنَّ الحلاوة تخالفُ البياض ولا تفسده، والصورة تخالفُ المادة ولا تفسدها، وإذا كانت غير كُليَّة فلا تنتج القياس، ومن قال إنَّ الناظر في المنطقي مستخفٌ بالشريعة، فإنَّ ذلك القائل طاعنٌ في الشريعة لأنَّ كلامه في قوة قول من قال، إنَّ الشريعة لا تثبت عند البحث والتحقيق ومزلهُ منزلةُ رجل حامل الدراهم المبهرجة التي يهرب معها من النقاد، ويأنس بمن ليس من أهل المعرفة، فمن قال: إنَّ الحكمة تفسدُ الشريعة فهو الطاعن في الشريعة لا المنطقي الذي يميز بين الصلح والكذب.

وقال: قرأت لفيلسوف قبل سقراط قولاً له: ارتفاع موضع العقل على سائر الحسنات التي هو المدبرُ لها كارتفاع موضع العينين على سائر الأوصال التي يسير بها ويهتدي بهدايتها.

وقال أبو علي: قال سقراطيس لتلميذٍ له: أقبل على إصلاح ما فيك من الفساد بمعونَةِ ما فيك من الصلاح. قال أبو علي: إنَّما هذا إلى تقسيم الإنسان بين الطبيعة والنفس. فما فيه من الصلاح، فمن ناحية نفسه، وما فيه من الفساد فمن ناحية طبيعته. فحث بكلامه هذا على الإستعانة بالنُّطق الذي للنفس على السفه الذي للطبيعة حتى ينمحق ويبقى أثره ويكون كأنَّهُ لم يوجد. وكما قد تكونُ نفس بعض الناس لغلبة العقل وأفعاله فيه كأنَّهُ بلا طبيعة، والرياضةُ موضوعةٌ لهذه الغاية، والاجتهاد واقع من أجل هذه الآفة.

وقال أبو علي: قال حنين وثابت بنُ قُرة: إنَّ النقطة والآن والوحدة بارزةٌ

عن المقولات العشر، قال: وهذا كذا لأن وجود هذه الأشياء في غاية اللطف والعلو والشرف فمن أي وجه والجلالة فلم تُحطَ بها مقولة ولم يجد لها رسم، فقال له البخاري: فمن أي وجه شعرنا بها؟ قال أوماً إليها العقل إيماء، والآن هو نقطة ولكن في الزمان، والوحدة نقطة ولكن في العدد، والنقطة والآن⁽¹⁾. ولكن لا في موضع ولا تحت شيء معروف.

وذكر ذلك الحكيم في بعض تصانيفه عن أرسطو أنه قال: إني ربما خلوتُ بنفسي كثيراً وخلعتُ بدني فصرتُ كأنني جوهرٌ مجردٌ بلا بدنٍ فأكون داخلًا في ذاتي وخارجاً عن سائر الأشياء سواي فأكون العلم والعالم والمعلوم جميعاً، فأكون خارجاً وداخلًا من سائر الأشياء فأرى في ذاتي من الحسن والبهاء والسناء، وأبقى متعجباً باهتاً فأعلم عند ذلك إلى جزء صغير من أجزاء العالم الأعلى الشريف وأني ذو حياة فعالة فلما بقيتُ كذلك ترقيتُ بذهني من ذلك العالم إلى العوالم العلوية الإلهية فصرتُ كأنني موضوعٌ فيها معلقٌ بها فأكون فوق العالم العقلي، فعند ذلك يلعب لي من النور والبهاء فأرى كأنني واقفٌ في ذلك الموقف الشريف، وأرى هنالك من البهاء والنور ما لا يقدرُ الألسنُ على وصفه والاسماعُ على قبول نعته فإذا استغرقني الشأنُ وبلغت طاقتي وغلبني ذلك النور والبهاء، ولم أقدر على احتماله هبطتُ من العقل إلى عالم الفكرة، وحجبتُ الفكرة عني ذلك النور فأقضي عجباً أنني كيف انحدرتُ من هذا العالم، وعجبتُ أنني كيف رأيتُ نفسي ممتلئةً نوراً وهي مع البدن كهيتها، فعند ذلك تذكّرت قول أخي أرقليطوس حيث أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريف بالصعود إلى عالم العقل وهذا الكلام له طویل، وهو بروم أن يكتب هذه المقالة⁽²⁾ اللطيفة فيمنعه العجزُ الكتابي عن إدراك ما عنده. شعر:

الجوع يدفع بالرغيف اليابس فعلام أكثر حسرتي ووسواسي⁽³⁾

(1) أ. ح. ن. : أن.

(2) أ. ح. ن. : منها.

(3) وكذا في هـ، والصواب: وسواسي (كما يتطلب سياق الفألية والوزن).

والموتُ أنصف حين ساوى حكمهُ بين الخليفة والفقير البائس⁽¹⁾

111 - أبو الحسن بن هارون الحراني⁽²⁾

طبيبٌ ماهرٌ وحكيمٌ متفلسفٌ، والغالب عليه علم الرياضَةِ والطبِّ.
وقال: عليك في مشورتك بالخير العالمِ غير الحسودِ فإنَّ الجبان يُضَيِّقُ
الأمور والبخل يَقتَصِرُ في طلبِ الغاياتِ، والحريص يَطلبُ الأمور من غير
استكمالِ الآلاتِ والأسبابِ.

112 - ابن سيار الطبيب⁽³⁾

كان حكيماً طبيباً، وكان يعالجُ أصحابَ الحمياتِ معالجةً شافيةً، وله
تصانيفٌ في الحكمة والطبِّ، وكان في صناعةِ المنطقِ من الظَّاهرين، ومن
كلماته: لا تَزُهْ تَلَّ⁽⁴⁾ معالي الأمور بكثرةِ الأعوانِ⁽⁵⁾.

113 - أبو محمد سليمان بن طاهر بن بهرام السجستاني⁽⁶⁾

مُصَنِّفُ كتابِ صَوَانِ الحكمة، كان حكيماً، له تصانيف كثيرة، أكثرها في
المعقولاتِ منها رسالةٌ في إقتصاصِ طرقِ الفضائلِ، ورسالةٌ في المُحرِّكِ
الأولِ ولما قَدِمَ ابنُ العميدِ إلى بغداد وَجَّهَ من يحرِّكُه لزيارته فأبى.

وقال: إنَّ فيلسوفاً من يونان دعاهُ ملكٌ إلى مثل ذلك، فاستعفى من
الحضورِ فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ الملوكَ يعرضُ لهم ما يعرضُ لمن بَصُرَ

(1) هذه الأبيات غير موجودة في النسخة: ب.

(2) البيهقي، ص: 79، أصيصة، ص: 307: أبو الحسن بن هارون الحراني.

(3) البيهقي، ص: 80، أصيصة، ص: 319، وهو غير موجود بالنسخة: ب.

(4) البيهقي، ص: 80، لا يرجى نيل.

(5) أ: ح. ن. : ولكن بصلحاء الأعران.

(6) الفهرست، ص: 322، أصيصة، ص: 28، الففطي، ص: 282، أصيصة، ص: 427.

بصورة، فإنه ما دام يراها من بعيد فهو يعجب بها فإذا دنا منها لم يرَ موضع تعجب ثم قال: إن السامع بحديث من يذكرُ يقتني بعقله صورةً عقليةً نقيّةً شريفةً بهيئةً، فإذا ابتدّل البصرُ ذلك المذكور حطّه إلى الصورة الطبيعية، والصورة الطبيعية في المشايخ وأهل الفضل محطّولة عن الصورة العقلية فيعرض للنّاظر إلى من يسمّع به ما تحدّث فيه درايةً إلّا أن يكون السامع عارفاً بذلك الأمر بحيث إذا رأى تلك الصورة لا تنحطّ عن العقلية إلى الصورة الحسيّة، وهذا رجلٌ فاضلٌ مثالّه، غزيرُ العلم، تام الحكمة، أخذ عن يحيى بن عدي، وله نظرٌ في الأدب والشعر، ومن شعره:

لا تحسّدنّ على تظاهري نعمة شخصاً تبينّ له المنون يمرضد
أوليسَ بعد بلوغه أماله يُفضي إلى عدم كان لم يوجد
لو كنتُ أخسّد ما تجاوزَ خاطري حسد النجوم على بقاء السرمد

ومن⁽¹⁾ كلامه: الحسود لا ترجّ الاستمتاع به، وكيف تُرجي الاستمتاع من من مضرتّه تنال القريب فضلاً عن الغريب. وأبو سليمان المصنّف لصوان الحكمة كان في أيام شيبته يتعانى الفقه متمسكاً بطريقة العفاف والسداد، وكان يتناول من الشراب المختلف على مذهب أبي حنيفة لكونه حنفياً، صجّبَ أبا جعفر بن بابويه ملك سجستان، وذكر أبو حيان، إنني رأيتُ أبا سليمان هذا في المنام كأنه غائص في نورٍ على غير الهيئة التي كنت أراه عليها في الحياة، فقلت: ياسيدي إذا كنتَ من الهيولى والصورة. فكيف أصيرُ مع إحداهما وأترك الأخرى وأنا بهما ومنهما. فقال لي: كما تصيرُ مع أهلك وتهربُ من أمك لعلمك أن أباك أهدى إلى مصلحتك وأعرف بوصول الفائدة إليك، وانظر لك في جميع أحوالك، قلت: صدقت يا سيدي، إلّا إنني بالهيولى أكثر، فقال: أنت بالهيولى أكثر طيناً وبالصورة أكثر عقلاً، وقليل القوى أكثر وأجدى من كثير الضعيف، فكيف كثير القوى مع قليل الضعيف.

(1) من هنا إلى آخر الترجمة غير موجود بالنسخة: ب..

حكى أبو سليمان ببغداد سنة سبعين وثلاثمائة أنه رأى يحيى بن عدي في المنام، فقال: سعدت يا أبا سليمان إني رأيت أرسطو في المنام، فقلت له: يا حكيم العالم بم صرت في حالك هذه؟ فقال: بإرادة الخير في السر والعلانية للصالح والطالح في الرضا والغضب دائماً. فقلت له: بم نلت هذا؟ قال: بمعرفة الإله تعالى الذي هو سبب كل خير، وكنت في العلة التي ذكرتها، أسمع أشياء في نعت الإله تعالى، وكانت تروقني ويشند بها إعجابي، وكنت أرى أنني قد ثقفتها⁽¹⁾ ووعيتها، وأردت أن أكتبها فأقول: كيف أكتب ويدي لا تطاوعني ضعفاً ثم لا حاجة إلى كتابتها، وقد عرفتها وكنت أتمن ذلك بإعادتي في تلك الحال التي كانت تعاقب ذلك الدهول، والعرق بشراة العلة واحتدادها، فلما أملت فقدت ذلك كله، وبقي معي شيء واحد، وهو أنه قيل لي لن يذوق أحد حلاوة الفلسفة الأولى، وإن كان راضياً عن نفسه بفضله راضياً عند إخوانه بأدبه حتى يسمع باللفظ ماله حد ويحد بالعقل ما لا حد له، وكنت أرى أن الذي سمعته كان أبسط من هذا وأشد تنقيحاً، إلا أنني حصلت ما كتبت لك وسمعت قائلاً يقول: طيب يا هذا، بيتك الذي أنت فيه ساكن حتى تنعم، ولا يجاورئك فيه من لا تأمن غائلته حتى تسلم، وسمعت أيضاً ما أنهارك عن مبادئك واغفلك عن آخر حالك، وما أجلبك للفساد بين هذا وذلك. وخرج أبو سليمان يوماً ببغداد إلى الصحراء في الربيع للتفرج والمؤانسة مع أصحابه ومعهم صبي دون البلوغ، جهم الوجهه، بغض المحيا، إلا أن صوته في غاية الحسن، وأطرافه حلوة ومع جماعته⁽²⁾. شتى فتان المحلة كلهم أدباء، فلما تنفس الوقت أخذ الصبي في فنه وبلغ أقصى ما عنده فترنح أصحابه وطربوا، فقال أبو زكرياء الضميري: قلت لصاحب لي: أما ترى ما يعمل شجي هذا الصوت، وزنا هذا الحلق، وطيب هذا اللحن، وتفنن هذا النغم، فقال: لو كان لهذا من يخرجهُ ويعنى

(1) أ. ح. ن. : فهنتها.

(2) أ. ح. ن. : من.

به وبأخذه بالطريق المؤلفَة والألحان المختلفة، لكان يُظهر آية، ويصير فتنة
فإنه عجيب الطبع ويديع الفن.

قال أبو سليمان: حدثوني عن الطبيعة، لم احتاجت إلى الصناعة والصناعة
محاكية للطبيعة⁽¹⁾ وتروم اللحاق بها والقرب منها وهي ذونها وهذا رأي صحيح
والصناعة إنما حكمت الطبيعة وتبع رسمها، وقضت أثرها الانحطاط رتبها
عنها، وقد زعمت أن هذا الصبي لم تكفهِ الطبيعة بل احتاجت إلى الصناعة
ليكون الكمال مستفاداً بها وماخوذاً من جهتها، والغاية مبلوغة بمعونتها، وقلنا
له: يوم ندرى وإنها لمسألة، قال: فكروا، فقلنا له: لو منتت بالبيان ونشطت
لنشر الفائدة، كان ذلك محسوباً في بعض أياديك وعود فضائلك، فقال: إن
الطبيعة إنما احتاجت إلى الصناعة في هذا المكان لأن الصناعة هنا تستملي
من النفس والعقل وتعلي على الطبيعة، وقد صبح أن الطبيعة مرتبتها دون
مرتبة النفس والعقل وأنها تعشق النفس وتقبل آثارها وتمتثل أمرها، وتكتب
بإملائها، والموسيقى حاصل للنفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف
شريف.

فالموسيقار إذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة وقريحة مؤاتية وآلة مُنفّذة
أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنقاً وتأليفاً مُعجباً، وأعطاهها صورة
معشوقة وجليّة مرموقة، وقوّته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة، فمن
ها هنا احتاجت الطبيعة إلى الصناعة لأنها وصلت إلى كمالها من جهة النفس
الناطقية بوساطة الصناعة الحادثة التي من شأنها استملاء ما ليس لها وإملاء ما
يحصل فيها استكمالاً بما تأخذ وإكمالاً لما يُعطى، فحينئذ شكره البخاري
وأثنى عليه. فقال: هدايتكم اقتبست وبجركم قدحت، وإلى ضوء ناركم
عشوت. وإذا صفّا ضمير الصديق للصديق أضاء الحق بينهما واشتمل الخير
عليهما، وصار كل واحد منهما رداء لصاحبه عوناً على قصده، وسبباً قوياً في

(1) أ: ح. ن: هـ.

نيل إرادته ودرك بُغيته، ولا عجب من هذا فإن النفوس تتقادح، والعقول تتلافح، والألبسة تتفاح، وأسرار هذا الإنسان الذي هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير كثيرة واسعة مبنية، لكن يحتاج الناظر في هذا النمط إلى عنايته بنفسه في طلب سعادته ودعائه لحاله في السلوك إلى غايته من غير تَلَفُّت إلى الحسن.

114 - عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح⁽¹⁾

كان هذا الشيخ كبيراً في علم الأوائل، جامعاً لفنون الفضائل، وهو ابن علي بن عيسى الوزير، وكان مع توجهه في هذه العلوم له رأس مال في علم الحديث وعلو الإسناد، والمعرفة بالقراءات وسائر الآداب والمحاسن، وكان مُلَازِماً لبيته صائناً لنفسه، إلى أن مات مشغلاً بالإفادة والتدريس على رئاسة حاله وكبر سنه.

قال: ترجمت من كلامهم يعني الفلاسفة أشياء.

منها قول بعضهم: لئن تستغني عن الشيء وتكفاه خير من أن تحتاج إليه وتعطاه.

ومنها قول آخر: العاقل بخشونة العيش مع العقل، آنس منه بلين العيش مع السفاهة.

ومنها: إذا كان الصياد يحتال للطير حتى يالفه، فلم لا يحتال العاقل للإنسان حتى يواخيه ويصافيه.

وقال فيلسوف: لذات الدنيا ست: ثلاثة تَمَلُّ وهي الأكل والشرب والنكاح، وثلاثة لا تَمَلُّ وهي الطيب واللباس والسماع.

(1) القفطي، ص: 244، أصيبة، ص: 333.

115 - غلام زحل وابن الحسين⁽¹⁾

قال غلام زحل: السماء هي الجسم الذي فيما بين نهاية كره القمر إلى نهاية كره العالم، وجميع أكبر السماء على ما صُحَّ عندنا نُسَّعُ أكبر أقربها إلينا كره القمر، وسمعت بعد هذا ابن سلس كان يقول دون فلك القمر فلكاين هما سبب المدّ والجزر، ويقطعان الفلك في كل يومٍ وليلةٍ مرتين، وكان هذا من آرائه التي تفرَّد بها، ولم أجِدْ أحداً يُوافقه على هذا، والعجب من هذا الرجل كيف خالف الأوائل الذين أقاموا البرهان على خلاف دعواه. والصناعة برهانية ولا برهان له على إثبات هذين الفلكين.

وله أيضاً أشياء أخر أنشأها رأياً من تلقاء نفسه، وأعجب لها إعجاباً شديداً، ودعا إليها في الطبيعيات والآلهيات، وقد ذكر أبو حيّان هذه الآراء في رسالة له إلى بعض إخوانه، ومات هذا الرجل أعني أبا سعيد صاحب هذه الأقوال لتسع خلون من ذي القعدة سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

116 - أبو تمام النيسابوري

هو من فحول الحكماء والمُبرزين في هذه الصناعة، وتصانيفه كثيرة، منها رسالة في الحدود ما صنّف أحد مثلها، ومن كلماته، قال بعض الحكماء: الحركات الطبيعية ست: حركة الكون، وحركة الفساد، وحركة الذبول، وحركة الإضمحلال، وحركة الانتقال، وحركة الإستحالة، ولكل حركة فعل خاص من الأفعال الطبيعية. وكذلك لكل حد من الحدود الستة، شرف، وفضل، وعلم، وأدب، وعمل يدل على قوتها وكمالها.

قال الأستاذ برهان الحق فخر الدين الغضنفر أفاض الله تعالى على نفسه نقدياً: ليس قول القائل بأن للأوائل برهاناً على خلاف دعوى الرجل بحق

(1) الفهرست، ص: 342، القفطي، ص: 224؛ عبيد الله بن الحسن أبو القاسم.

ولا مطابق لما اعتقده المبرزون، ولا موافقاً لقول الحكيم أرسطو عند تجويزه كور الأكبر أكثر من السبعة، ولا لافلاطن وبطلميوس عند إنسابهما الحركة إلى الميسورات، ثم إن الرجل وهو صاحب الجامع الأكبر وغيره هو أعظم قدراً وأجل خطراً في أن يُظنَّ به أنه يجازف أو يغلط، بل هو في الطبقة العليا من الحكمة وخاصة في الأقسام الرياضية التعليمية، وله رتبة الإستقلال والتفرد في النظر والمقال، ومن له فطنة وقوة تمييز بعد إحاطة معلوم الاوائل والمحدثين يتحقق عنده أن الرجل أعظم قدراً من أن يتطل قوله بقول غيره من غير عكس.

قال كاتبه: نقلته من خطه قدس الله تعالى سره؛ وأما البديهي فإنه صحب يحيى بن عدي دهرًا طويلاً.

وقال: الوجود وجودان حسي وعقلي، ولكل واحد من هذين الوجودين وجود بحسب ما هو به موجود إما حسي وإما عقلي. فعلى هذا، النفس لها عدم في أحد الوجودين وهو الحسي ولها وجود في القسم الآخر، فتبسّط وتعقل وتستبطن، وتنظم المقدمات وتدُل على ما يتبع المعلومات، ويعلو إلى غاية الغايات، وليس للحس معها شركة لا له عندها معونة، ثم قال: وكيف لا تكون النفس كذلك وجوهرها أعلى وخاصتها أسنى، وهذه الأشياء عنها أبعد، وعن شرفها أهبط، ثم قال: ولطائف الحكمة لا يصل إليها الحسي الجافي والغليظ الصلف وإنما يصل إليها من صح ذهنه، واتسع فكره، ودقُّ بحثه، ورقَّ تصفحه، واستقامت عادته، واستشار عقله، وعذب بيانه، وقرب اتقانه قيل له⁽¹⁾ عزيز جداً.

117 - النوشجاني

قال يوماً وعنده جماعة من أصحابه: قد وضّح بالعبارة الصحيحة والتّصريح.

(1) أ. ح. ن. : هذا.

الشافعي والنظرِ البليغ أن الفاعلَ الأولَ الذي هو علةُ كلِّ ما يرى ويوجد ويعقل ويحسن لا قصدُ له في أفعاله ولا مزاوله ولا مُحاوله.

فقال له بعضُ الحاضرين: لو أئذتَ هذا ببرهانٍ ساطعٍ أو بدليلٍ مُقنعٍ، كنتَ قد شئتَ ما أسستَ، فقال: لأنَّ كلَّ هذه دخلت أفعالنا لعجزنا وفشلنا وانحطاطنا وضعفنا وسيلاننا وبطلاننا، فأنجبرت مكاسراتها وتمت مناقصنا بمواصلتها وانسدت معارقنا باستعمالها، فأما الباريء الحقُّ الذي هو واجبُ كلِّ كاملٍ كماله، وجابرُ كلِّ ناقصٍ نقصه، فهو على غير هذه الأغراض والجلل.

فقال له السائلُ: فكيف اتفقنا على أنه منعوهُ بالحكمة، وأفعاله على ما زعمت؟ فكيف التخلُّص من هذا؟ فقال: لعنري أن إيضاحه لصعب. ثم صنَّف في ذلك رسالة طويلة لا يليقُ ذكرها ههنا.

118 - أبو القاسم الأنطاكي

وهو المجتبي⁽¹⁾ وأبو زكريا الضميري وطلحةُ التقي ووهبُ بنُ يعيش الرُّاقي ونظيفُ الرُّومي وأبو محمد العروضي، فكانوا حكماء أفاضل لم نظفر بتواريخهم على ما ينبغي، وكانت أزمانهم متقاربة.

119 - أبو إسحق الصابي

120 - أبو الخطاب الصابي

وأما أبو إسحق الصابي وابنه عمه أبو الخطاب الصابي⁽²⁾ فكانا من الحكماء الفضلاء، وأما في الأدبِ فمِنَ المشاهير، قال أبو حيان:

(1) الففطي، ص: 234.

(2) أصيبة، ص: 343.

سمعتُ أبا إسحق الصابي الكاتب يقول لأبي الخطاب: ^(١) «إعلم المذاهب والمقالات والنحل والآراء وجميع ما اختلف الناس فيه وعليه كدائرة في العقل فمضى فَرَضَ فيها قولاً وجعل مَبْدَأَ الأقوال انتهى منه إلى آخر ما يمكن أن يقال فليس من قولٍ إلا وقد قيل أو يقال، وليس من فعلٍ إلا وقد فعل أو سيفعل، وليس من شيء يعلم إلا وقد عُلِمَ أو يُعَلَم. وهكذا في الظن والرأي وغير ذلك، وهذا عام في كل شيء، وذلك أنك لا تشير إلى رأي وتخيّل إلا أمكنك أن تظن به كل ما ظن ويظن».

وتقول كل ما قيل ويقال وإنما يضيق نجمُ أحدنا وينفتح مُشربُ الآخر، لأنَّ الخاطر يسعُ مرةً ولا يسعُ مرةً، والقلب يتسعُ مرةً ولا يتسعُ مرةً، واللسان ينطقُ مرةً ولا ينطقُ أخرى.

فقال أبو الخطاب: هل للخواطر والألفاظ والآراء والمقالات نسبةٌ إلى المزاج والطبيعة والهواء وإلى العناصر بالجملة؟ فقال: نعم، لها نسبةٌ إلى المزاج والطبيعة والهواء، وإلى العناصر بالجملة، فقال: نعم لها نسبةٌ إلى المزاج، لها نسبةٌ قويةٌ وعلاقةٌ شديدةٌ ورباطٌ متينٌ إلى هذه الأمور التي تبطن فيه أو تُطَيَّفُ به، أو تُطلُّ عليه، ولا سبيل مع ذلك إلى اتفاقِ الناسِ في حالٍ من الأحوال، ولا سبيل من السبل ولو أمكن ذلك لو جُدَّ. ألا ترى أنه لا سبيل إلى أن يكونَ الناسُ كُلُّهم طوائفَ القدود أو قصارها، أو ضخامَ الرؤوس أو صغارها، أو فصحاءَ الألسنة أو لكنها، وعلى مذهبٍ واحدٍ ومقالةٍ واحدةٍ.

كيف يكون لهذا أو يُظن، والطبيعة إنما تُعطي صورتها لكل شيء بحسب قبوله ونهيه ومؤاتيته، فليس الزائد من عطية الطبيعة، ولكن على قدر قبوله، وصلابة الحجر من عطية الطبيعة، ولكن على قدره، فإختلاف الصور إنما نشأ من جهة اختلاف المواد، وهذا أصل لا أصل له وجلة لا علة لها، لأنه لم

(١) أ. ح. ن. : أن.

يَفْعَلُهُ فَاعِلٌ عَلَى ذَلِكَ، بِلِ الصُّورَةِ مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ هَذَا وَالْمَادَةُ مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ، وَالْأَمْرُ مُسْتَبْتٌ عَلَى سَنَنِ مَا تَرَى، فَعَلَى هَذَا كُلُّ أَحَدٍ يَنْتَجِلُ مَا سَأَلَهُ مِزَاجُهُ وَنَبْضُ عَلَيْهِ عَرْقُهُ وَعَجَنَ بِهِ طَيْتَهُ، وَجَرَى بَعْدَ ذَلِكَ دِينُهُ وَدَابُّهُ.

121 - أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِي⁽¹⁾

كَانَ حَكِيمًا شَاعِرًا مِنْ خُدَمِ الْمُلُوكِ السَّامَانِيَّةِ وَنَدِمَاءِ الْأَمِيرِ خَلْفِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَاسْتَعْدَمَهُ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ سُبُكْتِكِينَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْفَتْحِ: لَا تَبْقُ بِِي إِلَّا بَعْدَ أَنْ تُجَرِّبَنِي، فَإِنَّ التَّجَرُّبَةَ تُزِيلُ الشُّبُهَةَ، وَعَاشَ إِلَى أَيَّامِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ هَذَا السُّلْطَانُ مِرَارًا.

وَقِيلَ هُوَ كَاتِبٌ بَانْتَوَزَ صَاحِبُ بَسْتٍ، فَاسْتَحْضَرَهُ الْأَمِيرُ سُبُكْتِكِينَ وَكَانَ كَاتِبُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ مَدَّةً ثُمَّ اتَّفَقَ لَهُ مَفَارِقَةُ خُرَاسَانَ مَعَ الْخَاقَانِيَّةِ، وَتَوَفَّى بِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ. وَمِنْ كَلَامِ أَبِي الْفَتْحِ فِي أَشْعَارِهِ:

وَلِلْأُمُورِ مَوَاقِيتٌ مُقَدَّرَةٌ	وَكُلُّ أَمِيرٍ لَهُ حَدٌّ وَمِيزَانٌ
فَلَا تَكُنْ عَجَلًا فِي الْأَمْرِ تَطْلُبُهُ	فَلَيْسَ يَحْصُلُ قَبْلَ النُّصْحِ بَحْرَانٌ
يَا أَيُّهَا الْعَالَمُ الْمَرَضِيُّ سِيرَتُهُ	أَبْشُرْ فَإِنَّتَ بَغِيرَ الْمَاءِ رِيَانٌ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى بِخِدْمَتِهِ	أَتَطْلُبُ الرِّيْعَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانٌ
عَلَيْكَ بِالنَّفْسِ فَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا	فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ

122 - الْأَمِيرُ السَّيِّدُ زَيْنُ الدِّينِ

إِسْمَاعِيلُ أَبُو الْحَسَنِ الْجَرَجَانِي⁽²⁾

أَحْيَا الطَّبَّ وَسَائِرَ الْعُلُومِ بِتَصَانِيفِهِ اللَّطِيفَةِ، وَكَانَ مُرْتَبَطًا بِخَوَارِزْمِ شَاهِ إِيَزَ ابْنِ مُحَمَّدٍ بِخَوَارِزْمِ مَدَّةً، وَكُتِبَ مَبَارَكَةٌ، وَكَانَ لَطِيفَ الْمَعَاشِرَةِ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ.

(1) الْبِيهَقِيُّ، ص: 49.

(2) الْبِيهَقِيُّ، ص: 172.

(بياض في الأصل)^(١) ما لي لولاك يا أخي أيدك الله وإياي بتوفيق شديد السكون إلى هذه الدنيا الزائلة والدَّارِ الفانية، كثير الميل إلى تربية هذا الجسد المظلم الكثيف الذي هو أجمع مركب وأخبث مسكن للنفس، سهل الانقياد لقوتيك الغضبية والشهوانية اللتين تحرك إحداهما إلى الشبهة والآخرى إلى البهيمية. صعب القيادة عسير الإجابة لقوتك العاقلة التي تؤويك جنة الماوي، وتُرقيك الدُّرجة العليا لعلك قد انخدعت بل اغتررت بمباشرة هذه اللذات التي كلَّها في الآلام وإيَّ الأم.

أما عَلِمْتَ أَنَّ اللذات الدنيوية كُلَّها في الحقيقة أكل الطيب، وشرب العذب، ولبس اللين، وركوب الهمَلَج، وقهر العدو، والتمتع بالحساء، وهذه كلها في الحقيقة حاجات متعبة وخصوصاً للعقلاء، وضرورات مزعجة للمتقطين من العلماء، لأن الأكل والشرب إنما هو لدفع ألم الجوع والعطش واللبس لدفع ألم الحر والبرد، والركوب لدفع ألم المشي، وقهر العدو، ولطلب التَّشفي من ألم الغيظ، والنكاح إنما هو طلب لذة بدنية بمباشرة غُضْوٍ حقها أن يَسْتَبْرَ وتستحي عن كشفه، وخصوصاً من الرجال العقلاء الذين يكرهون أن يَكْشِفُوا عن سواعدهم. مثلاً، ثم في تلك الحال يحتاج إلى كشف عضوه المستبر ويضطر إلى كشف مثله من المفعول فما أحسن هذه اللذة عند العاقل المتيقظ، وما أهونها عليه، وما أقبحها عنده، وما أفصحها لديه ثم الحاجة غير طيبة ولذيفة في ذاتها، وهذه الأحوال كما ترى حاجات، والحاجات آلام ولو كانت فيها فضيلة لما استغنت الملائكة المكرمون المقربون عنها ولا ترهب منها، وكلُّ اللذة في أن لا يؤلم جوع^(٢) ولا يؤذي حر ولا برّد ولا ينغص القيش خرد ولا غضب، ولقد صحبت من إذا جاع صبر طويلاً، ثم إذا قُدِّم إليه الطعام بكى ثم أكل.

وكان يقول: اللَّهُمَّ أنت خلقتني وأنت أحوجتني وبالخطاب أكرمتني، فهَبْ

(١) أ. ح. ن. : وهذه رسالة له.

(٢) أ. ح. ن. : ولا يؤذي عطش ولا يتعب مشي.

لي ما وعدتني وكان هذا الكلام شكايّة من هذا الصديق من المِ الحاجة،
نعم من عرف كنه ألم الشيء فإن تألمه به يكون أشد وأكبر وأنتم وأبلغ، وأنا
منذ زمان استعمل هذا الدعاء وأقول: اللَّهُمَّ إني أسألك غير مُتَحَكِّمٍ عليك
أن تكفيني مؤنة هذا الجسد الذي هو سبب كل مَذَلَّةٍ وأصل كل حاجة،
والجاذِبُ إلى كل بليّةٍ، والطالب لكل خطيئةٍ وأن تُيسر الخلاص منه على
أسهل وجِدٍ وأفضل حالٍ إلى خير معادٍ وأحسن بالٍ بمنك وفضلك يا ذا المَرُ
والأفضال، فإن رأيت أن توافقتني في استعمالي فحُفِّفْ رجلَكَ وشَمِّرْ ذَيْلَكَ
وارْخِ عِلَّتَكَ، وقصِّرْ أَمْلَكَ، وظَهِّرْ خَلْقَكَ، ونقْ طَرَفَكَ تَكْتَبْ وتَسَلِّمْ وتَذِقْ ولا
تندم والسَّلام.

123 - أبو الحسن محمد بن يوسف العامري⁽¹⁾

تفلسف بخراسان، وقرأ على أبي زيد البلخي⁽²⁾، وقصد بغداد، وتصدّر
بها، ولم يرض أخلاق أهلها، وعاد وهو فيلسوف تام. شرح كتب أرسطو،
وشاخ فيها، وله كتاب الأمد على الأبد.

وقال: الفطن من استقرغ أيامه لأداء ما خلق له، والمغبوط من كفى
الإهتمام بما يشغله عن الخير المطلق، والحمية أن تدع أبداً في الشهوة بقية.
ومن استعمل الصلف والإغترار فقد فسّد خلقه.

وقال في صفة البارئ تعالى: ظهوره منعه من إدراكه لإخفائه. أنظر إلى
الشمس هل مَنَعَكَ من مقابلة قُرْصِها إلا شَيْئَة شُعاعِها وانتشار نُورِها، وهكذا
العقل والنفس ظاهراً غير خفيّان، ومكشوفان لا مسترّان.

(1) البيهقي، ص: 17.

(2) البيهقي، ص: 52.

124 - شرف الملك أبو علي الحسين بن عبدالله ابن سينا البخاري⁽¹⁾

كان أبوه رجلاً من أهل بلخ من الكفاة والعَمال، وانتقل إلى بخارى في أيام الأمير الحميد ملك المشرق نوح بن منصور. واشتغل بالتصريف، وتولى العمل بقرية يقال لها جرمتين من قرى بخارى، وهي من أمهات القرى، وبقرية قرية يقال لها أفشنة، وتزوج أبوه منها امرأة اسمها سَنَازَه، وولّد أبوه علي بهذه القرية في صفر من سنة سبعين وثلاثمائة، الطاليع السُّرطان درجة شرف المُشترى، والقمرُ على درجة شرفه، والشمسُ على درجة شرفها، والزُّهرة على درجة شرفها، وسهم السعادة في وسط بين السرطان، وسهم الغيب في أول السُّرطان مع سُهَيْل والشمسُ اليمانيّة، ثم وُلِدَ أخوه محمود بعده بخمس سنين، ثم انتقلوا إلى بخارى وحضر أبو علي مُعلِّم القرآن ومُعلِّم الأدب، فلما بلغ عَشَرَ سنين حَفِظَ أشياء من أصول الأدب، وأبوه كان يطالع رسائل إخوان الصفا، وهو يتأمله أحياناً، وأبوه يُوجِّهه إلى بقالٍ يتعلَّم عليه حساب الهند والجبر والمقابلة، يقال له محمود المساح. ثم توجَّه تلقاء بُخارى أبو عبدالله التالي، فأنزله أبوه وآواه وأكرمه.

وكان أبو علي يختلف في الفقه إلى اسماعيل الزاهد، ويتلقَّف مسائل الخلاف، وينظر ويجادل، ثم ابتدأ بإساعوجي على التالي حتى أحكَمَ عليه المنطق ثم إقليدس، ثم المجسطي، فلما فرغ التالي من تعليمه توجَّه تلقاء خوارزم قاصداً حضرة خوارزم شاه مأمون.

واشتغل أبو علي بتحصيل العلوم من الطبّي والإلهي، وينظر في النصوص والشروح، وانفتحت عليه أبواب العلوم. ثم رغب في علم الطب، وتأمَّل الكتب المُصنَّفة فيه، وعِلِمَ الطب ليس من العلوم الصعبة فلا جرم

(1) الففطي، ص: 413، أصبغة، ص: 437.

إن صار فيه في مدة قليلة عديم المثل^(١) والقرين والنظير، وفضلاء الطب يَخْتَلِفُونَ إليه ويقرأون عليه المعالجات المقتبسة من التجربة، وهو مع ذلك يختلف إلى إسماعيل الزاهد في الفقه.

فلما بلغ اثنتي عشرة سنة وأكثر أقبل بعد ذلك سنة ونصفاً على العلوم وأعاد قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة وفي هذه المدة ما نام ليلة واحدة بطولها، ولا اشتغل في النهار بغير المطالعة، وجمع بين يديه ظهوراً من القراطيس وكل حجة ينظر فيها يثبت مقدماتها القياسية ويكتبها في تلك الظهور ورأى شرائط المقدمات، وفصل ما هو مُنتج^(٢) عقيم، وإذا تحير في مسألة ما ظفر فيها بالحد الأوسط، تردّد إلى الجامع وصلى وابتهل إلى الله تعالى حتى فتح الله عز وجل له ذلك، وكان يعود كل ليلة إلى داره، ويضع السراجة، ويشغل بالقراءة والكتابة، فإذا غلبه النوم أو اكدره ضعف مزاج شرب قدحاً من النبيذ.

وكان الحكماء المتقدمون مثل أرسطو وأفلاطون وغيرهم زهاداً. وأبو علي على غير سُنَنِهِم وشعارهم. وكان مشغولاً بشرب الخمر واستفراغ القوى الشهوانية، ثم اقتدى به في الفسق والانهماك من جاء بعده فأحكم جميع العلوم ووقف عليها بحسب الإمكان الإنساني، وكل ما علمه في ذلك الوقت فهو كما علمه لم يزد إلى آخر عمره حتى فرغ من المنطق والرياضي ولم يبالغ في علم الرياضي لأن من ذاق طعم حلاوة المعقولات يصون تصرف فكره في الرياضيات إلا فيما يتصوره مرة واحدة ويتركه.

ثم أقبل على العلم الآلهي وقرا ما بعد الطبيعة وأعاد قراءته أربعين مرة، وصار له محفوظاً. ماذا يبلغ الوصف فيمن قد أشرف على الأشياء بمعرفتها، وتفتن حقائق حقيقتها، وصارت الحكمة في قبضته يحطمها كالدلول المقيّد

(١) أ. ح. ن. : فريد المثل.

(٢) أ. ح. ن. : مما هو.

على حبل ذراعِهِ كيف شاءَ آخِذاً باليدِ والجملةِ الاطنابِ في مَذْجِهِ يُغالبُ
صفحةَ الشمسِ ظهوراً ويكاسِرُ عِنْدَ القطرِ وفوراً على أَنَّ الغالي آمِنٌ من
تجنبِ الإفراطِ خائفٌ من التفریطِ قريبٌ من التَّقْصِيرِ والتَّعْذِيرِ، وبمعزلٍ من
الإطالةِ والتكثيرِ ومع ذلك لا يفهمه ولا المقصودُ مِنْهُ، وأيس من نَفْسِهِ.

وقال: هذا كتاب لا سبيلَ إلى فَهْمِهِ، فاتفَقَ أَنَّهُ كان يوماً في سوقِ الوُراقينِ
فعرض عليه دُلَّالٌ كتاباً، فنَادى عليه، فرَدَّه أبو عليٍّ عليه ردُّ مُتَبَرِّمٍ معتقِدٍ أن لا
فائدةَ في هذا العلمِ، فقال له الدُّلالُ: إشتَرِه فلأنَّهُ رخيصٌ بثلاثةِ دراهمٍ،
وصاحبُه محتاجٌ إلى ثَمَنِهِ، فاشتراه فلِإِذَا هو كتابُ لابي نصر الفارابي في
أعراضِ كِتَابِ ما بعدَ الطَّبيعةِ، قال: فرجعتُ إلى بيتي وقرأته فأنحَلُ لي
غرضُ ذلك الكتابِ بسببِ أَنَّهُ كان لي محفوظاً، ففرحتُ بذلك وتصدَّقْتُ
بشيءٍ كثيرٍ على الفقراءِ، شكراً لله عزَّ وجلَّ. وكان ملكُ المشرقِ وخراسانِ
وفي زمانِهِ نوحُ بن منصورٍ فمرضَ له مرضٌ أعجزَ الأطباءَ، وكان اشتهرَ
بينهم في التَّوَفُّرِ على العلمِ والقراءةِ، فسألوا نوحاً إحْضارَ أبي عليٍّ، فحضر،
وشاركهم في معالجتِهِ فتوسَّمَ بخدمَتِهِ، فصار أوَّلَ حَكِيمٍ توسَّمَ بخدمةِ
المُلوِكِ. وكان الحكماءُ قبلَ ذلك يَتَنَزَّهون عن ذلك، ولا يَقْرَبون أبوابَ
السُّلاطينِ.

وقال: فسأل أبو عليٍّ نوحُ بن منصورٍ في الإِذْنِ في الدُّخُولِ إلى دارِ كُتُبِهِ،
فأجيبَ إلى ذلك، فرأى مِنَ الكُتُبِ ما لَمْ يَقْرَعْ أَسْماعُ النَّاسِ اسمُهُ، فقرأها
وأخذ فوائدها، وعرفَ مرتبةَ كُلِّ رجلٍ في علمِهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمينِ، فاتفَقَ إحراقُ
تلك الدَّارِ، واحترقَتِ الكُتُبُ بأسرها.

وقال بعضُ خُصَمَاءِ أبي عليٍّ إِنَّهُ أَحرقَ تِلْكَ الكُتُبَ لِئَظْفَرَ بِتِلْكَ العلومِ
والنِّفائِسِ وَيُنسِبَهَا إلى نَفْسِهِ، ويقطَعُ إِنْسابَ تلكِ الفَوَائِدِ عن أربابِها، واللهُ
أعلمُ بذلك. فلَمَّا بلغَ أبو عليٍّ ثمانِيَةَ عَشْرَةِ سَنَةٍ مِنْ عَمَرِهِ فرغَ مِنَ العلومِ
كُلِّهَا، ولم يَتَجَدَّدْ بعدها شيءٌ وكان في جِوارِهِ رجلٌ يَقَالُ لَهُ أبو الحسنِ

المروزي، فسأله أن يُصنّف له كتاباً جامعاً في هذا العلم، فصنّف له المجموع وذكر اسمه فيه، وأثبت فيه سائر العلوم سوى الرياضي فإنه ليس فيه زيادة مرتبة ولا سعادة في العقي، وفي جواره رجل يقال له أبو بكر الترابي الخوارزمي، فيه زاهد مائل إلى هذه العلوم، فسأله شرح الكتب له، فصنّف له كتاب الحاصل والمحصل، وتم في عشرين مجلدة، وصنّف كتاباً في الأخلاقي وسمّاه البر والإثم. ولما اضطربت أمور السامانية دعت الضرورة إلى الخروج من بخارى بعد موت أبيه، والانتقال إلى كركائح، والاختلاف إلى خوارزم شاه علي بن مامون، وكان أبو الحسن السهيلي المُحب لهذا العلم بها وزيراً، وكان أبو علي من زيّ الفقهاء مع الطليسان وتحت الحنك، فأتبوا له مشاورة تقوم بكفاءة مثله، ثم دعت الضرورة إلى الانتقال إلى نسا وأبورد ثم إلى طوس ثم إلى سَمَلْقَان⁽¹⁾ ولم يدخل نيسابور، ثم إلى حاجرم ثم إلى جُرجان، وكان يقصد الأمير شمس المعالي قابوس فاتفق أخذ قابوس وخبسه في بعض القلاع وموته هناك، ثم مضى إلى دِهستان ومريض بها مرضاً صعباً.

وعاد إلى جُرجان واتصل به الجُورجاني وعمل هناك الأوسط الجُرجاني لرجل ارتبطه وأحسن إليه وصنّف لأبي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد، وصنّف بجُرجان كتباً كثيرة ثم انتقل إلى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها الملك مجد الدولة وأبي طالب رستم بن فخر الدولة علي، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه تضمّنت تعريف قدره.

وقد استولت على مجد الدولة علة الماخوليا، فاشتغل الشيخ بمداواته، وصنّف هنالك كتاب المعاد. وأقام هناك إلى أن قصّدت شمس الدولة قبل هلاك بدر بن حسنويه، وهزيمة عسكر بغداد ثم اتفقت أسباب دعت للضرورة خروجه إلى قزوین ومنها إلى همدان، واتصل بخدمة كدبانويه⁽²⁾ والنظر في

(1) أ. ح. ن. : سمان.

(2) أ. ح. ن. : كربالون.

أسبابها، ثُمَّ اتَّفَقَتْ لَهُ مَعْرِفَةٌ مَعَ شَمْسِ الدَّوْلَةِ فَأَمَرَ بِإِحْضَارِهِ مَجْلِسَهُ بِسَبَبِ قَوْلِنِجِ أَصَابَهُ، فَعَالَجَهُ حَتَّى شَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَفَازَ بِخَلْعٍ كَثِيرَةٍ، وَرَجَعَ إِلَى دَارِهِ بَعْدَمَا أَقَامَ هُنَاكَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بِلِيَالِيهَا وَصَارَ مِنْ نَدَمَاءِ الْأَمِيرِ.

ثُمَّ اتَّفَقَ لَهُ نُهُوضٌ إِلَى قَوْمِيسَ لِحَرْبِ غَارٍ، وَخَرَجَ الشَّيْخُ مُنْخَرَطًا فِي سَلَكِ خَدِيمِهِ، ثُمَّ تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ هَمْدَانَ مُنْهَزِمًا، ثُمَّ تَقَلَّدَ الْوِزَارَةَ، ثُمَّ اتَّفَقَ تَشْوِيشُ الْعَسْكَرِ بِسَبَبِهِ وَإِشْفَاقِهِمْ مِنَّةً عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَأَغَارُوا عَلَى دَارِهِ وَأَخَذُوهُ وَحَبَسُوهُ وَسَالُوا الْأَمِيرَ قَتْلَهُ فَاِمْتَنَعَ مِنْهُ الْأَمِيرُ ثُمَّ أُطْلِقَ الشَّيْخُ، فَتَوَارَى فِي دَارِ الشَّيْخِ أَبِي سَعِيدٍ، ثُمَّ عَاوَدَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ الْقَوْلِنِجَ فَطَلَبَ الشَّيْخَ فَحَضَرَ مَجْلِسَهُ، فَاَعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَأَعَادَ الْوِزَارَةَ إِلَيْهِ وَعَالَجَهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَبُو عَبِيدٍ شَرْحَ كُتُبِ أَرِسْطُو، فَذَكَرَ أَنَّهُ لَا فَرَاغَ لَهُ، وَلَكِنْ إِنْ رَضِيَتْ بِتَصْنِيفِ كِتَابٍ أُورِدَ فِيهِ مَا صَحَّ عِنْدِي مِنْ هَذِهِ الْعُلُومِ. فَعَلْتُ ذَلِكَ فَرَضِي بِذَلِكَ.

فَابْتَدَأَ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ مِنَ الشِّفَا، وَكَانَ قَدْ صَنَّفَ الْأَوَّلَ مِنَ الْقَانُونِ، وَكَانَ كُلُّ لَيْلَةٍ يَجْتَمِعُ فِي دَارِهِ طَلَبَةُ الْعِلْمِ. وَأَبُو عَبِيدٍ يَقْرَأُ مِنَ الشِّفَا نَوْبَةً وَالْمَعْصُومِي مِنَ الْقَانُونِ نَوْبَةً وَابْنُ زَيْلَةَ مِنَ الْإِشَارَاتِ نَوْبَةً، وَيَهْمَنُ يَارْزِينَ الْحَاصِلَ وَالْمَحْصُولِ نَوْبَةً، فَإِذَا فَرَّغُوا حَضَرَ الْمُطَرَّبُونَ وَاشْتَقَلُّوا بِالشَّرْبِ، وَكَانَ التَّدْرِيسُ بِاللَّيْلِ لَعَدَمِ الْفَرَاغِ بِالنَّهَارِ.

ثُمَّ تَوَجَّهَ شَمْسُ الدَّوْلَةِ تَلْقَاءَ طَارِمَ لِحَرْبِ الْأَمِيرِ بَهَا. وَعَاوَدَهُ الْقَوْلِنِجَ قُرْبَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَانْصَافَ إِلَيْهِ أَمْرَاضٌ أُخْرَى جَلَبَهَا سَوْءُ تَدْبِيرِهِ وَقِلَّةُ الْقَبُولِ مِنَ الشَّيْخِ.

فَخَافَ الْعَسْكَرُ مَوْتَهُ فَرَجَعُوا مُنْهَزِمِينَ إِلَى هَمْدَانَ فَتَوَفَّى شَمْسُ الدَّوْلَةِ فِي الطَّرِيقِ ثُمَّ بَوَّعَ ابْنُ شَمْسِ الدَّوْلَةِ وَطَلَبُوا اسْتِوْزَارَ الشَّيْخِ فَأَبَى، وَكَانَ عِلَاءُ الدَّوْلَةِ سَأَلَ الشَّيْخَ الْمَصِيرَ إِلَيْهِ فَأَقَامَ فِي دَارِ غَالِبِ الْعَطَّارِ مُتَوَارِيًا، وَصَنَّفَ فِيهَا بِلَا مُطَالَعَةٍ كِتَابَ جَمِيعِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ مِنَ الشِّفَا، وَابْتَدَأَ بِالْمَنْطِقِ، وَكُتِبَ مِنْهُ جُزْءٌ ثُمَّ أَتَاهُمُ تَاجُ الْمُلْكِ بِمَكَاتِبَةٍ عِلَاءَ الدَّوْلَةِ فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ فِي

قلعة برودان، وبقي فيها أربعة أشهر، ثم قصد علاء الدولة أبو جعفر إلى همدان واستولى عليها ثم رجع علاء الدولة وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة من القلعة إلى همدان وحملوا معهما الشيخ، فنزل في دار علوي، واشتغل بتصنيف المنطقي من كتاب الشفاء، وصنف في القلعة كتاب الهداية ورسالة حي بن يقظان ورسالة الطير وكتاب القولنج، ثم توجه الشيخ تلقاء أصفهان متكرراً ومعه أخوه⁽¹⁾ وأبو⁽²⁾ عبد الله وغلماه في زي الصوفية فلما بلغوا باب أصفهان استقبله خواص الأمير علاء الدولة بالمراكب والسياب وأنزل وأكرم.

وكان الشيخ في ليالي الجمعات يحضر مجلس علاء الدولة مع علماء البلدة، وإذا تكلم الشيخ استفاد منه كل من هناك، فاشتغل بتسيم كتاب الشفاء. أما المجسطي فأورد عليه⁽³⁾ إشكالات في اختلاف المنظر، وأورد في الهيئة أشياء لم يسبق إليها، وكذلك في أفليدس والارتباطي، فأورد في الموسيقى مسائل غفل عنها الأوائل والأواخر.

وقد كان رحمه الله تعالى عظيم القدر جليل الشأن، ومن غرائب تصانيفه المجموع الحكمة القدسية، وهو غير الحكمة المشرقية الإستبصار والمهجة رسالة في نفس الفلك، رسالة في معرفة الأجرام السماوية، كتابان إلى أبي سعيد، رسالة في الفيض الإلهي، قصائد له، رسالة في «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا» رسالة في كيفية إنشقاق القمر، رسالة في كيفية أصحاب الكهف، رسالة همج الرعاع إلى ساكن القلاع في ذم ما صنع الحرام، شرح لمسائل حنين، كتاب الحكمة العرشية هي من الغرائب القليلة الوقوع.

وجرى عند علاء الدولة ذكر الخلل الواقع في التقاويم، فأمر الشيخ بالاشتغال بالرصد، وأطلق له من المال ما يحتاج إليه، فابتدأ الشيخ وأبو

(1) أ: ح. ن. : محمود.

(2) أ: ح. ن. : أبو عينة.

(3) أ: ح. ن. : عشرة.

عَبْدُ هُوَ الْمُقِيمُ بِهِذِهِ الْأُمُورَ حَتَّى ظَهَرَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسَائِلِ . وَكَانَ الْخَلَلُ وَاقِعٌ فِي الرُّصْدِ لِكثَرَةِ الْأَسْفَافِ وَتَرَاكُمِ الْعَوَاقِقِ . وَصَنَّفَ الشَّيْخُ بِأَصْفَهَانِ كِتَابَ الْعِلَالِيِّ . وَمِنْ عَجَائِبِ أَحْوَالِ الشَّيْخِ أَنَّ أَبَا عُبَيْدٍ صَحَبَهُ ثَلَاثِينَ^(١) وَقَالَ : إِنَّهُ مَا رَأَاهُ يَنْظُرُ فِي كِتَابٍ جَدِيدٍ عَلَى الْوَلَاءِ بَلْ يَقْصِدُ الْمَوَاضِعَ الصَّغْبَةَ وَالْمَسَائِلَ الْمُشْكَلَةَ فَيَنْظُرُ مَا قَالَهُ مُصَنِّفُهُ فِيهَا لِيَعْرِفَ مَرْتَبَتَهُ فِي الْعِلْمِ .

وَصَنَّفَ أَبُو عَلِيٍّ مَنَاطِقَ النُّجَاةِ بِجَرَجَانَ وَوَقَعَتْ مِنْهُ نُسْخَةٌ بِشِيرَانَ ، فَنَظَرَ فِيهَا عُلَمَاؤُهَا وَوَقَعَتْ لَهُمْ شُبَّةٌ فَكَتَبُوهَا وَانْقَذُوهَا إِلَى الْكِرْمَانِيِّ أَبِي الْقَاسِمِ ، فَدَخَلَ الْكِرْمَانِيُّ عَلَى الشَّيْخِ عِنْدَ اصْفَرَارِ الشَّمْسِ فِي الصَّبِيِّ وَوَضَعَ الصَّفَرُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى الشَّيْخُ الْعِشَاءَ وَكَتَبَ خَمْسَةَ أَجْزَاءَ رَبِيعٍ ، ثُمَّ نَامَ فَلَمَّا صَلَّى الْغَدَاةَ بَعَثَ الْأَجْزَاءَ إِلَى الْكِرْمَانِيِّ وَقَالَ : اسْتَعْمَلْتُ فِي الْجَوَابِ حَتَّى لَا يَمُكَّتَ الْقَاصِدُ فَلَمَّا رَأَى الْكِرْمَانِيُّ ذَلِكَ تَعَجَّبَ وَكَتَبَ إِلَى شِيرَازَ بِهِذِهِ الْقِصَّةِ .

وَاشْتَغَلَ بِالرُّصْدِ ثَمَانِي سِنِينَ ، ثُمَّ صَنَّفَ الشَّيْخُ كِتَابَ الْإِنْصَافِ . وَوَقَعَتْ مُحَارَبَةٌ بَيْنَ الْعَمِيدِ أَبِي سَهْلٍ الْحَمْدُونِيِّ صَاحِبِ الرُّيِّ عَنْ جِهَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ عِلَاءِ الدَّوْلَةِ . ثُمَّ قَصَدَ مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَصْفَهَانَ وَأَخَذَ أُخْتَ عِلَاءِ الدَّوْلَةِ ، فَبَعَثَ أَبُو عَلِيٍّ إِلَى السُّلْطَانِ وَقَالَ : إِنْ تَزَوَّجْتَ بِهِذِهِ الْمَرْأَةِ سَلَّمَ عِلَاءَ الدَّوْلَةِ إِلَيْكَ الْوَلَايَةَ ، فَتَزَوَّجَهَا السُّلْطَانُ مَسْعُودٌ ، ثُمَّ اسْتَعْدَّ عِلَاءُ الدَّوْلَةِ بِالْمُحَارَبَةِ ، فَبَعَثَ السُّلْطَانُ إِلَيْهِ رَسُولًا وَقَالَ لَهُ : أَنَا أَسْلَمْتُ أُخْتَكَ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَقَالَ عِلَاءُ الدَّوْلَةِ لِأَبِي عَلِيٍّ : أَجِبْهُ ، فَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ إِنْ كَانَتْ أُخْتُ عِلَاءِ الدَّوْلَةِ فِيهِ زَوْجَتُكَ وَإِنْ طَلَّقْتَهَا فِيهِ مُطَلِّقَتُكَ وَالْغَيْرَةُ عَلَى الْأَزْوَاجِ لَا عَلَى الْإِخْوَةِ . فَأَنْبَغَ السُّلْطَانُ مِنْ ذَلِكَ ، وَرَدَّ زَوْجَتَهُ أُخْتَ عِلَاءِ الدَّوْلَةِ عَلَيْهِ .

ثُمَّ نَهَبَ أَبُو سَهْلٍ الْحَمْدُونِيُّ أَمِيَّةَ الشَّيْخِ وَفِيهَا كِتَبَةٌ ، وَلَمْ يَوْجَدْ مِنْ كِتَابِ الْإِنْصَافِ إِلَّا جُزْءًا . ثُمَّ زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ اشْتَرَى مِنْهُ نُسْخَةً بِأَصْفَهَانَ وَحَمَلَهَا

(١) أ. ح. ن. : سنة .

إلى مَرَوْ، وأما الحِكْمَةُ المَشْرِقِيَّةُ والحِكْمَةُ الْقُذَيْبِيَّةُ، فقال اسماعيل
الباخرزي: إنهما في بيوت كُتِبَ السُّلْطَانُ مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِغَزَنَةَ، حَتَّى
أَحْرَقَهُ مَلِكُ الْجَبَالِ الْحُسَيْنُ وَعَسْكَرُ الْغُورِ.

وكان أبو علي قوِيَّ المِزَاجِ على المِجَامَعَةِ، وكان يَشْتَبِلُ باستفراغها، فأنشأ
ذَلِكَ فِي مِزَاجِهِ، وكان لا يَعالِجُ شَخْصَهُ حَتَّى ضَعُفَ فِي السَّنَةِ الَّتِي حَارَبَ
فِيهَا علاء الدَّوْلَةَ الأمير حُسامَ الدَّوْلَةَ، على باب الكَرْخِ، فأصاب الشَّيْخُ داءَ
الْقَوْلَنِجِ، فَحَقَنَ نَفْسَهُ فِي يَوْمٍ ثَمَانِيٍّ⁽¹⁾ مَرَّاتٍ فَتَقَرَّحَ بَعْضُ أَمْعَائِهِ، وَظَهَرَ لَهُ
سَحْجٌ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْمَسِيرِ مَعَ علاء الدَّوْلَةِ. فَظَهَرَ لَهُ الصَّرْعُ الَّذِي يَتَّبِعُ
الْقَوْلَنِجَ، فَأَمَرَ بِاتِّخَاذِ دَانِقِينَ مِنْ بَزْرِ الْكَرْفَسِ فِي جَمَلَةٍ مَا يُحَقِّنُ، وَخَلَطَهُ بِهَا
طَبِّبًا لِكَسْرِ رِيحِ الْقَوْلَنِجِ.

فَقَصَّدَ بَعْضُ مَنْ يُعَالِجُهُ مِنَ الْأَطْبَاءِ، وَطَرَحَ مِنْ بَزْرِ الْكَرْفَسِ خَمْسَةَ دِرَاهِمٍ
وَلَا يَذَرِي أَعْمَدَ فَعَلَهُ أَمْ لَا، فَأَزْدَادَ السَّحْجُ مِنْ حَلَّةِ بَزْرِ الْكَرْفَسِ. وَكَانَ يَتَنَاوَلُ
مَثْرُودِيطُوسَ لِأَجْلِ الصَّرْعِ، فَطَرَحَ فِيهِ بَعْضُ غِلْمَانِهِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ الْأَفْيُونِ لِأَجْلِ
أَنَّ الْغِلَامَ خَانَ فِي خِزَانَتِهِ فَخَافَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ، وَنَقِلَ الشَّيْخُ فِي الْمَهْدِ إِلَى
أَصْفَهَانَ، فَاشْتَبَلَ بِتَذْيِيرِ نَفْسِهِ، وَكَانَ مِنَ الضَّعْفِ بِحَيْثُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِيَامِ،
وَعِلْمَانُهُ يَتَمَنُونَ هَلَاكَهُ.

ثُمَّ قَدِّرَ الشَّيْخُ عَلَى الْمَشْيِ وَخَضَرَ مَجْلِسَ علاء الدَّوْلَةِ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَا
يَخْتَمِي وَيُكَثِّرُ التَّخْلِيطَ فِي الْمِجَامَعَةِ وَلَمْ يَبْرَأْ مِنَ الْعَلَّةِ كُلِّ الْبُرَى. وَكَانَ
يَمْرُضُ أَسْبُوعًا وَيَصْبِحُ أَسْبُوعًا. ثُمَّ قَصَّدَ علاء الدَّوْلَةَ هَمْدَانَ وَمَعَهُ الشَّيْخُ،
فَعَاوَدَ الْقَوْلَنِجَ الشَّيْخُ فِي الطَّرِيقِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى هَمْدَانَ، وَعَلِمَ أَنَّ قُوَّتَهُ قَدْ
سَقَطَتْ، وَأَنَّهَا لَا تَقِي بِدَفْعِ الْمَرَضِ فَاهْمَلَ مُدَاوَةَ نَفْسِهِ وَقَالَ: الْمُدَبِّرُ
الَّذِي⁽²⁾ عَجَزَ عَنْ تَذْيِيرِ بَدَنِي فَلَا يَتَفَعَّلِي الْمَعَالِجَةَ، ثُمَّ اغْتَسَلَ وَتَابَ

(1) ب: ثلاث مرات.

(2) أ: ح. ن: كان يدبر.

وتَصَدَّقَ بما بقي معه على الفقراء وردَّ المظالم إلى مَنْ عرَفَهُ مِنْ أربابها واعتَقَ غِلْمَانَهُ.

وكان يَحْفَظُ القرآن الكريم فيخْتِمُ في كل ثلاثة أيام، ثُمَّ مات في يوم الجمعة الأولى مِنْ شهر رمضان سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة، ودُفِنَ بهمدان. وفي هذه الجمعة خطبوا الشيخ بنيسابور للسلطان طُغْرلُوك وأعرضوا عن ذِكْرِ السلطان مسعود بن محمود، وكان عمره ثمانٍ وخمسين سنة مع كسر. وهذه فهرسة مصنفاته (1)(2).

رأيت بخط بعض المحصلين وهو تاج الدين الفارسي رحمه الله تعالى الشيخ أبو علي رحمه الله تعالى كان يُنشِدُ عند موته هذه الأبيات:

أقام رجالاً في معارفه مُلْكِي	وأقعد قوماً في غوايبهم هَلْكِي
نعمودُ بك اللهم من كل فتنة	تطوَّق من خلَّتْ به عيشه ضنكا
رجعنا إليك الآن فاقبل رجوعنا	وقلِّب قلوباً طال إعراضها عنكا
فإن أنت لم تُبريء شكايَا عقولنا	وتكثِّف عماياها إذن فليمن تُشكا
فقد أثرت نفسي رضاك وقطعت	عليك جفوني من جواهرها سُلْكا

125 - الحكيم الرباني المعظم والفيلسوف المكرم

العالم العامل الفاضل الكامل شهاب الملة والحق والدين المطلع على الأسرار الإلهية والراقي إلى العوالم النورية.

- أبو الفتوح يحيى السَّهْرُوردي (3)

رُوح الله تعالى رمسه، وقُدِّس نفسه، وحيدُ الأعصار، وفريدُ الدهور، جمع بين الحكمتين أعني الذوقية والحسية. أما الذوقية فيشهد له بالتبريز فيها كل

(1) نقلت قائمة كتب ابن سينا إلى آخر الكتاب ضمن الفهارس.

(2) لم ترد قائمة كتب ابن سينا في النسخة (ب).

(3) أصيصة، ص: 641.

من سلك سبيل الله عز وجل، وراض نفسه بالأفكار المتوالية والمجاهدات المتتالية، رافضاً عن نفسه التشاغل بالعالم الظلماني، طالباً بهيمته العالية مشاهدة العالم الروحاني، فإذا استقر قراره وتهتكت بالسير الحثيث إلى معانيه المجردات أستاذه حتى ظفر بمعرفة نفسه، ونظر بعقله إلى ربِّه، ثم وقف بعد هذا على كلامه، فيعلم حينئذ أنه كان في المكاشفات الربانية آية والمشاهدات الروحانية نهاية. لا يعرف غوره إلا الأقلون، ولا ينال شأوه إلا الراسخون.

وأما الحكمة البحثية فإنه أحكم بنيانها وشيد أركانها، وعبر عن المعاني الصحيحة اللطيفة بالعبارات الرشيدة الوجيزة وأتقن إتياناً لا غاية وراءها لا سيما في الكتاب المعروف بالمشارع والمطلوحات، فإنه استوفى فيه بحوث المتقدمين والمتأخرين، ونقض فيه أصول مذاهب المشائين، وشيد فيه معتقد الحكماء الأقدمين. وأكثر تلك البحوث والمناقضات والأسئلة والإرادات من تصرفات ذهنه ومكنون علمه، وذلك يدلُّك على قوته في الفن البحثي والعلم الرسمي.

واعلم أن فهم كلامه ومعرفة أسرارهِ مشكل جداً من لا يسلك طريقته ولا يتبع خلقه وعاداته لأنه بنى حكمته على أصول كُشِفِيَّة وعلوم ذوقِيَّة، فمن لم يُحكَمْ أصوله لا يعرف فروعه، ومن لم يتجرّد عن الدنيا والآخرة لم يذق وبالجملة معرفة كلامه؛ وجلُّ كتبه ومرموزاته متوقّف على معرفة النفس.

وأكثر العلماء والحكماء لا خبر لهم بها إلا في النواذر، يأتي في كل دهر واحد، ولقد سافرت كثيراً وتَفَحُّصْتُ عن هذا النبأ العظيم عظيماً، فلم أجد من عنده خبر عن النفس فضلاً عما فوقها من العوامل المُجَرَّدَة، ولأجل هذا لم أعجزوا عن فهم كلامه طعنوا فيه حتى أن جماعة من الحكماء المعاصرين لي من المشهورين بالفضل والتدبير عند العامة زعموا أن حكمته طُرْقِيَّة، وليت شعري إذا كان حكمته المبنية على الأصول الكُشِفِيَّة والقواعد الذوقِيَّة طرقيّة فأحرى أن تكون حكمتهم المبنية على الأصول الوهميّة والمباني

الخيالية أتونيّة مزاييلة سُوقيّة، وهم متعلّوزون من جهة الجهل بكلامه ووجه صعوبته ما ذكرته من قبل.

وقد كنتُ في عنفوانِ الشباب أوافقهم في عدم الالتفاتِ إليه حتى غلبني حبُّ التجريد فسلكْتُ، ويسرُّ الله تعالى على معرفة نفسي، فأنحَلُ إليّ كلامه ووقفتُ على جميع أسرارهِ في آيسرِ زمانٍ، ثم نظرتُ إلى أولئك الطاعنين فيه الرّادين عليه مذهبه بعين الحقيقة والإنصاف، فإذا ليس عندهم من الحكمة إلا الحشَفُ ولم يظفروا منها إلا بالتلفِ، فنعوا بالقسرِ عن اللب والتبني عن الحبِّ، وحاصلُ ما حصلوه معرفةً الجسم وبعض عوارض⁽¹⁾ الوجود وفيه أيضاً خطأ كبيرٌ، والجسم أيضاً لم يُحصلوا معرفته ولم أجد منذُ قبل وإلى وقتي هذا أحداً فهم كلامه أو نال مرآته، والعلومُ المُقدَّسةُ الإلهيةُ والأسرارُ العظيمةُ الرُّبانيّةُ التي رمزتِ الحكماءُ عليها وأشارتِ الأنبياءُ إليها عرفها هذا الرُّجل وأبَدَ بقوة التعبيرِ عنها في الكتاب العظيم المُسمّى بحكمة الإشراف الذي ما سبقه أحدٌ قبله، ولا يلحقه أحدٌ بعده إلا من شاء الله تعالى.

ولاجل ذلك لُقِبَ بالمؤبّد بالملكوت. ولا يعرف هذا الكتاب حقُّ المعرفة إلا صديقاً، وأعلم أنه لم يتيسر لأحدٍ من الحكماء والعلماء والأولياء ما تيسر لهذا الشيخ من إتقان الحكمتين المذكورتين. بل بعضهم تيسر له الكشف، ولم ينظر في البحث كأيّ يزيد والحلاج ونظرائهم، وأمّا إتقان البحث الصحيح بحيث يكون مطابقاً للوجود من غير سلوك ذوق، فلا يمكن، وجميع الحكماء المقتصرين على مُجرّد البحث الصّرف مخطئون في عقائدهم. فإن أردت حقيقة الحكمة وكنت مستعداً لها فاخلص لله تعالى وانسلخ عن الدنيا انسلخ الحيّة من جلدها عساك تظفر بها.

وكان يُسمّى بخالق البرايا للعجائب التي كان يُظهرها في الحال، ورأه واحداً في المنام فقال له: لا تُسمّوني بخالق البرايا.

(1) أ. ح. ن. : وبعض أعراضه.

وسافر في صغره في طلب العلم والحكمة إلى مراغة فاشتغل بها على مجيد الدين الجلي، والي أصفهان. وبلغني أنه قرأ هناك بصائر ابن سهلان الساوي على ظهير الفارسي، والله أعلم بذلك، إلا أن كتبه تدل على أنه فُكِّرَ في البصائر كثيراً.

وسافر إلى نواحٍ متعدّدة، وصحب الصوفيّة واستفاد منهم شيئاً وحصل لنفسه ملكة الاستقلال بالفكر والإنفراد، ثم اشتغل بنفسه بالرياضيات والخلوات والأفكار حتى وصل إلى غايات مقامات الحكماء ونهايات مكاشفات الأولياء.

فهذا خبر الشيخ في الحكمين المذكورتين. وأما الحكمة العملية فإنه كان فيها من السابقين الأولين، مسحي الشكل قلندر الصفة. وكان له رياضات عجز أبناء الزمان عنها، منها أنه كان يُفطّر في كل إسبوع مرّة وطعامه لا يزيد على خمسين درهماً، وقل أن يوجد إذا سبرت طبقات الحكماء أزهّد منه أو أفضل.

قال ابن ربيعة: كنت أتمشى مع شهاب الدّين في جامع ميفارقين وهو لابس جبة قصيرة مضرية زرقاء وعلى رأسه فوطّة مفتولة، وفي رجله زربول، فرآني صديق لي، فأتى إلى جانبي وقال: ما تتمشى إلا مع هذا الحرند؟ فقلت له: ويحك هذا سيّد الوقت شهاب الدين الشّهزوردي، فتعاضم قلبي وتعجّب ومضى في حال سبيله. وكان لا يلتفت إلى الدنيا، قليل الاهتمام بها لا ييالي بالملبس والمأكّل، ولا يَصْنِي إلى الشرف والرئاسة. وكان في بعض الأحيان يلبس كساءً وقلنسوة حمراء طويلة، وفي بعض الأحيان مرقعة وخرقة على رأسه وفي بعض الأحيان يكون على زي الصوفيّة. وكان أكثر عباداته الجوع والسهر والفكر في العوالم الإلهيّة. وكان قليل الالتفات إلى مُراعاة الخلقي مُلازماً للصُمت والإشتغال بنفسه مُحبّاً للسمع والنعمات الموسيقيّة صاحب كرامات وآيات.

سمعت من علماء العامة وممن لا حظّ له في العلوم الحقيقيّة يقول: أنه

كان يعرف السيمياء، وبعضهم يزعم أنه مُتخيل، وكل ذلك خرافات وجهل بمقامات إخوان التجريد، بل هو وصل إلى غايات مقاماتهم. وإخوان التجريد مقامٌ يقدرون فيه على إيجاد أي صورة أرادوا، وإلى هذا المقام وصل أبو يزيد البسطامي والحسين بن منصور الحلاج وغيرهما من إخوان التجريد، وكنت مدةً مؤمناً بهذا المقام حتى أعانني الله تعالى باليقين التام، ولولا أنه من الأسرار التي يجب كتمانها ولأ ذكرت من حاله شيئاً. وكان قدس الله تعالى روحه كثير الجولان والطوفان في البلدان شديد التشوق على تحصيل مشارك له في علومه ولم يحصل له.

قال في آخر المطارحات وهو ذا قد بلغ سني إلى قريب من ثلاثين سنة وأكثر عمري في الأسفار والاستخبار والتفحص عن مشارك مطلع على العلوم، ولم أجد من عنده خبر عن العلوم الشريفة ولا من يؤمن بها. فانظر إلى قوله وأكثر التعجب من ذلك. وكان رحمه الله تعالى غاية في التجريد نهاية في رفض الدنيا، يحب المقام بديار بكر، وفي بعض الأوقات يُقيم بالشام. وفي بعضها في الروم.

وكان سبب قتله على ما بلغنا أنه لما خرج من الروم إلى الشام دخل إلى حلب وصاحبها يومئذ الملك الطاهر بن صلاح الدين يوسف صاحب مصر واليمن والشام. وكان محباً للشيخ يعتقد فيه، وكان جمع من العلماء بحلب يجتمعون به ويسمعون كلامه. وكان يصرح في البحوث بعقائد الحكماء ويناضل عنها ويسفح رأي مخالفيها وينظرهم فيقطعهم في المجالس.

وانضم إلى ذلك ما كان يظهره من المعاني بقوة روح القدس، فاجتمعت كلمتهم على تكفيره وقلته حسداً ونسبوا إليه العظائم وقالوا: إنه قد ادعى النبوة وهو بريء من ذلك. فאלله تعالى حبيب الحساد وحبيبهم واحد والا منهم عظيم، وحضوا السلطان على قتله⁽¹⁾ فامتنع فكتبوا⁽²⁾ والد صلاح الدين وقالوا

(1) أ. ح. ن.: الولاية عليه.

(2) أ. ح. ن.: إلى مصر.

في جملة ما قالوا: إن بقي أفسد الدين، فكتب إليه يأمره بقتله^(١). ثم كتب إليه مرة أخرى يأمره بذلك، ويتهدده بأخذ حلب إن لم يقتله. ورأيت الناس مختلفين في قتله، فزعم بعضهم أنه سُجِنَ ومُنِعَ الطعام وبعضهم منع نفسه حتى مات، وبعضهم خَبِقَ بوتِر، وبعضهم قُتِلَ بسيف.

وقيل إنه حطَّ من القلعة وأُحرق، ورؤي رسول الله ﷺ في النوم يجمع عظامه ويجعله في الثقوب، وقيل في كيس. ويقول: هذه عظام شهاب الدين، والذي رأى النبي ﷺ، هو الشيخ جمال الدين الجبلي رحمه الله عليه، وبلغني أن بعض أصحابه كان يقول^(٢) أبو الفتح رسول الله. وكان بينه وبين فخر الدين المارداني الساكن بماردين صداقة واجتماعات. وكان الفخر يقول لأصحابه: ما أذكى هذا الشاب وأفصحه، ولم أجد أحداً مثله في زمانى، إلا أنى أخشى عليه لكثرة تهوُّره واستهتاره وقلَّة تحفُّظه أن يكون ذلك سبباً لهلاكه.

قال: ولما فارقتنا من المشرق وتوجَّه إلى حلب وناظر بها الفقهاء ولم يجاره أحد، فكثُر تشنيعهم عليه، فاستحضره الملك الطاهر واستحضر الأكابر والفقهاء والفضلاء المُتَفَنِّينَ لسمع ما يجري بينهم من المباحث، فتكلَّم معهم بكلام كثير وظهر أن له فضلاً عظيماً وعلماً باهراً وحسَن موقَّعة عند الطاهر وقربة وصار مكيئاً عنده مختصاً به.

فازداد تشنيع أولئك عليه وعملوا محاصر بكفره وسيروها إلى دمشق إلى صلاح الدين وقالوا: إن بقي أفسد اعتقاد الملك وإن أُطلق أفسد أي ناحية سلك، وزادوا عليه أشياء كثيرة، فبعث إلى الطاهر بخط القاضي الفاضل أن هذا شهاب الدين لا بُدَّ من قتله، ولا سبيل إلى إطلاقه بوجه. ولما تحقَّق شهاب الدين الحال اختار أن يُترك في بيتٍ ويمنع الطعام والشراب إلى أن

(١) أ. ح. ن.: ولم يقتله.

(٢) أ. ح. ن.: بصحة ذلك.

يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. فَفَعِلَ بِهِ ذَلِكَ وَنَقِمَ الطَّاهِرُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّةِ ذَلِكَ. وَالَّذِي وَجَدْتُ أَنَّ عَمْرَهُ نَحْوُ سِتِّ وَثَلَاثِينَ، وَكَانَ عَمْرُهُ فِي بَعْضِ الرُّوَايَاتِ ثَمَانِي وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ خَمْسِينَ.

وَكَانَ مَعْتَدِلَ الْقَامَةِ وَاللَّحْيَةِ أَحْمَرَ الْوَجْهِ يُسَافِرُ كَثِيرًا عَلَى قَدَمِهِ. وَلَوْ حَكِينَا مَا بَلَغْنَا مِنْ كِرَامَاتِهِ لَطَالَ الْكَلَامُ وَكَذَبَ بِهِ بَعْضُ الْجَاهِلِينَ الْغَافِلِينَ وَكَانَ مَقْتَلُهُ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتِّ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ، وَقِيلَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ هَجْرِيَّةٍ. وَكَانَ شَافِعِي الْمَذْهَبِ عَالِمًا بِالْفَقْهِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَصُولِ. وَكَانَ فِي غَايَةِ الذِّكَاةِ.

وَيُلْغَنِي أَنَّهُ سُئِلَ: عَنْ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ فَقَالَ: ذَهْنُهُ لَيْسَ بِمَحْمُودٍ. وَسُئِلَ فَخْرُ الدِّينِ عَنْهُ فَقَالَ: ذَهْنُهُ يَتَوَقَّدُ ذِكَاةً وَفُطْنَةً. وَيُلْغَنِي أَنَّ الشَّيْخَ سُئِلَ: أَيُّمَا أَفْضَلُ أَنْتَ أَمْ أَبُو عَلِيٍّ بِنِ سَيْنَا؟ فَقَالَ: إِمَّا أَنْ تَسَاوَى أَوْ أَكُونَ أَعْظَمَ مِنْهُ فِي الْبَحْثِ، إِلَّا أَنِّي أَزِيدُ عَلَيْهِ بِالْكَشْفِ وَالذُّوقِ؛ وَلَهُ مَصْنُفَاتٌ كَثِيرَةٌ وَهَذِهِ فَهْرَسَةُ كُتُبِهِ⁽¹⁾.

وَذَكَرَ لِي بَعْضُ الْمَعَارِفِ أَنَّهُ عِنْدَهُ، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصَحَّتِهِ، فَهَذَا جُمْلَةٌ مَا وَصَلَ إِلَيْنَا مِنْ مُصَنَّفَاتِهِ. وَيُلْغَنَا مِنْ أَسْمَاءِ مَوْلَفَاتِهِ. وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَشْيَاءٌ أُخْرَى لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، وَلَهُ أَشْعَارٌ حَسَنَةٌ جَيِّدَةٌ تَدُلُّ عَلَى جُودَةِ طَبِيعِهِ فِي الْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارْسِيَّةِ. وَلَنَذْكُرَ شَيْئًا مِنْ أَشْعَارِهِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَمَّا الْفَارْسِيَّةُ فَلَا يَلِيقُ ذِكْرُهَا هَاهُنَا. فِيمَا قَالَهُ فِي الْعَرَبِيَّةِ:

وَلِلسَّرِ فِي سِرِّ الْمُحِبِّينَ أَسْرَارُ	لَأَنْوَارِ نُورِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ أَنْوَارُ
وَحُفَّتْ بِنَا مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ أَسْرَارُ	وَلَمَّا حَضَرْنَا لِلسَّرُورِ بِمَجْلِسِ
يَطُوفُ بِهَا مِنْ جَوْهَرِ الْعَقْلِ خُمَارُ	وَدَارَتْ عَلَيْنَا لِلْمَعَارِفِ قَهْوَةٌ
أَضَاءَ لَنَا مِنْهَا شَمْسُ وَأَقْمَارُ	فَلَمَّا شَرَبْنَاهَا بِأَفْوَاهِ قَهْنِهَا
قَدِيمٌ عَلَيْنَا دَائِمُ الْعَفْوِ جَبَّارُ	وَخَاطَبُنَا فِي سُكْرِنَا عِنْدَ صَحُونَا
بِأَبْصَارِ صَدِيقٍ لَا تُوَارِيهِ أَسْتَارُ	وَكَاشَفْنَا حَتَّى رَأَيْنَاهُ جَهْرَةً

(1) وَضَعْتُ قَائِمَةَ الْكُتُبِ ضَمِنَ فَهَارِسِ الْكِتَابِ.

فَفِينَا بِهِ عَنَّا وَنَلْنَا مُرَادِنَا
سَجَدْنَا سُجُوداً حِينَ قَالَ تَمَتُّمُوا
وَلَبُّهُ
أَبْدَأُ تَحَنُّنُ إِلَيْكُمْ الْأَرْوَاحُ
وَقُلُوبُ أَهْلِ إِيَادِكُمْ تَشْتَاقُكُمْ
وَاحْشَرْنَا لِلْعَاشِقِينَ تَحْمَلُوا
بِالْبِرِّ إِنْ بَاحُوا تَبَاحَ دِمَاؤُهُمْ
وَإِذَا هُمْ كَتَمُوا تَحَدَّثَ عَنْهُمْ
أَحِبَابُنَا مَا الَّذِي أَفْسَدْتُمُوهُ
جُودُوا عَلَى مَنْكِينَكُمْ بِلِقَائِكُمْ
خَفَضَ الْجَنَاحَ لَكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ
وَجَرَتْ شَوَاهِدُ السُّقَامِ عَلَيْهِمْ
فَلِإِلَى رِضَاكُمْ تَقُفُ مُشْتَاكَةٌ
خَسَتْ إِلَى مَلَكُوتِهِ الْأَرْوَاحُ
فَكَأَنَّمَا أَجْسَامُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
هَذَا الْأَنَامُ هُمْ الظَّلَامُ وَإِنَّمَا
مَنْ بَاحَ بَيْنَهُمْ بِذِكْرِ حَيْثُ
عُودُوا بِتَوَرُّ الْوَصْلِ مِنْ غَشْيِ الدُّجَى
وَتَغْنَمُوا فَالْوَقْتُ طَابَ بِقُرْبِكُمْ
صَفَاهُمْ فَصَفَتْ قُلُوبُهُمْ بِهِ
لَا ذَنْبَ لِلْمُتَشَاقِقِ إِنْ غَلَبَ الْهَوَى
سَمَحُوا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَخْلُوا بِهَا
وَدَعَاهُمْ دَاعِيَ الْحَقَائِقِ دَعْوَةً
رَكَبُوا عَلَى سَفِينِ الْوَفَا قَدَمَوْعَهُمْ
وَاللَّهُ مَا طَلَبُوا الْوُقُوفَ بِيَابِهِ
لَا يَطْرِبُونَ بِغَيْرِ ذِكْرِ حَبِيبِهِمْ

وَلَمْ تَبْقَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ أَنَارُ
بِرُؤُوسِنَا أَنِي أَنَا لَكُمْ جَارُ
وَوَصَالِكُمْ رِيحَانُهَا وَالرَّاحُ
وَالِى كَمَالِ جَمَالِكُمْ تَرِنَا
تُقَلُّ الْمَحَبَّةُ وَالْهَوَى فُضَّاحُ
وَكَذَا دِمَاءُ الْبَاطِحِينَ تَبَاحُ
عِنْدَ الْوُشَاةِ الْمَذْمُوعِ الْفُضَّاحُ
بِجَفَائِكُمْ غَيْرِ الْوَصَالِ صَلَاحُ
فَالصَّبُّ عِنْدَ لِقَائِكُمْ بِرِنَا
لِلصَّبِّ فِي خَفَضِ الْجَنَاحِ جُنَاحُ
فِيهَا لِمُشْكِلِ أَمْرِهِمْ إِيضَاحُ
وَالِى لِقَاكُمْ طَرَفُهُ طُمَاحُ
وَالِى لِقَا سِوَاهُ مَا تَرِنَا
فِي ضَوْنِهِ الْمَشْكَاةُ وَالْمُضْضَاحُ
أَهْلُ الْمَحَبَّةِ فِي الظَّلَامِ صَبَاحُ
دَمُهُ خِلَالُ السُّيُوفِ مُبَاحُ
فَالهَجَرُ لَيْلٌ وَالْوَصَالُ صَبَاحُ
رَقُّ الشَّرَابِ وَرَقَبُ الْإِفْدَاحُ
مِنْ نَوْرِهَا الْمَشْكَاةُ وَالْمُصْبَاحُ
كَمَانِهِمْ فِيمَا الْغَرَامُ وَبَاحُوا
لَمَّا رَأَوْا أَنَّ السُّمَاحَ رِبَاحُ
فَقَدُّوا بِهَا مُسْتَانِينَ وَرَاحُوا
بَحْرَ وَشَدَّةِ شَوْقِهِمْ مَلَاحُ
حَتَّى دَعَوْا فَاتَاهُمْ الْبِفَتْاحُ
أَبْدَأُ فَكُلُّ زَمَانِهِمْ أَفْرَاحُ

إِنْ لَاحَ مِنْ أَفْقِ الْوِصَالِ صَبَاحُ
فَتَهْتَكُوا لَمَّا رَأَوْهُ وَمَاحُوا
حُجُبَ الْبَقَا فَتَلَاثَتِ الْأَرْوَاحُ
فِي كَأْسِهَا قَدْ دَارَتْ الْأَقْدَاخُ
لَا خُمْرَةَ قَدْ دَاسَهَا الْفَلَاحُ
غَرَضُ النَّدِيمِ فَنِعِمَّ ذَاكَ الرَّاحُ
وَعَلَيْهِ مِنْهَا جِلْعَلَةٌ وَوِشَاحُ
وَلَهُ بِذَلِكَ رُئُوءٌ وَنِيَّاحُ

يَا صَاحِبِ لَيْسَ عَلَى الْمُحِبِّ جُنَاحُ
خَضَرُوا وَقَدْ غَابَتْ شَوَاهِدُ رَأْيِهِمْ
أَفْسَاهُمْ عَنْهُمْ وَقَدْ كُشِفَتْ لَهُمْ
قُمْ يَا نَدِيمُ إِلَى الْمَدَامِ فَهَاتِيهَا
مِنْ كَرَمِ إِكْرَامِ بِذَنْ دِيَانَةِ
هِيَ خُمْرَةُ الْحُبِّ الْقَدِيمِ وَمُنْتَهَى
هِيَ أَسْكِرَتْ فِي الْخُلْدِ آدَمَ أَوَّلًا
وَكَذَلِكَ نُوحٍ فِي السَّفِينَةِ أَسْكِرَتْ
وَلَهُ:

رَعْدُهُمْ فَصَرَاهُمْ ظِلَامُ يَا قَلْبُ
فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامُ يَا قَلْبُ

قَوْمٌ رَقَدُوا فَهُمْ نِيَامُ يَا قَلْبُ
مَا يَنْفَعُ بِالنَّصَحِ كَلَامُ يَا قَلْبُ

وَلَمَّا دُفِنَ بِظَاهِرِ حَلَبٍ وَجَدَ عَلَى قَبْرِهِ مَكْتُوبٌ:

مَكْنُونَةٌ قَدْ بَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شَرَفٍ
فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصُّدْفِ
وَلِي عَزْمُ الرُّحِيلِ مِنَ الدُّيَارِ
فَلِنْ الشُّهْبِ أَشْرَفُهَا السُّوَارِ
وَحَالُ الْمُتَشْرِفِينَ إِلَى الْبُورِ
كَأَنَّ اللَّيْلَ زُيْنٌ بِالنُّهَارِ
يُذَكِّرُنِي بِهَا قُرْبَ الْمَزَارِ
وَفَوْقَ الْفِرْقَدَيْنِ بَنِيْتُ دَارِ
وَأَرْبَعَةُ الْعُنَاصِرِ فِي جَوَارِ
إِلَى كَمْ أَجْعَلُ التَّنِينَ جَارِ
فَلَا أَهْدِي يَمِينِي مِنْ يَسَارِ
يَذُقُونَ الرُّؤُوسَ عَلَى الْجِدَارِ

قَدْ كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ جَوْهَرَةً
قَلَمَ يَكُنْ يَعْرِفُ الْإِنَامَ قِيمَتَهُ
أَقُولُ لَجَارَتِي وَالذَّمْعُ جَارِي
ذَرِينِي أَنْ أَسِيرَ فَلَا تَنُوحِي
فَسِرِ السَّائِرِينَ إِلَى نَجَاحِ
وَأَنِّي فِي الظَّلَامِ رَأَيْتُ ضَوْءَهُ
وَيَاتِينِي مِنَ الصُّنْعَاءِ بَرْقُ
وَكَيْفَ أَكُونُ لِلدُّيْدَانِ طُعْمًا
أَرْضَى بِالْإِفَامَةِ فِي فَلَاةٍ
إِلَى كَمْ أَخَذَ الْحَيَاتُ صَحْبِي
إِذَا لَاقَيْتُ ذَاكَ الضُّوءَ أَفْنَى
وَلِي سِرٌّ عَظِيمٌ أَنْكَرُوهُ

أَنِّيهِ بِمَا سَمِعْتُهُ مِنْ ذَاتِي
مَنْ لَمْ يَلْزُقِ الْهَوَى مِنْ الْأَمْوَاطِ

ولهُ:

وَصَبْتُ لِمَعْنَاهَا الْقَدِيمَ تَشْوِقًا
وَتَجَرَّدْتُ عَمَّا اجْدُ وَاخْلُقًا
رُبْعًا عَفَا اِطْلَالُهُ فَتَمَزَّقَا
فَتَرَوْمُ مُرْتَفِعًا زَلَوْقَ الْمُرْتَفَى
ثُمَّ انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَا أَبْرَقَا
رَجَعَ الصَّدَى أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى اللَّفَا
اسْفَأَ عَلَى شَمْلٍ مَضَى وَتَفَرَّقَا

ولهُ:

طَرَفِي وَتَقَمِّي فَلَا عَيْنَ وَلَا أَنْرَ
فَقَدْ شَقِيتُ بِهَا لَمْ يَنْفَعِ الْخَذَرُ
وَدُونَ ذَلِكَ مَخْبِوَةٌ لَهُ الْقَذَرُ
وَالنَّفْسُ تَلْهُو وَفِي الْأَيَّامِ مُعْتَبَرُ

وقال:

فَكُنْ أَبَدًا مَا عِشْتَ فِي حَضْرَةِ الْقُدْسِ
وَتَلَحُّقُ بِالْمَعْنَى وَتَنَازِلُ عَنِ الْحَسْرِ
وَيُشْرِقُ نَوْرُ مِنْكَ دَائِرَةُ الشَّمْسِ
وَفِيكَ جَمِيعُ الْخَلْقِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ

على ظمأٍ بنا إلى موقفِ النجوى

مَنْ أَنْكَرَ مَذْهَبَ الْهَوَى قَلْبَاتِي
أَنِّيهِ عَنِ الْجَمَى وَغَنَ سَاكِبِهِ
ولهُ:

خَلَعْتُ هِيَاطِلَهَا بِجِرْعَاءِ الْجَمَى
مَحْجُوبَةً سَفَرْتُ وَاسْتَفَرَّ صُبْحُهَا
وَتَلَقَّيْتُ نَحْوَ الدَّيَّارِ فَشَاهَدْتُ
وَعَدْتُ تُرَدُّ فِي الْفَضَاءِ حِينَهَا
فَكَأَنَّهُا أَضْوَتْ إِضَاءَةً بَارِقَ
وَقَفْتُ تُسَائِلُهُ فَرَدَّ جَوَابَهَا
فَبَكَتْ بِعَيْنِ الْحَالِ مَفْهَدَ عَهْدِهَا

ولهُ:

أَفَنَيْتُ بَعْدَكُمْ هَلْ عِنْدَكُمْ خَبَرُ
قَدْ كُنْتُ اخْذَرْتُ أَنْ أَشْقَى بِفُرْقَتِكُمْ
الْمَرْءُ فِي كُلِّ يَوْمٍ يَرْتَجِي غَدَهُ
الْقَلْبُ يَامُلُ وَالْأَمَالُ كَاذِبَةٌ

وقال:

خَلِيلِي إِنْ الْأَنْسَ فِي فِرْقَةِ الْأَنْسِ
تَعِيشُ بِلَا مَوْتٍ وَتَبْقَى بِلَا فَنَى
وَتَغِيظُكَ الْأَمْالُ فِيمَا أَتَيْتُهُ
فَأَنْتَ هُوَ الْمَعْنَى وَفِيكَ وَجُودُهُ

ولهُ:

ولمَّا وَرَدْنَا مَاءَ مَذِينٍ نَسْتَفِي

نَزَلْنَا عَلَىٰ حِمِّيٰ كِرَامٍ بِيْسُوْنِهِمْ
وَلَاخَتْ لَنَا نَارٌ عَلَى الْبُعْدِ أَضْرَمَتْ
سِقَانَا فَحَيَّانَا
وَأَسْكَرْنَا مِنْ رَاحِ
مُقَدَّسَةٌ لَا هِنْدَ فِيهَا وَلَا عُلُوٰى
وَجَدْنَا عَلَيْهَا مَنْ نُجِبُ وَمَنْ نَهْوٰى
وَإِخْبَا نَفْسَانَا
إِجْلَالِهِ الْعَفْوٰى

وأظنها له :

وَكُلُّ صُبْحٍ وَكُلُّ إِشْرَاقٍ
قَدْ لَسَعَتْ حَيَّةُ الْهَوٰى كِبْدِي
غَيْرُ الْحَبِيبِ الَّذِي شَغَفْتُ بِهِ
أَبْكِي عَلَيْكُمْ بِدَمْعِ مُشْتَاكِ
فَلَا طَبِيبَ لَهَا وَلَا رَاقِي
فَلِإِنَّهُ رُقِيَّتِي وَتَرْيَاقِي

وقال :

آيَاتُ نُبُوَّةِ الْهَوٰى بِي ظَهَّرَتْ
هَذِي كِبْدِي إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ
يَا صَاحِرَ لَمَّا رَأَيْتَ شُهْبًا ظَهَّرَتْ
طَرْنَا طَرِبًا لَشَوْقِهَا حِينَ سَرَتْ
قَبْلِي كُيِّمَتْ وَفِي زَمَانِي اشْتَهَرَتْ
شَوْقًا وَكَوَاكِبُ الدُّمُوعِ انْتَشَرَتْ
قَدْ أَحْرَقَتْ الْقُلُوبَ ثُمَّ اسْتَسَرَتْ
بَانَتْ وَأَضَاءَتْ وَتَوَلَّتْ وَسَرَتْ

وقال :

أَقْسَمْتُ بِصَفْوِ حُبِّكُمْ فِي الْقَدَمِ
قَدْ أَمْزَجَ حُبُّكُمْ بِلُحْمِي وَدَمِي
مَازَلُ إِلَى غَيْرِ هَوَاكُمُ قَدَمِي
قَطْعِي صِلَتِي وَفِي وَجُودِي عَدَمِي

وقال :

وَاعْتَجَرَتِ السُّحْبُ وَلَاخَتْ بَوْحُ
إِلَّا وَصَبَتْ إِلَى لِقَاكَ الرُّوحُ
وَإِغْشَوْشَبَتِ الرُّؤْيَى وَقَاحُ الشَّيْخُ
أَوْ أَزْهَرَتِ الزُّهْرُ وَهَبَّتْ رِيحُ

وله :

بَدَا لَكَ بِرُّ طَال عَنْكَ اهْتِمَامُهُ
وَأَنْتَ حِجَابُ الْقَلْبِ عَنْ بَرِّ غِيهِ
وَلَا حِصْبَاءَ كُنْتُ أَنْتَ ظِلَامُهُ
وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبِعْ عَلَيْهِ خَتَامُهُ

وله :

كلامي عَظَامَةٌ عُنُقَتْ ثُمَّ رُوِّقَتْ وبعضُ كلامِ القائلينَ عَصِيرُ
إذا بزَغَتْ يوماً بُزَاةُ خواطري فما لعصافيرِ الطُّريقِ صَفِيرُ

ومن لطائف كلمته أشركنا الله تعالى في صالح دعواته :

مَنْ لم يَتَهَجَّ بِأَعْجَابِ سُرَادِقَاتِ الْعِلِيِّينَ ، فهو من الغافلين ، وَمَنْ لم يَذُقْ
مَائِدَةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فهو مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَمَنْ لم يَتَلَذَّذْ بِلَذَّةِ أَشْعَةِ أَنْوَارِ
الْمُقَرَّبِينَ فهو مِنَ الْمَحْرُومِينَ⁽¹⁾ .

وقال : إذا ضبِطْتَ نَفْسَكَ عَنِ الْإِشْتِغَالِ بِالزَّائِدِ عَلَى مُهِمِّ بَدْنِكَ الضَّرُورِيِّ
وإِسْتِكْمَلْتَ بِالْعِلْمِ ، أَتَيْتَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْفَضَائِلِ . وَعَلَيْكَ بِالتَّسَابِيحِ وَالْأَوْرَادِ ،
وإِقْطَعْ الْخَوَاطِرَ الرَّدِيئَةَ . وَأَنْفِذِ الْخَوَاطِرَ الْجَيِّدَةَ ، وَالْخَوَاطِرَ الرَّدِيئَةَ إِذَا قَطَعْتَ
أَوَّلًا نَجُوتَ مِنْهُ وَإِلَّا تَنَادَى بِكَ إِلَى مَا لَا يَلَانِمُ .

وقال : أَكْثَرَ الدُّعَاءِ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ وَاسْأَلِ اللَّهَ تَعَالَى مَا يَبْقَى مَعَكَ أَبَدًا لَا مَا
يَزُولُ .

وقال : لَا تَتَكَلَّمْ قَبْلَ الْفِكْرِ ، فَكِرْ مَرَارًا ثُمَّ قُلْ : فَإِنْ كُنْتَ بِنَظْمِكَ صَابِرًا مِنْ
الصَّالِحِينَ فَيُوشِكُ أَنْ تُصِيرَ بِالصُّمْتِ مُلْكًا مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَمِمَّا يَنْسَبُ إِلَيْهِ
أَعْلَى اللَّهِ رَتْبُهُ وَلَمْ أَتَحَقَّقْ ذَلِكَ :

لو تعلم داركم لمن قد جمعت قامت رقفت و صفقت واستمتعت
والقهوة لو نعلم من يشربها كانت خضعت لشاربها ودعت
وله أيده الله تعالى رتبته فارسية :

يكجند بتقليد كزیدم خودزا نایده همی نام شیدم خودزا
درخود بودم آزان ندیدم خودرا ارخود جون برون شدم بدیدم خودرا

(1) إلى هنا تنتهي النسخة الموجودة بمكتبة برلين انظر المقدمة .

وقال: لا تعجب بشيء من حالاتك فإن الواهب غير متناهي القوة وعليك بقراءة القرآن كأنه ما أنزل إلا في شأنك فقط، واجمع هذه الخصال في نفسك فتكون من المفلحين.

وقال: الصوفي هو الذي اجتمع فيه الملكات الشريفة والتصوف اصطلاح عن هذه.

وقال: كما قصرت قوى الخلاق من إيجادك قصرت عن إعطاء حق إرشادك بل هو الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، قدرته أوجدتك، وكلمته أرشدتك لا تلعبن بك اختلاف العبارات، فإنه إذا بُعِثَ ما في القبور وأحضر البشر في عرصة الله تعالى يوم القيامة لعل من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون يعيشون من أجداثهم وهم قتلى من العبارات وذبائح سيوف الإشارات، وعليهم دماؤها وجروحها غفلوا عن المعاني فضيعوا المباني.

وقال: الحقيقة شمس واحدة لا يتعدد بتعدد مظاهرها من البروج، المدينة واحدة، والدروب كثيرة والطرق عسيرة يسيرة.

وقال: إن الرجل لا يصير أهلاً للمعارف والمكاشفات العظيمة إلا بتعب عظيم.

وقال: وقد ظهر في زماننا جماعة يظنون دعاية المخيلة إذا استهزأت بهم مكاشفة تزيد بذلك الخيالات التي يجدها من يأكل الحشيش.

وقال شعر:

قل لأصحابي راؤني مِيناً	فبكوني إذا راؤني حزناً
لا يظنونني بأنني ميت	ليس ذا الميْت والله أنا
أنا عصفور وهذا قفصي	طرت عنه وعليّ رهنا
وأنا اليوم أنا حي ملا	وأرى الله عياناً بهنا

فاخلعوا الأنفس عن أجسادها لترون^(١) الحقَّ حقًا بيُّنا
ولهُ:

شربنا على روض الربيع المهفّف فجادلنا السّاقى بصهباء قرقف
فلما شربناها ودبّ دبيُّها على موضع الأسرار قلت لها قفي
مخافة أن يسطو عليّ شعاعها فيظهر جلاسي على سرّي الخفي
وقال:

ترتاح أرواح العباد لوجّها حتّى تسمّى راحة الأرواح
لا تطلب المصباح إن لقاءها بالليل يغنيك عن المصباح
وقال: أوّل الشروع في الحكمة الانسلاخ عن الدُّنيا، وأوسطه مشاهدة
الأنوار الإلهيّة وآخره لا نهاية له.

وقال عقيب ذكر المقولات: أنظر كيف انتقلت الحكمة من النظر في أمور
الروحانيّات ومعرفة الطرائق إلى مشاهدتها وسلم الخلع بالعلوم العميقة التي
تشهد بصحتها الأمم الفاضلة، وعليها كان مدار الحكمة واعتماد الحكماء
إلى ما فعل شيعة المشائين من الاختصار على أمور تشبه مقولة متى والجد،
بحيث صارت التي هي بالحقيقة حكمة، وكان عليها السير وشهود أنوار
الملوكوت متقطعة لا يعرفها المتسبون إلى الحكمة في هذه الأزمنة وإنّي لأعلم
بإخواني أنّه إذا نادى منادي الحقّ بظهور الحقائق تنطمس هذه الأقاويل
الناقضة الشاغلة وإن بقيت تبقى في المواقف الجدلية في رياضات المبتدئين.
وتعمد الحكمة الرئيسة فإن صاحب الزّورة ذات الألق إذا أنذر صدق وإذا وعد
حقّق.

وقال بعد قوله: بين السّواد والبياض أنواع غير متناهية فمثل هذه هو
سيئات، وقموا فيها لتضييع طرائق الحكماء الأقدمين من السلوك وعلوم

(1) «كذاء» في «أ». ولعلّه أثبت النون لضرورة الوزن.

المشاهدة لأنوار الملكوت وأسرار الخلق والتجريد ودوام الانصباب إلى مطالعة جلال الحق. فلما تركوا سُلط الله عليهم هذه الهوسات. أما تراها كيف تقسي القلب وتضيّع الوقت وتشوش الفكرة، وليس فيها طائل، بل يجوز النظر فيها لتشحيذ الطبع في أوائل أمر السالك ليرتقي إلى أهلية العلوم الخفية، أما الاختصار عليها فهو جهل وخسارة، وإن لم تصدّقني ففكر في رموز الأقدمين، وتأمل كتب أفلاطن وهرمس لتعلم أن لهم علوماً أشرف من مقولة متى والملك.

وقال بعد أن ذكر عرض الأفلاك في الحركات على رأي المشائين: وأما أنت إن أردت أن تكون عالماً إلهياً من دون أن تعب وتواظب على الأمور المقربة إلى القدس فقد حدثت نفسك بالمُمتنع أو شبيه المُمتنع، والناس يجتهدون في طلب باطل غاية الاجتهاد وأيضاً رهابون الأمم وزهادهم قد يرتكبون الأمور الشاقة ويتركون المألوفات لا لغرض شريف، بل لمطالب خسية، فقيح لطالب الحكمة أن لا يجتهد ولا يطلب الطرق فإن طلبت واجتهدت لا تلبث زماناً طويلاً إلا وتأتيك البارقة النورانية ومسترقي إلى السكينة الإلهية الثابتة فما فوقها إنه كان لك مرشد. وإن لم يتيسر الارتقاء إلى الملكة الطامسة، فلا أقل من ملكة البروق.

وقال: لا تحدّث نفسك إن كنت أمراً ذا جدٍ بأن تتكي على سرير الطبع راضياً برغد عيشه في هذه الحرية القدرة وتمدّ رجلك وتقول: قد أحطت من العلوم الحقيقية بشطرها ولنفسي عليّ حقٌ كيف وقد فزت قصب السبق على إخواني، إن هذه خطرة ما أفلح من دام عليها قط.

وقال: كلُّ هذه العلوم صغير صغير يستيقظك من رقدة الضالين، وما خلقت لتغمس في مهلك التيه يا مسكين وانزعج بقوة وارفض اعداء الله تعالى فيك، واصعد إلى الطامسين لعلك ترى ربك بالمرصاد.

وقال: وليكن يومك خيراً من أمسك ولو بقليل، ولأ فانت من الخاسرين، رُوح سرّك بترك ما ثقلت عليك تبعاته، اذكر موتك وقدموك على الله عز وجل

في كل يومٍ مراراً. احفظ الناموس يحفظك، لا تؤخر إلى غدٍ شغل يومك فإنَّ كلَّ يومٍ آتٍ بمشاغله، ولعلَّك لن تلحقه .

وقال: كُنْ ذا عزيمة فإنَّ عزائم الرجال تحرك الأسباب.

وقال: وباب الحق قوم لا تشغلهم صدمات الأسباب، ولا يجزعون من البلاء، فإنَّ البلاء صراط الله به عبرت قوافل الرُّجال ولو سلكته لوجدت عليه آثارهم وتعرّفت منه أخبارهم، فكل أرضٍ لم يصيبها صيبٌ من المصائب أبت أن تنبت نبت النجاح.

وقال: نعم الرُّفيقان الجوع والشهر، يضعفان أعداء الله من القوى بعقر مطاياها، وتعد المستشرف لسناء الإشراق، الفقر سوط الله به ساق الصّديقين إلى فواضل الدُّرجات.

وقال: يا من كُلف بالنطق المبين صبراً على ما أمرت به، أقم الذكر فلن يصدق عنه أحد، وسيهلك الله الكافرين بفتنة، إن الله تعالى هو القائم على النفوس يستوفي الحقوق للعباد.

وقال: لكل قهوة سكارى، ولكل بحرٍ مغرقون، كم بين صائرٍ في الظلمات زحزح عن نور الشمس، وبين حائرٍ أغرقه نورها في قربها الأقرب.

وقال: أن تعبد الله تعالى حباً خيراً من أن تعبدَهُ خوفاً، فإنَّ التعبد بالتخويف دين اللثام.

وقال: إعمل لنفسك فلقد ذُلُّ من أحوج إلى الشفيح.

وقال: نقش مداركك أيُّها الإنسان بأفضل ما يمكن ونزهها عن خبيثات الأمور فإنَّ قيم الموادَّ تصورها.

وقال: لا تترك الفكرة الخبيثة تسري كالسّم، إصرفها وهي ضعيفة لثلاً تستضعفك قوتها، أدرك صغار الأمور قبل أن يدركك كبارها. إسلك أيُّها

الفكور بقلب يقظانٍ وقف موقف التّعظيم وانت من النور زيان. اغتتموا
قُدرتكم الزائلة.

وقال: فيا من أضلّ أقرب الأشياء منه ما أبعدك من أبعداها. أطلب بارئ
الكل في القرب الأقرب وإن كان في العلو الأعلى قهراً وشرفاً أمر الله تعالى
لا يتعطل بما توانيت أيها المتخلف، ولكنك تبقى عرباً عن الفضائل مدّ عينيك
مدّاً وأبسط إسقاطاً واترك الشاغلات من بنات الظلمة لترى القيوم قائماً بالقهر
على رأس الوجود كله بالمرصاد. لقد غنى الحبيب فأين الواجدون هذه برزة
النور، والقوم في ملعب العشق يلعبون، لا تباثس بنقار الهمج، ولا تبع هيبة
الصمت بالوسط من الكلام.

وقال: لا تترك حامل السيف الجاهلي أن يدنو، ولا المرأة المستهونة
الملقبة الجسد في الطرائق أن تشبّث بذيله، وطوائف من النيران التي قلّ
ضوؤها وكثُر دخانها طفقت تنطفئ لهبوب ريح زعزع. إنّ عبدة البطن
والفرج في الدارين لعنوا لعناً يقطع أدبارهم وينوردهم إلى سوء البرازخ
المشحون بالعذاب.

وقال: العقل نور الله ولا يهتدي إلى النور غير النور، لا تظهر صورة
فردانية إلا في مرآة فردانية، النفس مرآة الله تعالى، ومرآة الله لا تشبهها مرآة
الأجسام، إذا انحل التركيب رجع الواحد إلى الوحيد.

وقال: إصرف الفكرة إلى الآثار واعرف الله تعالى بأعاجيب آياته بشواهد
بينة الحضور فإن الفكرة لا تسلط على إله الأرباب.

وقال: إذكري أيتها المدينة الفاضلة ربك بأصواتك المتجامعة والصياح
والتغيم والتعظيم، ما أبهاك يا مدينة لحني بذكر الله تعالى أسواقها
ومشاريعها ومسلكها وبيوتها وسطوحها عند بلوغ رأس النيرات إلى مراسم
التسبيح. وكبري تكبيراً جهرياً تهزم جنود الشيطان، وتقهر عبدة الطاغوت،
وترعد خبيثات النفوس وتهزّ النفوس ويحرك الأشباح الصبيحة الجمهورية

بالتسبيح فريضة في كتاب الله المسطور بالبيان.

وقال: لولا إراعة المبطلين نطقت الفطرة بشواهد الإيمان، ادفعوا سموم الحادثات بحمياً الأزل، إذا رضي صاحب اليد العليا خسرت الوشاء.

وقال: أمر الله بالرصد إذا توغلت في الهوى علمك الهوى كيف تكون كتاب الله مشهوراً يراه الغافلون ويراه العاقلون، ما شكر الرب بأفضل من الصبر، ولا أرضاه كالرضى⁽²⁾⁽¹⁾.

126- الإمام العلامة فخر الدين محمد بن الخطيب الرازي⁽³⁾ رضي الله عنه

إمام زمانه، وفاضل أيامه، صاحب التصانيف المعظمة والمؤلفات المفحمة في أكثر العلوم. بلغ رحمه الله تعالى في البحث والجدل والقبيل والقال مبلغاً عظيماً. ولم يكن في عصره أحد يدانيه في البحث، وكان خاطره قوياً وذنه جلياً، كثير الفكر والنظر، وكان لمجلسه جلالة وعظمة، وكان يتعاضم حتى على الملوك.

وكان إذا جلس للدرس جلس قريباً منه الليثي والمصري والشهاب النيسابوري⁽⁴⁾ وغيرهم من التلاميذ الكبار وسائر الخلق على قدر مراتبهم، وكان يتكلم مع الكبار وهم يبحثون مع غيرهم.

وله مصنفات في أكثر العلوم إلا أنه لا يذكر في زمرة الحكماء المحققين، ولا يعد في الرعييل الأول من المدققين، أورد على الحكماء شكوكاً كثيرة وسيبها وما قدر على التخلص منها، وبعضهم زاد عليها أيضاً؛ ووجه صعوبة حلها عدم فهمهم مقاصد الحكماء الأقدمين. وبناء البحوث على تقرير قواعد

(1) هنا آخر النسخة ب.

(2) نقلت قائمة كتب السهروردي إلى آخر الكتاب مع الفهارس وهي لم ترد في النسخة (ب).

(3) القفطي، ص: 291، أصيعة، ص: 462.

(4) أ: ح. ن.: السهروردي.

المشائين التي هي عند حكماء الكشف والذوق متزلزلة الأركان، واهية البنيان، وآلاً فإذا ظفر الإنسان بالأصول الصحيحة من جهة الذوق علم وجه حلها بأقرب سمي .

ولا تثبت أمثال تلك الشبهات إلا في النفوس العامية الكدرة التي لم تستعد للفيض القدسي ولم تنهياً لتزول النور الإلهي الذي ينشرح به الصدر ويحيا به القلب، ومن ذلك النور تحل الشبهات وتزول الشكوك وتحصل الحقائق والمعارف، وإلا فمحال أن يحصل اليقين العلمي بمجرد المطالعة لتلك المؤلفات، وترديد النظر في تلك المصنفات من غير تجريد وإخلاص إلى المنهج القوي والسلوك الحسن إلى الصراط المستقيم، وعلامة البعد عن الله تعالى وملائكته ولطائف ملكوته ثبوت تلك الهذيانات في القلوب ورسوخ تلك الشبهات في الصدور.

وبالجملة فالرجل لم يحصل شيئاً من سرائر الحكماء المتألهين، ولم ينل مكنون علوم العلماء الأقدمين بل اشتغل طول عمره بجمع أقاويل الناس وتفريمها وتهذيبها وإيضاحها وإيجازها مرة وبسطها أخرى، والتصرف فيها بالعبارات والتغييرات من ورقة إلى ورقة ومن مسودة إلى أخرى طلباً للجاء الوهمي ومجبةً للترؤس الخيالي من غير أن يظفر من الحكمة بباطل أو يرجع البحث إلى حاصل.

وأعجب أحوال هذا الرجل أنه صنف في الحكمة كتباً كثيرة توهم أنه من الحكماء المبرزين الذين وصلوا إلى غايات المراتب ونهايات المطالب، ولم يبلغ مرتبة أقلهم.

ثم رجع وتبصر مذهب أبي الحسن الأشعري المتكلم الذي لا يعرف أي طرفه أطول لأنه كان خالياً عن الحكمتين البحثية والذوقية، ولا يعرف ترتيب حد ولا يقيم برهاناً بل هو شيخ مسكين متحير في مذاهب الجاهلية، التي يخط فيها خبط عشواء.

واعلم أنه وإن لم يظفر بالحكمة على جليتها إلا أنه كان رحمه الله تعالى شديد الاستعداد قوي النفس في استخراج اللطائف والفوائد من كلام الحكماء إلا أن عيبه عدم التجرد والسلوك. لكن يحصل فراغه القلب، وهذا أمر لا ينال إلا بهذا، فلا جرم، لم يترك إلى مقاماتهم ولم يقف على أسرارهم، وبعض شبهه صحيحة إلا أنه في الأخير يعجز عن إتمامها لعدم الأصل الذي يبنى عليه البحث.

وسافر في طلب العلم إلى خراسان وإلى مراغة وانشغل بها على مجد الدين الجلي مدة حتى حصل لنفسه استقلال التحصيل والفكر بنفسه، ثم سافر إلى خدمة السلطان غياث الدين وأخيه شهاب الدين، وكانا ملكين في بلاد الغور، وأكثر تلك النواحي كرامية مجسمة فحظي عند غياث الدين وكان بواسطة صحبة فخر الدين، ارتفع قليلاً عن مذاهب الكرامية.

واتفق أن فخر الدين وعظ هناك يوماً وتكلم بشيء يتنافي مذاهبهم، فهُمُوا به فهرب واستجار بالسلطان، فتحيل على تخليصه، ثم رحل من هناك إلى غزنة وأقام يدرس في بعض المساجد مدة حتى اتصل بعلاء الدين تكش خوارزم شاه، وصار معلماً لولده محمد حتى أفضى الملك إلى محمد، فصار له الجاه العريض والمال الكثير حتى أنه كان يغلظ عليه في بعض الأوقات ويحتمله.

ثم رحل إلى هراة وبنى له السلطان هناك مدرسة وكان يُدرّس بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في سنة ست وستماية هجرية وكان عمره يومئذ ثلاثاً وستين سنة، ودفن في أسفل الجبل بهراة وأوصى أن يدفن ليلاً خوفاً من العامة.

وكان نسبه يرجع إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتوفي، وأسباب الدنيا عنده كاملة من مال وبنين وغلماين وجوارٍ، وأعتق بعضهم، أوكلهم عند الموت، وأعطى كل واحد شيئاً. وكان أبو بكر أكبر أولاده وهو الذي ورث منصبه في التدريس والوعظ.

وكان رحمه الله تعالى على ما بلغنا كثير الأكل والمباذعة محباً للجاء، وكانت أخلاقه شرسة يؤذي بها المحصلين إذا بحثوا عنده وهو الذي يقول في وصف أخلاقه:

اشكو إلى الله من خلق يغيّرني ويمحق النور من عقلي ومن ديني
حرارة في مزاج القلب محكمة تبدو فتنمو فتفويني فتدريني

وُروى: أنه دخل عليه بعض أصحابه يوماً فوجده باكياً حزيناً فسأله عن ذلك. فقال: كنت أعتقد في بعض المسائل اعتقاداً منذ مدة، وأزعم أن ذلك هو الصواب، وأن ما عداه خطأ حتى وقع إليّ كلام بعض المحصلين فيها فرايت أن اعتقادي كان باطلاً في هذه المدة، مما يؤمنني أن تكون جميع علمي بهذه الصفة.

وقال: كل علم يحصل بمجرد البحث والجدال من غير سلوك قدسي وتجرد، وفي هذا حكمه ولا يمكن حصول اليقين بمجرد الاقتصاد عليه، وحصول اليقين والطمأنينة للنفس إنما تكون بالكشف والذوق.

فعليك يا أخي بالمسارعة للتجرد والإخلاص إلى ذلك السبيل. وكان أكثر عمره مشغولاً بكتبه للتصانيف في كل فن، حتى أنه كان يصنف في علوم لا يعرف حقائقها، ويشهد بصحة هذه القضية تصنيفه للسّر المكتوم في السحر والطلسمات والنيرانجات وبعض خواص الفلك.

وأنا أجزم بأنه كان خالياً من سرائر هذه العلوم. وأكثر الشبه التي أوردها على الحكماء لأبي البركات اليهودي، ومن تصرفات ذهنه.

وهذا الذي ذكرناه من حقيقة أحواله ليس غرضنا القدر بل غرضنا تيقن طريق الحق فإنه وراء ما اشتغل به هو وأمثاله من الخائفين في الدنيا المقتصرين على البحث الصّرف، ومن كلامه الجيد قوله: والله أنني أنأسف في

الفوات عن الإشتغال بالعلم في وقت الأكل^(١) والزمان عزيز، وله أشعار بالعربية ليست بتلك الجيدة، منها:

نهاية أقدام العقول عقال	واكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في غفلة من جسوننا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقال
وكم قد رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علا شرفاتها	رجال فزالوا والجبال جبال

وله:

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة	لما سبقت في المكرمات رجالها
ولو كانت الدنيا مناسبة لها	لما استحققت نقصانها وكمالها
ولا أرمق الدنيا بعين كرامة	ولا أنوقى سوءها وأخبارها
وذاك لأنني عارف بفنائها	ومستيقن ترحالها وانحلالها
أروم أموراً يصغر الدهر عندها	وتستعظم الأفلاك طرأ وصالها

وله:

أرواحنا ليس تدري أين مذهبها	وفي التراب توارى هذه الجثث
كون يرى وفساد يتبعه	الله أعلم ما في خلقه عبث

وله من غرائب الكتب تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلية وشرح نهج البلاغة غير تام، والملل والنحل، ومنتخب كتاب تنكلوشا، والله أعلم. ومن هنا زيادات غير كلام مؤلف الكتاب^(٢).

(١) أ: ح. ن.: فإن الوقت.

(٢) الأعلام الآتية فيما بعد أسماء وتراجم قد وردت في النسخة أ من المخطوط وهي ليست ضمن المخطوط الأصلي للمؤلف، ومن إضافة الناسخ نفسه.

127 - أفضل الدين محمد المرقبي المعروف بالقاشي

كان حكيماً، انقطع آخر عمره بقرية من قرى قاشان، وتوفي بها قريباً من سنة عشر وستمائة.

128 - أفضل الدين الباميانى

(1) حكيماً مبرزاً خصوصاً في الرياضي، توفي سنة بضع وعشرين وستمائة.

129 - تاج الدين الأرموني

(2) فاضلاً متبحراً، جمع بين الشريعة والفلسفة، سمعت من مسلك السادة والعلماء شرف الدين، أنه لما شرع في الحكمة كان من جملة محفوظاته أربعون ألف بيت من شعر العرب، وله شعر جزل حسن.

فمن جملته ما أنشدني السيد المعظم رواية عنه رحمه الله تعالى :

على كل جيد للمنون سمات وقد طال عمر الأولين فماتوا
صوايح حنقٍ والمنايا رواصد وميدانها الدنيا ونحن كرات
وكان حسن المنظر، يتكبر على أهل الدنيا، كثير التواضع للفقراء، حج في آخر عمره، وتوفي ببغداد سنة أربع وخمسين وستمائة، وكان له من العمر مائة سنة، وواحد وعشرون سنة سمعت ذلك من بعض تلامذته الثقات، وكان يتغذى كل يوم مرة واحدة بعد الظهر.

130 - كمال الدين بن يونس

كان رجلاً عالماً متبحراً في أكثر الفنون، ولم يصنف كتاباً، توفي سنة بضع وثلاثين وستمائة بالموصل.

(1) و(2) كان : زيادة يقتضيهما السياق. (المحقق).

131 - مولانا نصير الدين محمد الطوسي

وكان رجلاً فاضلاً متبحراً في أكثر العلوم خصوصاً في الرياضي، صنف كتباً كثيرة في أقسام الحكمة، وبنى الرصد بمراغة بمعاونة جماعة من الفضلاء، منهم: مؤيد الدين العرضي، وهو رجل عالم بالرياضي، وفخر الدين الأخلاطي، وكان الغالب عليه الطب، ونجم الدين القزويني والغالب عليه المنطق، وفخر الدين المراغي، ومحيي الدين المعري، والغالب عليهما الرياضي.

فكان مولد نصير الدين رحمه الله تعالى بطوس سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وانتقل إلى نيسابور، واشتغل على فريد الدين داماد، وقطب الدين المصري تلميذ الإمام فخر الدين.

وانتقل منها إلى بلاد الملحد، وخدم علاء الدين بن مسلمان، وكان له ثمة فراغ فاشتغل بتصنيف شرح الإشارات وتهذيب المجسطي، وفي سنة ثلاث وخمسين وستمائة فتح المغول القلاع، وحظي عند المغول وأمر بالرصد وتوفي في سابع عشر ذي الحجة سنة اثنتين وسبعين وستمائة ودفن بمشهد موسى بن جعفر عليهما وعلى آبائهما السلام من ظاهر بغداد.

132 - كمال الدين عبد الخالق المعروف بابن الداعي

كان يهودياً، حكيماً شاعراً عالماً بأجزاء الطب، أقام مدة في خدمة صاحب مازگرد، ثم انتقل إلى خدمة هولاكو ملك التاتار ثم اشخص إلى خدمة مان ملكهم الكبير المقيم ببلاد الخطا، وتوفي بها ومن شعره، قوله:

ضوء العلوم ونور الفكر يصدعني كأنني بسواد الحظ ملتطم
حواء كل دجى حظي وأدمه كأنما خلقت من حظي الظلم

الحكماء قبل ظهور الإسلام

8 - أسقليبيوس: إله الطب اليوناني القديم Escalapius

أول من أظهر مهنة الطب والعلاج. وجاءه في الباقية هوميروس إنه طيب عاش قبل حروب طراودة. وفي الأساطير اليونانية فهو ابن أبولو، برع في الطب ونبغ فيه ثم قتله الإله زيوس بصاعقة لأنه أحيا أحد الموتى. وبدأ الاعتقاد بأسقليبيوس وتعاليمه في الطب منذ القرن الخامس قبل الميلاد حيث أقيمت له المعابد والطقوس الخاصة. وتصوره التماثيل رجلاً ممسكاً بمصاة التي تسلفها الحية، ومن هنا صارت الحية رمزاً للطب فيها بعد.

9 - أنيافوقلس: 495 - 435 ق.م. Empedocles

فيلسوف يوناني من أجرجتون بصقلية. قال إن العالم مكوّن من أربعة عناصر هي: الماء والهواء والنار والتراب، ولكل منها كيفية خاصة، فالخار للنار. والبارد للهواء. والرطب للماء. واليابس للتراب. وهي كيفيات لا يتحول بعضها إلى بعض. وتجتمع العناصر وتنفرد بفعل قوتين بسميها الإلفة والنفور فالإلفة تضم الذرات المتشابهة والنفور بفصلها.

10 - فيثاغورس: 582 - 507 ق.م.

فيلسوف يوناني ولد في مدينة ساموس. أسس جماعة دينية تؤمن بتناسخ الأرواح وضرورة الحياة المطهرة من الشهوة ورأى أن جوهر الأشياء هو العدد وله نظرية هندسية تعرف باسمه. ويرى أن الغاية من تعليم الرياضيات والموسيقى هي بلوغ الانسجام بين الروح والجسد.

من كبار فلاسفة اليونان نبغ في القرن الخامس قبل الميلاد، ولد سنة 469 ق.م. ، توفي سنة 396 ق.م. إتمم عصره بصراع الفلاسفة وضوضاء السفسطائية، وكان سقراط ألد أعدائهم حتى أوقعوا به وسجن وعذب طيلة حياته.

وكان سقراط من تلاميذ فيثاغورس واقتصر على العلوم الإلهية من الفلسفة وعارض اليونانيين في عبادة الأصنام وقابل رؤسائهم بالحجج والأدلة فأناروا عليه العامة ثم قتلوه.

قيل إن سقراط لم يؤلف كتاباً قط، فكانت فلسفته مبشوة في محاوراته ومحاضراته، وكان خير تلاميذه أفلاطون وهو الذي نقل مذهبه وطوره. ومن محاوراته يتضح إيمانه بوجود الله ويثبت ذلك بالبراهين الطبيعية والتاريخية، وكان قوي الحجة وله أسلوب خاص في الجدال والإقناع.

(دائرة المعارف ج 5 ص 180 - 196)

أشهر فلاسفة الأقدمين من اليونانيين. ولد في جزيرة أميين سنة 330 ق.م. وتوفي سنة 247 ق.م.

اتخذ سقراط تلميذه الأول ولما حكم على سقراط بالموت هجر وطنه وأكب على العلم والفلسفة، وذهب إلى إيطاليا ومصر ثم رجع إلى أثينا وأسس بها دار العلوم. وفلسفة أفلاطون هي فلسفة أستاذه سقراط، إلا أنه بما اكتسب من العلوم الكونية ألغاه على الناس في ثبوت جديد ثم أضاف إليها أفكاره الخاصة المكتسبة فجاءت أكمل فلسفة عرفها الناس. وعرف بسمو العقل ويُعد النظر في عوائد الأمم وأخلاقها. وهو طبيب حاذق وله العديد من الكتب في الفلسفة والطبيعة والطب.

(دائرة المعارف ج 1 ص 418)

أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين. ولد في أسطاغيرا/مقدونيا سنة 384 ق.م. وتوفي سنة 322 ق.م. تعاطى في بدايته صناعة الطب طلباً للعيش وألّف فيه كتاباً اسمه الصحة والمرض. ثم شغف إلى أثينا في عصر ازدهار الفلسفة وكان شيخها إذ ذاك أفلاطون، فالتحق به نحواً من عشرين سنة ثم اعتزله فجاءه فكان ذلك مسوغاً لأعدائه للظمن عليه والنيل منه، وزاد مطاعهم شغفاً بالحق. إن فلسفته تباين فلسفة أستاذه من كل وجهة وتنقضها حتى يحيل للناظر أن أرسطو تعمّد نقض فلسفة أستاذه لغرض في نفسه.

ذلك أن فلسفة أفلاطون مبناه التصورات وسناده الأفكار والتأملات فهو فيلسوف عقلي خيالي بحث. أما فلسفة أرسطو فأساسها المشاهدات والمحسوسات، وقواعدها التجارب والمقارنات فهو فيلسوف حسي صرف. ويلقب بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية وله كتب عديدة في الإلهيات والطبيعية. وأرسطو أول من برهن على وجوده تعالى بنظرية الحركة في كتابه «اثولوجيا».

ومن أقواله:

الفرق بين العالم والجاهل كالفرق بين الحي والميت.

الأمل حلم اليقظان.

لنحفظ حب سقراط وأفلاطون ولكن لنحب الحقيقة أكثر منهما.

(دائرة المعارف ج 1 ص 164 - 165)

14 - انكساغوراسي: (500 - 428 ق.م.)

حقق نتائج في وصف أساس على الظواهر الجوية وتفسير الكسوف والخسوف تفسيراً علمياً صحيحاً. وأدرك أن القمر يستمد نوره من الشمس. وقال بتطور الحياة الحيوانية والبشرية مما أظهره فيها بعد كوبرنيك وداروين، ووصف الشمس بأنها كتلة من الحجارة المحترقة، (وكانت الشمس لا تزال تعتبر إلهاً من الآلهة). لذا نقم عليه الأثينيون وكثر خصومه واتهم بالإلحاد وهرب من مدينته.

15 - ثاوفرسطس: 372 - 287 ق.م.

فيلسوف يوناني خلف أستاذه أرسطو في تزعم المشائين. وازدهرت المشائية على يديه وكان صديقاً لفيليب الثاني المقدوني ولبطليموس الأول. وكتب في موضوعات كثيرة أحصاها النبات، وله كتاب شخصيات رسم فيه شخصيات من أنماط مختلفة صور بها معاصريه.

18 - ديمقراطيس: 460 - 370 ق.م.

فيلسوف يوناني يرى العالم مؤلفاً من ذرات متجانسة في طبيعتها، لكنها مختلفة حجماً وشكلاً وثقلاً، ولا تدرك بالحواس، ولا تنقسم، ولا تغنى، وتحرك دائماً فيلتصق بعضها ببعض وتتكون الأجسام. وقد تدرك الحواس اختلافات في الكيف بين الأشياء.

وغاية الحياة عنده هي السعادة، متحققة بالسكينة النفسية.

19 - برقليس/بركليسي: 495 - 429 ق.م.

زعيم وفيلسوف إغريقي. عرف باتساع أفقه ودكائه. كان هدفه أن يجعل أثينا زعيمه الحضارة الاغريقية، وقوة سياسية كبرى. وتحت قيادته شهدت أثينا ازهى عصورها. وأقيم فيها أروع المنشآت وأجمل التماثيل وبلغت نظامها الديمقراطية أقصى مداها.

25 - الاسكندر الافروديسي:

ولد وعاش في أفروديسيا بآسيا الصغرى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي.

هو الفيلسوف اليوناني الذي كان عاشاً بعد الاسكندر الأكبر في أيام تفرُّع ملكه بين قواده. كان متقناً للعلوم متجراً فيها وكان له مجلس عام يدرس فيه الحكمة. وقد فسّر معظم كتب أرسطو تفاسير مفيدة وبينة وبين جالينوس الطبيب مناظرات ومجادلات وله العديد من المصنفات منها: تفسير كتب قاطيفورياس لأرسطو وبارمينياس وأناطوليقا وطويقا.

28 - ديوجانس الناسك: 412 - 322 ق.م.

فيلسوف يوناني من الكلبيين. عاش في أثينا داعياً الى البساطة، ويرى عنه أنه كان يحب الطرق نهاراً حاملاً مصباحاً ليبحث في ضوءه عن «الإنسان» أي الانسان الذي تتمثل فيه الفضائل البشرية الصحيحة.

29 - ابيقراط:

ولد بمدينة كور.

كان الطب قبل ابيقراط ضرب من الشعوفة والطفوس والخرافات. وأكبر فضل لأبيقراط - وخلفائه - أنهم حرروا الطب من الدين والفلسفة.

من أشهر أقواله:

«العلم كبير ولكن الوقت يمر مرّ السحاب».

«النظريات الفلسفية لا شأن لها بالطب والعلاج يجب أن يقوم على شدة الملاحظة».

وهو صاحب نظرية الأخلاط الأربعة: «إن البدن يتكوّن من أربعة أخلاط هي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وإن الانسان يستمتع بالصحة الكاملة إذا امتزجت فيه هذه الأركان بنسبها الصحيحة». وقد بقيت هذه النظرية ولم يتخل عنها الناس وبعض الأطباء إلا قبل قرن من الزمان.

وكان يؤمن بالعدوى ونقل المرض المعدي من انسان لآخر. ويؤمن بأهمية الغذاء والرياضية والهواء قبل استعمال أي دواء.

وقد رفع ابقراط من شأن هذه المهنة بتوكيد شأن الأخلاق في الطب وربما كان القسم الشهير الذي يعزى إليه قد وضع لضمان ولاء طالب الطب بمهنته ومعلميه.

30 - أومبروس الشاعر/هومبروس:

أعظم شعراء اليونان وأشدهم تأثيراً في أدباء الغرب في مختلف العصور. بعث نهضة اليونان وخلق منهم أمة قوية تؤمن بدين واحد وتتخذ لغة واحدة. نظم الألياذة والأوديسا. ويرجح أن يكون قد عاش في القرن الثامن قبل الميلاد.

(قصة الحضارة: ول ديورانت).

ترجمة محمد زبدان 1968 مج 2 ص 184 - 192

31 - سولون: 640 - 635 ق.م.

مشرع ومصلح أثيني. عهد إليه بالحكم. ومنح سلطة كاملة ليخفف وطأة الحالة الاقتصادية ويعيد النظر في الدستور الأثيني. يعزو كثيرون الى سولون إلغاء الديون، لكن يحتمل أنه لم يذهب الى هذا المدى وإنما ألغى قيود الدائنين على أملاك المدينين. وضع أساس الديمقراطية الأثينية بما أدخله إصلاحات دستورية. وأنشأ المحاكم الشعبية. لم تحقق إصلاحات سولون كل الأغراض المنشودة ولكنها طبقت لسنوات طويلة.

32 - زينون الأكبر (الرواقي): 336 - 264 ق.م.

فيلسوف يوناني مؤسس المذهب الرواقي. تأثر بالكيين وحاول أن يضع لمذهبهم الأخلاقي أسسه الميتافيزيقي والمنطقي. نشق كثيراً من أفكار هيرقليطس وأفلاطون وأرسطو في بناء فلسفي، واختار لتعليمه رواقاً منه أخذت المدرسة اسمها.

33 - الاسكندر الأكبر: (356 - 323 ق.م.)

هو ملك مقدونيا وأشهر قائد حربي في العالم القديم. ولد بمدينة بلأ سنة 356 ق.م. وقرأ على أرسطو كل المعارف الانسانية المعروفة إذ ذاك من شعر وسياسة وأخلاق وفضاحة وطبيعة وطب الخ. وتولى الملك بعد موت أبيه فيليب وعمره عشرون سنة. واتجه لفتوحات في فارس والهند ومصر وبابل وتوفي بها وعمره 33 سنة في

(323 ق.م.) وحياته ملحمة حروب مع هذه الشعوب وملوكها وصراع مع قاداته وجيشه واختلطت بالكثير من التفاصيل والإضافات حتى صارت أقرب إلى الأسطورة والخيال، ولكنه يعتبر من أعظم القواد وأبرز الشخصيات في التاريخ.

(دائرة ملوك القرن العشرين ج 1 ص 311 - 320)

34 - بطليموس: ت بعد سنة 161 م.

عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزيكا ومؤرخ. نشأ بالاسكندرية. له أرصاد هامة عن حركة القمر والنجوم واعتبرت أعماله في الفلك والجغرافيا مرجعاً أساسياً حتى أيام كوبرنيكوس. وأشهر كتبه المجسطي، يبحث في الفلك والرياضة. وله جداول بها 1028 نجماً تعتبر أقدم وصف دقيق معروف للسماء، ونظريات هامة في حساب المثلثات.

38 - اقليدس:

عالم رياضية يوناني نشأ في الاسكندرية ربما في عهد بطليموس الأول. أنشأ مدرسة مشهورة بالاسكندرية وقام بتنظيم وتنسيق علم الرياضة في عصره وضمنه مؤلفه «الأصول». وترجم هذا الكتاب الى العربية في القرن الثامن ثم نقل من العربية الى اللغات الأوروبية في القرنين 12 و 13. ومن مؤلفاته الأخرى «الظاهرة» و«التقويم» و«البصريات» و«القمة».

39 - لقمان الحكيم:

حكيم معمر، عرف في الجاهلية. وفي القرآن صورة باسمه تعرض لمناذج من حكمه التي تنصب خاصة على وصية لابنه. وفي الأمثال والحكم عبارات شتى تعزى الى لقمان. وقيل أنه كان نجاراً أو راعياً، أو عبداً حبشياً وأضحى أسطورة تاريخية دون تحديد المكان الذي وجد به وسنوات حياته ومماته.

40 - جالينوس: 130 - 200 م.

طبيب وكاتب يوناني. ولد في برجامون وعمل جراحاً لمدرسة للمصارعين بها بعد أن أتم دراسة بلاد اليونان وآسيا الصغرى والاسكندرية، ثم أقام بروما حيث ذاع صيته فاختاره ماركوس أوريليوس طبيباً لبلاطه. وينسب الى جالينوس خمس مائة مؤلف أغلبها في الطب والفلسفة. وبقي من مؤلفاته الطيبة ثلاثة وثلاثون على الأقل. وقد

أضاف الى ما سبقه من معارف طبية باكتشافاته التي توصل إليها بالتجريب وتشريح
أجسام الحيوان، وله إضافات في علم وظائف الأعضاء. وأضاف الكثير الى المعرفة
بالمخ والأعصاب والحبل الشوكي والنبض. وظلت تعاليمه ونظرياته مقبولة مسلّم بها
وتدرس وتنقل حتى أواخر القرن السادس عشر.

الحكماء بعد ظهور الإسلام

41 - حنين بن اسحق العبادي 194 - 260 هـ / 810 - 873 م.

طبيب مترجم مؤرخ كان أبوه صيدلانياً من الحيرة وأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه وغيره واتقن اللغات اليونانية والسريانية والفارسية وانتهت إليه رئاسة العلم بها بين المترجمين مع أحكامه العربية. واتصل بالأمسون فجعله رئيساً لديوان الترجمة وبذل له الأموال والعطايا. ويصلح ما ترجمه غيره من المترجمين وله كتب ومترجمات تزيد عن المائة وتوفي ببغداد.

الاعلام 2: 287، معجم المؤلفين 4: 87.

GAL, I, 285, SI, 366-369; GAS III, 247-256

42 - اسحق بن حنين: 215 - 298 هـ / 830 - 910 م.

اسحق بن حنين بن اسحق العبادي: طبيب مترجم أفاد العربية بما نقله إليها من كتب الحكمة وشروحها، خدم بعض الخلفاء من بني العباس وألف كتباً كثيرة منها: الأدوية المفردة واختصار كتاب اقليدس وآداب الفلاسفة ونوادرهم وتاريخ الأطباء وترجم العديد من الكتب. وكان عارفاً باليونانية والسريانية فصيحاً بالعربية ولد ومات ببغداد.

الاعلام 1: 294، طبقات الأطباء 201، معجم المؤلفين 2: 233

GAL, I, 206, SI, 369; GAS, III, 267-268

43 - حبيش بن الحسن الأعشم الدمشقي:

طبيب مؤلف ومترجم من تلاميذ حنين وابن أخته. ترجم أغلب كتب جالينوس إلى العربية. له العديد من الكتب تأليفاً وترجمة.

44 - ثابت بن قرة بن زهرون الحراني أبو الحسن 221 - 288 هـ / 836 - 901 م.

فيلسوف طبيب حاسب ولد ونشأ بحرّان وقصد بغداد واشتغل بالفلسفة والطب فبرع فيها. وكان يتقن لغات عدة منها السريانية واليونانية والعبرية ويمجد الترجمة الى العربية.

واتصل بالخليفة العباسي المتعزّد فكانت له عنده منزلة رفيعة. وصنف نحواً من 150 كتاباً في المنطق والرياضيات والطب منها:

- الذخيرة في علم الطب.

- المسائل الطبية.

- كتاب الهندسة.

- المباني الهندسية وغيره من الكتب.

وله العديد من الكتب المترجمة الى العربية منها كتاب بطليموس المجسطي وكتاب الجغرافيا.

الإعلام 98:2، معجم المؤلفين 3:101

GAS, III, 264-3; GAL, I, 217, S. 384-6;

45 - الدمشقي، أبو عثمان سعيد بن يعقوب، كان حياً 302 هـ / 914 م.

طبيب، مؤلف، مترجم.

ترجم الى العربية كتاباً للاسكندر الأفروديسي وفرفوريوس. تولى رئاسة بيهارستان بغداد. ومن كتبه: مقالة في النبض، مسائل من كتب جالينوس.

كحلّة 4:234

46 - الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا (854/240 - 932/320).

فيلسوف، طبيب، مؤلف. ولد بالري جنوب طهران ثم انتقل الى بغداد وعاصر الخليفة عضد الدولة العباسي.

يعتبر من أعظم أطباء القرون الوسطى ولقب بجالينوس العرب. اشتهر بدقّة الملاحظة السريرية والملاحظات الطبية العلمية وتسجيل بطاقات للمرضى. ألف نحواً من 220 كتاباً ورسالة في العلوم الطبية والصيدلة والكيمياء. انتخب من بين مائة طبيب لتولي رئاسة المستشفى العسدي ببغداد.

ومن أشهر كتبه: الحاوي في الطب، والمنصوري في التشريح، وكتاب الحصبة والجذري وهو أول من فرق بين الجدري والحصبة ووصف العدوى الوراثية.

وله كتاب «من لا يحضره الطبيب» وكتاب «محنة الطبيب».

الأعلام 130:6، معجم المؤلفين 74:10

GAL, I, 233-235, S.I. 417-421; GAS, III, 274-294;

47 - علي بن ربن الطبري: ت 247 هـ / 861 م.

طبيب حكيم ولد بطبرستان وكان يجتهد ولائها ويقرا علم الحكمة وانفرد بالطبيعات ثم رحل الى الري وسامرا وصنف بها كتابه فردوس الحكمة.

ومن كتبه أيضاً: الدين والدولة، وتحفة الملوك، ومنافع الاطعمة والاشربة والمقايير، كتاب حفظ الصحة، كتاب في الحجامة.

الأعلام 288:4، أخبار الحكماء 155،

اليهقي ص 22، معجم المؤلفين 94:7

GAL, I, 231, S.I., 414-5; GAS, III, 236-240;

48 - ابن سوار، أبو الخير الحسن بن بابا بن بهنام.

طبيب مؤلف مترجم، ولد ببغداد ثم انتقل الى خوارزم.
من مؤلفاته: كتاب الحوامل، رسالة في الطب.

50 - البتاني: أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان الرقي، ت: 317 هـ / 929 م.

من مدينة الرقة ببحران ويعتبر من أشهر علماء الفلك العرب وقد عمل في مكتبة الخليفة المأمون وكان رسده في مدينة الرقة على نهر الفرات كما أنشأ مرصد البتاني في سوريا.

وقد حدد بدقة عظيمة ميل تلك البروج وطول السنة الشمسية، وعارض نظرية بطليموس في ثبات الأوج الشمسي واستنتج أن معادلة الزمن تتغير تغيراً بطيئاً كما صحح حركات كثيرة للقمر والكواكب.

من مؤلفاته: الزيج، كتاب معرفة مطالع البروج وقد ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي.

الأعلام 68:6، ابن النديم 390

51 - الفارابي، أبو نصر محمد ت: 339 هـ / 950 م.

هو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين ولد في فاراب، ثم انتقل الى بغداد ونشأ بها وألف بها أكثر كتبه ورحل الى

مصر والشام واتصل بسيف الدولة بن حمدان وتوفي بدمشق وكان يتقن اللغة اليونانية.
وله نحو مائة كتاب منها:

- احصاء العلوم
- آراء أهل المدينة الفاضلة
- المدخل الى صناعة الموسيقى
- الموسيقى الكبير

الأعلام 7:28، معجم المؤلفين 11:193

GAL, I, 210, S.L., 375-377; GAS, III, 298-300;

55 - الكندي: أبو يوسف يعقوب بن اسحق، توفي سنة 252 هـ / 768 م. في بغداد.

سمي بفيلسوف العرب له مؤلفات كثيرة في شتى ميادين العلم، عربي مسلم من بني كندة، ولد بالكوفة جاء بنظريات وآراء جريئة وكان لا يؤمن بتأثير الكواكب والأبراج السالوة على مصير الانسان ومستقبله.

من مؤلفاته: صَف ما يزيد عن 230 كتاباً ورسالة في العدهد من العلوم:

- رسالة في المدخل الارشراطي.
- كتاب ظاهريات الفلك.
- كتاب في المناظر الفلكية.
- الاقرياذين.

عاصر المأمون والمعتصم وعهد إليه ترجمة كتب أرسطو.

الأعلام 8:195، معجم المؤلفين 13:244

GAL, I, 209, S.L., 372-364; GAS, III, 233-247;

56 - البلخي، أبو زيد أحمد بن سهل 235 - 322 هـ / 849 - 934 م.

أحد كبار علماء الاسلام جمع بين الشريعة والفلسفة والأدب والفنون ولد في إحدى قرى بلخ، وساح سياحة طويلة ثم عاد الى مدينته وعرضت عليه الوزارة فأبأها واشتغل بالكتابة.

ومن كتبه:

- مصالح الأبدان والآنفس.
- «صور الأقالييم الاسلامية» و «أقسام العلوم» وغيرها.

الأعلام 1:134، معجم المؤلفين 1:240،

GAL, I, 229, S.L., 404; GAS, III, 274;

57 - أبو الفرج، عبد الله بن الطبيب المتوفى سنة 435 هـ / 1043 م.

حكيم، مؤلف ومترجم. طبيب عراقي واسع العلم كثير التصنيف خبير بالفلسفة، كان كاتب الجاثليق و متميزاً بين أطباء بغداد، يعلم الطب في البيمارستان العضدي ويعالج المرضى فيه، وكان معاصراً للرئيس بن سينا.
من مؤلفاته:

- مقالة في القوى الطبيعية، النكت والتعليقات في الطب.

- مقالات أرسطو، ونحو أربعين كتاباً في الطب والفلسفة.

الأعلام 94:4، معجم المؤلفين 66:6

GAL., I, 482, S.I., 884;

60 - البوزجاني: أبو الوفا محمد بن محمد بن يحيى - توفي سنة 388 هـ / 998 م.

من العلماء المعدودين في علم الفلك والعلوم الرياضية ومن ألمع العلماء العرب الذين كان لهم تأثير بتقدم العلوم. ولد في مدينة بوزجان بفارس ثم انتقل الى بغداد واشتهر بشروحه لمؤلفات اقليدس والحوارزمي. وبرع في العلوم الرياضية والفلك.

وله من المؤلفات:

- كتاب ما يحتاج إليه العمال والكتاب من صناعة المساب.

- كتاب الكامل في حركات النجوم.

- كتاب زيج الواضح.

الأعلام 21:7، GAL., S.I., 400

61 - ابن الهيثم: أبو علي الحسن بن الحسن (965/354 - 1038/430).

ولد بالبصرة ثم انتقل الى مصر زمن الخليفة الفاطمي الحاكم بالله. بلغت الحضارة العلمية الإسلامية في عصره الذروة وهو معاصر لابن سينا والبيروني، ظلت كبه المرجع الذي يعتمد عليه أهل الصناعة في علم الضوء أو علم المناظر، وتعمق في دراسة العلوم الطبية والفلسفية والفلكية والرياضية ونبع وألف فيها العديد من الكتب والرسائل التي تتجاوز المائتين بالعدد. أول من وضع نظرية البصريات والضوء وأثبت مراكز البصر في الدماغ، وكتب حول أقسام العين ووظائفها. وتصلع في علم الرياضيات وله رسائل في الجبر والحساب والمهندسة.

وأقام بالقاهرة وتوفي بها. ومن كتبه: كتاب المناظر، المرايا المحرقة بالدوائر.

الأعلام 83:6

62 - الكوهي: أبو سهيل بن رستم، المتوفى سنة 405 هـ / 1014 م.

عالم بالهيئة وآلات الرصد. عاصر الدولة البرهية والمعدلية. وهو الذي بنى (بيت الرصد) المرصد لشرف الدولة وأحكم أسسه وقواعده.
له مؤلفات عدة في العلوم الرياضية كرسائل في الهندسة والفلك.

الأعلام 127:8، انظر ص 230

63 - ابن الأعلم: علي بن الحسين البغدادي، توفي 375 هـ / 986 م.

عالم بالهيئة ببغداد المولد والنشأ وعاصر عهد الدولة بن بويه وصنع له زيجاً كان العمل عليه في زمانه وبعده الى القرن السابع للهجرة وتوفي آيماً من الحج.

طوقان: 268، الأعلام 272:4، السيفي: 90

64 - ابن هندو، أبو الفرج علي بن الحسين المتوفى سنة 420 هـ / 1029 م.

فيلسوف وطبيب وشاعر. ومن التميزين في علوم الحكمة والأدب والشعر، نشأ بنيسابور وكان من كتّاب الانشاء في ديوان عهد الدولة وتوفي بجرجان.
أهم مؤلفاته:

- الكلم الروحانية من الحكم اليونانية.
- مفتاح الطب.
- كتاب النفس.

الأعلام 278:4، معجم المؤلفين 82:7

GAI., I, 240, S.I., 425, GAS, III, 334-5;

65 - أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني: ت: 401 هـ / 1010 م.

حكيم طبيب مؤلف مترجم، فصيح العبارة، جيد التصنيف، حسن الخط، منبج العربية، تتلمذ عل حنين بن اسحق في الترجمة والنقل الى العربية.
ولد بجرجان ونشأ وتعلم ببغداد وعنه أخذ ابن سينا صناعة الطب.

من مؤلفاته:

- الكتب المائة في الصناعة الطبية.
- الطب الكلي.
- أصول الطب.
- مقالة في الجدري.

ومن ترجماته: كتاب ابديهما الأمراض الوالدة (عن أبقراط وجالينوس).

الأعلام 1105، معجم المؤلفين 358

GAL, I, 238, S.I., 423; GAS, III, 326-7;

66 - ابن عدي يحيى بن عدي بن زكريا أبو زكريا 280 - 364 هـ / 894 - 975 م.

فيلسوف حكيم مترجم انتهت إليه الرثمة في علم المنطق في عصره. ولد بمدينة تكريت وعاش ببغداد وتلمذ على الفارابي.

ومن كنه:

- تهذيب الأخلاق.

- شرح مقالة الإسكندر.

- رسالة في تحليل القبلات.

- رسالة فيما تحقق من اعتقاد الحكماء.

والعديد من الكتب المترجمة.

الأعلام 1543

67 - جهنبار بن المرزبان الأفريحياني أبو الحسن: ت: 458 هـ / 1066 م.

حكيم من تلاميذ بن سينا، كان مجوسياً، ثم أسلم له تأليف عديدة منها:

- ما بعد الطبيعة.

- مراتب الموجودات.

- التحصيل.

الأعلام 77:2

68 - ابن زيلة: الحسين بن محمد - أو ابن طاهر - أبو منصور: ت: 440 هـ / 1048 م.

حكيم عالم بالرياضيات، موسيقي، عارف بالأدب، حسن الإنشاء. ولد ونشأ بأصفهان.

كان من خواص تلاميذ الرئيس بن سينا.

ومن كنه:

- النفس.

- شرح رسالة عمر بن تغلبان.

- الاختصار في طيحات الشفاء.

- الكامل في الموسيقى.

طوقان 400، الأعلام 254:2

GAL, I, 400, S.I., 829;

70 - المعصومي: محمد بن عبد الله بن أحمد المعصومي: ت: 460 هـ / 1068 م.

حكيم من تلاميذ بن سينا. وكان يقول للمعصومي: أنت في منزلة أرسطو من أفلاطون.

من كتبه:

- المفارقات.

- أعداد العقول والأفلاك.

الأعلام 6:228

73 - ميمون بن النجيب الواسطي: - كان طبيباً فاضلاً حكيماً ويحفظ المنطق والطبيعات والإلهيات.

77 - ابن أبي صادق: عبد الرحمن بن علي أبو القاسم:

حكيم طبيب يلقب بسقراط الثاني من أهل نيسابور.

من تصانيفه:

- شرح مسائل حنين.

- شرح نصول أبقراط.

الأعلام 3:316

78 - النسوي، أبو الحسن علي بن أحمد المتوفى سنة 420 هـ / 1020 م.

علي بن أحمد أبو الحسن النسوي: رياضي، من أهل نسا بخراسان له كتب منها التجريد في أصول الهندسة (مخطوط).

الأعلام 4:254، طوقان 290، البيهقي 112،

GAL, I, 219, S.I.M 390; GAS, III, 311;

80 - السرخسي: أحمد بن الطبيب المتوفى سنة 286 هـ / 899 م.

فيلسوف غزير العلم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون ولد في سرخس وقرأ على الكندي والفيلسوف واتصل بالخلفاء العباسيين فعمل المعتضد بالله، ثم تولى الحسبة ببغداد في أيامه، وله العديد من المصنفات منها: كتاب السياسة، كتاب الموسيقى، المسالك والممالك وغيرها.

الأعلام 1:285، معجم المؤلفين 2:157، القطبي: 55

GAL, I, 210, S.I., 375; GAS, III, 259;

81 - الحيايمي: أبو الفتح عمر بن ابراهيم النيسابوري المتوفى سنة 515 هـ / 1021 م. (عمر الحيام).

عالم بالرياضيات والفلك واللغة والفقه والتاريخ وديوان شعر. دعاه السلطان ملكشاه وطلب منه القيام بتعديل التقويم السنوي فأنجزه ونجح في ذلك.
من مؤلفاته: كتاب الزيج

الأعلام 5:1294، S.I., 471، I، GAL،

83 - الأسفرازي: المظفر بن اسماعيل، أبو حاتم توفى نحو 480 هـ / 1087 م.

فلكي مهندس. كان معاصراً لعمر الحيام وبينهما مناظرات. غلب عليه الاشتغال بعلم الهيئة والأثقال والعلوم الهندسية.
له تصانيف في الرياضة وغيرها منها: مقدمة في المساحة. وكتاب مختصر اقليدس.

الأعلام 7:255، البيهقي 125، 856، SI، GAL،

85 - الايلاقي، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف كان حياً سنة 428 هـ / 1037 م.

طبيب من تلاميذ بن سينا نسبته الى ايلاق من جهات فرغانه.

ومن تصانيفه:

- الأسباب والعلامات في الطب.
- شرح عمليات القانون لابن سينا.
- كتاب الأسباب والعلامات.
- الفصول الايلاقية

الأعلام 7:140، معجم المؤلفين 12:133؛

887، S.I., 485، I، GAL،

86 - الساوي: عمر بن سهلان زين الدين: ت: 450 هـ / 1058 م.

فيلسوف من ساوه استوطن نيسابور وتعلم بها.

ومن كتبه:

- البصائر النصرية، ورسالة الطير.

الأعلام 5:47، البيهقي: 132

87 - أبو الصلت: أمية بن عبد العزيز الأندلسي 460 - 529 / 1068 - 1135 م.

حكيم أديب من أهل دانية بالأندلس ورحل الى المشرق وبقي بمصر عشرين سنة ثم انتقل الى المهديّة بالمغرب واتصل بملوك الصنهاجيين وتوفي بها. اشتغل بالطب والفلك والرياضيات وصنف كتباً كثيرة منها: «الحديقة»، «رسالة العمل بالاسطرلاب»، «الأدوية المفردة» و«تقويم الذهن»، كتاب العقاقير.

طوقان 337، الأعلام 2:23، معجم المؤلفين 3:

GAL, I, 486, S.I., 889;

89 - الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم أو الفتح 479 - 548 / 1086 - 1153 م.

من فلاسفة الاسلام وكان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة. ولد في شهرستان وانتقل الى بغداد، ثم رجع وتوفي ببغداد.

ومن كتبه:

- الملك والنحل.

- نهاية الأقدام في علم الكلام.

- مصارعات الفلاسفة.

- تاريخ الحكماء وغيرها من الكتب.

الأعلام 6:215، البيهقي: 141

90 - أمين الدولة بن التلميد: أبو الحسين سعيد هبة الله البغدادي المتوفى سنة 560 هـ / 1164 م.

طبيب شاعر مؤلف، عميد أطباء بغداد في عصره. كان رئيساً للبيارستان المعصدي ببغداد الى حين وفاته. طبيب ومعاشر للخليفة العباسي المقتفي.

من تصانيفه:

- أفراباذين، اختصار كتاب الحاوي للرازي

- اختصار شرح جالينوس لكتاب الفصول لابن قراط

- شرح مسائل حنين بن اسحق

- اختبار كتاب مسكويه في الأثرية.

الأعلام 4:103، معجم المؤلفين 4:333،

GAL, I, 486, S.I., 888;

91 - ابن الشبل البغدادي: محمد بن الحسين أبو علي، ت: 1080 / 473 م.

شاعر حكيم من أهل بغداد مولداً ووفاء. قرأ كلام الفلسفة والأدب ونظم الشعر الجيد.

وله ديوان شعر.

الأعلام 6:100

96 - مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب المتوفى سنة 1030/421 م.

مؤرخ باحث أصله من مدينة الري وسكن أصفهان وتوفي بها، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء. كان قيباً على خزانة كتب ابن العميد ثم كتب عضد الدولة. ولذا لقب بالخازن.
ومن مؤلفاته:

- تجارب الأمم وتعاقب الأمم،

- طهارة النفس،

- آداب العرب والفرس،

- الفوز الأصغر،

- الأدوية المفردة وغيرها. . .

الأعلام 10:211-212، معجم المؤلفين 2:168-169

GAL, I, 342, S.I., 582, GAS, III, 336;

97 - أبو النفيس: النفيسي/القطرمي أحمد بن عبد الغني الملقب بالنفيسي: ت: 603 هـ / 1206 م.

هذا الشاعر هو ليس ابن النفيس الطبيب المشهور وقد يكون النفيسي. شاعر أديب مصري له علم بالفقه وله ديوان شعر. توفي بمدينة قوص بمصر.

معجم القاب الشعراء: ص 239، الأعلام 1:152

101 - أبو البركات / هبة الله بن ملكان البغدادي: ت: 560 هـ / 1165 م.

فيلسوف طبيب ومؤلف. كان طبيباً للخليفة المستنور بالله.
من مؤلفاته:

- كتاب المعبر في الطب والطبيعات.

- كتاب النفس.

الأعلام 8:75، معجم المؤلفين 13:142

GAL, I, 460, S.I., 831

103 - الحارثي: محمود بن عبيد الله بن صاعد المروزي (541 - 606 هـ / 1947 - 1209 م).

فقيه حنفي ينعت بشيخ الإسلام من أصل مرو. ولد ونشأ بمدينة سرخس وتوفي بمرو.
من كتبه:

- تفهيم التحرير.

- خلاصة النهاية في فوائد البداية.

- الفتاوى.

104 - محمود الخوارزمي: بن محمد بن العباس، 492 - 568 / 1099 - 1173 م.

فقيه شافعي، مؤرخ من أهل خوارزم مولداً ووفاة.

ومن مصنفاته: «الكافي في النظم الشافي».

الأعلام 181:7

105 - الحازن: أبو الفتح عبد الرحمن المنصور، المتوفى سنة 550 هـ / 1155 م.

نشأ بمدينة مرو بخراسان واشتهر ببحوث في الرياضيات والفلك وله فيها إضافات
ونظريات. وألف في الحساب والمنجمة وعلم الأرصاد.

من مؤلفاته:

- الزيج السنجري

- كتاب المسائل المعدية.

- ميزان الحكمة.

الأعلام 305:3

106 - المعموري البيهقي: محمد بن أحمد: ت: 485 هـ / 1092 م.

فيلسوف أديب، اشتغل بالرياضيات وصنف كتاباً في دقائق المخروطات والميل
والأنفال.

طوقان 368، الأعلام 316:5

108 - القصارى البيهقي: علي بن شاهر.

فيلسوف حكيم. اشتغل بالرياضيات والفلك واستخرج طوابع النجوم والتقاويم.

طوقان 368، البيهقي 171

109 - البيروني: أبو الريحان محمد بن أحمد: ت: 440 هـ / 1048 م.

ولد بضاحية من ضواحي خوارزم. زار المواسم العربية وعاش بالهند سنوات طويلة. تعمق في دراسة الفلك والرياضيات والطب.

وآلف في تاريخ الهند مصنفة المشهور «ما للهند من مقولة» وله كتاب قيم في الفلك أسماء «القانون المسعودي». كما آلف في الطب والصيدلة. وكتابه المعروف في الجواهر والمعادن والمجاهر في معرفة الجواهر. وقد كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية. وله القولة المشهورة: هجاء بالعربية خير من مدح بأي لغة أخرى. وتقدر مصنفاته بمائة وثلاثين بين كتاب ورسالة.

من أشهر مؤلفاته:

- الآثار الباقية من القرون الخالية.

- كتاب كيفية رسوم الهند في تعلم الحساب.

- الجواهر في معرفة الجواهر.

- الصيدنة في الطب.

- القانون المسعودي.

الأعلام 5:314؛ GAS, V, 375-383؛ GAL, I, 475, S.I., 879

113 - السجستاني: أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام (المنطقي): كان حياً قبل 372 هـ / 983 م.

حكيم، منطقي، له نظر في الأدب والشعر. سكن بغداد وأقبل عليه العلماء والحكماء. من مؤلفاته:

- مقالة في مراتب قوى الانسان ورسالة المحرك الأول.

- كتاب صوان الحكمة.

الأعلام 6:171، كحالة 10:96

114 - عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح: 302 - 391 هـ / 914 - 1001 م.

كاتب حكيم من أهل بغداد عمل في ديوان الخليفة الطالع لله للرسائل. حجة في النقل والترجمة والتصرف في فنون اللغات وضروب المعاني والعبارات. من تصانيفه: كتاب «الأمالي».

الأعلام 5:106

115 - غلام زحل: عبيد الله بن الحسن البغدادي: ت: 379 هـ / 986 م.

عالم بالفلك والحساب من أهل بغداد.

له تصانيف منها:

- أحكام النجوم .
- التيسيرات والشعاعات .
- الاخيارات وغيرها .

الأعلام 1924، الفهرست 284

118 - أبو القاسم الانطاكي: علي بن أحمد المجتبي: ت: 376 هـ / 987 م.

من مشاهير مهندسي القرن الرابع الهجري ورياضيهم . ولد بأنطاكية وتوطن ببغداد وتوفي بها وعاصر عضد الدولة بن بابويه .
فكان فصيحاً، من الموصوفين بحسن البيان .
من مصنفاته:

- كتاب شرح اقليدس .
- كتاب في المكبات .
- كتاب الموازين العددية .

طوقان 233 . القفطي 157، الأعلام 2334

119 - أبو اسحق ابراهيم الحراني (ابن زهرون): ت: 384 هـ / 994 م.

نشأ ببغداد ودرس بها وكان بليغاً في صناعتي النثر والنظم . بلوغاً في الرياضيات والمهندسة، أديباً شاعراً .
وكان من جملة الذين قربهم شرف الدولة بن عضد الدولة ليشرفوا على مرصد بغداد

له مصنف في المثلثات ورسائل في الرياضيات، وكتاب «المقولات النادرة» وديوان شعر .

طوقان 256، الأعلام: 87

122 - الجرجاني: اسحاق بن حسين زين الدين: ت: 531 هـ / 1137 م.

طبيب باحث من أهل جرجان .

ومن مصنفاته: «الطب الملوكي»، «زينة الطب»، الرد على الفلاسفة .

الأعلام 312:1، معجم المؤلفين 264:2

GAL, I, 486, S.L, 829-830

123 - أبو الحسن محمد بن يوسف العامري: ت: 381 هـ / 991 م.

عالم بالمنطق والفلسفة من أهل خراسان وأقام ببغداد مدة واتصل به بن العميد.
من مصنفاته:

- التقرير لأوجه التقدير.

- النسك العقلي.

- الابصار المبصر وغيرها.

الأعلام 148:7

124 - ابن سينا: أبو علي الحسين بن عبد الله (980/371 - 1036/428):

عبقري، فيلسوف، طبيب، مؤلف، شاعر.

رائد من رواد الفكر الإنساني والمعلم الثالث للإنسانية بعد أرسطو والفارابي ولد في فترة تعتبر من أزهر عصور الحضارة العلمية الإسلامية، درس الطبيعيات والإنهيات وقرأ كتب أرسطو وأفلاطون واشتهر بالطب والفلسفة، كما عني بالرياضيات والفلك وهو الطبيب الفيلسوف الرياضي الفلكي.

بدأ يصف الكتب وهو في الحادية والعشرين من عمره، وكان يعالج المرضى دون أجر واكتسب شهرة بزُّها أهل زمانه، حتى لقب بالشيخ الرئيس.

يقدر عدد كتبه بست وسبعين ومائتين ويعتبر كتابه القانون في الطب من خير ما تفخر به الحضارة العلمية العربية في هذا الفن. وقد ترجم الى عدة لغات في العالم وكان دستور تدريس الطب في كثير من كليات الطب في أوروبا. وكتاب الشفاء في المنطق والطبيعيات والفلسفة. وقد ترجم أيضاً الى العديد من اللغات.

الأعلام 241:2، معجم المؤلفين 28:4

GAL, I. 453, S.I., 812-828

125 - الشهاب السهروردي (549 - 587 هـ / 1154 - 1191 م.).

هو يحيى بن حبش بن أميرل أبو الفتح شهاب الدين السهروردي. ولد بناحية سهرورد من قرى زنجان بالعراق وسافر الى حلب فنسب له انحلال العقيدة وسجنه الملك الظاهر غازي، وقتل بقلعته ومن كتبه التلويحات وهاكل النور وكتاب المشار والمطارحات.

الأعلام 140:8

126 - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر ابن مخطيب الري.

الإمام المفسر أوجد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل قرشي النسب. اشتغل وألف في الكيمياء وفنونها فضلاً عن الفلسفة والفقه. وكان واعظاً بارعاً بالعربية والفارسية.

- من مؤلفاته:
- المباحث الشرقية.
- معالم أصول الدين.
- شرح كتاب بن سينا الاشارات والنتيجهات.
- الجامع الكبير في الطب.
- نموذج العلوم.

الأعلام 6:313، معجم المؤلفين 11:79

GAL, I, 586-588, S.L., 928-934

130 - بن يونس، كمال الدين موسى.

فيلسوف علامة بالرياضيات والحكمة والأصول عارف بالأدب والموسيقى والسير. مولده ووفاته بالموصل.

- من كتبه:
- كشف المشكلات.
- مفردات القاضي القانون لابن سينا.
- شرح الأعمال الهندسية وغيرها.

طوقان 394، الأعلام 7:332

GAL, S.L., 839

131 - الطوسي: أبو جعفر محمد بن محمد نصير الدين، المتوفى سنة 672 هـ / 1274 م.

علامة بالارصاد والرياضيات. وقد أسس مرصداً بمدينة فراغة ومكتبة بها.

- من مؤلفاته:
- الزيج الإيلخاني.
- زبدة الادراك في هيئة الأفلاك.
- ظاهرات الفلك لأقلیدس.
- التذكرة النصيرية في الهيئة.

الأعلام 7:30، معجم المؤلفين 11:307

GAL, I, 588-512, S.L., 934-933;

الفهارس العامة

- 1 - فهرس آيات القرآن الكريم .
- 2 - فهرس الحديث النبوي الشريف
- 3 - فهرس الأعلام اليونانيين وما يقابله باللاتينية .
- 4 - فهرس المصطلحات والكلمات العلمية .
- 5 - فهرس الشعر والقوافي .
- 6 - فهرس الأعلام .
- 7 - فهرس البلدان والمدن والمواضع .
- 8 - فهرس الأمم والقبائل والفرق والأجناس .
- 9 - فهرس أسماء بعض الكتب الواردة في المخطوط .
- 10 - فهرس كتب ابن سينا الواردة في المخطوط .
- 11 - فهرس كتب السهروردي الواردة في المخطوط .
- 12 - فهرس الأبواب والموضوعات (محتويات الكتاب) .

طريقة الفهارس

هذا الكتاب وحدة متكاملة، شملت فهارسه كل ما جاء في المقدمة والمتن والحاشية، وقد اعتبرتُ:

1 - الكلمات التي تؤلف الاسم وحدة مركبة بإهمال (أل) التعريف أينما وجدت.

2 - أسقطت في ترتيب الأسماء الأحرف التالية: أبو، ابن، ابنة، بنو.

3 - أثبت في فهرس «الشعر والقوافي» الأبيات مرتبةً وفاقاً لروِي قوافيها: القافية المضمومة، فال مفتوحة، فال مكسورة، فال ساكنة، وذكرْتُ من مطلع البيت الأول كلمة أو أكثر من صدره، ويحرّه، وعدد الأبيات، واسم الشاعر.

4 - الكتاب غنيٌ وحافل بالأسماء اللاتينية القديمة، وربما يكون قد لحق ببعضها تصحيف ما، غير أنني صورُتها كما هي في المخطوط، وربما يكون الاسم مكرراً باختلاف بسيط (كزيادة حرف في أوله أو وسطه أو آخره أو ما شابه ذلك أو إبدال نقطة بنقطتين أو ثلاث ووضعها أحياناً فوق الحرف وأحياناً تحته) وهي هفوات لم يكن بوسعي تجنبها لأن ذلك يستلزم تحقيقاً وتدقيقاً في هذه الأسماء وضبطها وتوحيدها، وليس بين أيدينا مصادر أو مراجع

تفي بالغرض.. فلربما أتيح لنا النظر فيها فيما بعد وتصويرها في طبعات لاحقة إن شاء الله... علماً بأنني رتبته في الفهارس ترتيباً معجمياً الفبائياً دقيقاً وموثقاً دون إغفال أيّ منها.. مع التعريف بالأعلام المسلمين مرتبين تارةً حسب شهرة كلّ منهم أو كنيته أو لقبه وذكر اسمه الأصلي والعكس تارةً أخرى...

فهرس آيات القرآن الكريم

الصفحة	الآية كاملة ⁽¹⁾	رقم الآية	السورة
56	﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾	31 م	2: البقرة
314	﴿وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعَلَّةٌ مِنْ أَبْهَامِ أَخَرٍ﴾	184 م	2: البقرة
314	﴿وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾	196 م	2: البقرة
314	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾	43 م	4: النساء
314	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾	6 م	5: المائدة
372	﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾	45 ك	18: الكهف
451	﴿وَجَدَلُوا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا﴾	90 م	18: الكهف
314	﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾	61 م	24: النور
314	﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾	17 م	84: الفتح
318	﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا ⁽²⁾ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾	6 ك	50: ق

(1) الكلمات بالبط الغليظ هي فقط الواردة في متن الكتاب.

(2) أولم يروا: كذا وردت في الأصل، والصواب ما أثبتناه هنا.

فهرس الحديث النبوي الشريف

- 323 - إذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فعليهم الديات :
- 323 - ارشد الناس عذاباً يوم القيامة من يسبُ نبياً أو أصحابه أو أئمة المسلمين :
- 34 - الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها ولا يبالى من أي وعاء خرجت :
- 35 - خالط الحكماء وسائل العلماء وجالس الكبراء :
- 58 - سبيل الملك كما يجب أن تكون رعية تحت طاعته، كذلك أن يكون هو المتفقّد أحوالهم قبل حال نفسه في جميع أمورهم، لأن صورته معهم صورة النفس في البدن :
- 314 - العِلْمُ عِلْمَانِ : علم الأبدان وعِلْمُ الأديان :
- 35 - العلم كثيرٌ، فخذوا من كل شيء أحسنه :
- 35 - تفكّر ساعة خيراً عند الله تعالى من عبادة سبعين سنة :
- 34 - ما أنفق منفقٌ ولا تصدّق متصدّقٌ بأفضل من كلام الحكمة، إذا تكلم به الحكيم والعالم، فلكلّ مستمع منهم منفعة :
- 35 - ما زهد عبدٌ في الدنيا إلا أمطرتُ به مطراً، وأنبتُ به نباتاً، أنبتُ الحكمة في قلبه وأنطقَتْ بها لسانه :
- 35 - من زهد في الدنيا أسكن الله تعالى الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه :

- 34 - نعم الهدية ونعم العطية الكلمة من كلام الحكمة يسمعها الرجل المؤمن
ثم ينطوي عليها حتى يذهبها لآخيه المؤمن :
- 35 - يا أرسطاطاليس هذه الأمة :
- 37 - يا عمرو، إن أرسطاطاليس كان نبياً، فجهل قومه :

فهرس الأعلام اليونانيين وما يقابله باللاتينية

Asclepius	اسقليبيوس	Heraclides	ابراقلس
Asclepiades	اسقلبادوس	Heraclides	ابرقلس
Asclepiades	اقلبيادوس	Heraclides	ابرقليس
Stephanus	اصطفن	Hippocrate	ابقراط
Alexander	الاسكندر الافروديسي		اخروسيس
Aphrodis		Eudmon	ادمون
	أغاميس		ادوميس
Glaucou	اغلوغن		أوي الطرسوسي
Agathodaemon	اغاتاديمون / اغاديمون	Eudemus	أديموس
	افرويس	Heracles	اراقلس
	افروطونس	Oribasius	ارباسيوس
	افريطن	Areaganis	أريجمانس
	افلاغورس	Erasistruts, Herastratus	ارسيطر اطرس
	افريدون	Arimenes	ارمنيس
Plato	افرتون		ارساسالوس
Euclides	اقليدس	Aros, Heron, Aron	ارون
	اقراميطس	Arius	اريوس الطرسوسي
	اقراطيس	Stephanus	اسطفانس
	اليس	Aristoteles	ارسطاطاليس
	أمافرس	Aristos	ارسطو
	أمروقلس	Eustathis	اسطايوس
	أموسوس		استورس

	دوالس		افر ديطس
Dioscorides	دياسقوريدس	Empedocles	اتباذقلس
Democrates	ديمقراطيس		انتيلاروس
Diogene	ديوجانس		اندمانخس
Diocles	ديوقيلس	Andromachus	اندروماخس
	رغالس		انطياخس
Rufus	روفس		انقبلاوس
Romanos	رومانوس		انكسانطراطيس
Romanides	رومانيدس		اورجس
	زينون الصغير		اورساسيس
	زينون الاكبر		اومرفولوفوس
	سادر فطوسي		اونيس
	سادس	Homer	اوميوس
Suidas	سادياس	Heracles	ايراقلس
	ساروس	Bastius	باسطيوس
Socrates	سقراط	Basilus	باسلس
Suidas	سينداس	Basilus	باسلوس
Solon	سولون	Ptolemoeus	بطليموس
	سالس الحمصي	Hippocrate	بقراطيس
	ساوري	Hippocrate	بقراط
	سير فطوس	Paulus	بولس
	سطن	Paulus	بولوس
	سفراطون	Thessalus	تاسليمس
	سقاليس	Socrates	سقراطيس
	سقوريس	Themistius	ثامستيوس
	سقبيلوس	Theophrastes	قاو فرسطس
	سقروفس		جار يكانس
Samirus	سمرس	Galenus	جالينوس
	سموليس	Georgis	جروجيس
	سنيارس	Geisus	جليوس
Syrianus	سرانوس	Dracon	دراغن
Soranus	سورنس	Adrianus	درانوس

Meges	ماجیس		سوناخس
	مادقیس		سیساوس
	مارس	Sitas	سیطوس
Marcus	مارقس	Severus	سیفوریوس
Marius	ماریوس		سیقورس
	ماجوریلویکی		صورمند
	ماریطس		طوطوسوس
	ماسرجیس		طیاطاس
	ماغارس		طیجاناوس
	ماسطیس	Gallus	غالوس
Meges	ماغیس		غانوس
	مافالس		غاغوکس
Manius	منیس	Gallus	غورسن
	ماهانس	Grigorius	غریغوریوس
	مایطاتس		نافامیس
	مالانا لویا		فثالوس
	مسوس		زیمون
Marcus	مرقس		فافولوس
	مستفوس	Porphorius	فرنوریوس
Magnus	مغنیس		فوربس
	مهراریس	Paulus	فولس
	میادوس		فویاغورس
	نافیستون		فیلیوش
	نودینوس	Plutarcho	فلوطرخس
	نکسپاتس		فیلاطس
	وطیپلوس		فییاطوس
Hermes	هرمس	Puthagorus	فیثاغورس
	یلون		قرطانس
Johannes-Phelopoos	یحیی النحوی	Gallus	قولوس
	ینطس		کسانویرجس
Julianus	یولانس		لونس
Johannes	یونا		ماتولوس

Democrates	ديمقراطيس		افرديطس
Diogene	ديوجانس	Empedocles	انباذقلس
Diocles	ديوقيلس		انثيلاوس
	رغالس		اندماخس
Rufus	روفس	Andromachus	ادنرماخس
Romanos	رومانوس		انطيمپاخس
Romanides	رومانيدس		انقبلاوس
	زينون الصغير		انكسانطراطيس
	زينون الاكبر		اورجس
	سادر فطوسي		اورساسيس
	سادس		اومرفولوفوس
Suidas	سادياس		اونيس
	ساروس	Homer	اوميوس
Socrates	سقراط	Heracles	ايراقلس
Suidas	سنيدياس	Bastius	باسطپوس
Solon	سولون	Basilus	باسلس
	سالس الحمصي	Basilus	باسلوس
	ساوري	Ptolemoeus	بطليموس
	سريرفطوس	Hippocrate	بقراطيس
	سطن	Hippocrate	بقراط
	سفراطون	paulus	بولس
	سقاليس	Paulus	بولوس
	سقوريس	Thessalus	تاسليمس
	سقبيلوس	Socrates	سقراطيس
	سقرو قوس	Themistius	ثامسطبوس
Samirus	سمرس	Theophrastes	قاو فرسطس
	سموليس		جاريكسانس
	سنبارس	Galenus	جالينوس
Syrianus	سرانوس	Georgis	جرو جيس
Soranus	سورنس	Gesius	جلسيوس
	سوناخس	Dracon	دراغن
	سيساوس	Adrianus	دراونس
Sitas	سيطوس		دوالس
Severus	سيفوروس	Dioscorides	دياسقوريدس

	مارس		سيفورس
Marcus	مارقس		صورمند
Marius	ماريوس		طوطوسوس
	ماجورياربكلي		طياطاس
	ماريطس		طيحاناوس
	ماسرجيس	Gallus	غالوس
	ماغارس		غانوس
	ماسطيس		غاغوكس
Meges	ماغيس	Gallus	غورسن
	ماقالس	Grigorius	غريغوريوس
Manius	منيس		نافاميس
	ماهانس		فثالوس
	مايطانس		زيمون
	مالانا اريا		فافولوس
	مساوس	Porphorius	فرفوريس
Marcus	مرقس		فوريس
	مستانوس	Paulus	فولس
Magnus	مغنيس		فوياغورس
	مهراريس		فيليوس
	ميايوس	Plutarcho	فلوطرخس
	نافيسنون		فيلاطس
	نودينوس		فيياطوس
	نكساتس	Puthagorus	فيثاغورس
	وطيايوس		قرطانس
Hermes	هرمس	Gallus	قولوس
	پارن		كسانوبرجس
Johannes-Phelopoos	يحيى النحوي		لونس
	ينطس		ماتولوس
Julianus	يولانس	Meges	ماجيس
Johannes	يونا		مادقيس

فهرس المصطلحات والكلمات العلمية

- أ -

التصوف : 387 .

التمفن : 52 .

التمفبات : 56 .

التقاوم : 372 .

الآن : 353 .

الأنقال : 327 .

آلة النجوم والصناعات : 165 .

اختلاف الليل والنهار : 351 ، 354 .

الأرض : 184 .

اسطقات : 44 ، 45 .

إسهال : 312 .

أفبون : 374 .

أهرمن : 186 .

- ج -

الجبر : 367 .

جبر العظام : 197 .

جدرى : 324 .

الجذام : 281 ، 282 ، 344 .

الجذر الأصم المنطقي : 350 .

الجراحات : 197 .

الجزر : 360 .

- ب -

البد (صنم) : 228 .

البراز : 295 .

الرببط : 330 .

البول : 295 .

- ح -

الحدود : 360 .

الحركات : 360 .

الحساب : 48 ، 50 ، 241 ، 252 ، 310 ، 350 .

367 ، 352 .

- ت -

التجربة : 197 ، 198 ، 205 ، 235 ، 286 ، 287 ،

368 ، 289 .

حقنة : 374 .

- ش -

الحميات : 47 ، 353 .

الحيل : 49 ، 164 ، 197 ، 313 ، 335 .

لشمرى : 367 .

الشمس : 185 ، 256 ، 348 ، 367 .

الشهرزار : 53 .

- خ -

خراج : 49 .

- ص -

الحناق (مرض) : 314 .

صداع : 314 .

- د -

الصرع : 374 .

صناعة الطب : 396 .

الدلو : 185 .

صناعة الفلاحة والملاحة : 49 .

الصورة : 181 ، 356 .

- ر -

- ط -

الرصد (أرصاد) : 294 ، 299 ، 346 ، 348 ،

373 ، 372 ، 355

الطب : 47 ، 48 ، 51 ، 81 ، 198 ، 199 ، 224 ،

274 ، 275 ، 277 ، 279 ، 280 ، 284 ، 285 ،

286 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 292 ، 293 ،

296 ، 304 ، 306 ، 308 ، 312 ، 314 ، 315 ،

320 ، 353 ، 364 ، 367 .

رمد (مرض) : 293 .

- ز -

زحل : 185 ، 256 ، 360 .

الزهرة : 206 ، 256 .

زيج : 53 ، 313 ، 346 ، 348 .

زيج الشهرزار : 53 .

- ظ -

الظلمة : 186 .

- ع -

- س -

عطارذ : 185 ، 307 ، 346 .

عقاقير : 275 ، 288 ، 293 .

علاج العين : 197 .

علم الأبدان : 314 .

علم الأديان : 314 .

سحج : 374 .

السرطان : 321 ، 367 .

السوم : 276 ، 293 .

سهيل : 367 .

السياسة : 336 ، 339 .

- ق -

- علم إصابة الحق وسماحه : 162 .
 علم الأكسير : 295 ، 304 .
 علم الألمان : 46 ، 50 ، 277 ، 358 .
 العلم البرهاني : 275 .
 علم الحساب : 50 ، 252 ، 310 ، 352 .
 علم الحيل والأثقال : 313 ، 327 .
 العلم الرياضي : 45 ، 46 ، 306 ، 341 ، 355 .
 علم الحياة : 336 ، 339 .

- ك -

- علم الطب : 81 ، 314 ، 320 .
 علم الطبائع : 50 ، 51 .
 علم الطبيعة : 213 .
 علم الفلك : 185 ، 324 ، 340 ، 348 .
 علم الكلام : 319 .
 علم اللحام : 303 .
 علم النبوة : 185 .

- ل -

- علم النجوم : 49 ، 62 ، 294 ، 351 .
 علم الميتة : 252 ، 327 ، 344 .
 العلوم الالهية : 45 ، 46 ، 295 ، 306 ، 368 ، 341 .
 العلوم الرياضية : 327 ، 344 ، 346 ، 348 ، 349 ، 368 .

- م -

- العلوم الطبيعية : 45 ، 46 ، 306 ، 341 .
 عمل المراحات : 197 .
 العناصر الأربعة : 165 .
 العمود : 49 ، 301 .
 مارستان : 295 .
 ماغاسطن = المجسطي : 252 ، 318 .
 الماخوليا : 375 .
 المبوطات : 304 ، 320 ، 364 .
 مبضع : 199 .
 المجسطي = ماغاسطن : 352 ، 318 .
 المخروطات : 304 ، 320 ، 364 .
 المد : 360 .
 مرود : 199 .
 المرامم : 47 .
 مزهر : 300 .

- ف -

- الفلاحة : 49 .
 الفلسفة : 47 ، 47 ، 55 ، 224 ، 237 ، 238 ، 287 .
 الفصد : 197 .
 الفلك الأعلى : 307 .
 فلك عطارد : 307 ، 346 .
 الفلوتيا : 289 .

النجوم : 49 ، 50 ، 62 ، 165 ، 224 ، 241 ، 252 ،
294 ، 306 ، 384 ، 351 .
النقطة : 353 .
النهار : 351 ، 354 .
النور : 186 .
النوروز : 349 .

- ه -

الهندسة : 45 ، 46 ، 49 ، 88 ، 252 ، 275 ، 294 ،
297 ، 312 ، 313 ، 318 ، 335 ، 344 ، 345 ،
346 .
الهيئة : 252 ، 327 ، 344 ، 348 .
الهيولى : 87 ، 150 ، 173 ، 181 ، 252 ، 356 .

- و -

وباء : 46 ، 50 .
الوحدة : 353 .

مسألة العالية : 322 .
مسائل حنين : 320 .
المسجلات : 47 .
المجموعات : 288 .
ممجون الفلونيا : 289 .
الممودثان : 326 .
مغناطيس : 228 .
المفارقات = النارنجات : 318 ، 395 .
المقابلة : 367 .
مقياس : 185 .
الملاحة : 49 .
المهرجان : 349 .
الموسيقى : 49 ، 88 ، 252 ، 301 ، 312 ، 317 ،
345 ، 358 ، 372 .
ميزان أرسيموس : 327 .

- ن -

النارنجات = المفارقات : 318 ، 395 .
النبض : 288 .

فهرس الشعروالقوافي

حرف (الباء)

الصفحة	الشاعر	بحره	العدد	قافيته	صدر البيت
383	أبو الفتح يحيى السهروردي	المؤنث	2	فَلْبُ شارية	نوم رقفا... حديث ذوي الالباب...
318	أبو عبد الله المصموي	الطويل	2		

حرف (التاء)

397	تاج الدين الازدي	الطويل	2	سمتُ مضيت	عل كل جيل... إنما الدنيا...
142	سقراط	البيد	1	ذاني	من أنكر مذهب...
384	أبو الفتح يحيى السهروردي	المؤنث	2	اشتهرت	أبانت نبوة المولى...
385	أبو الفتح يحيى السهروردي	المؤنث	4	واستعنت	لو تعلم داركم...
386	أبو الفتح يحيى السهروردي	المؤنث	2		

حرف (الذاء)

396	عبد بن الخطيب الرازي (فخر الدين)	البيط	2	البنث	أرواحنا ليس ندري...
-----	----------------------------------	-------	---	-------	---------------------

حرف (الحاء)

383-382	أبو الفتح يحيى السهروردي	الكاامل	31	والرأخ	أبدأ نَحْنُ...
385	أبو الفتح يحيى السهروردي	المؤنث	2	بوح	واعضوشت الرن...
388	أبو الفتح السهروردي	الكاامل	2	الأراح	تزناح أراح...

حرف (الدال)

315	أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو	الرجز	2	الغارد	... ما للمميل والمالي ...
325	عمر الحقام	الطويل	5	روافدا	... انكث رباح ...
336	أبو جعفر بن بابويه	الطويل	2	ولا رعدا	... فقي لم يتبع ...
325	عمر الحقام	الطويل	4	وساعدي	... إذا قنمت نفسي ...
355	سليمان بن طاهر بن بهرام السجستاني	الدوريت	3	بمرصد	... لا نحمدن على ...

حرف (الراء)

333-331	الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل البغدادى (أبو علي)	الرائز	51	اضطرز	... بترك ايا الفاك ...
341	أبو النفيس	البيط	13	والنكر	... في النفس والجسم ...
382-381	أبو الفتح يحيى السهروردي	الطويل	8	أسرر	... لا نور نور الله ...
384	أبو الفتح يحيى السهروردي	البيط	2	أثر	... أنيت بدمكم مل ...
386	أبو الفتح يحيى السهروردي	الطويل	2	معيد	... كلامي علل ...
387	أبو الفتح يحيى السهروردي	(٩)	1	خودرا	... دوزم يوم (بالفارسية)
325	عمر الحقام	الطويل	4	خطري	... تدن في الدنيا ...
383	أبو الفتح يحيى السهروردي	الرائز	10	الديار	... أنزل جلال ...

حرف (الزاي)

386	أبو الفتح يحيى السهروردي	(٩)	1	خودرا	... يكجند بتقليد ... (بالفارسية)
302	أبو نصر الفارابي	الشارب	5	خني	... أخني حل جزأ ...

حرف (السين)

306	أبو نصر الفارابي	المقارب	4	ونكسر	أناث الدنانير على ...
354	عيسى بن أحمد بن زغبة	الكامل	2	روساوي	الجرع يدفع بالرغيف ...
364	أبو الفتح يحيى السهروردي	الطويل	4	الغفس	خليلي إن الانس ...

حرف (العين)

302	أبو علي ابن سينا أو أبو نصر الفارابي (؟)	خلع البسيط	6	انضاع	لأ رأيت الزمان ...
315	أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو	البسيط	2	تحدج	قالوا اشتعل ...
333	الحسين بن عبد الله بن يوسف بن شبل البغدادي	البسيط	2	والطنع	قالوا الفتاة ...
345	أبو البركات البغدادي	المقارب	2	الشائع	تنقل عن دين ...

حرف (القاف)

320	أبو سهل النيلي النيسابوري	البسيط	2	الكف	يا من تكف إغواء ...
383	أبو الفتح يحيى السهروردي (؟) على قبه	البسيط	2	من شرف	قد كان صاحب ...
388	أبو الفتح يحيى السهروردي	الطويل	3	فرقب	فربنا على روض ...

حرف (القاف)

384	أبو الفتح يحيى السهروردي	الكامل	7	شروفا	خلف حياتها ...
385	أبو الفتح يحيى السهروردي (؟)	النسج	3	مستلي	وكل صبح ...

حرف (الكاف)

375	الشيخ أبو علي (ابن سينا)	الطويل	5	ملاك	أفام رجالا ...
-----	--------------------------	--------	---	------	----------------

392	أبو نصر الفارابي	البيط	4	فجّل	ما يلوم جسمي...
396	محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين)	الطويل	5	ضلال	جاية إقدام...
396	محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين)	الطويل	5	رجافا	فلو قمت فقي...
296	محمد بن زكريا الرازي	الطويل	2	نرحالي	لمري ما لمري...

حرف (الميم)

398	كمال الدين عبد الحائق المروفي بابن الداعي	البيط	2	منطيم	ضوء الملم...
385	أبو الفتح يحيى السهروردي	الطويل	2	ثلاثية	بدا لك سر...
385	أبو الفتح يحيى السهروردي	المدوّيت	2	فقي	أقسمت بعضو...

حرف (النون)

364	أبو الفتح البستي	البيط	5	وخران	وللاهور موافقت...
355	عمر الحقيّم	البيط	3	خانا	رجيت دهر...
388-387	أبو الفتح يحيى السهروردي	الزمل	5	حزنا	قل لاصحابي...
315	أبو الفتح علي بن الحسين بن هندو	الطويل	2	لشاني	خليلي لس الراي...
385-384	محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين)	البيط	2	ومن دقي	إنكروا لله من خلق...
	أبو الفتح يحيى السهروردي	الطويل	4	النحوي	ولنا ردتنا ماء...

حرف (الباء)

315	أبو الفتح علي بن الحسين بن هندو	الكامل	2	خانيا	فلما رأيت الفقل...
326	عمر الحقيّم	الزائر	2	والطيرة	ولو أعطاني الدّم...
333	الحسين بن عبد الله بن يوسف	الزائر	3	آليه	خرجنا من قضا...
	ابن شبل البغدادي (أبو علي)				

فهرس الأعلام

- أ -

- أحد بن اسحق: 310 .
 أحد بن الطيب السرخسي: 323 .
 أحد بن عيسى: 19 ، 323 .
 أحد الغزالي: 326 .
 أحد الليثي: 329 .
 أحد بن مسكويه: 340 .
 أحد بن المعتصم: 305 .
 أبو أحد الفهرجوري: 303 .
 أخت علاء الدولة: 373 .
 أخرويس: 287 ، 289 ، 290 .
 أخنوخ: 60 ، 62 .
 إخوان الصفا: 23 ، 303 .
 أدريانوس: 253 ، 275 .
 إدريس: 36 ، 56 ، 60 ، 62 ، 65 ، 79 ، 81 .
 ادمون: 290 .
 أدويس: 289 .
 أدي: 290 .
 أراطرون: 90 .
 أراقلسي: 289 .
 أران: 290 .
 ارثانوس: 290 .
 آدم (أبو البشر): 36 ، 20 ، 56 ، 62 ، 332 .
 آمون: 63 ، 76 .
 أباريس: 209 .
 إبراهيم (ع): 39 ، 49 .
 إبراهيم (سلطان غزنة): 321 .
 إبراهيم بن ادهم: 270 .
 إبراهيم بن عدي صنو يحيى: 342 .
 إبراهيم النديم: 49 .
 أبرخس: 170 ، 253 .
 أبرقلس: 178 ، 179 ، 287 ، 288 ، 289 ، 290 ، 304 .
 ابرقليطوس: 147 .
 أبطاطروس: 289 .
 أبقرط: 46 ، 48 ، 80 ، 81 ، 177 ، 196 ، 197 ، 200 ، 286 ، 287 ، 288 .
 أبيضقلس: 53 .
 اتاخاريس: 209 .
 إتر بن محمد (خوارزم شاه): 364 .
 أناليس: 44 .

- أرخوطس : 293 .
أردشير : 48 ، 49 ، 51 ، 54 ، 198 ، 251 ، 253 .
أرساالوس : 290 .
أرسخو : 48 .
أرسطاطاليس : 35 ، 37 ، 38 ، 45 ، 48 ، 53 ، 55 ،
147 ، 159 ، 160 ، 161 ، 162 ، 163 ، 165 ،
170 ، 172 ، 173 ، 181 ، 215 ، 217 ، 228 ،
276 ، 290 ، 352 .
أرسطو : 46 ، 54 ، 145 ، 146 ، 148 ، 153 ، 157 ،
160 ، 161 ، 168 ، 176 ، 178 ، 183 ، 188 ،
203 ، 234 ، 237 ، 242 ، 243 ، 244 ، 245 ،
291 ، 292 ، 298 ، 300 ، 304 ،
305 ، 316 ، 318 ، 335 ، 336 ، 338 ،
352 ، 354 ، 357 ، 361 ، 368 .
أرسطيس : 180 .
أرسميدس : 46 ، 293 ، 327 .
أرسلاوس بن أبولودس : 43 .
أرسلاوس : 107 .
أرسيفاليس : 136 .
أرسطرطس : 288 .
أرقليمطوس : 354 .
أرملس : 114 .
الأرماني : 114 .
أرمى = عطار : 62 .
أرميس : 275 ، 290 .
أرموداماليس : 90 .
أرمودانطيس : 90 .
أرمىس : 162 .
أرميانس : 288 .
أريوس : 289 .
أسادرقلس : 213 .
الأسابادي (أبو القاسم الوزير) : 326 .
إسحق بن حنين : 8 ، 39 ، 292 .
أسحوراس : 163 .
أسخيليوس : 163 ، 176 .
أسطات : 288 .
أسطفانثس : 290 .
أسطرمس : 288 .
أسمدطلس : 18 .
أسمد الميهقي : 17 ، 288 .
الاسفرازي : 327 ، 337 .
أسنديار : 177 ، 196 .
أسقليوس : 39 ، 63 ، 80 ، 147 ، 161 ، 196 ،
197 ، 198 ، 274 ، 285 ، 286 ، 287 ، 288 ،
290 .
أسقلنادوس : 289 .
اسقلوموس : 61 .
اسقليادس : 289 .
اسقواطيس : 287 .
اسقوروس : 288 .
أسقيانوس : 276 .
الإسكندر : 37 ، 51 ، 161 ، 162 ، 163 ، 187 ،
188 ، 189 ، 190 ، 191 ، 192 ، 193 ، 195 ،
196 ، 217 ، 218 ، 219 ، 223 ، 224 ، 227 ،
228 ، 229 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ،
236 ، 237 ، 238 ، 239 ، 240 ، 241 ،
242 ، 244 ، 245 ، 247 ، 251 ، 274 ،
290 ، 291 ، 300 ، 336 .
الإسكندر الأفسروديسي : 47 ، 48 ، 51 ، 54 ،
160 ، 181 ، 290 .
الإسكندراتي : 290 ، 304 .
إساعيل البخارزي : 374 .
إساعيل بن بلبل : 294 .
إساعيل الزاهد : 367 ، 368 .
أصيصة : 8 ، 83 ، 87 ، 107 ، 145 ، 160 ،
180 ، 181 ، 196 ، 274 ، 291 ، 292 ، 293 ،

ألاون: 289 ، 290 .

الكسندروس: 164 .

أليس: 290 .

اليون: 240 .

أمايس: 91 .

أمافوس: 289 .

أمرؤ القيس: 202 .

أمروقلس: 288 .

أموسوس: 290 .

أمونيوس: 163 .

أمية (بني): 55 .

أمية بن أبي الصلت: 329 .

— أ —

أنباذقلس: 38 ، 44 ، 45 ، 83 ، 87 ، 88 ، 107 .

288 .

أنباذقلس: 213 ، 214 .

الأنباري (أبو الحسن): 318 .

أنحولوس: 174 .

أندراماخس: 288 .

أندوماخس: 276 .

أنسيتيدوس: 209 .

الأنطاكي (أبو القاسم): 118 .

أنطسطر: 163 .

أنطونيوس: 275 .

أنطياخس: 288 .

أنقيانس ثانس: 43 ، 173 .

أنقيلاوس: 288 ، 290 .

أنكافراطليس: 289 .

أنكاغورس: 43 ، 48 ، 172 ، 173 ، 276 .

أنكاستدوس: 43 .

أنكاونس: 288 .

أنكسامندروس: 187 .

296 ، 299 ، 305 ، 313 ، 315 ، 316 ، 320 ،

328 ، 331 ، 340 ، 349 ، 374 ، 355 ، 359

362 ، 375 ، 392 .

أصحاب الكهف: 254 ، 372 .

أصطفن: 290 .

ابن الأعلمي: 313 .

أغاناديون: 56 .

أغاريس: 288 .

أعطس: 38 .

أغلوqn: 290 .

أغاراقوديس: 90 .

أفرودونيس: 289 .

أفروسيس: 287 ، 289 ، 290 .

أفروطوخس: 290 .

أفرو ولیم: 90 .

أفرويطس: 290 .

أفريطون: 112 ، 113 ، 114 ، 115 ، 289 .

أفطس: 217 .

أفضل الدين الباماني: 397 .

أفلاطن = أفلاطون: 20 ، 38 ، 45 ، 46 ، 47 ،

48 ، 80 ، 115 ، 123 ، 124 ، 145 ، 146 ،

147 ، 148 ، 149 ، 151 ، 157 ، 159 ، 162 ،

165 ، 169 ، 177 ، 178 ، 197 ، 209 ، 210 ،

229 ، 250 ، 274 ، 276 ، 286 ، 287 ، 288 ،

291 ، 293 ، 307 ، 304 ، 305 ، 318 ، 337 ،

361 ، 368 ، 389 .

أفلاغورس: 288 .

أفراطس: 290 .

الاقراخيطي: 288 .

أقرن: 197 .

أقسطيا: 161 .

إقليدس: 243 ، 260 ، 288 ، 293 ، 328 .

أقليطس (ابن): 44 .

أككا: 299 .

- أنوش : 62 .
أوديموس : 164 ، 174 ، 175 ، 176 ، 290 .
أورجس : 287 .
أورسائيس : 289 .
أوريا الثالث : 62 .
أوريا الثاني : 62 .
أوزيا : 56 .
أوشحج بن نوارك : 186 .
أولوس : 184 .
أوماذن : 163 .
أومرمولوقس : 288 .
أومروس (الشاعر) : 42 ، 46 ، 150 ، 202 ، 203 ، 244 ، 246 ، 247 ، 249 .
أيارس : 114 .
ايسلاوس : 114 .
ايفورس بن ناونيس : 44 .
الإبلاقي (محمد) : 328 .
ايلاروس : 63 .
إيلوس : 293 .
أويليانس : 54 ، 55 .
- ب -
- ابن باباين سوار بن بهنام : 296 .
بابك : 49 ، 51 ، 54 ، 253 .
بابوس : 92 .
ابن بابويه (أبو جعفر ملك سجستان) : 336 ، 356 .
باران : 263 .
بارياندروس : 209 .
باز : 279 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 .
باسايس : 197 ، 198 .
باسطيوس : 54 .
باسليس : 288 .
- باسليوس : 160 ، 259 ، 287 .
بافينسون : 288 .
باقرطس : 289 .
باقرون : 197 .
بالاون : 288 .
بالس : 193 ، 198 .
بالوحوش الأيطيقي : 214 .
باسطوس : 54 .
باننوز (صاحب بست) : 364 .
بافورطس : 160 .
باولس : 162 .
بافورطوس : 145 ، 164 .
البخاري : 358 .
بختنصر : 48 ، 199 .
بدر بن حنويه (شمس الدولة) : 370 ، 371 .
بدر (غلام المعتضد) : 294 .
بديع المتكلم الممذاني : 326 .
برقلس : 294 .
بركاليس : 289 .
برلعليمطس : 214 .
برماليدس : 274 .
البرمكي : 304 .
بروكليان : 18 .
بزرجمهر : 54 .
البيتي (أبو الفتح) : 364 .
البيتي المقدسي : 303 .
البسطامي (أبو يزيد) : 379 .
البيصري (أبو الحسن) : 84 .
البطريق : 304 .
بطروس : 289 .
بطليموس : 47 ، 49 ، 52 ، 252 ، 253 ، 255 ، 293 ، 311 ، 360 .
البغداددي : 19 .

- ت -

- البغدادى (أبو البركات): 343 ، 344 .
 البغدادى (ابن التلميز أبو الحسن): 330 .
 البغدادى (أبو القميص الحسن): 296 .
 البغدادى (ابن الشيل): 331 .
 بقرط: 287 ، 288 ، 289 ، 298 ، 299 .
 بقرطيس: 289 .
 بلادبوس: 289 .
 البلاذري: 289 .
 ابن بلبل: 294 .
 البلخي: 23 ، 296 ، 308 ، 366 .
 بلرخس: 76 .
 بلوفين: 147 .
 بنجارا (الحاقان شمس الملوك): 324 .
 بندقليس: 83 .
 بهاء الدين الخرقى (أبو محمد): 344 .
 بهرام: 206 ، 325 .
 بهمن: 48 ، 107 ، 177 ، 196 ، 198 .
 بهمن يار (ابن المرزباني): 316 ، 327 ، 371 .
 بوسران: 275 .
 بوانبوس: 276 .
 البوزجاني (أبو الوفا): 310 .
 بولانس: 289 .
 بولس: 287 .
 بولولس: 288 .
 البيروني (أبو ربحان محمد بن أحمد): 348 ، 349 ، 350 .
 بيطاقوس: 209 .

- ث -

- ثابت بن قرة الحراني: 293 ، 294 ، 306 ، 351 ، 353 .
 ثاسطيوس: 54 .
 ثاليس: 203 ، 209 ، 214 .
 ثاليس المظلي: 42 ، 48 .
 ثامسطوس: 181 ، 182 .
 ثانون: 290 .
 ثاودوسوس: 253 .
 ثاوفرسطس: 174 ، 176 .
 ثاون: 230 .
 ثيوس: 230 .

- ج -

- الجلالين (أبو الفرج بن الطيب): 291 ، 308 .
 جاريكساتس: 289 .
 جالينوس: 39 ، 46 ، 47 ، 80 ، 81 ، 181 ، 199 ، 253 ، 274 ، 275 ، 276 ، 277 ، 279 ، 280 .
 الجيهنسي: 23 ، 174 ، 291 ، 292 ، 293 ، 296 ، 298 ، 299 ، 303 ، 305 ، 308 ، 309 ، 310 ، 313 ، 314 ، 315 ، 316 ، 317 ، 318 ، 319 ، 320 ، 322 ، 323 ، 324 ، 327 ، 328 ، 329 ، 330 ، 342 ، 343 ، 344 ، 345 ، 346 ، 353 ، 364 ، 366 .

281 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 ، 286 ، 288 ،

290 ، 297 ، 309 ، 352 .

جيريل : 35 .

الجبلي مجد الدين : 394 .

الجرجاني (إسماعيل أبو الحسن) : 364 .

جعفر البلخي ، أبو معشر : 52 ، 53 ، 60 ، 61 .

جعفر الطيار : 313 .

أبو جعفر الملك : 305 ، 337 .

ابن جلجل : 49 ، 60 ، 80 ، 107 ، 145 ، 160 ،

177 ، 196 ، 253 ، 258 ، 274 ، 291 .

جليسوس : 290 .

جلكس : 289 .

جم (الملك) : 50 ، 86 .

جمال الدين الجبلي : 380 .

جمال الملك بن نظام الملك : 318 .

المجورجاني (عبد الواحد أبو عبيد) : 317 .

المجوشي ، علي بن أحمد : 343 .

المجوهري : 343 .

جيلون : 209 .

جيومرث : 60 .

- ح -

أبو حاتم المظفر الاسفرازي : 327 .

الحارثاني (محمد السرخسي) : 340 .

حاماسب : 51 ، 54 .

حبش الطيب : 293 .

الحجاج : 55 .

ابن الحجاز : 297 .

حديفة : 35 .

الحراشي : 290 .

حسام الدولة : 374 .

الحسن : 270 .

الحسن بن اسحق بن محارب القمي : 334 .

الحسن البصري : 352 .

أبو الحسن بن حويه : 329 .

الحسن السمرقندي : 346 .

الحسن بن سوار (أبو الخير) : 296 ، 297 ، 314 .

الحسن بن الفضل الراغب (أبو القاسم) : 320 .

الحسن بن كردة (أبو بكر) : 340 .

أبو الحسن بن هارون الحراشي : 355 .

الحسين بن طاهر بن زيلة (أبو منصور) : 317 .

الحسين بن عبدالله البخاري (أبو علي ابن سينا) :

367 ، 368 ، 369 ، 373 ، 374 ، 375 .

الحسين بن عبد الله بن شبل البغدادي : 331 .

الحسين بن محمد بن الفضل الراغب : 320 .

الحسين (ملك الجبال) : 374 .

الحسين بن منصور الحلاج : 377 ، 379 .

حنين : بن اسحق : 291 ، 292 ، 293 ، 294 ، 353 .

أبو حنيفة : 356 .

أبو حيان : 356 ، 360 ، 362 .

حي بن يقظان : 317 .

- خ -

خازن السلطان : 327 .

خالد بن يزيد : 55 ، 305 .

خسرو بن دارا : 48 .

أبو الخطاب : 363 .

خطيب هراة : 319 ، 394 .

ابن خلدون : 348 .

خلف بن محمد : 364 .

خوارزم شاه مأمون بن محمد : 315 ، 350 ، 364 ،

367 ، 370 .

الخوارزمي : 345 .

الختيامي (عمر) : 322 ، 323 ، 324 ، 326 ، 346 .

ذات النون المصري: 36 .

ذوالقسي: 289 .

دارا: 48 ، 49 ، 54 ، 217 ، 219 ، 220 ، 221 ،

222 ، 223 ، 224 ، 226 ، 231 ، 237 .

داراب: 217 .

دارفن: 198 .

دارقون: 209 .

دانيالوديوس: 276 .

داود (ع): 36 ، 45 ، 83 ، 84 ، 261 ، 262 ،

263 ، 287 .

دراغن: 287 ، 288 .

دراونس: 290 .

دسلون: 93 .

دهدد: 185 .

دقيانوس: 253 .

دهرطريوس: 92 .

ديارغورليس: 214 .

ديار سقورنوس: 288 ، 289 ، 290 .

الديلمي (يحيى النحوي): 182 ، 304 .

ديلون: 90 .

ديمقراطيس: 44 ، 46 ، 48 ، 177 ، 196 ، 214 ،

288 ، 289 ، 290 ، 336 .

الدينوري: 35 .

ديوجانس الكلبي = ديونسوس: 46 ، 183 ، 186 ،

187 ، 188 ، 191 ، 194 ، 239 ، 241 ، 290 .

ديوسوس: 147 .

ديوفيلس: 288 .

- ر -

راريابا: 90 .

الرازي (محمد بن الخطيب): 392 .

الرازي (محمد بن زكريا): 295 ، 296 ، 313 .

راسطن = أرسطن: 147 .

الراغب (الحسن بن الفضل): 320 .

الراغب (الحسين بن أحمد بن الفضل): 320 .

رافليس: 196 .

رامس: 290 .

رسم (فخر الدولة علي): 185 ، 370 .

الرشيد: 305 .

رغالس: 289 .

ابن ربيعة (شهاب الدين السهروردي): 378 ،

380 .

ركن الدولة بن بويه: 335 .

رمادس: 197 .

رمانيدس: 286 .

روشك (ابنة دارا): 224 .

روفس: 288 .

روقا (أم الاسكندر): 255 ، 229 ، 231 ، 233 ،

238 .

رومس: 38 .

أبو ريمان البيروني: 23 ، 297 ، 309 ، 318 .

ريبطين: 189 .

- ذ -

- ز -

ذو القرنين: 46 ، 188 ، 217 ، 218 ، 220 ، 221 ،

222 ، 223 ، 224 ، 225 ، 226 ، 227 .

ذو الأكتاف: 49 ، 54 .

زحل (غلام): 360 .

زرادشت: 51 ، 184 ، 186 ، 289 .

الزركلي (خير الدين، صاحب الأعلام): 18 .
 أبو زكريا الضيمري: 357 .
 الزنجاني (ابن زهرون، حل، أبو الحسن): 303 .
 زورث: 185 .
 زومانك: 290 .
 زياد: 337 .
 زيد: 146 .
 زهد بن رفاع: 303 .
 ابن زيلة (الحسين بن طاهر)، 317 .
 زينسون: 45، 190، 213، 214، 215، 229،
 290 .

- س -

ساذرنطرس: 289 .
 الساذري: 290 .
 سادس: 288 .
 سادباس: 288 .
 ساروس القليطي: 289 .
 ساسب: 177 .
 ساطروس: 275 .
 ساقراطيس: 288 .
 سالس الحمصي: 289 .
 سامي حارثة: 18 .
 ساوري: 288 .
 سبكتكين: 297، 318 .
 سنازة (ولدة ابن سينا): 367 .
 السجري (أبو سليمان الجستاني): 23، 172،
 184، 336، 337، 339، 343 .
 سرخاب = سرخان: 312 .
 سرخس: 197 .
 السرطسي (أحمد بن الطيب): 323 .
 السرخسي (محمد الحارثي): 345 .

السرخسي (محمود): 345 .
 سر كيس عواد: 18 .
 سرهون بولس: 276 .
 سريرقطوس: 288 .
 سريطون: 217 .
 سطن: 288 .
 سطيدس: 209 .
 أبو سعد المزداني: 310 .
 أبو سعيد: 371 .
 السعيدية حبة الله: 343 .
 سعيد بن يعقوب: 294 .
 سفاطون: 287 .
 سفرونقس: 108 .
 سفيداس: 180 .
 سفيروروس: 288 .
 سقالس: 288 .
 سقراط، سقراطيس: 9، 20، 23، 38، 44، 46،
 47، 48، 107، 109، 110، 112، 113،
 114، 115، 116، 117، 118، 121، 122،
 123، 124، 126، 133، 137، 141، 142،
 143، 144، 145، 147، 163، 182، 214،
 289، 293، 310، 321، 324، 328، 331،
 348، 349، 353، 367، 368، 369، 373،
 374، 375 .
 سقروقس: 288 .
 سفلوس: 288 .
 سقوروس: 290 .
 ابن سلس: 360 .
 سليمان بن طاهر الجستاني: 23، 355، 356،
 357، 358 .
 سليمان بن داود (ع): 36، 45، 84، 88، 287 .
 أبو سليمان اللطفي: 303، 305 .
 سمري: 290 .

السماني: 17 .

سوليس: 288 .

سنبارس: 288 .

سنجر (السلطان): 319 ، 324 ، 330 ، 346 .

ابن سهلان النجار: 328 ، 329 .

أبو سهل: 50 .

أبو سهل: الكوهي: 313 .

أبو سهل المسيحي:

أبو سهل النيلي النيايوري: 320 .

السهلي (أبو الحسن): 370 .

سويابس: 288 .

سورندون: 288 .

سوسن: 289 .

سولون: 209 ، 210 .

ابن سيار الطبيب: 255 .

السيد المعظم: 397 .

سمر: 352 .

سياسوس: 287 .

سيطوس: 288 .

سيف الدولة بن حدان: 299 .

سيقورس: 287 .

سهاونس اطرون: 92 .

سهاونس: 113 .

ابن سينا ، أبو علي ، الحسين بن عبدالله: 9 ، 23 ،

182 ، 295 ، 297 ، 304 ، 321 ، 324 ، 328 ،

331 ، 348 ، 349 ، 367 ، 368 ، 369 ، 373 ،

374 ، 375 .

- ش -

شاورين أودشمر: 48 ، 49 ، 52 ، 54 ، 55 .

شاه مأمون بن محمد بن خوارزم شاه: 297 .

الشادي (زين الدين): 328 .

شرف الدين: 397 .

شعيب (ع): 36 .

شمس الدولة: 371 ، 372 .

شمعون الصفا: 309 .

شهاب الدين الهروردي: 378 ، 380 ، 392

394 .

شهاب الدين الواعظ السنوياني: 330 .

الشهرزوري (كمال الدين): 17 ، 19 .

الشهرزوري (المبارك بن حسن): 17 .

الشهرزوري (محمد بن عبدالله بن القاسم): 18 .

الشهرستاني (تاج الدين محمد): 329 .

الشهيد (السلطان): 349 ، 352 .

شيث (ع): 36 ، 56 ، 62 .

الشيخ اليوناني: 183 ، 184 ، 187 .

الشيرازي (أبو محمد): 370 .

- ص -

الصايفي: 293 .

الصاي (أبو الخطاب): 362 .

الصاي (أبو اسحق): 362 ، 363 .

صاحب مازكرد: 398 .

الصاحب أبو محمد البخاري: 300 ، 301

343 .

ابن صاعد: 23 ، 295 .

الصديق (أبو بكر): 394 .

صلاح الدين يوسف: 379 ، 380 .

أبو الصلت (أمية بن أبي الصلت): 329 .

صمصام الدولة: 341 .

صنويجي بن عدي: 342 .

صور مدرس: 287 .

الصوري: 290 .

- ض -

ضابيس: 181 .

الضحاك بن مي : 51 .

الضيمري (أبو زكريا) : 362 .

- ط -

طايط صاب : 79 .

الطاهر (الملك) : 380 ، 381 .

طاهر بن الحسين بن زيلة : 317 .

طالوط أغورس : 213 .

الطبري (علي بن زين) : 295 .

طرسمين : 62 .

الطرسوسي : 289 ، 290 .

طنرل بك (السلطان) : 375 .

طلحة التقي : 337 ، 362 .

طمهورث : 43 ، 54 ، 186 .

الطوسي (محمد نصير الدين) : 398 .

طوطوسوس : 290 .

طياطاس : 288 .

طيغورس : 51 .

طيلاس : 290 .

طيالوس : 109 .

طيانانوس : 288 .

طيلاس : 145 ، 148 .

- ظ -

ظاهر الدين عبد الجليل بن عبد الجبار : 347 .

ظاهر الفارسي : 378 .

ظاهر الملك (علي البيهقي) : 319 ، 329 ، 330 ، 343 .

- ع -

العامة : 297 .

العامري (محمد بن يوسف) : 22 .

عاموس المصري : 289 .

المبادي (أبو منصور) : 329 .

العباس : 55 .

العباس بن الحسن (الوزير) : 292 .

أبو العباس اللوكري : 327 .

عبد الله بن محمد المياحي (عين القضاء) أبو المعالي :

326 .

أبو عبد الله المعصومي : 317 .

أبو عبد الله النائي : 304 .

عبد الجليل بن عبد الجبار (ظاهر الدين) : 347 .

عبد الخالق (ابن الراعي) : 398 .

عبد الرحمن الخازن (أبو الفتح) : 346 .

عبد الرحمن بن أبي صادق (أبو القاسم) : 320 .

عبد الرزاق (الوزير) : 324 .

عبد الواحد الجورجاني : 317 .

أبو عبيد : 371 ، 372 .

عبيد الله بن الحسن (أبو القاسم) : 360 .

عثمان : 285 ، 304 .

أبو عثمان الدمشقي (سعيد بن يعقوب) : 294 .

العروضي (أبو الحسن) : 370 .

العروضي (أبو محمد) : 362 .

عسكر القنور : 374 .

عضد الدولة : 340 .

عطارد = أرمس : 62 .

علاء الدولة : 371 ، 372 ، 373 ، 374 .

علاء الدين نكش خوارزم شاه : 394 .

علاء الدين بن سلمان : 398 .

علاء الدين القمّاح : 328 .

علي بن أساس العملي (أبو الحسن) : 303 .

علي البيهقي : 319 .

علي بن الحسين بن هندو : 314 .

علي الخازن المروزي : 346 .

علي بن زهرون الزنجاني (أبو الحسن) : 303 .

علي بن زين الطبري : 295 ، 296 .
علي بن شاذل القصاري : 347 .
علي بن أبي طالب : 35 ، 84 .
علي بن عيسى اللوامحي : 350 .
علي بن عيسى (الوزير) : 295 .
علي النسوي (أبو الحسن) : 322 .
خلوقن : 284 ، 285 .
عماد غام : 10 .
عمر الحياصي : 318 ، 324 ، 346 .
عمر بن سهلان الشاوي : 328 .
عقرو : 146 .
عمرو بن العاصي : 37 .
المعيد أبو سهل الحمدوني (صاحب الري) :
373 .
ابن المعيد القمي : 334 ، 340 ، 355 .
المنزي (القلوط) : 301 .
المولي : 303 .
عيسى (ع) : 49 ، 309 .
عيسى بن أحمد بن زرة : 352 .
عيسى بن علي بن عيسى بن الجراح : 359 .

- غ -

غلام زحل : 360 .
غورس : 274 ، 286 ، 288 .
غياث الدين (السلطان) : 394 .
- ف -
فابيوس : 92 .
الفارابي (محمد بن محمد أبو النصر) : 23 ، 172
182 ، 299 ، 300 ، 301 ، 342 ، 348
369 .
الفاضل (القاضي) : 380 .
فالامس : 290 .
فافولوس : 289 .
أبو الفتح البستي : 364 .
أبو الفتح بن المعيد : 341 .
أبو الفتح مودود بن السلطان الشهيد : 352 .
فخر الدولة علي : 370 .
فخر الدين الأخلاطي : 398 .
فخر الدين الرازي : 381 ، 392 .
فخر الدين الغضنفر : 360 .
فخر الدين المارداني : 380 .
فخر الدين المراغي : 398 .
قراطس : 240 .
أبو الفرج بن الحسين بن هندو : 314 .
فرشوش : 54 .
فرطانس : 289 .
فرغورس : 214 .
فرغوريوس : 23 ، 48 ، 89 ، 160 ، 290 .
فرميجون : 288 .
فريد الدين داماد : 398 .
فس : 274 .
فلارمابوس : 43 .
فلافيطر : 289 .
فلاويطر : 275 .

- فلوس : 217 .
 فواطرفس : 180 .
 فواطليس : 75 .
 فوانيطوس : 276 .
 فودادس : 289 .
 فوديفوس : 288 .
 فوراس : 197 .
 فور (ملك الهند) : 225 ، 226 .
 فورس : 240 .
 فوريس : 289 .
 فوطس : 229 .
 فولانيطوس : 276 .
 فوياغورس : 288 .
 فيادوس : 290 .
 فيثاغورس : 38 ، 45 ، 46 ، 47 ، 49 ، 87 ، 88 ،
 90 ، 91 ، 92 ، 93 ، 95 ، 103 ، 104 ، 107 ،
 110 ، 146 ، 147 ، 161 ، 293 ، 306 .
 فيلاطس : 198 ، 290 .
 فيلاطوس : 217 .
 فيلبس : 48 ، 161 ، 162 ، 163 ، 217 ، 221 .
 فيلبوس : 241 ، 242 ، 244 .
 فيلوس : 289 .
 فينوس : 197 .
 فيباطوس : 290 .

- ك -

- كباطيس : 213 .
 كشم بن يعقوب النورازي : 350 .
 الكحال : 290 .
 ابن كردة (الحسن القومي) : 340 .
 الكرماني (أبو القاسم) : 309 ، 373 .
 كشافوقراطيس : 162 .
 كانوامراطيس : 147 .
 كساب : 196 .
 كسرى : 253 ، 339 .
 الكلبي : 187 .

- ق -

- قابس السقراطي : 178 .
 قابوس بن وشكم (شمس المعالي) : 350 ، 370 .
 القارط المنزي : 301 .
 القاسم بن عبد الله : 323 .
 القاشي (محمد المرقى أفضل الدين) : 397 .
 القاضي الفاضل : 380 .

كمال الدين عبد الخالق ابن الراعي : 398 .

كمال الدين بن يونس :

الكندي (يعقوب بن اسحق) : 23 ، 35 ، 305 ،

306 ، 313 ، 323 ، 348 .

كورس : 92 .

كوشك (أبو الفتح) : 319 .

كوشيار : 322 .

الكوهي (أبو سهل) : 313 .

كيخسرو : 54 .

كيومرث : 54 ، 60 ، 185 .

- ل -

لاي آخر بك (سلطان) 364 .

لارفسوس : 214 .

لاوس : 63 .

لاوفينوس : 214 .

لقمان / لقسن : 45 ، 83 ، 84 ، 270 ، 271 .

لوقس : 288 .

اللوكري (أبو العباس) : 329 .

الليثي : 292 .

لينواطيس : 276 .

- م -

المأمون : 35 ، 291 ، 299 ، 306 .

مائر : 241 .

ماجونار : 289 .

مادقيس : 289 .

مارس : 288 .

مارسرجس : 288 .

مارسوس : 290 .

مارقس : 289 .

مارماتندس : 213 .

ماريوس : 288 .

ماريطس : 289 .

ماسطيس : 287 .

ماغارلس : 290 .

ماغاريقي : 213 .

ماغارس : 287 .

ماغاليس : 290 .

ماقندرس : 191 .

ماقولس : 289 .

ماكالييس : 288 .

مالانا إرسا : 198 ، 287 .

مالوس : 287 .

ماليس : 275 ، 333 .

مان : 398 .

ماهانس : 287 .

ماهلليل : 62 .

مايطانيس : 288 .

المبارك بن حسن الشهرزوري : 17 .

ميراواس : 197 .

مقي بن يونس : 298 ، 388 ، 389 .

محمد بن أحمد البيروني (أبو ريمان) : 348 ، 349 ،

350 .

محمد أحمد الشريف : 10 .

محمد بن أحمد المموري البيهقي : 346 ، 347 .

محمد الإيلاقي : 328 .

محمد بن تكش : 394 .

محمد بن جابر الحارثي البتاني : 299 .

محمد بن جابر بن سنان : 293 .

محمد الجراري : 10 .

محمد بن الخطيب الرازي (فخر الدين) : 392 .

محمد بن زكريا الرازي : 295 ، 296 ، 313 .

محمد الرخسي الحارثاني : 345 .

محمد السلطان : 346 .

محمد الطوسي (نصير الدين) : 398 .

- محمد بن عبدالله (ص): 33 .
محمد بن عبد الجبلي: 84 .
محمد بن عبدالله بن القاسم الشهرزوي: 17 .
محمد بن محمد الفارابي (أبو نصر): راجع الفارابي .
محمد بن محمود (السلطان): 364 ، 373 .
محمد المرقى أفضل الدين القاشي: 397 .
محمد بن مشعر البستي المقدسي: 303 .
محمد بن ملكشاه (السلطان): 344 .
محمد بن منصور (عميد خراسان): 321 .
أبو محمد المهلي: 340 .
محمد بن يوسف العامري: 22 ، 23 ، 45 ، 47 ، 366 .
محمود الأرض (أبو الحقر الحسن بن سوار): 296 .
محمود بن سبكتكين: 292 ، 318 .
محمود السرخسي: 345 .
محيي الدين المري: 398 .
ابن المرزباني (بهن يار): 316 .
مرقس: 287 .
ساوس: 288 .
مئانس: 239 .
مئانوس: 288 .
مطيوس: 288 .
مسعود بن محمد ملكشاه (السلطان): 344 ، 351 .
ابن مكويه: 309 ، 340 .
المسيح: 38 ، 39 ، 54 ، 274 ، 291 .
مطر: 230 .
معاوية: 285 ، 304 .
المتصم: 291 ، 305 ، 306 ، 309 ، 315 .
المتضد: 293 ، 351 .
أبو مشعر: 9 ، 23 ، 52 ، 60 ، 61 ، 322 .
مقيس: 290 .
المقتدر: 292 .
ملك شاه: 324 ، 344 ، 347 .
منصور بن مرحون: 55 .
منوچهر: 186 .
المهدي: 385 .
مهرابيس: 287 .
مؤيد الدين العرضي: 398 .
مودقس: 289 .
موسى (ع): 39 ، 186 ، 202 ، 203 ، 209 ، 332 .
موسى بن جعفر: 398 .
المياخي (عبدالله بن محمد): 326 .
ميروخس: 244 .
ميلاطوس: 229 .
ميون بن النجيب الواسطي: 319 .
- ن -
ناسطيوس: 290 .
ناتفرطس: 290 .
النبي (ص): 297 ، 298 ، 314 ، 380 .
نجم الدين القزويني: 398 .
ابن التدم: 8 ، 20 ، 23 ، 25 ، 49 .
نستف: 185 ، 186 .
النسوي (أبو الحسن علي): 322 .
نصير الدولة: 340 .
نظيف الرومي: 362 .
أبو النفيس: 341 .
نغرود الجبار: 303 .
النهرجوري (أبو أحمد الموني): 303 .
نوح: 36 ، 383 .
النوشجاني: 361 .
نوقطوس: 260 .
التيابيري (أبو تمام): 337 ، 338 .
نيقاس: 279 ، 282 ، 283 ، 284 ، 285 .
نيقولاوس: 352 .

نيقوماخس : 49 .

النيلي (أبو سهل) : 320 .

أبو الرضا البوزجاني : 310 .

وهب بن يمشى الراقي : 362 .

- ه -

- ي -

هرمس : 51 ، 52 ، 56 ، 60 ، 61 ، 62 ، 65 ، 79 ،

80 ، 289 ، 389 .

المروي (إسماعيل) : 72 .

ابن هند : 297 .

ابن هندو : 314 .

هولاكو : 398 .

ابن الهيثم : 9 ، 311 ، 313 .

- و -

وارجيس : 197 .

الواردت : 18 .

الواسطي (ميمون بن النجيب) : 319 .

يارن : 288 .

ياقوت : 17 .

يعجب بن خالد البرمكي : 304 .

يعجب بن زكريا : 57 .

يعجب بن عدي (أبو زكريا) : 296 ، 316 ، 340 ،

356 ، 357 ، 361 .

يعجب النحوي : 182 ، 290 ، 294 ، 304 .

يزد (الملك) علاء الدولة : 322 .

أبو يزيد : 377 .

بمعقوب بن اسحق الكندي : 305 .

ينطس : 290 .

اليهودي (أبو البركات) : 345 ، 395 .

يوقسانوس : 276 .

يونا : 288 .

فهرس البلدان والمدن والمواضع

- أ -

- أبها : 162 ، 163 ، 273 ، 274 .
 أبايس : 210 .
 أئيس : 144 ، 162 ، 209 .
 أئبة : 44 ، 48 .
 أئناس : 242 ، 244 .
 أئبة : 43 ، 44 ، 52 ، 275 ، 276 .
 أئبة : 52 ، 145 ، 147 ، 161 ، 162 ، 163 ، 178 ، 187 ، 209 .
 أذربيجان : 184 ، 185 ، 222 ، 316 .
 أرافليا (هرقله) : 90 .
 إربل : 17 .
 أركون : 214 .
 إرمس : 62 .
 أرمينية : 37 ، 39 ، 220 .
 أرواس : 114 .
 أماخرا : 45 .
 إستانبول : 9 .
 إسرائيل (بنو) : 95 ، 261 ، 270 .
 أسطاعين : 161 .
 أسطوخس (نهر) : 220 .
 أسطيدوس : 222 .
 أسقليا : 147 .
 الإسكندرية : 37 ، 62 ، 229 ، 230 ، 233 ، 252 ، 275 ، 276 .
 أسلس : 122 .
 إسطاخرا : 163 .
 إسطخر : 185 .
 أصفهان : 52 ، 324 ، 340 ، 346 ، 372 ، 373 ، 374 ، 378 .
 أطيقي : 214 .
 أفاذيميا : 147 ، 162 .
 أفاسوس : 90 .
 أفراخينا : 44 .
 أفرخلينا : 83 .
 إفرنسة : 38 .
 إفرودمانساس : 181 .
 إفروطوليا : 91 .
 أفطس : 45 .
 أفشة : 367 .
 أفطس : 161 .

- أفولونيا : 187 .
أقيانس : 38 ، 39 .
أقيديس : 196 ، 197 ، 198 .
الآخر : 196 .
الناس : 222 .
أمانيا (أمانية) : 37 ، 38 .
أمطرون : 91 .
أمنغورس : 161 .
أموسا : 214 .
أندراجين : 94 .
الأندلس : 38 ، 39 .
أنطاكية ، أنطاكية : 45 ، 54 ، 92 ، 258 .
أنطاليا : 92 ، 95 .
أنطولوجاميس : 275 .
الأهرام : 53 ، 61 .
أولوقومون (هيكل) : 112 .
أولو ليس : 94 .
إيليون : 222 .
- ب -
- تراكس : 161 .
تركستان : 300 .
نيطس (بحر) : 37 .
- ث -
- باب الأبواب : 37 .
بابل : 49 ، 50 ، 51 ، 53 ، 61 ، 81 ، 90 ، 95 ، 186 ، 223 ، 241 ، 251 .
باخرز : 328 .
بالين : 214 .
بتان : 299 .
بحر نيطس : 37 .
بحر الروم : 37 ، 38 ، 196 .
البحر الرومي : 37 ، 38 .
البحر المغربي : 38 .
بخاري : 367 ، 370 .
البراني (الأهرام) : 61 .
- بردوان (قلعة) : 371 ، 372 .
برغاموس = (فرغامس) : 253 .
البرغز (مملكة) : 38 .
برودس : 253 .
بست : 364 .
بشيران : 377 .
بنداد : 18 ، 52 ، 53 ، 294 ، 295 ، 299 ، 301 .
315 ، 316 ، 323 ، 329 ، 330 ، 331 ، 335 .
344 ، 357 ، 366 ، 370 ، 397 ، 398 .
بكر (ديار) : 379 .
بلخ : 52 ، 328 ، 367 .
البوناجية (جبل) : 61 .
بيت المقدس : 57 ، 263 .
بيرون : 348 ، 349 .
بيهق : 319 .
- ت -
- تراكس : 161 .
تركستان : 300 .
نيطس (بحر) : 37 .
- ج -
- جانون : 94 ، 370 .
جرجان : 315 ، 373 .
جرومين (من قرى بخاري) : 367 .
الجزيرة : 49 .
جند شابور : 54 .

- ح -

- حاجرم : 370 .
 حران : 184 ، 185 ، 299 .
 الحقاين (سوق) : 297 .
 الحكمة (دار) : 56 ، 62 .
 حلب : 379 .
 حلفيد : 161 ، 163 .
 حص : 196 ، 231 .
 حيفا : 209 .
 رستاق جي : 52 .
 قرملة : 261 ، 263 ، 270 .
 الرها : 62 .
 رودس : 196 ، 198 .
 الروس (مملكة) : 38 .
 روسقاد : 229 .
 الروم (مملكة) : 37 ، 38 ، 39 ، 54 ، 55 .
 36 ، 379 .
 رومية : 37 ، 39 ، 80 ، 112 ، 113 ، 275 ، 276 .
 الرزي : 295 ، 300 ، 315 ، 322 ، 370 ، 373 .

- خ -

- س -

- الحاقانية : 364 .
 خراسان : 321 ، 326 ، 327 ، 364 ، 366 ، 394 .
 خزنة السلطان سنجر : 319 .
 الخزنة النظامية : 318 .
 الخطا : 398 .
 الخليج : 37 ، 39 .
 خار : 398 .
 خوارزم : 297 ، 329 ، 345 ، 364 ، 367 .
 سارويه : 52 ، 53 .
 سامس : 45 .
 ساموس : 90 ، 91 ، 92 .
 ساميا : 43 .
 ساوه : 328 .
 سجنان : 336 ، 356 .
 سفراقوس : 217 .
 سقيا : 162 .
 سقيا : 50 ، 92 ، 103 .
 سقونيا : 209 .
 سقوينون : 94 .
 سلموس : 90 .
 سمرتا : 275 .
 سمان : 370 .
 سملقان : 370 .
 سمنان : 312 .
 السند : 348 .
 سنس : 112 .
 سوراقوسيا : 92 .

- د -

- دائن البراي : 61 .
 دار الحكمة : 56 ، 62 .
 دار الخلافة : 329 .
 داليس : 209 .
 داوران شهر : 185 .
 دمشق : 18 ، 301 ، 380 .
 دهستان : 370 .
 ديلر بكر : 379 .

سورواقوسا : 215 .

سورية : 90 .

سيلون : 214 .

سبواس : 39 .

سيوط : 275 .

- ع -

العراق : 17 .

عقلان : 301 .

عين شمس : 91 .

- غ -

غزنة : 297 ، 300 ، 321 ، 374 ، 394 .

الغور : 394 .

غزية : 210 .

- ش -

شارستان : 330 .

الشام : 38 ، 45 ، 49 ، 50 ، 53 ، 57 ، 83 ، 84 ،

88 ، 220 ، 261 ، 270 ، 275 ، 291 ، 299 ،

301 ، 311 ، 379 .

الشامات : 196 .

الشمال (ممالك) : 37 .

شهرزور : 17 ، 229 .

شيراز : 373 .

- ف -

فاراب : 300 .

فارس : 48 ، 49 ، 54 ، 81 ، 222 ، 223 ، 224

251 .

الفارسية (مملكة) : 37 .

فار قرقا : 93 .

فاروطويا : 93 .

الفاصلة (المدينة) : 384 .

الفاطيس : 213 .

فرغاس = برغاموس : 274 ، 276 .

الفرقدان : 325 .

الفرماء : 275 .

فرونوطونيا : 93 .

فرينون : 94 .

الفسطاط : 62 .

فلسطين : 48 ، 261 .

فيدطوس : 222 .

فيلا : 222 .

- ص -

الصعيد العالي : 312 .

صعيد مصر : 57 ، 61 .

الصين : 51 ، 52 ، 228 .

- ط -

الطائف : 321 .

طارم : 371 .

طا فروماسون : 92 .

طاموس : 94 .

طبرس : 220 .

طنجة : 38 .

طواس (جبل) : 222 .

طوخيا : 94 .

طوس : 370 ، 398 .

- ق -

قاشان : 397 .

القاهرة : 311 .

- م -

قاومونيا : 93 .

قبروها = حص : 196 .

قرافطا : 92 .

قرطبة : 84 .

قروطنيا : 92 .

قروين : 370 .

قسططنية : 39 ، 50 .

القطب الجنوبي : 351 .

قطيداء : 222 .

قو : 196 ، 197 ، 198 ، 285 .

قوفيس : 161 .

قولون (هيكل) : 209 .

قوس : 229 ، 371 .

قوسة : 340 .

ماء مدين : 384 .

مايردين : 380 .

مازكرد : 398 .

ماطانيطس :

ماطربوبطيون : 92 .

ماهانيسا : 90 .

ما وراء النهر : 364 .

المدينة الفاضلة : 384 .

مراغة : 378 ، 394 .

مرجالوس : 225 .

مرزقوان : 129 .

مرو : 225 ، 296 ، 327 ، 344 ، 345 ، 374 .

مريوس : 95 .

المسجد الأقصى : 316 .

المشترى : 151 .

مشهد موسى بن جعفر : 398 .

مصر : 45 ، 49 ، 50 ، 51 ، 53 ، 62 ، 88 ، 90 ،

91 ، 147 ، 252 ، 275 ، 311 ، 329 ، 379 .

المغرب : 42 ، 220 ، 228 ، 231 ، 279 .

المقدس : 163 .

مقدونيا : 161 ، 162 ، 163 ، 279 ، 282 .

مقدونية : 48 ، 241 .

مقطابوبطيون : 94 .

الملحد : 398 .

ملطية : 42 ، 43 .

مالك الشمال : 37 .

ملكة البابليين : 37 .

ملكة الميرغز : 38 .

ملكة القروس : 38 .

ملكة القروس : 37 ، 38 ، 39 .

المملكة الفارسية : 37 .

منف : 62 ، 91 .

- ك -

كدبانويه : 370 .

كربالون : 370 .

لكرح : 374 .

كر كائح : 370 .

كر كوك : 17 .

كوزخان : 328 .

كنيسة القيامة : 316 .

الكوفة : 305 .

كورة مرو : 327 .

- ل -

للان (بلاد) : 37 .

لوفيا : 94 .

لوفيون : 162 .

لوقين : 162 .

ليسطراطوس : 210 .

الهند : 41 ، 81 ، 186 ، 223 ، 225 ، 226 ، 228 ،

367 ، 349 ، 237 .

هيكل اولوقومون : 112 .

هيكل الشمس : 81 .

هيكل الموسين : 94 .

- و -

واسط : 52 .

الوقارس : 93 .

- ي -

اليمن : 379 .

يونان : 45 ، 46 ، 48 ، 83 ، 88 ، 199 ، 355 .

اليونانيين (بلاد) : 37 ، 38 ، 39 ، 42 ، 49 .

الموصل : 17 ، 18 ، 397 .

ميفارقين : 378 .

- ن -

الناطس : 145 .

نسا : 370 .

نظامية بغداد : 329 .

النوبة : 261 .

نيابور : 370 ، 375 ، 398 .

النيل (نهر) : 49 ، 50 ، 311 ، 312 .

- ه -

هراة : 319 ، 394 .

همذان : 17 ، 344 ، 370 ، 371 ، 372 ، 374 ،

367 .

فهرس الأهم والقَبائل والفرق والأجناس

- أ -

الترك : 228 ، 297 ، 325 ، 351 .

تمم : 294 .

الأتراك : 300 ، 319 .

بنو إسرائيل : 46 .

الاسلام : 227 ، 335 ، 343 .

أصحاب الرواق : 42 .

بنو أمية : 55 .

- ث -

ثامس : 50 .

- ج -

الجاهلية : 335 .

- ب -

البابليون : 37 .

الباطنية : 84 .

البراهمة : 41 .

البربر : 92 .

البرهانيون : 227 .

بطالسة : 37 ، 253 .

بكر : 349 .

بهراسب : 48 .

- ح -

الحنفاء : 309 .

الحواريون : 309 .

- خ -

الخوارج : 323 .

- ز -

الروم : 37 ، 42 ، 48 ، 49 ، 51 ، 92 ، 220 ، 224 ،

251 ، 275 .

- ت -

التاتار : 398 .

التابعون : 330 .

روميون: 37 .

- ك -

الكرامية: 394 .

- ز -

الكلبيون: 187 .

الزراذشتية: 185 .

الكلدانبيون: 49 .

- س -

- ل -

ساسان: 251 .

لفطالنج (فرقة): 45 .

سريان: 9 .

اللوزانيون: 248 .

السامانية: 370 .

- ص -

- م -

ماني: 48 .

الصابئة،

المجوسي: 186 .

الصابئة،

المجوسية: 224 .

الصابية.

المشاؤون: 42 ، 146 ، 162 ، 182 ، 276 ، 388

الصاشين: 38 ، 39 ، 56 ، 79 ، 186 ، 293 ، 294 .

389 ، 393

الصوفية: 372 ، 378 .

المطامير: 323 .

- ط -

المغول: 398 .

الطوائف: 51 .

المهاليك: 297 .

بنو موسى: 86 .

- ع -

- ن -

بنو العباس: 55 .

النصارى: 165 ، 291 ، 298 ، 304 ، 306 ، 309

العرب: 292 ، 316 ، 323 ، 327 ، 397 .

315

- ف -

- هـ -

الفرس: 9 ، 37 ، 49 ، 51 ، 52 ، 53 ، 54 ، 91 ،

بنو هاشم: 305 .

42 ، 198 ، 199 ، 217 ، 224 .

هنود: 9 .

- ق -

- ي -

اليونانية: 292 .

القرامطة: 351 .

يونانيون: 37 ، 42 ، 43 ، 49 ، 50 ، 219 ، 279

القدرية: 188 .

اليهود: 343 .

قريش: 50 .

فهرس أسماء بعض الكتب الواردة في المخطوط

- أنس الفريد ، لأحد بن مسكويه ، 341 .
تعاليق وحواشي كتب المنطق ، لأحد بن مسكويه
341 .
تهذيب المجسطي ، لنصر الدين الطوسي ، 398 .
رسالة في الأخلاق ، لابن الهيثم ، 311 .
رسالة في الدنيا والآخرة والفلسفة ، لابن الهيثم ،
313 .
رسالة إلى الوزير الأمين أبي سعيد ، لحسن بن سوار
298 .
رسالة في الكون وتكليف ، لعمر الحيام ، 324 .
زيج بن الأحم ، ابن الأحم ، 313 .
شرح الاشارات ، للطوسي ، 398 .
رسالة في الوجود ، لعمر الحيام ، 324 .
رسائل اخوان الصفا ، 23 ، 303 ، 367 .
شرح مسائل حنين ، لأبي سهيل النيسابوري ، 320 .
شرح رسائل حي بن يقظان ، لابن سينا ، 317 ،
372 .
شرح نهج البلاغة ، لابن الخطيب الرازي ، 396 .
فردوس الحكمة ، للطبري / علي بن زين ، 296 .
الفهرست ، لابن النديم ، 49 .
كتاب الإبانة عن علل الدبابة ، للبلخي ، 23 .
كتاب الأخلاق ، لأرسطو .
- كتاب أخلاق الحكماء ، لابن سينا ، 300 .
كتاب أرسطو ، أرسطو ، 293 .
كتاب الانصاف ، ابن سينا ، 182 .
كتاب الأمد الأقصى ، ببلخي ، 23 .
كتاب الأمد على الأبد ، للعامري ، 22 ، 45 ، 366 .
كتاب انتخاب الصوان ، لابن سينا ، 302 .
مقالة في الايضاح عن رأي القدماء ، لابن سوار
بن بهنام ، 298 .
كتاب التاريخ ، لفرغوريوس ، 89 .
كتاب تفسير سورة البقرة ، لابن الخطيب الرازي ،
396 .
كتاب تنهايت ، للفرزالي ، 23 ، 304 .
كتاب الحيل الهندسية ، لأرسطو ، 164 .
كتاب الحيوان وذوات السموم ، لهرمس الثالث ،
61 .
كتاب المفتاح في الطب ، لابن هدد ، 23 ، 314 .
كتاب خلق الانسان ، لحسن بن سوار ، 298 .
كتاب روفس في الدراقات ، روفس ، 276 .
كتاب السياسة المدنية ، لأرسطو ، 164 .
كتاب فيها بعد الطبيعيات ، لأرسطو ، 164 .
كتاب الذخيرة ، لثابت بن قرة ، 293 .

كتاب في التاريخيات، لابن عبد الله المعصوي،
318.

كتاب التهمكان، أبو سهل، 50.

كتاب قاطيمورياس، لأرسطو، 292، 293.

كتاب القانون المهودي، للبيروني، 352، 349.

كتاب في المناظر، للكندي، 23، 305.

كتاب المجسطي، لبطليموس، 367، 372.

كتاب المقتضيات السبعة، لابن سينا، 304.

كتاب الملل والنحل، لابن خطيب الرازي، 396.

كليلة ودمنة، 305.

مختصر في الطبيعيات، لعمر الحيام، 314.

منتخب كلام تنكلوشا، لابن خطيب الرازي،
396.

مقالة السعادة، لحسن بن سوار، 298.

مقالة في الوفاق، لحسن بن سوار، 298.

المستوفي في الشعر، لأحمد بن مسكويه، 341.

المنهاج في الآيات، لمحمد بن عبد الكريم

الشهرستاني، 329.

مهجة التوحيد، عضد الدنيا والدين، 322.

النورس في علم الأوائل، لأحمد بن مسكويه، 341.

فهرس كتب ابن سينا الواردة في المخطوط

- 1 - رسالة إلى ابن الفرج .
- 2 - رسالة في الرد على مقالة لابن الفرج .
- 3 - رسالة في اثبات المبدأ الأول .
- 4 - رسالة في الفيض الالهي .
- 5 - رسالة في النبض (بالفارسية) .
- 6 - كتاب البر والاثم .
- 7 - تفسير بعض سور كلام الله تعالى .
- 8 - رسائل وكتب : كتاب إلى أبي القسم الفضل محمود .
- 9 - تعاليق في المنطق .
- 10 - كتاب إلى أبي الفضل .
- 11 - قصائد له .
- 12 - المعاني في المنطق .
- 13 - رسالة في حقيقة ما : واضرب لهم مثل الحياة الدنيا .
- 14 - رسالة في انشقاق القمر .
- 15 - رسالة في كيفية اصحاب الكهف .
- 16 - رسالة في النفس .
- 17 - رسالة في النفس .
- 18 - رسالة في النفس .
- 19 - رسالة هجج الرماع إلى ساكن القلاع .
- 20 - تكرار المنطق .
- 21 - رسالة في ذم ما صنع الجراد .
- 22 - تدبير المنزل .
- 23 - تدبير المسافرين .
- 24 - كتاب لسان العرب .
- 25 - دستور طبي .
- 26 - دفع الغم عن الموت .
- 27 - في ماهية الحزن .
- 28 - رسالة الفردوس .
- 29 - شرح مسائل حنين بن اسحق .
- 30 - رسالة في البلاء .
- 31 - مقالة في السكتين .
- 32 - رسالة في الفصد .
- 33 - مسألة في القضاء والقدر .
- 34 - رسالة إلى أبي طاهر .
- 35 - رسالة إلى أبي طاهر المتطبب .
- 36 - في معنى السراج .
- 37 - مقالة في حفظ الصحة .
- 38 - كتاب المجموع .
- 39 - الحكمة القدسية .
- 40 - الشفاء .
- 41 - كتاب الحاصل والمحصل .
- 42 - كتاب اللواحق .
- 43 - القانون .
- 44 - الانصاف والانصاف .
- 45 - النجاة .
- 46 - التعليقات .
- 47 - المباحث .
- 48 - الاشارات .

- 49 - عيون الحكمة .
- 50 - الحكمة المشرقية .
- 51 - مقتضيات الكبير السبعة .
- 52 - اشارة إلى علم المنطق .
- 53 - الأوسط المهرجان .
- 54 - المجد والمحقق بكتاب الأوسط .
- 55 - الاستبصار .
- 56 - رسالة في تعقب الموضع الجدلي .
- 57 - كتاب المهجة .
- 58 - رسالة في اثبات النبوة .
- 59 - الموجز الكبير في المنطق .
- 60 - كتاب بيان ذوات الجهة .
- 61 - رسالة في السياسة .
- 62 - الموجز الصغير في المنطق .
- 63 - النحلة .
- 64 - رسالة في تحزي الأقسام .
- 65 - رسالة في علة قدام الأرض .
- 67 - الجمل من الأدلة المحققة لبناء النفس الناطقة .
- 68 - الرسالة الطميرة .
- 69 - زبدة القوى الحيوانية .
- 70 - رسالة في أن علم عمرو غير علم زيد .
- 71 - مقالة في القوى الانسانية وادراكها .
- 72 - مقالة في خطأ من قال ان الكمية جوهر .
- 73 - كتاب المعاد .
- 74 - الرسالة النبروزية .
- 75 - كتاب العلالي .
- 76 - الأدوية القلبية .
- 77 - تدارك أنواع الخطأ .
- 78 - الحدود رسالة في الهلذاب .
- 79 - رسالة في العشق .
- 80 - رسالة في الحديث .
- 81 - كتاب في الشعر .
- 82 - رسالة إلى أبي القاسم الكرماني .
- 83 - رسالة في النفس الفلكي .
- 84 - الهداية .
- 85 - رسالة في معرفة الأجرام السماوية .
- 86 - عهد عهده لنفسه .
- 87 - رسالة حي بن يقظان .
- 88 - رسالة في الأخلاق .
- 89 - رسالة في أقسام العلوم .
- 90 - في أقسام الحكمة .
- 91 - رسالة في الزاوية .
- 92 - رسالة العروس .
- 93 - أجوبة أبي ريمان .
- 94 - أجوبة عن مسائل .
- 95 - أجوبة عشرين مسألة .
- 96 - أجوبة عشرين مسألة أخرى .
- 97 - كتاب إلى أبي سعيد .
- 98 - كتاب آخر اليه .
- 99 - ارجوزة في المنطق .
- 100 - رسالة في القوى الجسائية .
- 101 - رسالة إلى أبي الفضل .
- 102 - رسالة في الشراب مجدول .
- 103 - رسالة في الشراب غير مجدول .
- 104 - رسالة في التفاح .
- 105 - رسالة في الموسيقى سوى الشفاء .
- 106 - رسالة في البرق .
- 107 - رسالة إلى أبي الحسن سهل بن محمد في
- 108 - رسالة الاصحوبة .
- 109 - رسالة إلى أبي عبيد الجوزجاني .
- 110 - جواب إلى كتاب بعض المتكلمين .
- 111 - كتاب التعبير .
- 112 - كتاب التوسيع .
- 113 - فصول طيبة مرت في مجله .
- 114 - الحكم العرشية .
- 115 - أرايت بخط بعض المحصلين .

فهرس كتب السهروردي الواردة في المخطوط

- 1 - المطارحات .
- 2 - التلويحات .
- 3 - حكمة الانراق .
- 4 - اللمحات .
- 5 - الألواح المعادية .
- 6 - المياكل النورية .
- 7 - المقاومات .
- 8 - الرمز المومي .
- 9 - المبدأ والمعاد (بالفارسية) .
- 10 - بستان القلوب .
- 11 - طوارق الأنوار .
- 12 - التنقيحات في الأصول .
- 13 - كتاب في التصوف .
- 14 - البارقات الالهية .
- 15 - النفحات السابوية الالهية .
- 16 - لوايح الأنوار .
- 17 - الرقيم القدسي .
- 18 - اعتقاد الحكماء .
- 19 - كتاب العصر .
- 20 - رسالة المشق .
- 21 - رسالة (بالفارسية) .
- 22 - رسالة للمراج .
- 23 - رسالة زوربي جماعت (بالفارسية) .
- 24 - رسالة عقل شرح .
- 25 - رسالة أنوار جبرائيل .
- 26 - رسالة رتوناة .
- 27 - رسالة لغة موران .
- 28 - رسالة غزلة العربية .
- 29 - رسالة بردان سناحت .
- 30 - رسالة صغبر سمرغ .
- 31 - رسالة الطير .
- 32 - رسالة تفسير آيات من كتاب الله .
- 33 - رسالة غاية المبتدى .
- 34 - التنبيحات .
- 35 - دعوات الكواكب .
- 36 - مخيمات الكواكب .
- 37 - كتاب التنقيحات .
- 38 - مكاتبات إلى الملوك والشايع .
- 39 - كتب الحكمة .
- 40 - الألواح الفارسية .
- 41 - تسييحات العقول .
- 42 - المياكل الفارسية .
- 43 - أدعية متفرقة .
- 44 - السراج الروهاج .
- 45 - الدعوة الشمسية .
- 46 - الفواردات الالهية .
- 47 - كتاب التصليقات .
- 48 - كتاب في المنافيات .
- 49 - شرح الارشادات (بالفارسية) .

فهرس الأبواب والموضوعات (محتويات الكتاب)

32 - 7	● مقدمة المحقق
10 - 7	- تمهيد:
12 - 11	- وصف المخطوطين الأول والثاني:
13	- نسخ أخرى للمخطوط:
14	- أسماء الحكماء المعروف بهم (قبل الإسلام):
16 - 15	- أسماء الحكماء المعروف بهم (بعد الإسلام):
19 - 17	- تعريف بالمؤلف:
21 - 20	- منهج المؤلف:
23 - 22	- مصادر المؤلف:
25 - 24	- منهج المحقق:
27 - 26	- مصادر المحقق ومراجعته:
31 - 28	- صور صفحات من المخطوطين «أ» و«ب»:
32	- الرموز المستعملة في الكتاب:
398 - 33	● المتن المحقق:
290 - 33	- الحكماء قبل الإسلام: (40 حكماً):
398 - 291	- الحكماء بعد ظهور الإسلام: (92 حكماً):
422 - 399	- هوامش وحواشي وترجمات وتعليقات:

405 - 399	- حواشي تراجم بعض الحكماء قبل ظهور الإسلام :
427 - 407	- حواشي تراجم بعض الحكماء بعد ظهور الإسلام :
423	- الفهارس العامة :
426 - 425	- طريقة الفهارس :
427	- فهرس القرآن الكريم :
429 - 428	- فهرس الحديث النبوي الشريف :
434 - 430	- فهرس الأعلام اليونانيين وما يقابله باللاتينية :
438 - 435	- فهرس المصطلحات والكلمات العلمية :
442 - 439	- فهرس الشعر والقوافي :
457 - 443	- فهرس الأعلام :
463 - 458	- فهرس البلدان والمدن والمواضع :
465 - 464	- فهرس الأمم والقبائل والفرق والأجناس :
467 - 466	- فهرس أسماء بعض الكتب الواردة في المخطوط :
469 - 468	- فهرس كتب ابن سينا الواردة في المخطوط :
470	- فهرس كتب السهروردي الواردة في المخطوط :
472 - 471	- فهرس الأبواب والموضوعات (محتويات الكتاب) :